

كتاب

﴿رحلة ابن بطوطة﴾

سيرة المسافر

تحفة النظر في غرائب الأمصار

وعجائب الاسفار

الطبعة الاولى

بالمطبعة الخيرية

لما لكها ومديرها السيد (عمر حسين الخشاب)

سنة ١٣٢٢

هجريه

﴿ فهرست الجزء الاول من كتاب رحلة ابن بطوطه ﴾

صفحة	صفحة
٦٦ ذكر الائمة بهذا المسجد	٢ خطبة الكتاب
٦٧ ذكر المدرسين والمعلمين به	٧ ذكر سلطان تونس
ذكر قضاة دمشق	١٠ ذكر أبواب سكندرية ومرساها
٦٩ ذكر مدارس دمشق	١٠ ذكر المنار
٧٠ ذكر أبواب دمشق	١١ ذكر عمود السواري
ذكر بعض المشاهد والمزارات بها	١١ ذكر بعض علماء الاسكندرية
٧٢ ذكر رياض دمشق	٢٥ ذكر نيل مصر
ذكر قاسيون ومشاهدة المباركة	٢٦ ذكر اهرام والبراني
٧٣ ذكر الربوة والقري التي تواليها	٢٧ ذكر سلطان مصر
٧٥ ذكر الاوقاف بدمشق وبعض فضائل	٢٧ ذكر بعض أمراء مصر
أهلها وعوائدهم	٢٩ ذكر القضاة بمصر
٧٨ ذكر سماعي بدمشق ومن أجازني من	٣٠ ذكر بعض علماء مصر وأعيانها
أهلها	ذكر يوم الحمل بمصر
٨٢ طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه	٣٩ ذكر المسجد المقدس
وسلم وشرف وكرم	٤٤ ذكر قبة الصخرة
ذكر مسجد رسول الله صلى الله عليه	ذكر بعض المشاهد المباركة بالقدس
وسلم ووروضته الشريفة	الشريف
٨٣ ذكر ابتداء بناء المسجد الكريم	ذكر بعض فضلاء القدس
٨٦ ذكر المتبر الكريم	٦٢ ذكر جامع دمشق المعروف بجامع بني
٨٧ ذكر الخطيب والامام بمسجد رسول	أمية

صحيفة	صحيفة
١٠٧ ذكر أمير مكة	الله صلى الله عليه وسلم
١٠٨ ذكر أهل مكة وفضائلهم	ذكر خدام المسجد الشريف
ذكر قاضي مكة وخطبها وامام	والمؤذنين به
الموسم وعلمائها وصلاحاتها	٨٨ ذكر المجاورين بالمدينة الشريفة
١١١ ذكر المجاورين بمكة	٨٩ ذكر أمير المدينة الشريفة
١١٧ ذكر عادة أهل مكة في صلواتهم	ذكر بعض المشاهد الكريمة بخارج
ومواضع أئمتهم	المدينة الشريفة
١١٨ ذكر عاداتهم في الخطبة وصلاة الجمعة	٩٥ ذكر مكة المعظمة
ذكر عاداتهم في استهلال الشهور	ذكر المسجد الحرام
ذكر عاداتهم في شهر رجب	٩٦ ذكر الكعبة المعظمة الشريفة زادها
١١٩ ذكر عمرة رجب	الله تعظيما وتكريما
١٢١ ذكر عاداتهم في ليلة النصف من	٩٧ ذكر الميزاب المبارك
شعبان	٩٨ ذكر الحجر الاسود
ذكر عاداتهم في شهر رمضان المعظم	ذكر المقام الكريم
١٢٢ ذكر عاداتهم في شوال	٩٩ ذكر الحجر والمطاف
١٢٣ ذكر احرام الكعبة	ذكر زمزم المباركة
ذكر شعائر الحج وأعماله	١١٠ ذكر أبواب المسجد الحرام وما
١٢٥ ذكر كسوة الكعبة	دار به من المشاهد الشريفة
١٢٦ ذكر الانفصال عن مكة شرفها الله	١٠٢ ذكر الصفا والمروة
١٢٩ ذكر الروضة والقبور التي بها	١٠٣ ذكر الحياة المباركة
١٣١ ذكر نقيب الاشراف	١٠٤ ذكر بعض المشاهد خارج مكة
١٣٤ مدينة واسط	١٠٥ ذكر الحياض المطيفة بمكة

صفحة	صفحة
١٣٦	مدينة البصرة
١٣٨	ذكر المشاهدة المباركة بالبصرة
١٤٣	ذكر ملك ايدج وتستر
١٥٠	ذكر سلطان شيراز
١٥٧	ذكر بعض المشاهد بشيراز
١٦٢	مدينة الكوفة
١٦٤	مدينة بغداد
١٦٧	ذكر الجانب الغربي من بغداد
	ذكر الجانب الشرقي منها
١٦٨	ذكر قبور الخلفاء ببغداد وقبور بعض العلماء والصالحين بها
١٦٩	ذكر سلطان العراقين وخراسان
١٧٢	ذكر المتقلبين على الملك بعد موت السلطان أبي سعيد
١٧٥	مدينة الموصل
١٧٨	ذكر سلطان ماردين في عهد دخولي اليها
١٨٣	ذكر سلطان جزيرة سواكن
١٨٤	ذكر سلطان حلي
١٨٧	ذكر سلطان اليمن
١٩٠	ذكر سلطان مقدشو
١٩٣	ذكر سلطان كلوا
١٩٧	ذكر التنبول
	ذكر التارجيل
١٩٩	ذكر سلطان ظفار
٢٠٠	ذكر ولي اقيناء بهذا الجبل
٢٠٤	ذكر سلطان عمان
٢٠٥	ذكر سلطان هرمز
٢٠٨	ذكر سلطان لار
٢٠٩	ذكر مفاص الجوهر
٢١٣	ذكر سلطان العلایا
٢١٤	ذكر الاخية الفتیان
٢١٥	ذكر سلطان أنطاكية
٢١٦	ذكر سلطان اكر يدور
٢١٧	ذكر سلطان قل حصار
٢١٨	ذكر سلطان لاذق
٢٢٠	ذكر سلطان ميلاس
٢٢١	ذكر سلطان اللارندة
٢٢٦	ذكر سلطان برکی
٢٣٠	ذكر سلطان مغنيسية
٢٣١	ذكر سلطان برغمة
٢٣٢	ذكر سلطان بلی کسری
٢٣٣	ذكر سلطان برصی
٢٣٨	ذكر سلطان کردی بولی

صحيفه	صحيفه
٢٤٠ ذ كر سلطان قسطنطينيه	٢٦٨ ذ كر الكنيسة المعظمي
٢٤٥ ذ كر المعجلات التي يسافر عليها	٢٦٩ ذ كر الما استارات بقسطنطينيه
حضرة السلطان محمد أوزبك بهذه البلاد	٢٧٠ ذ كر الملك المترهب جرجيس
٢٥١ ذ كر السلطان محمد أوزبك خان	٢٧١ ذ كر قاضي القسطنطينيه
٢٥٣ ذ كر الخواتين وترتيبهن	ذ كر الانصراف عن القسطنطينيه
٢٥٦ ذ كر بنت السلطان المعظم أوزبك	٢٧٦ ذ كر أمير خوارزم
٢٥٧ ذ كر ولدي السلطان	٢٧٨ ذ كر بطيخ خوارزم
ذ كر سفرى الى مدينة بلغار	٢٨٠ ذ كر أولية الترت وتخریبهم بخارى
ذ كر أرض الظلمة	وسواها
٢٥٨ ذ كر ترتيبهم في العيد	٢٨٣ ذ كر سلطان ما وراء النهر
٢٦٢ ذ كر سفرى الى القسطنطينيه	٢٩٣ ذ كر سلطان هرات
١٦٦ ذ كر سلطان القسطنطينيه	حكاية الرافضة
٢٦٧ ذ كر المدينة	٣٠٢ تمة هذا الجزء
	٣٠٣ تذييل

تمت فهرست الجزء الاول

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال الشيخ الفقيه العالم الثقة النبيه الناسك الابر وفد الله المعتمر شرف الدين المعتمد في سياحته على رب العالمين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي ثم الطنجي المعروف بابن الحلوطة رحمه الله ورضي عنه بمنه وكرمه آمين

الحمد لله الذي ذلل الأرض لعباده ليسلكوا منها سبيل الفحاجا وجعل منها وإليها تاراتهم الثلاث نباتا واعادة واخراجا دحاء باق قدرته فكانت مهدا للعباد وأرساها بالاعلام الراسيات والاطواد ورفع فوقها سمك السماء بنير عماد وأطلع الكواكب هداية في ظلمات البر والبحر وجعل القمر نورا والشمس سراجا ثم أنزل من السماء ماء فأحياه الأرض بعد الممات وأنبث فيها من كل الثمرات وفطر أقطارها بصنوف النبات وفجر البحرين عذبا فراتا وماء حاراجا وأكمل على خلقه الانعام بتدليل مطايا الأنعام وتسخير المنشآت كالاعلام ليمتطرا من صهوة القفر ومتن البحر أثابا وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الذي أوضح للخلق منهاجا وطلع نور هدايته وهاجا بشفاعة الله تعالى رحمة للعالمين واختاره خاتما للنبيين وأمكن صوارمه من رقاب الشركين حتى دخل الناس في دين الله أفواجا وأيده بالمعجزات الباهرات وأنطق بتصديقه الجسادات وأحيا بدعوته الرمم الباليات وفجر من بين أنامله ماء ثجاجا ورضى الله تعالى عن المنشرفين بالانتماء إليه أحببا والآوا زواجا المقيمين قناتة الدين فلا تخشى بعدهم اءواجا فهم الذين آزره على جهاد الاعداء وظاهره على اظهار الملة ليضاء وقاموا بحقوق الكريمة من الهجرة والنصرة والايواء واقتحموا دونه نار البأس حامية وخاضوا بحر الموت عجاجا ونستوهب الله تعالى لمولانا الامام الخليفة أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين المجاهد في سبيل الله المؤيد بنصر الله أبي عنان فارس ابن موالينا الائمة المهتدين الخلفاء الراشدين نصر اوسع الدنيا وأهلها ابتهاجا وسعدا يكون لزمان الزمان علاجا كما

وهبه الله بأسا وجودا لم يدع طاغيا ولا محتاجا وجعل بسيفه وسيفه لكل ضيقة انقراجا
﴿وبعد﴾ فقد قضت العقول وحكم المعقول والمنقول بأن هذه الخلافة العلية المجاهدة
المتوكلية الفارسية هي ظل الله الممدود على الانام وجبله الذي به الاعتصام وفي سلكه
طاغته يجب الانتظام فهي التي أبرأت الدين عند اعتلاله وأغمدت سيف العدو ان عند
انسلاخه وأصلحت الايام بعد فسادها ونفقت سوق العلم بعد كسادها وأوقحت طرق
البر عند انهاجها وسكنت أقطار الارض عند ارتجاجها وأحيت سنيننا كآرام بعد مماتها
وأما ترسوم المظالم بعد حياتها وأخذت نار الفتنة عند اشتغالها وتقتضت أحكام البغي
عند استقلالها وشادت مباني الحق على عمد التقوى واستمسكت من التوكل على الله
بالسبب الاقوى فلها العز الذي عقد تاجه على مفرق الجوزاء والمجد الذي جرد أذنيه
على حجرة السماء والسعد الذي رد على الزمان غض شبابه والعدل الذي مد على أهل
الايمان مديداً طنابه والجود الذي قطر سحابه اللجين والنضار والبأس الذي فيض
غمامه الدم الموار وانصر الذي نفص كتابه الاجل والتأييد الذي بعث ثنائمه الدول
والبطش الذي سبق سيفه العذل والاناة التي لا يعل عندها الامل والحزم الذي يسد على
الاعداء وجود المسارب والعزم الذي يفل جموعها قبل نراع الكتاب والحلم الذي
يجنى العفو من ثمر الذنوب والرفق الذي جمع على محبته نبات القلوب والعلم الذي يجنو
نوره دياجي المشكلات والعمل المقيد بالاخلاص والاعمال بالنيات ولما كانت
حضرته العلية مطمح الآمال ومسرح همم الرجال ومحط رحال الفضائل ومصدر
أمن الخائف ومنية السائل توخي الزمان خدمتها ببدايع تحفه وروائع لونه فالتفت
عليها العلماء انثيال جودها على الصفات وتسابق اليها الادباء تسابق عنوماتها الى الاعدات
وحجج العارفون حرمها الشريف وقصد السانحون استطلاع معناها المنيق ولجأ
الخائفون الى الامتناع بعز جنابها واستجارت الملوك بخدمة أبوابها فهي المنظر الذي
عليه مدار العالم وفي القطع بتفضيلها تساوت بديهة عقل الجاهل والعالم وعن مآثرها
الفائقة يسند صحاح الآثار كل مسلم وبإكمال محاسنها الرائقة يفصح كل معلم وكان عن

وفد على بابها السامى وتعدى أو شال البلاد الى بحرها الطامى الشيخ الفقيه السائح الثقة
الصدوق جوال الارض ومخترق الاقاليم بالطول والعرض أبو عبد الله محمد بن عبد الله
ابن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة المعروف في بلاد الشرقية بشمس
الدين وهو الذى طاف الارض معتبرا وطوى الامصار مختبرا وباحث فرق الامم
وسير سير العرب والعجم ثم ألقى عصا التسيار بهذه الحضرة العليا لما علم أن لها منزلة
الفضل دون شرط ولا نية وطوى المشارق الى مطلع بدرها بالغرب وآثرها على
الاقطار ايثار التبر على الترب اختيارا بعد طول اختبار البلاد والخلق ورغبة في اللحاق
بالطائفة التى لا تزال على الحق فغمره من احسانه الجزيل وامتنانه الحفى الحفيل
ما أنسا الماضى بالحال وأغناه عن طول الترحال وحقر عنده ما كان من سواه يستعظمه
وحقق لديه ما كان من فضله يتوهمه فحسى ما كان ألفه من جولان البلاد وظفر بالمرعى
الحصب بعد طول الارتداد ونفذت الاشارة الكريمة بأن يملى ما شاهده فى رحلته من
الامصار وما علق بحفظه من نوادر الاخبار ويذكر من لقيه من ملوك الاقطار
وعاماتها الاخبار وأولياتها الابرار فأملى من ذلك ما فيه نزهة الخراطر وبهجة المسامع
والتواظر من كل غريبة أفاد باجتماعها وعجيبة أطرف بانحائها وصدر الامر العالى
اميد مقامهم الكريم المنقطع الى بابهم المتشرف بخدمة جنابهم محمد بن محمد بن جزى
الكلبي أعانه الله على خدمتهم وأوزعه شكر نعمتهم ان يضم أطراف ما أملاه الشيخ
أبو عبد الله من ذلك فى تصنيف يكون على فوائده مشتملا ولنيل مقاصده مكتملا
متوخيا تنقيح الكلام وتهذيبه معتمدا أيضا حقه وتقريبه ليقع الاستمتاع بملك الطرف
وبعظم الانتفاع بدورها عند تجريد عن الصدف فامثل ما أمر به مبادرا وشرع فى
متهله ليكون بمونة الله عن توفية الغرض منه صادرا ونقلت معاني كلام الشيخ أبي عبد
الله بالفاظ موفية للمقاصد التى قصدتها موضحا للمناحى التى اعتمدها وربما أوردت
لحفظه على وضحه فلم أخل بأصله ولا فرعه وأوردت جميع ما أورده من الحكايات
والاخبار ولم أعرض لبحث عن حقيقة ذلك ولا اختبار على أنه سلك فى اسناد

صاحبا أقوم المسالك وخرج عن عهد سائرهابا يشعر من الالفاظ بذلك وقيدت
المشكل من أسماء المواضع والرجال بالشكل والنقط ليكون أنفع في التصحيح والضبط
وشرحت ما أمكنى شرحه من الاسماء العجمية لأنها تلتبس بمعجمتها على الناس ويخطئ
في فك معماها منهم ودالقياس وأنا أرجو أن يقع ما قصدته من المقام العلى أيده الله بمحل
القبول وأبلاغ من الاغضاء عن تقصيره المأمول فعواندهم في السماح جميله ومكارمهم
بالصفح عن الهفوات كفيله والله تعالى يديم لهم عادة النصر والتمكين ويمرفهم
عوارف التأيد والفتح المبين

قال الشيخ أبو عبد الله كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من
شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبع مائة تمتعنا بحج بيت الله الحرام وزيارة قبر
الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام منفردا عن رفيق آتس بصحبته وركب أكون في
جملته لباعث على النفس شديد العزائم وشوق الي تلك المعاهد الشريفة كما من في
الحيازم فجزمت أمرى على هجر الاحباب من الاناث والذكور وفارقت وطني
مفارقة الطيور للو كور وكان والدي بقيد الحياة فتحملت لبعدهما وصبا ولقيت كالمقيا
من الفراق نصبا وسقى يومئذ ثنتان وعشرون سنة قال ابن جزي أخبرني أبو عبد الله
بمدينة غرناطة أن مولده بطنجة في يوم الاثنين السابع عشر من رجب الفرد سنة ثلاث
وسبع مائة

(رجع) وكان ارتحالي في أيام أمير المؤمنين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين
الذي رويت أخبار جوده ووصولة الاسناد بالاسناد وشهرت آثار كرمه شهرة واضحة
الاشهاد وتحملت الايام بحلى فضله ورتع الانام في ظل رفقه وعدله الامام المقدس أبو
سعيد ابن مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين الذي قل حد الشرك صدق عزائم وأطفأت
نار الكفر جداول صوارمه وفتكت بعباد الصليب كتابه وكرمت في اخلاص الجهاد
مذاهبه الامام المقدس أبو يوسف بن عبد الحق جدد الله عليهم رضوانه وسقى ضرائحهم
المقدسة من صوب الحياطه وتمتاته وجزاهم أفضل الجزاء عن الاسلام والمسلمين

وأبقى الملك في عقبهم الى يوم الدين فوصلت مدينة تلمسان وسلمطانها يومئذ أبو تاشفين
عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان ووافقت بهار سولي ملك افريقية
السلطان أبي يحيى رحمه الله وهما قاضى الانكحة بمدينة تونس أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن
علي بن ابراهيم النفاوى والشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عبد الله القرشي
الزبيدي (بضم الزاى نسبة الى قرية بساحل المهدية) وهو أحد الفضلاء وفاته عام أربعين
وفي يوم وصولي الى تلمسان خرج عنها الرسولان المذكوران فأشار علي بعض الاخوان
بمرافقتهم فاستخرت الله عز وجل في ذلك وأقتت تلمسان ثلاثا في قضاء مأربي وخرجت
أجد السير في آثارهما فوصلت مدينة مليانة وأدركتهما بها وذلك في ابان القيظ فاحق
الفقيهين مرض أفتنا بسببه عشر اثم ارتحلنا وقد اشتد المرض بالقاضي منهما فأفتنا ببعض
المياه على مسافة أربعة أميال من مليانة ثلاثا وقضى القاضي نحبه ضحى اليوم الرابع فمادابنه
أبو الطيب ورفيقه أبو عبد الله الزبيدي الى مليانة فقبروه بها وتركتهم هنالك وارتحلت مع
رفقة من تجارتونس منهم الحاج مسعود بن المنتصر والحاج العدولي ومحمد بن الحجر
فوصلنا مدينة الجزائر وأفتنا بخارجها أياما الى أن قدم الشيخ أبو عبد الله وابن القاضي
فتوجهنا جميعا على متيعة الى جبل الزان ثم وصلنا الى مدينة بجاية فنزل الشيخ أبو عبد الله
بدار قاضيها أبي عبد الله الزواوى ونزل أبو الطيب ابن القاضي بدار الفقيه أبي عبد الله
المفسر وكان أمير بجاية اذذاك أبا عبد الله محمد بن سيد الناس الحاجب وكان قد توفي من
تجارتونس الذين يحبهم من مليانة محمد بن الحجر الذي تقدم ذكره وترك ثلاثة آلاف
دينار من الذهب وأوصى به الرجل من أهل الجزائر يعرف بابن حديدة ليوصلها الى
ورثته بتونس فأتني خبره لابن سيد الناس المذكور فانتزعها من يده وهذا أول
ما شاهدته من ظلم عمال الموحدين وولاتهم ولما وصلنا الى بجاية كما ذكرته أصابتني
الحمل فأشار علي أبو عبد الله الزبيدي بالاقامة فيها حتى يتمكن البرء منى فأبيت وقلت ان
قضى الله عز وجل بالموت فتكون وفاتي بالطريق وأنا قاصد أرض الحجاز فقال لي امان
عن مت فبع دابتك وثقل المتاع وأنا أعيرك دابة وخباء وتصحبنا خفيفا فاتنا نجد السير

خوف غارة العرب في الطريق ففعلت هذا وأعارني ما وعد به جزاء الله خيرا وكان ذلك أول ما ظهر لي من الاطاف الالهية في تلك الوجهة الحجازية وسرنا الي ان وصلنا الي مدينة قسنطينة فنزلنا خارجها وأصابنا مطر جود اضطرنا الى الخروج عن الاخيرة ليلا الى دور هنالك فلما كان من الغد تلقانا حاكم المدينة وهو من الشرفاء الفضلاء يسمى بأبي الحسن فنظر الي ثيابي وقد لوئها المطر فأمر بغسلها في داره وكان الاحرام منها خالقا فبعث مكانه احراما بعلبكيا وصرف في أحد طرفيه دينارين من الذهب فكان ذلك أول ما فتح به علي في وجهتي ورحلنا الي ان وصلنا مدينة بونة ونزلنا بداخلها وأقننا بها أياما ثم تركنا بها من كان في صحبتنا من التجار لاجل الخوف في الطريق وتجردنا للسير وواصلنا الجسد واصابتني الحمى فكنت أشد نفسي بعمامة فوق السرج خوف السقوط بسبب الضعف ولا يمكنني النزول من الخوف الي ان وصلنا مدينة تونس فبرز أهايل اللقاء الشيخ أبي عبد الله الزبيدي ولقاء أبي الطيب ابن القاضي أبي عبد الله النفزاوي فأقبل بعضهم علي بعض بالسلام والسؤال ولم يسلم علي أحد لعدم معرفتي بهم فوجدت من ذلك في النفس مالم أملك معه سوا بق العبرة واشتد بكائي فشعر بحالي بعض الحجاج فأقبل علي بالسلام والايانيس وما زال يؤنسني بحديثه حتى دخلت المدينة ونزلت منها بمدرسة الكتبيين قال ابن جزى أخبرني شيخني قاضي الجماعة أخطب الخطباء أبو البركات محمد بن محمد بن ابراهيم السلمي هو ابن الحاج البليقي انه جرى له مثل هذه الحكاية قال قد مدت مدينة باش من بلاد الاندلس في ليلة عيد برسم رواية الحديث المسلسل بالعيد من أبي عبد الله ابن الكماد وحضرت المصلي مع الناس فاما فرغت الصلاة والخطبة أقبل الناس بعضهم علي بعض بالسلام وأنا في ناحية لا يسلم علي أحد فقصص الي شيخ من أهل المدينة المذكورة وأقبل علي بالسلام والايانيس وقال نظرت اليك فرأيتك منتبذا عن الناس لا يسلم عليك أحد فعرفت أنك غريب فأحييت ايناسك جزاء الله خيرا (رجع)

﴿ ذكر سلطان تونس ﴾

كان سلطان تونس عند دخولي اليها السلطان أبو يحيى ابن السلطان أبي زكريا يحيى

ابن السلطان أبي اسحق ابراهيم ابن السلطان أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص
 رحمه الله وكان بتونس جماعة من اعلام العلماء منهم قاضي الجماعة بها أبو عبد الله محمد بن
 قاضي الجماعة أبي العباس أحمد بن محمد بن حسن بن محمد الانصاري الخزرجي البلمسي
 الاصل ثم اتونسي هو ابن الغماز ومنهم الخطيب أبو اسحق ابراهيم بن حسين بن علي بن
 عبد الرفيق الربيعي وولي أيضا قضاء الجماعة في خمس دول ومنهم الفقيه أبو علي عمر بن علي
 ابن قداح الهواري وولي أيضا قضاءها وكان من اعلام العلماء ومن عوايده انه يستد كل
 يوم جمعة بعد صلاتها الى بعض اساطين الجامع الاعظم المعروف بجامع الزيتونة ويستفتيه
 الناس في المسائل فلما أفتي في أربعين مسألة انصرف عن مجلسه ذلك واطلبني بتونس
 عيد الفطر فحضرت المصلي وقد احتفل الناس لشهود عيدهم وبرزوا في أجمل هيئة
 وأكمل شارة ووافي السلطان أبو يحيى المذكور راكبا وجميع أقاربه وخواصه وخدام
 مملكته مشاة على أقدامهم في ترتيب عجيب وصليت الصلاة وانقضت الخطبة وانصرف
 الناس الى منازلهم وبعد مدة تعين لركب الحجاز الشريف شيخه يعرف بأبي يعقوب
 السوسي من أهل أقل من بلاد أفريقية وأكثره المصامدة فقد موني قاضيا بينهم
 وخرجنا من تونس في أواخر شهر ذي القعدة سالكين طريق الساحل فوصلنا الى
 بلدة سوسة وهي صغيرة حسنة مبنية على شاطئ البحر بينها وبين مدينة تونس أربعون
 ميلا ثم وصلنا الى مدينة صفاقس وبخارج هذه البدة قبر الامام أبي الحسن اللخمي
 المالكي. وواف كتاب التبصرة في الفقه قال ابن جزري في بلدة صفاقس يقول شئ بن
 حبيب التنوخي (كامل)

سقي الارض صفاقس * ذات المصانع والمصلى
 محمي القصير الى الخايج * فقصرها السامي المعلى
 بلد يكاد يقول حين * زوره أهل الأوسهلا
 وكأنه والبحر يحبس تارة عنه ويملا
 صيب يريد زيارة * فاذا رأي الرقباء ولي

وفي عكس ذلك يقول الاديب البارع أبو عبد الله محمد بن أبي تميم وكان من المجيدين
المكثرين (رجز)

صنفاقس لاصفاعيش لساكنها * ولاسقى أرضها غيث اذا انسكبا
ناهيك من بلدة من حل ساحتها * عانى بها العاديين الروم والعربا
كمضل في البر مسلوبا بنشاعته * وبات في البحر يشكو الاسر والعطبا
قدعائين البحر من لوم لقاطنها * فكلما هم ان يدنو لها هربا
(رجع) ثم وصلنا الى مدينة قابس ونزلنا بداخلها وأقمنا بها عشرةا لتوالى نزول الامطار
قال ابن جزى في ذكر قابس يقول بعضهم (رجز)

لهفي على طيب ليال خات * بجانب البطحاء من قابس
كان قلبي عند تذكرها * جذوة نار بيد قابس

(رجع) ثم خرجنا من مدينة قابس قاصدين طرابلس وصحبنا في بعض المراحل البها نحو
مائة فارس أو يزيدون وكان بالركب قوم رماة فها بهم العرب وتحامت مكانهم وعصمت الله
منهم وأظلمنا عيد الاحجبي في بعض تلك المراحل وفي الرابع بعده وصلنا الى مدينة طرابلس
فاقمنا بها مدة وكنت عقدت بصفاقس على بنت لبعض أمراء تونس فبنيت عليها بطرابلس ثم
خرجت من طرابلس أو اخر شهر المحرم من عام ستة وعشرين ومعي أهلى وفي صحبتي
جماعة من المصامدة وقد رفعت العلم وتقدمت عليهم وأقام الركب في طرابلس خوفا من
البرد والمطر وتجاوزنا مـالـة ومـسـرأة وقصور سرت وهنالك أرادت طوائف العرب
الايقاع بنا ثم صرفهم القدرة وحالت دون ماراموه من اذابتنا ثم توسطنا الغلة وتجاوزنا
الى قصر بر صيص العابد الى قبة سلام وأدركنا هنالك الركب الذين تخلفوا بطرابلس
ووقع بينى وبين صهرى مشاء برة أوجبت فراق بنته وتزوجت بنتا لبعض طلبة فاس وبنيت
بها بقصر الزعافية وأولت ولية حبست لها الركب يوما وأطعمتهم ثم وصلنا في أول جمادى
الاولى الى مدينة الاسكندرية حرسها الله وهى الثغر المحروس والقطر المأنوس
العجيبة الشأن الاصلية البنيان بها ماشئت من تحسين وتحصين وما ثردنيا ودين

كرمت مغانيها ولطفت معانيها وجمعت بين الضخامة والاحكام مبانيها فهي الفريدة
تجلى سناها والخريدة تجلى في حللها الزاهية بجمالها المغرب الجامعة لمفترق المحاسن
لتوسطها بين المشرق والمغرب فكل يدية بها اجتلاؤها وكل طرفة فاليها انتهاؤها وقد
وصفها الناس فأطنبوا وصنفوا في عجائبها فأغربوا وحسب المشرف الي ذلك ما سطره
أبو عبيد في كتاب المسالك

﴿ذكر أبوابها ومرساها﴾

ولمدينة الاسكندرية أربعة أبواب باب السدرة واليه يشرع طريق المغرب وباب رشيد
وباب البحر والباب الاخضر وليس يفتح الا يوم الجمعة فيخرج الناس منه الي زيارة القبور
ولها المرسى العظيم الشأن ولم أر في مراسي الدنيا مثله الا ما كان من مرسى كوكلم وقلقيوط
ببلاد الهند ومرسى الكفار بسوداق ببلاد الاتراك ومرسى الزيتون ببلاد الصين
وسيقع ذكرها

﴿ذكر المنار﴾

قصت المنار في هذه الوجهة فرأيت أحدا جوائبه مهتدا بوصفته انه بناء مربع ذاهب في
الحواء وبابه مرتفع على الارض وازاء بابه بناء بقدر ارتفاعه وضعت بينهما ألواح خشب
يعبر عليها الي بابه فاذا أزيات لم يكن له سبيل وداخل الباب موضع الجلوس حارس المنار
وداخل المناريوت كثيرة وعرض الممر بداخله تسعة أشبار وعرض الحائط عشرة
أشبار وعرض المنار من كل جهة من جهاته الأربع مائة وأربعون شبرا وهو على تل
مرتفع ومسافة ما بينه وبين المدينة فرسخ واحد في بر مستطيل يحيط به البحر من
ثلاث جهات الي أن يتصل البحر بسور البلد فلا يمكن التوصل الي المنار في البر الا من
المدينة وفي هذا البر المتصل بالمنار مقبرة الاسكندرية وقصت المنار عند عودي الي
بلاد المغرب عام خمسين وسبع مائة فوجدته قد استولي عليه الخراب بحيث لا يمكن دخوله
ولا الصعود الي بابه وكان الملك الناصر رحمه الله قد شرع في بناء منار مثله بازائه فعاقه
الموت عن اتمامه

﴿ذكر عمود السوارى﴾

ومن غرائب هذه المدينة عمود الرخام الهائل الذى بنى بخرجه المسمى عندهم بعمود السوارى وهو متوسط في غاية النخل وقدامه تازعن شجراتها سموا وار تفاعا وهو قطعة واحدة محكمة النحت قد أقيم على قواعد حجارة مربعة أمثال الدكاكين العظيمة ولا تعرف كيفية وضعه هنالك ولا يتحقق من وضعه قال ابن جزى أخبرنى بعض أشياخى الرحالين ان أحد الرماة بالاسكندرية صعد الى أعلى ذلك العمود ومعه قوسه وكناته واستقر هنالك وشاع خبره فاجتمع الجمل الغفير لمشاهدته وطال العجب منه وخفى على الناس وجه احتياله وأظنه كان خائفاً وطالب حاجة فأتج له فعله الوصول الى قصدد لغرابه ما أتى به وكيفية احتياله في صعوده انه رمى بنشابة قد عقد فوقها خيطا طويلا وعقد بطرف الخيط حبلا وثيقا فتجاوزت النشابة أعلى العمود معترضة عليه ووقعت من الجهة الموازية للارامى فصار الخيط معترضا على أعلى العمود فحذبه حتى توسط الحبل أعلى العمود مكان الخيط فأوسطه من احدى الجهتين فى الارض وتعاق به ساعدا من الجهة الاخرى واستقر بأعلاه وجذب الحبل واستصحب من احتمله فلم يهتد الناس لحيلته وعجبوا من شأنه (رجع) وكان أمير الاسكندرية فى عهد وصولى اليها يسمى بصلاح الدين وكان فيها أيضا فى ذلك العهد سلطان أفريقية الخلع وهوز كريات أبو يحيى بن أحمد بن أبي حفص المعروف بالأحياني وأمر الملك الناصر بانزاله بدار الساطنة من اسكندرية وأجرى له مائة درهم فى كل يوم وكان معه أولاده عبد الواحد ومصرى واسكندري وحاجبه أبوز كريات ابن يعقوب ووزيره أبو عبد الله بن ياسين وبالا سكندرية توفى الأحياني المذكور وولده الاسكندري وبقي المصرى بها الى اليوم قال ابن جزى من الغريب ما اتفق من صدق الزجر فى اسمي ولدى الأحياني الاسكندري والمصرى فبات الاسكندري بها وعاش المصرى دهر اطويلا بها وهي من بلاد مصر (رجع) وتحول عبد الواحد لبلاد الاندلس والمغرب وافريقية وتوفى هنالك بجزيرة جربة

﴿ذكر بعض ملهاء الاسكندرية﴾

فمنهم قاضها عماد الدين الكندي امام من أئمة علم اللسان وكان يعتم بعامة خرقت المعتاد
للعامة لم أرى في مشارق الارض ومغاربها عمامة أعظم منها رأيتها يوم اقعاد في صدر محراب
وقد كادت عمامته ان تملأ المحراب ومنهم نحر الدين بن الريني وهو أيضا من القضاة
بالاسكندرية فاضل من أهل العلم (حكاية)

يذكر ان جدا القاضي نحر الدين الريني كان من أهل ريفعة واشتغل بطلب العلم ثم رحل الى
الحجاز فوصل الاسكندرية بالعشي وهو قليل ذات اليد فأحب أن لا يدخلها حتى يسمع
فألا حسنا فعد قريبا من بابها الى ان دخل جميع الناس وجاء وقت سد الباب ولم يبق هناك
سواه فاعتناظ الموكل بالباب من ابطائه وقال متهم كما ادخل يا قاضي فقال قاض ان شاء الله
ودخل الى بعض المدارس ولازم القراءة وسلك طريق الفضلاء فعظم صيته وشهر اسمه
وعرف بالزهد والورع واتصلت أخباره بملك مصر واتفق ان توفي قاضي الاسكندرية
وبها اذذاك الجهم الغفير من الفقهاء والعلماء وكلهم متشوف للولاية وهو من بينهم لا يتشوف
لذلك فبعث اليه السلطان بالتقليد وهو ظهير القضاء وأتاه البريد بذلك فأمر خديمه أن
ينادي في الناس من كانت له خصومة فليحضر لها وقعد للفصل بين الناس فاجتمع الفقهاء
وسواهم الى رجل منهم كانوا يظنون ان القضاء لا يتعداه وتفاوضوا في مراجعة السلطان
في أمره ومخاطبته بأن الناس لا يرتضونه وحضر لذلك أحدا الخذاق من المنجمين فقال لهم
لا تفعلوا ذلك فاني عدلت طالع ولايته وحققته فظهر لي انه يحكم أربعين سنة فأضربوا
عمامه وابنه من المراجعة في شأنه وكان أمره على ما ظهر للمنجم وعرف في ولايته بالعدل
والنزاهة ومنهم وجيه الدين الصنهاجي من قضائهم مشتهر بالعلم والفضل ومنهم شمس الدين
ابن بنت التيسري فاضل شهير الذكرو من الصالحين بها الشيخ أبو عبد الله الفاسي من كبار
أولياء الله تعالى يذكر انه كان يسمع ردا السلام عليه اذا سلم من صلاته ومنهم الامام العالم
الزاهد الخاشع الورع (خليفة) صاحب المكاشفات (كرامة له)

خبرني بعض الثقات من أصحابه قال رأى الشيخ خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم
فقال يا خليفة زرننا فرحل الى المدينة الشريفة وأتى المسجد الكريم فدخل من باب

السلام وحياء المسجد وسلم علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعد مستنداً الي بعض سوارى المسجد ووضع رأسه علي ركبتيه وذلك يسمى عند المتصوفة الترفيق فلما رفع رأسه وجد أربعة أرغفة وآنية فيها لبن وطبقا فيه تمر فأكل هو وأصحابه وانصرف عائد إلى الاسكندرية ولم يحج تلك السنة* ومنهم الامام العالم الزاهد الورع الخاشع برهان الدين الاعرج من كبار الزهاد وافراده العباد لقيته أيام مقامى بالاسكندرية وأقيمت في ضيافته ثلاثا

(ذكر كرامة له)

دخلت عليه يوما فقال لي أراك تحب السياحة والجولان في البلاد فقلت له نعم اني أحب ذلك ولم يكن حينئذ خطر بخاطري التوغل في البلاد القاصية من الهند والصين فقال لا بد لك ان شاء الله من زيارة أخى فريد الدين بالهند وأخى ركن الدين زكرياء بالسند وأخى برهان الدين بالصين فاذا بلغتهم فأبلغهم منى السلام فعجبت من قوله وألقى في روعي التوجه الي تلك البلاد ولم أزل أجول حتى لقيت الثلاثة الذين ذكرهم وأبلغتهم سلامه ولما وادعته زودنى دراهم لم تزل عندي محوطة ولم أحتج بعد الي انفاقها الي ان سلبها منى كفار الهنود فيما سلبوه لي في البحر* ومنهم الشيخ ياقوت الحبشى من افراد الرجال وهو تلميذ أبى العباس المرسى وأبو العباس المرسى تلميذ ولي الله تعالى أبى الحسن الشاذلى الشهير ذى الكرامات الجليلة والمقامات العالية

(كرامة لأبى الحسن الشاذلى) أخبرني الشيخ ياقوت عن شيخه أبى العباس المرسى ان أبا الحسن كان يحج في كل سنة ويجعل طريقه على صعيد مصر ويجاور بمكة شهر رجب وما بعده الي انقضاء الحج ويزور القبر الشريف ويعود على الدرب الكبير الي بلده فلما كان في بعض السنين وهي آخر سنة خرج فيها قال لخدمته استصحب فأسا وقفة وحنوطا وما يجهز به الميت فقال له الخديم ولم ذابا سيدي فقال له في حمير اسوف ترى وحميرا في صعيد مصر في صحراء يذاب وبها عين ماء زعاق وهي كثيرة الضباب فلما بلغا حميرا اغتسل الشيخ أبو الحسن وصلى ركعتين وقبضه الله عز وجل في آخر سجدة من صلاته ودفن هناك وقد زرت قبره وعليه تبرية مكتوب فيها اسمه ونسبه متصلا بالحسن.

(ذكر حزب البحر المنسوب اليه) كان يسافر في كل سنة كما ذكرناه على صعيد مصر وبحر جدة فكان اذا ركب السفينة يقرؤه في كل يوم وتلامذته الى الآن يقرؤنه في كل يوم وهو هذا (يا الله يا على يا عظيم يا حليم يا عليم أنت ربي وعلمك حسبي فنعم الرب ربي ونعم الحسب حسبي تتصر من تشاء وأنت العزيز الرحيم نسألك العصمة في الحركات والسكنات والكلمات والارادات والخطرات من الشكوك والظنون والاهوام الساترة للقلوب عن مطالعة الغيوب فقد ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلازلا شديدا ليقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا فثبتنا وانصرنا وسخر لنا هذا البحر كما سخرت البحر لموسى عليه السلام وسخرت النار لابراهيم عليه السلام وسخرت الجبال والحديد لداود عليه السلام وسخرت الريح والشياطين والجن لسليمان عليه السلام وسخر لنا كل بحر هولاك في الارض والسماء والملك والمملوك وبحر الدنيا وبحر الآخرة وسخر لنا كل شيء يا من يسهده مملوك كل شيء كهيص حم عسق انصرنا فانك خير الناصرين واقبح انا فانك خير الفاتحين واغفر لنا فانك خير الغافرين وارحمنا فانك خير الراحمين وارزقنا فانك خير الرازقين واهدنا ونجنا من القوم الظالمين وهب لنا ريحا طيبة كما هي في عامك وانشرها علينا من خزائن رحمتك واحمنا بها حمل الكرامة مع السلامة والعافية في الدين والدنيا والآخرة فانك على كل شيء قدير اللهم يسر لنا أمورنا مع الراحة اقبلوا بنا وأبداننا والسلامة والعافية في ديننا ودنيا ما وكن لنا صاحبنا في سفرنا وخائفة في أهنا واطمس على وجوه أعدائنا ومسحهم على مكاتهم فلا يستطيعون المضى ولا المجيء الينا ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا النصر اطفائي يبصرون ولو نشاء لمسحناهم على مكاتهم فاستطاعوا مضيا ولا يرجعون يس الي فهم لا يبصرون شاهت الوجوه وغنت الوجوه للمجيء القيوم وقد خاب من حمل ظلما طس طسم حم عسق مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان حم حم حم حم حم حم حم حم حم الامر وجاء النصر فلمينا لا ينصرون حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل

الثوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير باسم الله بابنا تبارك حي طائيس
سقفنا كهيعص كفايتنا حم عسق حمايتنا فسيكفيكم الله وهو السميع العليم ستر العرش
مسبول علينا وعين الله ناظرة الينا بحول الله لا يقدر علينا والله من ورائهم محيط بل هو
قرآن مجيد في لوح محفوظ فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ان ولى الله الذى نزل
الكتاب وهو يتولى الصالحين فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب
العرش العظيم باسم الله الذى لا يضره مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع
العليم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم (حكاية)

ومما جرى بمدينة الاسكندرية سنة سبع وعشرين وبلغنا خبر ذلك بمكة شرفها الله انه
وقع بين المسلمين وتجار النصارى مشاجرة وكان والى الاسكندرية رجلا يعرف بالكركى
فذهب الى حماسة الروم وأمر بالمسلمين فحضروا بين نصلى باب المدينة وأغلق دونهم
الابواب نكالا لهم فأنكر الناس ذلك وأعظموه وكسروا الباب وثاروا الى منزل الوالى
فتحصن منهم وقائهم من أعلاء وظيف الحسام بالخبر الى الملك الناصر فبعث أميراً يعرف
بالجمالى ثم اتبعه أميراً يعرف بطوغان جبار قاسى القلب منهم فى دينه يقال انه كان يبعد
الشمس فدخل الاسكندرية وقبض على كبار أهلها وأعيان التجار بها كاولاد الكركى
وسواهم وأخذ منهم الاموال الطائلة وجعلت فى عنق عماد الدين القاضى جامعة حديد ثم
ان الاميرين قتلا من أهل المدينة ستة وثلاثين رجلا وجعلوا كل رجل قطعتين وصلبواهم
صفين وذلك فى يوم جمعة وخرج الناس على عادتهم بعد الصلاة لزيارة القبور وشاهدوا
مصارع التوم فعظمت حسرتهم وتضاعفت أحزانهم وكان فى جملة أولئك المصلوبين تاجر
كبير القدر يعرف بابن رواحة وكان له قاعة معدة للسلاح فتى كان خوف أو قتال جهز منها
المائة والمائتين من الرجال بما يكفيهم من الأسلحة وبالمدينة قاعات على هذه الصورة لكثير
من أهلها فزل لسانه وقال للاميرين أنا أضمن هذه المدينة وكل ما يحدث فيها أطالب به
وأحوط على السلطان مرتبات العساكر والرجال فأنكر الامير ان قوله وقال انما تريد

الثورة على السلطان وقتلاه وانما كان قصده رحمه الله اظهار النصح والخدمة للسلطان فكان فيه حنقه وكنت سمعت أيام اقامتي بالاسكندرية بالشيخ الصالح العابد المنقطع المنفق من الكون أبي عبد الله المرشدي وهو من كبار الاولياء المكاشفين انه منقطع بمنية بني مرشد له هنالك زاوية منفرد فيها لا خديم له ولا صاحب ويقصده الامراء والوزراء وتأتيه الوفود من طوائف الناس في كل يوم فيطعمهم الطعام وكل واحد منهم ينوي أن يأكل عنده طعاماً أو فاكهة أو حلوى فيأتي لكل واحد بما نواه وربما كان ذلك في غير ابائه ويأتيه الفقهاء لطلب الخطبة فيولى ويعزل وذلك كله من أمره مستفيض منواتر وقد قصده الملك الناصر مرات بموضعه فخرجت من مدينة الاسكندرية قاصداً هذا الشيخ فنعنا الله به ووصات قرية تروجة (وضبطها بفتح التاء المملوءة والراء وواو وجم مفتوحة) وهي على مسيرة نصف يوم من مدينة الاسكندرية قرية كبيرة بها قاض ووال وناظر ولأهلها مكارم أخلاق ومروءة صحبت قاضيها صفي الدين وخطيبها خنز الدين وقاضيا من أهلها يسمى بمبارك وينعت بزين الدين ونزلت بها على رجل من العباد الفضلاء كبير القدر يسمى عبد الوهاب وأضافني ناظرها زين الدين ابن الواعظ وسأني عن بلدي وعن مجباه فأخبرته ان مجباه نحو اثني عشر ألفاً من دينار الذهب فعجب وقال لي رأيت هذه القرية فان مجباه اثنان وسبعون ألف دينار ذهباً وانما عظمت مجابي ديار مصر لان جميع أملاكها لبيت المال ثم خرجت من هذه القرية فوصات مدينة دمنهور وهي مدينة كبيرة جبايتها كثيرة ومحاسنها اثيرة أم مدن البحيرة بأسرها وقطبها الذي عليه مدار أمرها (وضبطها بدال مهملة وميم مفتوحة) ونون ساكنة وهاء مضمومة وواو وراء) وكان قاضيها في ذلك العهد خنز الدين بن مسكين من فقهاء الشافعية وتولى قضاء الاسكندرية لما عزل عنها عماد الدين الكندي بسبب الواقعة التي قصصناها وأخبرني الثقة ان ابن مسكين أعطي خمسة وعشرين ألف درهم وصرفها من دنائير الذهب ألف دينار علي ولاية القضاء بالاسكندرية ثم رحلنا الى مدينة فوا وهذه المدينة عجيب المنظر حسنة المخبر بها البساتين الكثيرة والفوائد الخطيرة الاثيرة (وضبطها بالفاء والواو المفتوحة مع تشديد الواو)

بها قبر الشيخ الولي أبي النجاة الشهير الاسم خير تلك البلاد وراوية الشيخ أبي عبد الله المرشدي الذي قصده بمقربة من المدينة يفصل بينهما خليج هنالك فلما وصلت المدينة تعديتها وصلت أي زاوية الشيخ المذكور قبل صلاة العصر وسلمت عليه ووجدت عنده الأمير سيف الدين يلملك وهو من الخاصكية (وأول اسمه ياء آخر الحروف ولامه الأولى مسكنة والثانية مفتوحة مثل الميم والعامية تقول فيه الملك فيخطئون ونزل هذا الأمير بسكره خارج الزاوية ولم ادخل على الشيخ رحمه الله قام الي وعانقني وأحضر طعاما فواكفني وكانت عليه حبة صوف سوداء فلما حضرت صلاة العصر قدمني للصلاة اماما وكذلك لكل ما حضرني عنده حين اقامتي معه من الصلاة ولم أردت النوم قال لي اصعداني سطح الزاوية ثم هنالك وذلك أوان القبط فقلت للأمير باسم الله فقال لي وما منالاله مقام معلوم فصعدت السطح فوجدت به حصيرا ونظما وآنية تلوضوء وجرة ماء

وقد حال شرب ففتمت هنالك

(كرامة لهذا الشيخ) رأيت ليلتي تلك وأنا نائم بسطح الزاوية كأني على جناح طائر عظيم يطير بي في سمت القبلة يتيامن ثم يشرق ثم يذهب في ناحية الجنوب ثم يبعد الطيران في ناحية الشرق وينزل في أرض مظلمة خضراء ويتركني بها فمجيبت من هذه الرؤيا وقلت في نفسي ان كاشفني الشيخ برؤياي فهو كما يحكي عنه فلما غدوت لصلاة الصبح قدمني اماما لها ثم اتانا الأمير يلملك فوادعه وانصرف ووادعه من كان هناك من الزوار وانصرفوا أجمعين من بعد ان زودهم كميات صفارا ثم سبحت سبحة الضحى ودعاني وكاشفني برؤياي فقصصتها عليه فقال سوف تحج وتزور النبي صلى الله عليه وسلم وتجول في بلاد اليمن والعراق وبلاد الترك وبلاد الهند وتبقى بهامدة طويلة وستلقى بها أخي دلاشاد الهندي ويخصك من شدة تقفع فيها ثم زودني كميات ودراهم ووادعته وانصرفت ومنذ فارقت لم ألق في أسفاري الا خيرا وظهرت على بركاته ثم لم ألق فيمن لقيته مثله الا الولي سيدي محمد الموله بأرض الهند ثم رحلنا الى مدينة النحر اريية وهي رحبة الفناء حديثة البناء أسواقها

حسنة الرؤية (وضبطها بفتح النون وحاء مهملة مسكن وراءين) وأميرها كبير القدر يعرف بالسعدي وولده في خدمة ملك الهند وسند كره وقاضيه اصدر الدين سايمان المالكي من كبار المالكية سافر عن الملك الناصر الى العراق وولي قضاء البلاد الغربية وله ديعة جميلة وصورة حسنة وخطيبها شرف الدين السخاوي من الصالحين ورحلت منها الى مدينة أبيار وهي قديمة البناء أرجة الأرجاء كثير المساجد ذات حسن زائد (وضبط اسمها بفتح الهمزة واسكان الباء الموحدة ويا آخر الحروف وألف وراء) وهي بمقربة من النحرارية ويفصل بينهما النيل وتصنع بأبيار ثياب حسان تعلوقيةتها بالشام والعراق ومصر وغيرها ومن الزيب قرب النحرارية منها والثياب التي تصنع بها غير معتبرة ولا مستحسنة عند أهلها ولقيت بأبيار قاضيه اعز الدين المديحي الشافعي وهو كريم الشئام كبير القدر حضرت عنده مرة يوم الركبة وهم يسمون ذلك يوم ارتقاب هلال رمضان وعادتهم فيه ان يجتمع فقهاء المدينة ووجوهها بعد العصر من اليوم التاسع والعشرين لشعبان بدار القاضي ويقف على الباب نقيب المتعلمين وهو ذو شارة وهيئة حسنة فاذا أتى أحد الفقهاء أو الوجوه تأماد ذلك النقيب ومشي بين يديه قائلا باسم الله سيدنا فلان الدين فيسمع القاضي ومن معه فيقومون له ويجلسه النقيب في موضع يليق به فاذا تكاملوا هنالك ركب القاضي وركب من معه أجمعين وتبعهم جميع من بالمدينة من الرجال والنساء والصبيان وينتهون الى موضع مرتفع خارج المدينة وهو مرتقب الهلال عندهم وقد فرش ذلك الموضع بالبط والفرش فينزل فيه القاضي ومن معه فيرتقبون الهلال ثم يعودون الى المدينة بعد صلاة المغرب وبين أيديهم الشمع والمشاعل والفوانيس ويوقد أهل الحوانيت بحوانيتهم الشمع ويصل الناس مع القاضي الى داره ثم ينصرفون هكذا فعلهم في كل سنة ثم توجهت الى مدينة المحلة الكبيرة وهي جليلة المقدار حسنة الآثار كثير أهلها جامع بالمحاسن سملها واسمها ابن ولهذا المدينة قاضي القضاة ووالى الولاية وكان قاضي قضائها أيام وصولي إليها في فراش المراض يستأن له على مسافة فرسخين من البلد وهو عز الدين بن الأشمرين فتصدت زيارته صحبة نائيه الفقيه أبي القاسم بن بنون المالكي التونسي وشرف الدين

الدميري قاضي محلة منوف وأقناعه يوم ما سمعت منه وقد جرى ذكر الصالحين ان علي
مسيرة يوم من المحلة الكبيرة بلاد البرلس ونسترو وهي بلاد الصالحين وبها قبر الشيخ
مرزوق صاحب المكاشفات فقصدت تلك البلاد ونزلت بزاوية الشيخ المذكور وتلك
البلاد كثيرة النخل والتمار والطير البحري والحوت المعروف بالبورى ومدينتهم تسمى
ملطين وهي على ساحل البحيرة المجتمعة من ماء النيل وماء البحر المعروف بحيرة تيس
ونسترو بمقربة منها نزلت هنالك بزاوية الشيخ شمس الدين القلوى من الصالحين وكانت
تيس بلد اعظيما شهيرا وهي الآن خراب قال ابن جزي (تيس بكسر التاء المتناة والنون
المشددة وياء وسين مهملة) واليه ينسب الشاعر المجيد أبو الفتح بن وكيع وهو القائل في
خليجها (بسيط)

قم فاستمني والخليج مضطرب * والريح تثنى ذوائب القصب

كأنها والرياح تعطفها * صب قد سندسية العذب

والجو في حلة ممسكة * قد طررتها البروق بالذهب

(ونسترو بفتح النون واسكان السين وراءه فتوحة وواو مسكن) (والبرلس بباء موحدة
وراء و آخره سين مهملة وقيد بعضهم بضم حروفه الاول الثلاث وتشديد اللام وقيد
أبو بكر بن نقطة بفتح الاولين) وهو على البحر ومن غريب ما اتفق به ما حكاه أبو عبد الله
الرازي عن أبيه ان قاضي البرلس وكان رجلا صالحا خرج ليلة الى النيل فينما سبغ الوضوء
وصلى ماشاء ان يصلى اذ سمع قائلا يقول

لولا رجال لهم سرد يصومونا * وآخرون لهم ورد يقومونا

لزلات أرضكم من تحتكم سحرا * لانكم قوم سوء لا تبالونا

قال فتجوزت في صلاتي وأدرت طرفي فما رأيت احدا ولا سمعت حسا فعلمت ان ذلك زاجر
من الله تعالى (رجع) ثم سافرت في أرض رملة الى مدينة دمياط وهي مدينة فسيحة
الاقطار متنوعة الثمار عجيبية الترتيب آخذة من كل حسن بنصيب (والناس يضبطون
اسمها باعجام الذال وكذلك ضبطه الامام أبو محمد عبد الله بن علي الرشاطي وكان شرف الدين

الامام العلامة أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدميطي امام المحدثين يضبطها باهمال الدال ويتبع ذلك بأن يقول خلاف الرشاطي وغيره وهو أعرف بضبط اسم بلده) ومدينة دمياط على شاطئ النيل وأهل الدور الموالية له يستقون منه الماء بالدلاء وكثير من دورها بهادر كات ينزل فيها الى النيل وشجر الموز بها كثير يحمل ثمرة الى مصر في المراكب وغنمها سائمة هملا بالليل والنهار ولهذا يقال في دمياط سورها حلوى وكلاهما غنم وإذا دخلها أحد لم يكن له سبيل الى الخروج عنها الا بطابع الوالى فمن كان من الناس معتبرا طبع له في قطعه كاغد يستظهر به لحراس بابها وغيرهم يطبع على ذراعه فيستظهر به والطير البحرى بهذه المدينة كثير متناهى السمن وبها الابان الجاموسية التي لا مثل لها في عذوبة الطعم وطيب المذاق وبها الحوت البورى يحمل منها الى الشام وبلاد الروم ومصر وبخارجها جزيرة بين البحرين والنيل تسمى البرزخ بها مسجد وزاوية لقيت بها شيخها المعروف بابن قفل وحضرت عنده ليلة جمعة ومعه جماعة من الفقراء الفضلاء المتعبدين الاخيار قطعوا ليلتهم صلاة وقراءة وذكرًا ودمياط هذه حديثة البناء والمدينة القديمة هي التي خربها الافرنج على عهد الملك الصالح وبها زاوية الشيخ جمال الدين الساوى قدوة الطائفة المروفة بالقرندرية وهم الذين يخلقون لحاهم وحواجبهم ويسكن الزاوية في هذا العهد الشيخ فتح التكرورى (حكاية)

يذكر ان السبب الدامى للشيخ جمال الدين الساوى الى حاق لحيته وحاجبيه انه كان جميل الصورة حسن الوجه فعلقته به امرأة من أهل ساوة وكانت تراسله وتعارضه في الطرق وتدعوه لنفسها وهو يمتنع ويتهاون فاما أعيانها أمره دست له عجوز اتصت له ازاء دار على طريقه الى المسجد وبيدها كتاب مختوم فاما مربها قالت له ياسيدى أحسن القراءة قال نعم قالت له هذا الكتاب وجهه الى ولدى وأحب أن تقرأه على فقال لها نعم فلما فتح الكتاب قالت له ياسيدى ان لولدى زوجة وهي بأسطوان الدار فلو تفضلت بقراءته بين بابي الدار بحيث تسمعها فأجابها لذلك فلما توسط بين البابين غلقت العجوز الباب وخرجت المرأة وجواربها فعلقن به وأدخلته الى داخل الدار وراودته المرأة عن نفسه

فلما رأى أن لا خلاص له قال لها اني حيث تريدن فأريني بيت الخلاء فأرته اياه فأدخل معه الماء وكانت عنده موسى حديدة فخلق لحيته وحاجبيه وخرج عليها فاستقبحته هيئته واستنكرت فعله وأمرت باخراجه وعصمه الله بذلك فبقى علي هيئته فيما بعد وصار كل من يسلك طريقته يحاق رأسه ولحيته وحاجبيه

(كرامة لهذا الشيخ) يذكر أنه لما قصد مدينة دمياط لزم مقبرتها وكان بها قاض يعرف بابن العميد فخرج يوما الى جنازة بعض الاعيان فرأى الشيخ جمال الدين بالمقبرة فقال له أنت الشيخ المبتدع فقال له وأنت القاضي الجاهل تمر بدابتك بين القبور وتعلم أن حرمة الانسان ميتا كحرمة حيا فقال له القاضي وأعظم من ذلك حلقك للحيتك فقال له اياي تعني وزعق الشيخ ثم رفع رأسه فاذا هو ذو لحية سوداء عظيمة فمجب القاضى ومن معه ونزل اليه عن بغلته ثم زعق ثانية فاذا هو ذو لحية بيضاء حسنة ثم زعق ثالثة ورفع رأسه فاذا هو بلا لحية كهيئته الاولى فقبل القاضي يده وتلمذ له وبنى له الزاوية حسنة وصحبه أيام حياته ثم مات الشيخ فدفن بزاويته ولما حضرت القاضي وفاته أوصى أن يدفن بباب الزاوية حتى يكون كل داخل الى زيارة الشيخ يطأ قبره وبخارج دمياط المزار المعروف يشطا (بفتح الشين المعجمة والطاء المهملة) وهو ظاهر البركة يتصدده أهل الديار المصرية وله أيام في السنة معلومة لذلك وبخارجها أيضا بين بسايتهم موضع يعرف بالمنية فيه شيخ من الفضلاء يعرف بابن النعمان قصدت زاويته وبث عنده وكان بدمياط أيام اقامتي بها وال يعرف بالحسنى من ذوى الاحسان والفضل بنى مدرسة على شاطئ النيل بها كان نزولى في تلك الايام وتأكدت بينى وبينه مودة ثم سافرت الى مدينة فارسكور وهى مدينة على ساحل النيل (واليكاف الذى فى اسمها مضموم) ونزلت بخارجها ولحقني هنالك فارس وجهه الى الامير المحسنى فقال لى ان الامير سأل عنك وعرف بسيرتك فبعث اليك بهذه النفقة ودفع الى جملة دراهم جزاء الله خير اثم سافرت الى مدينة أشمون الرمان (وضبط اسمها بفتح الهمزة واسكان الشين المعجم) ونسبت الى الرمان لكثرة بها ومنها يحمل الى مصر وهى مدينة عتيقة كبيرة على خليج من خليج النيل ولها قنطرة خشب ترسو

المراكب عندها فاذا كان العصر رفعت تلك الخشب وجازت المراكب صاعدة ومنحدرة
وبهذه البلدة قاضي القضاة ووالى الولاية ثم سافرت عنها الى مدينة سمندود وهى على شاطئ
النيل كثيرة المراكب تسنة الاسواق وبينها وبين المحلة الكبيرة ثلاثة فراسخ (وضبط
اسمها بفتح السين المهمل والميم وتشديد النون وضمها وواو وودال مهمل) ومن هذه
المدينة ركب النيل مصعبا الى مصر ما بين مدائن وقرى منظمة متصل بعضها ببعض ولا
يفتقر راكب النيل الى استصحاب الزاد لانه مما أراد النزول بالشاطئ نزل للوضوء
والصلاة وشراء الزاد وغير ذلك والاسواق متصلة من مدينة الاسكندرية الى مصر ومن
مصر الى مدينة اسوان من الصعيد ثم وصلت الى مدينة مصر هي أم البلاد وقرارة
فرعون ذى الاوتاد ذات الاقاليم العريضة والبلاد الارضية المتناهية في كثرة
العمارة المتباهية بالحسن والتضارعه مجمع الوارد والصادر ومحط رحل الضعيف
والقادر وبها ما شئت من عالم وجاهل وجاد وهازل وحليم وسفيه ووضع ونبه
وشريف ومشروف ومنكر ومعروف تموج موج البحر بسكانها وتكاد تضيق
بهم على سعة مكانها اماكنها شبابها يجد على طول العهد وكوكب تعدلها لا يبرح
عن منزل السعد قهرت قاهرته الام وتمكنت ملوكها نواصي العرب والعجم
ولها خصوصية النيل التي جل خطرها وأغناها عن أن يستمد القطار قطرها وأرضها
مسيرة شهر للمجد السير كريمة التربة مؤنسة لذوى الغربه قال ابن جزى وفيها يقول
الشاعر

لعمرك ما مصر بمصر وانما * هي الجنة الدنيا من يتبصر

فأولادها الولدان والخور عينها * وروضتها الفردوس والنيل كوثر

وفيه يقول ناصر الدين بن ناهض

شاطئ مصر حجة * ما مثلها من بلد

لا سيما منذ خرفت * بنيلها المطرد

وللرياح فسوته * سوابغ من زرد

مسرودة مامسها * دارد ها بمر د

سائلة هواؤ ها * يرعد عارى الجسد

والفلك كالاذلاك بسين حادرو مصعد

(رجع) ويقال ان بمصر من السقائين على الجمال اثني عشر ألف سقاء وان بها ثلاثين ألف مكار وأن بنيلها من المراكب ستة وثلاثين ألفا للسلطان والرعية تمر صاعدة الى الصعيد ومنحدرة الى الاسكندرية ودمياط بأنواع الخيرات والمرافق وعلى ضفة النيل مما يواجه مصر الموضع المعروف بالروضة وهو مكان الزهرة والتفرج وبه البساتين الكثيرة الحسنة وأهل مصر ذو طرب وسرور ولهم شاهدت بهامرة فرجة بسبب براء الملك الناصر من كسر أصاب يده فزين كل أهل سوق سوقهم وعلقوا بحوائثهم الحلل والحلى وثياب الحرير وبقوا على ذلك أياما

﴿ ذكر مسجد عمرو بن العاص والمدارس والمارستان والزوايا ﴾

وهو مسجد عمرو بن العاص مسجدا شريف كبير القدر شهير الذكر تقام فيه الجمعة والطريق يعترضه من شرق الى غرب وبشرقه الزاوية حيث كان يدرس الامام أبو عبد الله الشافعي وأما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بمحصرها لكثرتها وأما المارستان الذي بين القصرين عند تربة الملك المنصور قلاوون فيعجز الواصف عن محارنه وقد أعدي فيه من المرافق والادوية ما لا يحصر ويذكر أن مجيئه ألف دينار كل يوم وأما الزوايا فكثيرة وهم يسمونها الخوانق واحدها خانقة والامراء بمصر يتنافسون في بناء الزوايا وكل زاوية بمصر معينة لطائفة من الفقراء وأكثرهم الاعاجم وهم أهل أدب ومعرفة بطرقه التصوف ولكل زاوية شيخ وحارس وترتيب أمورهم عجيب * ومن عوائدهم في الطعام انه يأتي خديم الزاوية الى الفقراء صبا خافعين له كل واحد ما يشتهي من الطعام خلفا اجتماعهم للاكر جعلوا لكل انسان خبزه ومرقه في اناء على حدة لا يشاركه فيه أحد وطعامهم مرتان في اليوم ولهم كسوة الشتاء وكسوة الصيف ومراتب شهرى من ثلاثين درهما للواحد في الشهر الى عشرين ولهم الحلاوة من السكر في كل ليلة جمعة والصابون

لغسل أنوفهم والاجرة لدخول الحمام والزيت للاستصباح وهم أعزاب وللمتزوجين زوايا على حدة ومن المشترك عليهم حضور الصلوات الخمس والمبيت بالزاوية واجتماعهم بقبة داخل الزاوية* ومن عواندهم أن يجلس كل واحد منهم على سجادة مختصة به وإذا صلوا صلاة الصبح قرؤا سورة الفتح وسورة الملك وسورة عم ثم يؤتى بنسخ من القرآن العظيم مجزأة فيأخذ كل فقير جزءاً ويختمون القرآن ويذكرون ثم يقرأ القراء على عادة أهل المشرق ومثل ذلك يفعلون بعد صلاة العصر* ومن عواندهم مع القادم أنه يأتي باب الزاوية فيقف به مشدود الوسط وعلى كاهله سجادة ويمناهم كما زويدهم إذا لم يبق نبي علم البواب خديماً الزاوية بمكانه فيخرج اليه ويسأله من أي البلاد أتى وبأي الزوايا نزل في طريقه ومن شيخه فإذا عرف صحة قوله أدخله الزاوية وفرش له سجادته في موضع يليق به وأراه موضع الظهارة فيجدد الوضوء ويأتي إلى سجادته فيجل وسطه ويصلي ركعتين ويصافح الشيخ ومن حضر ويقعد معهم* ومن عواندهم أنهم إذا كان يوم الجمعة أخذ الخادم جميع سجادتهم فيذهب بها إلى المسجد ويقرشها لهم هنالك ويخرجون مجتمعين ومعهم شيخهم فيأتون المسجد ويصلي كل واحد على سجادته فإذا فرغوا من الصلاة قرؤا القرآن على عادتهم ثم ينصرفون مجتمعين إلى الزاوية ومعهم شيخهم

﴿ذكر قرافة مصر ومزاراتها﴾

ولمصر القرافة العظيمة الشأن في التبرك بها وقد جاء في فضلها أثر أخرجه القرطبي وغيره لأنها من جملة الجبل المقطم الذي وعد الله أن يكون روضة من رياض الجنة وهم يبنون بالقرافة القباب الحسنة ويجعلون عليها الحيطان فتكون كالدور ويبنون بها البيوت ويرتبون القراء يقرؤن ليلاً ونهاراً بالصوات الحسان ومنهم من يبني الزاوية والمدرسة إلى جانب التربة ويخرجون في كل ليلة جمعة إلى المبيت بها بأولادهم ونسائهم ويطوفون على المزارات الشهيرة ويخرجون أيضاً للمبيت بها ليلة النصف من شعبان ويخرج أهل الأسواق بصنوف المأكول* ومن المزارات الشريفة المشهد المقدس العظيم الشأن حيث رأس الحسين بن علي عليهما السلام وعليه رباط ضخم عجيب البناء على أبوابه حلق النضبة

وصفاً تحمها أيضاً كذلك وهو مو في الحق من الاجلال والتعظيم * ومنها تربة السيدة نفيسة بنت زيد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام وكانت مجابة الدعوة مجتهدة في العبادة وهذه التربة أنيقة البناء مشرقة الضياء عليها رباط مقصود * ومنها تربة الامام أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه وعليها رباط كبير وله اجر اية ضخمة وبها القبة الشهيرة البديعة الاتقان المعجبة البنيان المتناهية الاحكام المفرطة السمو وسعتها الأزيد من ثلاثين ذراعاً وبقرافة مصر من قبور العلماء والصالحين ما لا يضبطه الحصر وبها عدد جم من الصحابة وصدور السلف والخلف رضي الله تعالى عنهم مثل عبد الرحمن بن القاسم وأشهب بن عبد العزيز وأصبع بن الفرّج وابني عبد الحكم وأبي القاسم بن شعبان وأبي محمد عبد الوهاب لكن ليس لهم بها شهرة ولا يعرفهم الا من له بهم عناية والشافعي رضي الله عنه ساعده الجد في نفسه وأتباعه وأصحابه في حياته ومماته فظهر من أمره مصداق قوله (كامل)

الجديدني كل أمر شاسع * والجديدفتح كل باب مغلق
(ذكر نيل مصر)

ونيل مصر يفضل أنهار الارض عذوبة مذاق واتساع قطر وعظم منفعة والمدن والقرى بصفته منتظمة ليس في المعمور مثلها ولا يعلم نهر يزدرع عليه ما يزدرع على النيل وليس في الارض نهر يسمى بحر غيره قال الله تعالى فاذا خفت عليه فالقيه في اليم فسماه يما وهو البحر وفي الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصل ليلة الاسراء الى سدرة المنتهى فاذا في أصلها أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان فسأل عنها جبريل عليه السلام فقال أما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات وفي الحديث أيضاً ان النيل والفرات وسيحون وجيحون كل من أنهار الجنة ومجرى النيل من الجنوب الى الشمال خلا فالجميع الانهار * ومن عجائبه ان ابتداء زيادته في شدة الحر عند نقص الانهار وجفوفها وابتداء نقصه حين زيادة الانهار وفيضها ونهر السند مثله في ذلك وسيأتي ذكره وأول ابتداء زيادته في حزيران وهو يونيه فاذا بلغت زيادته ستة

عشر ذراعاتم خراج السلطان فان زاد ذراعا كان الخصب في العام والصالح التام فان بلغ ثمانية عشر ذراعا أضرب بالضياء وأعقب الوبا وان نقص ذراعا عن ستة عشر نقص خراج السلطان وان نقص ذراعين استسقى الناس وكان الضرر الشديد والنيل أحد أنهار الدنيا الخمسة الكبار وهي النيل والفرات والدجلة وسيحون وجيحون وتماثلها أنهار خمسة أيضا نهر السند ويسمى بنج اب ونهر الهند ويسمى الكنك واليه تحج الهند و اذا حرقوا أموالهم رموا برماهم فيه ويقولون هو من الجنة ونهر الجون بالهند أيضا ونهر أتل بصحراء قفجق وعلى ساحله مدينة السرا ونهر السرو بأرض الخطا وعلى ضفته مدينة خان بالق ومنها يحد إلى مدينة الخنسا ثم إلى مدينة الزيتون بأرض الصين وسيدكر ذلك كله في مواضعه ان شاء الله والنيل يفترق بعد مسافة من مصر على ثلاثة أقسام ولا يعبر نهر منها الا في السفن شتاء وصيفا وأهل كل بلد لهم خليجان تخرج من النيل فاذا مد أترعها ففاضت على المزارع

(ذكر الاهرام والبرابي)

وهي من العجائب المذكورة على مر الدهور وللناس فيها كلام كثير وخوض في شأنها وأولية بنائها ويزعمون ان جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان أخذت عن هرمس الاول الساكن بصعيد مصر الاعلى ويسمى خنوخ وهو ادريس عليه السلام وانه اول من تكلم في الحركات الفلكية والجواهر العلوية وأول من بنى الهياكل ومجد الله تعالى فيها وانه أنذر الناس بالطوفان وخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع فبنى الاهرام والبرابي وصور فيها جميع الصنائع والآلات ورسم العلوم فيها لتبقى مخلدة ويقال ان دار العلم والملك بمصر مدينة منوف وهي على ريد من الفسطاط فلما بنيت الاسكندرية انتقل الناس اليها وصارت دار العلم والملك الى ان أتى الاسلام فاخطط عمرو بن العاص رضي الله عنه مدينة الفسطاط فهي قاعدة مصر الى هذا العهد والاهرام بناء بالحجر الصلد المنحوت متناهي السمو مستدير متسع الاسفل ضيق الأعلى كالشكل المخروط ولا أبواب لها ولا تعلم كيفية بنائها ومما يذكر في شأنها ان ملكا من ملوك مصر قبل

الطوفان رأي رؤيا هالته وأوجبت عنده انه بني تلك الالهرام بالجانب الغربى من النيل لتكون مستودعاً للعلوم ولجنة الملوك وانه سأل المنجمين هل يفتح منها موضع فأخبروه انها تفتح من الجانب الشمالى وعينوالموضع الذى تفتح منه ومبلغ الاتفاق في فتحه فأمر ان يجعل بذلك الموضع من المال قدر ما أخبروه انه ينفق في فتحه واشتد في البناء فأنتم في ستين سنة وكتب عليها بنينا هذه الالهرام في ستين سنة فليهدمها من يريد ذلك في ستمائة سنة فان الهدم أيسر من البناء فلما أفضت الخلافة الى أمير المؤمنين المأمون أراد هدمها فأشار عليه بعض مشايخ مصر أن لا يفعل فاجب في ذلك وأمر أن تفتح من الجانب الشمالى فكانوا يوقدون عليها النار ثم يرشونها بالخل ويرمونها بالمنجنيق حتى فتحت الثلثة التي بها الى اليوم ووجدوا بازاء الثقب مالا أمر أمير المؤمنين بوزنه فحصر ما أنفق في الثقب فوجدوا سواء فطال عجبهم من ذلك ووجدوا عرض الحائط عشرين ذراعاً

(ذكر سلطان مصر)

وكان سلطان مصر علي عهد دخولى اليها الملك الناصر أبو الفتح محمد بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى وكان قلاوون يعرف بالانفى لان الملك الصالح اشتراه بألف دينار ذهباً وأصله من قنجدق وللملك الناصر رحمه الله السيرة الكريمة والفضائل العظيمة وكفاه شرفاً وتمائزاً لخدمة الحرمين الشريفين وما يفعله في كل سنة من أفعال البر التي تعين الحجاج من الجمال التي تحمل انزاد والماء للمنقطعين والضعفاء وتحمل من تأخر أوضف عن المشى في الدارين المصري والشامى وبنى زاوية عظيمة بسرياقص خارج القاهرة لكن الزاوية التي بناها مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين وكف الفقراء والمساكين خايقة الله في أرضه القائم من الجهاد بنفله وفرضه أبو عنان أيد الله أمره وأظهره وسقى له الفتح المبين ويسره بخارج حضرته العملية المدينة البيضاء حرسها الله لا نظير لها في المعمور في اتقان الوضع وحسن البناء والنقش في الجص بحيث لا يقدر أهل المشرق علي مثله وسيأتي ذكر ما عمره أيد الله من المدارس والمؤسسات والزوايا ببلاد

حرسها الله وحفظها بدوام ملكه

(ذكر بعض أمراء مصر)

منهم ساقى الملك الناصر وهو الأمير بكتمور (وضبط اسمه بضم الباء الموحدة وكاف مسكن وتاء معلوة مضمومة وآخره را) وهو الذى قتله الملك الناصر باسم وسيد ذكر ذلك ومنهم نائب الملك الناصر ارغون الدودار وهو الذى يلى بكتمور فى المنزلة (وضبط اسمه بفتح الهمزة واسكان الراء وضم العين المعجمة) ومنهم طشبط المعروف بمحمص أخضر (واسمه بطاين مهملين مضمومين بينهما شين معجم) وكان من خيار الأمراء وله الصدقات الكثيرة على الأيتام من كسوة ونفقة وأجرة لمن يعلمهم القرآن وله الإحسان العظيم للجرافيش وهم طائفة كبيرة أهل صلابة وجاه ودعارة وسجنه الملك الناصر مرة فاجتمع من الجرافيش آلاف ووقفوا بأسفل القلعة ونادوا بلسان واحد يا أعرج النحس يعنون الملك الناصر أخرجه فأخرجه من محبسه وسجنه مرة أخرى ففعل الأيتام مثل ذلك فأطلقه * ومنهم وزير الملك الناصر يعرف بالجمالى بفتح الجيم ومنهم بدر الدين بن البابه ومنهم جمال الدين نائب الكرك ومنهم تقزدمور (واسمه بضم التاء المعلوة وضم القاف وزا مسكن ثم دال مضموم وميم مثله وآخره را) ودمور بالتركية الحديد ومنهم بهادور الحجازى (واسمه بفتح الباء الموحدة وضم الدال المهمل وآخره را) ومنهم قوصون (واسمه بفتح القاف وصاد مهمل مضموم) ومنهم بشتك (واسمه بفتح الباء الموحدة واسكان الشين المعجم وتاء معلوة مفتوحة) وكل هؤلاء يتنافسون فى أفعال الخيرات وبناء المساجد والزوايا ومنهم ناظر جيش الملك الناصر وكاتبه القاضى نحر الدين القبطي وكان نصرانيا من القبط فأسلم وحسن إسلامه وله المكارم العظيمة والفضائل الثامة ودرجته من أعلى الدرجات عند الملك الناصر وله الصدقات الكثيرة والإحسان الجزيل ومن عاداته أن يجلس عشى النهار فى مجلس له باسطوا ناره على النيل ويليه المسجد فاذا حضر المغرب صلى فى المسجد وعاد الى مجلسه وأوتى بالطعام ولا يمنع حينئذ أحد من الدخول كائنا من كان فمن كان ذا حاجة

تكلم فيها فقضاها له ومن كان طالب صدقة أمر بمملو كاله يدعي بدر الدين واسمه لؤلؤ بأن يصحبه الى خارج الدار وهناك خازنه معه صرر الدراهم فيعطيه ما قدر له ويحضر عنده في ذلك الوقت الفقهاء ويقرأ بين يديه كتاب البخاري فاذا صلى العشاء الاخيرة انصرف الناس عنه

(ذكر القضاة بمصر في عهد دخولها)

فمنهم قاضي القضاة الشافعية وهو أنسلاهم منزلة وأكبرهم قدرا واليه ولاية القضاة بمصر وعزلهم وهو القاضي الامام العالم بدر الدين بن جماعة وابنه عز الدين هو الآن متولى ذلك ومنهم قاضي القضاة المالكية الامام الصالح تقي الدين الاختائي ومنهم قاضي القضاة الحنفية الامام العالم شمس الدين الحريري وكان شديدا لسلطوة لا تأخذه في الله لومة لائم وكانت الامراء تخافه ولقد ذكر لي ان الملك الناصر قال يوما لجلسائه اني لا أخاف من أحد الا من شمس الدين الحريري ومنهم قاضي القضاة الحنبلية ولا أعرفه الآن الا انه كان يدعي بزز الدين

(حكاية)

كان الملك الناصر رحمه الله يتعمد للنظر في الظالم ويرفع قصص المتشكين كل يوم اثنين وخميس ويقعد القضاة الاربعة عن يساره وتقرأ القصص بين يديه ويعين من يسأل صاحب القصة عنها وقد سلك مولانا أمير المؤمنين ناصر الدين أيده الله في ذلك مسلكا لم يسبق اليه ولا مزيد في العدل والتواضع عليه وهو سؤاله بذاته الكريمة لكل متظلم وعرضه بين يديه المستقيمة أي الله أن يحضرها سواء أدام الله أيامه وكان رسم القضاة المذكورين أن يكون أعلاهم منزلة في الجلوس قاضي الشافعية ثم قاضي الحنفية ثم قاضي المالكية ثم قاضي الحنبلية فاما توفي شمس الدين الحريري وولي مكانه برهان الدين بن عبد الحق الحنفي أشار الامراء على الملك الناصر بأن يكون يجلس المالكي فوقه وذكروا ان العادة جرت بذلك قديما اذ كان قاضي المالكية زين الدين بن مخلوف يئ قاضي الشافعية تقي الدين بن دقيق العيد فأمر الملك الناصر بذلك فلما علم به قضي الحنفية غاب عن شهود

المجلس أنفة من ذلك فأنكر الملك الناصر مغيبه وطمع ما قصده فأمر بإحضاره فلما مثل بين يديه أخذ الحاجب بيده وأقامه حيث نفذ أمر السلطان مما يلي قاضي المالكية واستمر حاله على ذلك

(ذكر بعض علماء مصر وأعيانها)

فمنهم شمس الدين الإصهاني إمام الدنيا في المعقولات ومنهم شرف الدين الزواوي المالكي ومنهم برهان الدين بن بنت الشاذلي نائب قاضي القضاة بجامع الصالح ومنهم ركن الدين ابن القوبع التونسي من الأئمة في المعقولات ومنهم شمس الدين بن عدلان كبير الشافعية ومنهم بهاء الدين بن عقيل فقيه كبير ومنهم أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الغرناطي وهو أعلمهم بالبحر ومنهم الشيخ الصالح بدر الدين عبد الله المنوفي ومنهم برهان الدين الشافعي ومنهم قوام الدين الكرمانى وكان سكناه بأعلى سطح الجامع الأزهر وله جماعة من الفقهاء والقراء يلزمونه ويدرس فنون العلم ويفتق في المذاهب ولباسه عباءة وف خشنة وعمامة صوف سوداء ومن عادته أن يذهب بعد صلاة العصر إلى مواضع الفرج والنزاهات منفردا عن أصحابه ومنهم السيد الشريف شمس الدين ابن بنت الصاحب تاج الدين بن حناء ومنهم شيخ شيوخ القراء بديار مصر مجد الدين الأقصراني ندية إلى أقصر من بلاد الروم ومسكنه سرياقص ومنهم الشيخ جمال الدين الحويزاني والحويزا على مسيرة ثلاثة أيام من البصرة ومنهم تقيب الأشراف بديار مصر السيد الشريف المعظم بدر الدين الحسيني من كبار الصالحين ومنهم وكيل بيت المال المدرس بقبة الامام الشافعي مجد الدين بن حرمي ومنهم المحتسب بمصر نجم الدين السهرقي من كبار الفقهاء وله بمصر رياسة عظيمة وجاء

﴿ذكر يوم الحمل بمصر﴾

وهو يوم دوران الحمل يوم مشهود وكيفية ترتيبهم فيه أنه يركب فيه القضاة الأربعة ووكيل بيت المال والمحتسب وقد ذكرنا جميعهم ويركب معهم أعلام الفقهاء وأمناء الرؤساء وأرباب الدولة وبقية مدون جميع أبواب قلعة دار الملك الناصر فيخرج إليهم الحمل على حمل

وامامه الامير المعين لسفر الحجاز في تلك السنة ومعه عسكره والسقاؤون على جماهم
ويجتمع لذلك أصناف الناس من رجال ونساء ثم يطوفون بالحمل وجميع من ذكر نامعه
بمدينتي القاهرة ومصر والحداة يحدون امامهم ويكون ذلك في رجب فعند ذلك تهيج
العزيمات وتذبت الاشواق وتحرك البواعث ويلقى الله تعالى العزيمة علي الحج في قلب من
يشاء من عباده فيأخذون في التأهب لذلك والاستعداد ثم كان سفري من مصر علي
طريق الصعيد برسم الحجاز الشريف فبت ليلة خروجي بالرباط الذي به الصاحب
تاج الدين بن حناء بدير الطين وهو رباط عظيم بناه علي مفاخر عظيمه وآثار كريمه
أودعها فيه وهي قطعة من قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والميل الذي كان يكتحل به
والدرفش وهو الاشفا الذي كان يخصف به نعله ومصحف امير المؤمنين علي بن أبي طالب
الذي بخط يده رضى الله عنه ويقال ان الصاحب اشترى ما ذكرناه من الآثار الكريمة
النبوية بمائة ألف درهم وبنى الرباط وجعل فيه الطعام للوارد والصادر والجراية لخدام
تلك الآثار الشريفة نفقة الله تعالى بقصده المبارك ثم خرجت من الرباط المذكور
ومررت بمعية القائد وهي بلدة صغيرة علي ساحل النيل ثم سرت منها الي مدينة بوش
(وضبطها بضم الباء الموحدة وآخرها شين معجم) وهذه المدينة أكثر بلاد مصر آتنا
ومنها يجلب الي سائر الديار المصرية والي افريقية ثم سافرت منها فوصلت الي مدينة دلاص
(وضبط اسمها بفتح الدال المهملة وآخره صاد مهملة) وهذه المدينة كثيرة الكتان
أيضا كمثل التي ذكرنا قبلها ويحمل أيضا منها الي ديار مصر وافريقية ثم سافرت منها الي
مدينة ببا (وضبط اسمها بياء بن موحدين أولاهما مكسورة) ثم سافرت منها الي
مدينة البهنسا وهي مدينة كبيرة وبساتينها كثيرة (وضبط اسمها بفتح الموحدة واسكان
الهاء وفتح النون والسين) وتصنع بهذه المدينة ثياب الصوف الحيدة وممن لقيته بها
قاضيا العالم شرف الدين وهو كريم النفس فاضل واقيت ببا الشيخ الصالح أبا
بكر الدججي ونزات عنده وأضافني ثم سافرت منها الي مدينة منية ابن خصيب وهي
مدينة كبيرة الساحة متسة المساحة بميزة علي شاطي النيل وحق حقيق لها علي بلاد

الصعيد التفضيل بها المدارس والمشاهد والزوايا والمساجد وكانت في القديم منية
عامل مصر الخصب

(حكاية خصب)

يذكر أن أحد الخلفاء من بني العباس رضى الله عنهم غضب على أهل مصر فآلى أن يولى
عليهم أحقر عبيده وأصغرهم شأنًا قصد الأرزاء لهم والتسكيل بهم وكان خصب أحقرهم
إذ كان يتولى تسخين الحمام فخلع عليه وأمره علي مصر وظنه أنه يسير فيهم سيرة سوء
ويقصد بهم بالإذابة حسبما هو المأمور من ولي عن غير عهد بالعز فاما استقر خصب بمصر
سار في أهلها أحسن سيرة وشهر بالكرم والايثار فكان أقارب الخلفاء وسواهم يقصدونه
فيجزل العطاء لهم ويعودون الي بغداد شاكرين لما أولاهم وإن الخليفة افتقد بعض
العباسيين وغاب عنه مدة ثم أتاه فسأله عن مغيبيه فأخبره أنه قصد خصبًا وذكرك له ما أعطاه
خصب وكان عطاء جزيلًا فغضب الخليفة وأمر بسمل عيني خصب وإخراجه من
مصر الي بغداد وأن يطرح في أسواقها فاما ورد الأمر بالقبض عليه حيل بينه وبين
دخول منزله وكانت يده ياقوتة عظيمة الشأن نجباء عنده وخاطبها في ثوب له ليلًا
وسملت عيناه وطرح في أسواق بغداد فمر به بعض الشعراء فقال له يا خصب
إني كنت قصدتك من بغداد الي مصر مادحًاك بقصيدة فوافقت انصرافك عنها
وأحمر أن تسمعها فقال كيف بسماعها وأنا علي ما تراء فقال انما قصدى سماعك
لها وأما العطاء فقد أعطيت الناس وأجزأت جزاك الله خيرًا قال فافعل فأنشده
(كامل)

أنت الخصب وهذه مصر * فتدققا فكللا كما بحر

فلما أتى علي آخرها قال له ائتني هذه الحياطة ففعل ذلك فقال له خذ الي ياقوتة فأبى فأقسم
عليه أن يأخذها فأخذها وذهب بها الي سوق الجوهر بين فلما عرضها عليهم قالوا له إن
هذه لا تصاح إلا للخليفة فرفعوا أمرها الي الخليفة فأمر الخليفة بإحضار الشاعر
واستفهمه عن شأن الياقوتة فأخبره بنحوها فتأسف علي ما فعله بخصب وأمر بمثوله بين

يديه وأجزل له العطاء وحكمه فيما يريد فرغب أن يعطيه هذه المنية ففعل ذلك وسكنها خصيب إلى أن توفي وأورثها عقبه إلى أن انقرضوا وكان قاضي هذه المنية أيام دخولي إليها نضر الدين التويري المسالكي ووالها شمس الدين أمير خير كريم دخلت يوما الحمام بهذه البلدة فرأيت الناس بها لا يسترون فعظم ذلك علي وأتيت به فأعلمته بذلك فأمرني أن لا أبرح وأمر بأحضار المكثرين للحمامات وكتبت عليهم العقود أنه متى دخل أحد الحمام دون متر فأنهم يؤاخذون على ذلك واشتد عليهم أعظم الاشتداد ثم انصرفت عنه وسافرت من منية ابن خصيب إلى مدينة منلوى وهي صغيرة مبنية على مسافة ميلين من النيل (وضبط اسمها بفتح الميم واسكان النون وفتح اللام وكسر الواو) وقاضها الفقيه شرف الدين الدميري (بفتح الدال المهملة وكسر الميم) الشافعي وكبارها قوم يعرفون ببني فضيل بنى أحدهم جامعاً نفق فيه صميم ماله وبهذه المدينة إحدى عشرة معصرة للسكر ومن عوائدهم أنهم لا يمنعون فقيراً من دخول معصرة منها فيأتي الفقير بالحبة الحارة فيطرحها في القدر التي يطبخ السكر فيها ثم يخرجها وقدامت آلات سكرها فينصرف بها وسافرت من منلوى المذكورة إلى مدينة منفلوط وهي مدينة حسن رواءها مؤنق بناؤها على ضفة النيل شهيرة البركة (وضبط اسمها بفتح الميم واسكان النون وفتح الفاء وضم اللام وآخرها طاء مهملة)

(حكاية) أخبرني أهل هذه المدينة أن الملك الناصر رحمه الله أمر بعمل منبر عظيم محكم الصنعة بديع الانشاء برسم المسجد الحرام زاده الله شرفاً وتعظيماً فإما تم عمله أمر أن يصعد به في النيل ليحجز إلى بحر جدة ثم إلى مكة شرفها الله فإما وصل المركب الذي احتمله إلى منفلوط وحاذى مسجدها الجامع وقف وامتنع من الجري مع مساعدة الريح فعجب الناس من شأنه أشد العجب وأقاموا أياماً لا ينهض بهم المركب فكتبوا يخبره إلى الملك الناصر رحمه الله فأمر أن يجعل ذلك المنبر بجامع مدينة منفلوط ففعل ذلك وقد عاينته بها ويصنع بهذه المدينة شبه العسل يستخرجونه من القمح ويسمون له النيداياباع بأسواق مصر

وسافرت من هذه المدينة الى مدينة أسيوط وهي مدينة رفعيه اسواقها بديعه (وضبط اسمها بفتح الهمزة والسين المهملة والياء آخر الحروف وواو وطاء مهملة) وقاضيا شرف الدين بن عبد الرحيم الملقب (بمحاصل مائيم) لقب شهريه وأصله ان القضاة بديار مصر والشام بأيديهم الاوقاف والصدقات لآبناء السبيل فاذا أتى نقيير لمدينة من المدن تصد القاضي بها فيعطيه ما قدر له فكان هذا القاضي اذا أتم الفتيير يقول له حاصل مائيم أي لم يبق من المال الحاصل شيء فلنذب بذلك ولزمه وبها من المشايخ الفضلاء الصالح شهاب الدين ابن الصباغ أضافي بزأوتيه وسافرت منها الى مدينة اخميم وهي مدينة عظيمة أصيلة البنيان عجيبه الشأن بها البري المعروف باسمها وهو مبنى بالحجارة في داخله نقوش وكتابة للاوائل لا تفهم في هذا العهد وصور لافلاك والكواكب ويزعمون انها بنيت والنسر الطائر ببرج العقرب وبها صور الحيوانات وسواها وعند الناس في هذه الصورة كاذيب لا يرجح دليها وكان باخميم رجل يعرف بالخطيب أمر على هدم بعض هذه البرابي وابتنى بحجارة لها مدرسة وهو رجل مؤسر معروف باليسار ويزعم حساده انه استفاد ما بيده من المال من ملازمته لهذه البرابي ونزلت من هذه المدينة بزأوية الشيخ أبي العباس بن عبد الظاهر وبها تربة جده عبد الظاهر وله من الاخوة ناصر الدين ومجد الدين وواحد الدين ومن عادتهم أن يجتمعوا جميعا بعد صلاة الجمعة ومعهم الخطيب نور الدين المذكور وأولاده وقاضى المدينة الفقيه مخلص وسائر وجوه أهلهم فيجتمعون للقرآن ويذكرون الله الى صلاة العصر فاذا صلوا قرؤا سورة الكهف ثم انصرفوا وسافرت من اخميم الى مدينة (هو) مدينة كبيرة بساحل النيل (وضبطها بضم الهاء) نزلت منها بمدرسة تقي الدين بن السراج ورأيتهم يقرؤن بها في كل يوم بعد صلاة الصبح حزب من القرآن ثم يقرؤن أو راد الشيخ أبي الحسن الشاذلي وحزب البحر وهذه المدينة السيد الشريف أبو محمد عبد الله الحسيني من كبار الصالحين

(كرامة له) دخلت الى هذا الشريف متبركا برؤيته والسلام عليه فسألني عن تصدي فاخبرته أنني أريد حج البيت الحرام على طريق جدة فقال لي لا يحصل لك هذا في هذا

الوقت فارجع وانما تخرج أول حجة على الدرب الشامي فانصرفت عنه ولم أعمل على كلامه ومضيت في طريق حتى وصلت الى عيذاب فلم يتمكن لي السفر فعدت راجعا الى مصر ثم الى الشام وكان طريقى في أول حجائى على الدرب الشامى حسبا أخبرني الشريف نفع الله به ثم سافرت الى مدينة قنا وهي صغيرة حسنة الاسواق (واسمها بقاف مكسورة ونون) وبها قبر الشريف الصالح الوائى صاحب البراهين العجيبه والكرامات الشهيرة عبد الرحيم القناوى رحمة الله عليه ورأيت بالمدرسة السيفية منها حفيد شهاب الدين أحمد وسافرت من هذا البلد الى مدينة قوص (وادي بضم القاف) مدينة عظيمة لها خيرات عجيبة بساكنينها مورقة وأسواقها ونقعة ولها المساجد الكثيرة والمدارس الاثيرة وهي منزل ولالة الصعيد وبخارجها زاوية الشيخ شهاب الدين بن عبد الغفار وزاوية الأفرم وبها اجتماع الفقراء المتجردين في شهر رمضان من كل سنة ومن علمائها القاضي جمال الدين بن السديد والخطيب بها فتح الدين بن دقيق العيد أحداً الفصحاء الباقاء الذين حصل لهم السبق في ذلك لم أر من يماثله الا خطيب المسجد الحرام بهاء الدين الطبرى وخطيب مدينة خوارزم حسام الدين الشاطي وسيقع ذكرها ومنهم الفقيه بها الدين بن عبد العزيز المدرس بمدرسة المالكية ومنهم الفقيه بهان الدين ابراهيم الاندلسى له زاوية عالية ثم سافرت الى مدينة الاقصر (وضبط اسمها بفتح الهمزة وضم الصاد المهمل) وهي صغيرة حسنة وبها قبر الصالح العابد أبى الحجاج الاقصرى وعليه زاوية وسافرت منها الى مدينة ارمنت (وضبط اسمها بفتح الهمزة وسكون الراء وميم مفتوحة ونون ساكنة وتاء مملوءة) وهي صغيرة ذات بساكنين مبنية على ساحل النيل أضافني قاضيها وأنسيت اسمه ثم سافرت منها الى مدينة أسنا (وضبط اسمها بفتح الهمزة واسكان السين المهمل ونون) مدينة عظيمة متسعة الشوارع ضخمة المنافع كثيرة الزوايا والمدارس والجوامع لها أسواق حسان وبساكنين ذات أفنان قاضيها قاضي انقضاة شهاب الدين بن مسكين أضافني وأكرمى وكتب الى نوابه كرامى وبها من الفضلاء الشيخ الصالح نور الدين على والشيخ الصالح عبد الواحد المكناسي وهو على هذا العهد صاحب زاوية بقوص ثم سافرت منها الى مدينة أدفو (وضبط اسمها

بفتح الهمزة واسكان الدال المهمل وضم الفاء) وبينها وبين مدينة أسنام مسيرة يوم وليلة في صحراء ثم جزنا النيل من مدينة ادفو الي مدينة العطواني ومنها اكثرينا الجبال وسافرنا مع طائفة من العرب تعرف بدعيم (بالغين المعجمة) في صحراء لا عماره بها الا انها آمنة السبل وفي بعض منازلنا حيترا حيث قبر ولي الله أبي الحسن الشاذلي وقد ذكرنا كرامته في أخباره انه يموت بها وأرضها كثيرة الضباع ولم نزل ليلة ميئتنا بها محارب الضباع ولقد قصدت رحلي ضبع منها فمزقت عدلا كان به واجترت منه جراب نمر وذهبت به فوجدناه لما أصبحنا ممزقاً كولا معظم ما كان فيه ثم لم نسيرنا خمسة عشر يوماً وصلنا الى مدينة عيذاب وهي مدينة كبيرة كثيرة الحوت والابن ويحمل اليها الزرع والتمر من صعيد مصر وأهلها البجاة وهم سودا لالو أن يلتحقون ملاحف صفراء ويشدون على رؤسهم عصائب يكون عرض العصابة منها أصبعا وهم لا يورثون البنات وطعامهم البان الابل ويركبون المهارى ويسمونها الصهب وثالث المدينة للملك الناصر وثلاثها للملك البجاة وهو يعرف بالحدربي (بفتح الحاء المهمل واسكان الدال وراء مفتوحة وباء موحدة وياء) وبمدينة عيذاب مسجد ينسب للقسطلاني شهير البركة رأيت به وتبركت به وبها الشيخ الصالح موسى والشيخ المسن محمد المراكشي زعم انه ابن المرتضي ملك مراکش وان سنه خمس وتسعون سنة ولما وصلنا الى عيذاب وجدنا الحدربي سلطان البجاة يحارب الأتراك وقد خرق المراكب وهرب الترك امامه فتعذر سفرنا في البحر فبقينا ما كنا أعددناه من الزاد وعدنا مع العرب الذين اكثرينا الجبال منهم الي صعيد مصر فوصلنا الي مدينة قوص التي تقدم ذكرها وانحدرنا منها في النيل وكان أو ان مدة فوصلنا بعد مسيرة ثمان من قوص الي مصرفيت بمصر ليلة واحدة وقصدت بلاد الشام وذلك في منتصف شعبان سنة ست وعشرين فوصلت الي مدينة بليديس (وضبط اسمها بفتح الموحدة الاولى وفتح اثنائية ثم ياء آخر الحروف مسكنة وسين مهملة) وهي مدينة كبيرة ذات بساتين كثيرة ولم ألق بها من يجب ذكره ثم وصلت الي الصالحية ومنها دخلنا الرمال ونزلنا منازلهم مثل السوادة والورادة والمطيب والعريش والخروبة وبكل منزل منها

فندق وهم يسمونه الحان ينزله المسافرون بدوا بهم وبخارج كل خان ساقية للسبيل
وحانوت يشتري منها المسافر ما يحتاجه لنفسه ودابته ومن منازلها قطيا المشهورة وهي
(بفتح القاف وسكون الطاء وياء آخر الحروف مفتوحة وألف) والناس يبدلون ألفها
هاء تانيث وبها تؤخذ الزكاة من التجار وتفتش أمتعتهم ويبحث عمالديهم أشد البحث وفيها
الدواوين والعمال والكتاب والشهود ومجباها في كل يوم ألف دينار من الذهب ولا
يجوز عليها أحد من الشام الا براءة من مصر ولا الى مصر الا براءة من الشام احتياطا على
أموال الناس وتوقيا من الجواسيس العراقيين وطرية بها في ضمان العرب قدوكلوا بحفظه
فاذا كان الليل مسحوا على الرمل لا يبقى به أثر ثم يأتي الامير صباحا فينظر الى الرمل فان
وجد به أثر اطالب العرب باحضار مؤثره فيذهبون في طلبه فلا يفوتهم فيأتون به الامير
فيعاقبه بما شاء وكان بها في عهد وصولى اليها عز الدين استاذ الدار اقمارى من خيار
الامراء أضافنى وأكرمى وأباح الجواز لمن كان ميمى وبين يديه عبد الجليل المغربي
الوقاف وهو يعرف المغاربة وبلادهم فيسأل من ورد منهم من أى البلاد هو لئلا يلبس
عليهم فان المغاربة لا يعترضون في جوازهم على قطيا ثم سرنا حتى وصلنا الى مدينة غزة
وهى أول بلاد الشام ممالي مصر متسعة الاقطار كثيرة العمارة حسنة الاسواق بها
المساجد العديدة والاسوار عليها وكان بها مسجد جامع حسن والمسجد الذى
تقام الآن به الجمعة فيها بناء الامير المعظم الجاولي وهو انيق البناء محكم الصنعة ومنبره من
الرخام الابيض وقاضي غزة بدر الدين السلخى الحورانى ومدرسه علم الدين بن سالم
وبوسالم كبراء هذه المدينة ومنهم شمس الدين قاضى القدس ثم سافرت من غزة الى
مدينة الخليل صلى الله على نبينا وعليه وسلم تسليما وهى مدينة صغيرة الساحة كبيرة المقدار
مشرقة الانوار حسنة المنظر عجيبة المنظر فى بطن واد ومسجدها أنيق الصنعة محكم
العمل بديع الحسن سامي الارتفاع مبني بالصخر المنحوت فى أحداً ركانه صخرة أحد
أقطارها سبعة وثلاثون شهرا ويقال ان سليمان عليه السلام أمر الجن ببنائه وفي داخل
المسجد الغار المكرم المقدس فيه قبر ابراهيم واسحاق ويعقوب صلوات الله على نبينا

وعليهم ويقابلها قبور ثلاثة هي قبور أزواجهم وعن يمين المنبر بلصق جدار القبلة موضع يهبط منه على درج رخام محكمة العمل الى مسلك ضيق يفضي الى ساحة مفروشة بالرخام فيها صور القبور الثلاثة ويقال انها محاذية لها وكان هنالك مسلك الى الغار المبارك وهو الآن مسدود وقد نزلت بهذا الموضع مرات ومما ذكره أهل العلم دليلا على صحة كون القبور الثلاثة الشريفة هنالك ما نقلته من كتاب علي بن جعفر الرازي الذي سماه (المسفر للقلوب عن صحة قبر ابراهيم واسحق ويعقوب) أسنده الى أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسرى بي الى بيت المقدس مر بي جبريل على قبر ابراهيم فقال انزل فصل ركعتين فان هنا قبر أبيك ابراهيم ثم مر بي على بيت لحم وقال انزل فصل ركعتين فان هنا ولد أخوك عيسى عليه السلام ثم أتني بي الى الصخرة وذكري بقية الحديث ولما قلت بهذه المدينة المدرس الصالح المعمر الامام الخطيب برهان الدين الجعفرى أحد الصالحاء المرضيين والأئمة المشتهرين سأله عن صحة كون قبر الخليل عليه السلام هنالك فقال لي كل من لقته من أهل العلم يصححون أن هذه القبور قبور ابراهيم واسحق ويعقوب على نبينا وعليهم السلام وقبور زوجاتهم ولا يطعن في ذلك الا أهل البدع وهو نقل الخلف عن الساف لا يشك فيه ويذكر أن بعض الأئمة دخل الي هذا الغار ووقف عند قبر سارة فدخل شيخ فقال له أي هذه القبور هو قبر ابراهيم فأشار له الى قبره المعروف ثم دخل شاب فسأله كذلك فأشار له اليه ثم دخل صبي فسأله أيضا فأشار له اليه فقال الفقيه أشهد أن هذا قبر ابراهيم عليه السلام لا شك ثم دخل الي المسجد فصلى به وارتحل من الغد و بداخل هذا المسجد أيضا قبر يوسف عليه السلام وبشرقي حرم الخليل تربة لوط عليه السلام وهي على تل مرتفع يشرف منه غور الشام وعلى قبره أبنية حسنة وهو في بيت منها حسن البناء مبيض ولا ستور عليه وهنالك بحيرة لوط وهي أجاج يقال انها موضع ديار قوم لوط وبمقربة من تربة لوط مسجد اليقين وهو على تل مرتفع له نور واشراق ليس لسواه ولا يجاوره الادار واحدة يسكنها قيمه وفي المسجد بمقربة من بابه موضع منخفض في حجر صلد قد هي فيه صورة محراب لا يسع الا مصليا واحدا

ويقول ان ابراهيم سجد في ذلك الموضع شكر الله تعالى عندها لك قوم لوط فتحرك موضع سجوده وساخ في الارض قليلا وبالقرب من هذا المسجد مغارة فيها قبر فاطمة بنت الحسين ابن علي عليها السلام وبأعلى القبر وأسفله لوحان من الرخام في أحدهما مكتوب منقوش بخط بديع بسم الله الرحمن الرحيم لله العزة والبقاء وله ما ذرأ وبرأ وعلى خلقه كتب الفناء وفي رسول الله أسوة هذا قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين رضي الله عنه وفي اللوح الآخر منقوش صنع محمد بن أبي سهل النعش بمصر ونحت ذلك هذه الايات

أسكنت من كان في الاحشاء مسكنه بالرغم منى بين القرب والحجر
ياقبر فاطمة بنت ابن فاطمة بنت الائمة بنت الانجسم الزهر
ياقبر ما فيك من دين ومن ورع ومن عفاف ومن صون ومن خفر

ثم سافرت من هذه المدينة الى القدس فزرت في طريقى اليه تربة يونس عليه السلام وعليها بنية كبيرة ومسجد وزرت أيضا بيت لحم موضع ميلاد عيسى عليه السلام وبه اثر جذع النخلة وعليه عمارة كثيرة والنصارى يعظمونه أشد التعظيم ويضيفون من نزل به ثم وصلنا الى بيت المقدس شرفه الله ثالث المسجدين الشريفين في رتبة الفضل ومصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ومعرجه الى السماء والبلدة كبيرة منيفة مبنية بالصخر المنحوت وكان الملك الصالح الفاضل صلاح الدين بن ايوب جزاه الله عن الاسلام خيرا لما فتح هذه المدينة هدم بعض سورها ثم استنقض الملك الظاهر هدمه خوفا ان يقصدها الروم فيمتنعوا بها ولم يكن بهذه المدينة نهر فيما تقدم وجلب لها الماء في هذا العهد الامير سيف الدين تنكيز أمير دمشق

﴿ ذكر المسجد المقدس ﴾

وهو من المساجد العجيبة الرائقة الفائقة الحسن يقال انه ليس على وجه الارض مسجد أكبر منه وان طوله من شرق الى غرب سبع مائة وثلثان وخمسون ذراعا بالذراع المالكية وعرضه من القبلة الى الجوف اربع مائة ذراع وخمس وثلثون ذراعا وله أبواب كثيرة في جهاته الثلاث واما الجهة القبليّة منه فلا أعلم بها الا بابا واحدا وهو الذي يدخل منه الامام

والمسجد كله فضاء غير مسقف الا المسجد الاقصى فهو مسقف في النهاية من أحكام العمل
واتقان الصنعة بموه بالذهب والاصبغة الرائقة وفي المسجد مواضع سواء مسقفة

﴿ ذكر قبّة الصخرة ﴾

وهي من أعجب المباني واتقنها واغربها شكلا قد توفر حظها من المحاسن وأخذت من كل
بديعة بطرف وهي قائمة على نشز في وسط المسجد يصعد إليها في درج رخام ولها أربعة
أبواب والدائر بها مفروش بالرخام أيضا محكم الصنعة وكذلك داخلها وفي ظاهرها
وباطنها من أنواع الزواقة ورائق الصنعة ما يعجز الوصف وأكثر ذلك مغشي بالذهب
فهي تتلألأ نورا وتتمع لمعان البرق يحار بصير متأملها في محاسنها ويقصر لسان رائيتها عن
تمثيلها وفي وسط القبّة الصخرة الكريمة التي جاء ذكرها في الآثار فان النبي صلى الله عليه
وسلم عرج منها إلى السماء وهي صخرة صماء ارتفاعها نحو قامة وتحتها مغارة في مقدار بيت
صغير ارتفاعها نحو قامة أيضا ينزل إليها على درج وهناك شكل محراب وعلى الصخرة
شبا كان اثنان محكما العمل يغلقان عليها أحدهما وهو الذي يلي الصخرة من حديد بديع
الصنعة والثاني من خشب وفي القبّة درقة كبيرة من حديد معاقمة هنالك والناس يزعمون
انها درقة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

﴿ ذكر بعض المشاهد المباركة بالقدس الشريف ﴾

فمنها بدوة الوادي المعروف بوادي جهنم في شرقي البلد على تل مرتفع هنالك بنية يقال
انها مصعد عيسى عليه السلام إلى السماء ومنها أيضا قبر رابعة البدوية منسوبة إلى البادية
وهي خلاف رابعة المدوية الشهيرة وفي بطن الوادي المذكور كنيسة يعظمها النصارى
ويقولون ان قبر مريم عليها السلام بها وهنالك أيضا كنيسة أخرى معظمة يحجها
النصارى وهي التي يكذبون عليها ويعتقدون ان قبر عيسى عليه السلام بها وعلى كل من
يحجها ضريبة معلومة للمسلمين وضروب من الاهانة يتحملها على رغم أنف وهنالك
موضع مهد عيسى عليه السلام يتبرك به

﴿ ذكر بعض فضلاء القدس ﴾

فمنهم قاضيه العالم شمس الدين محمد بن سالم الغزى (بفتح الغين) وهو من أهل غزة وكبرائها
ومنهم خطيبه الصالح الفاضل عماد الدين التابلسى ومنهم المحدث المفقى شهاب الدين
الطبرى ومنهم مدرس المالكية وشيخ الحانقا الكريمة أبو عبد الله محمد بن مثبت الغرناطى
نزىل القدس ومنهم الشيخ الزاهد أبو على حسن المعروف بالمحجوب من كبار الصالحين
ومنهم الشيخ الصالح العابد كمال الدين المراغى ومنهم الشيخ الصالح العابد أبو عبد الرحيم عبد
الرحمن بن مصطفى من أهل أروز الروم وهو من تلامذة تاج الدين الرفاعى صحبته ولبست
منه خرقة التصوف ثم سافرت من القدس الشريف برسم زيارة نعر عسقلان وهو خراب
قد عادر سوماطامسه واطلالادارسه وقل بلد جمع من المحاسن ما جمعه عسقلان اتقاناً
وحسن وضع وأصالة مكان وجمابين مرافق البر والبحر وبها المشهد الشهير حيث كان
رأس الحسين بن على عليه السلام قبل أن ينقل إلى القاهرة وهو مسجد عظيم سامى العلو
فيه جب للماء أمر ببنائه بعض العبيدين وكتب ذلك على بابه وفى قبلة هذا المزار مسجد
كبير يعرف بمسجد عمر لم يبق منه الا حيطانه وفيه أساطين رخام لا مثل لها فى الحسن وهي
ما بين قائم وحصيد ومن جاتها اسطوانة حمراء عجيبية يزعم الناس ان النصارى احتملوها الى
بلادهم ثم فقدوها فوجدت فى موضعها بعسقلان وفى القبلة من هذا المسجد بئر تعرف ببئر
ابراهيم عليه السلام ينزل اليها فى درج متسعة ويدخل منها الى بيوت وفى كل جهة من
جهاها الاربع عين تخرج من أسراب مطوية بالحجارة وماؤها عذب وليس بالغزير ويذكر
الناس من فضائها كثيراً وبظاهر عسقلان وادى النمل ويقال انه المذكور فى الكتاب
العزیز وبجبانة عسقلان من قبور الشهداء والاولياء ما لا يحصر لكثرة أوقفنا عليهم قيم
المزار المذكور وله جراية يجريها له ملك مصر مع ما يصل اليه من صدقات الزوار ثم
سافرت منها الى مدينة الرملة وهى فلسطين مدينة كبيرة كثيرة الخيرات حسنة الاسواق
وبها الجامع الابيض ويقال ان فى قبلته ثلاثمائة من الانبياء مدفونين عليهم السلام وفيها
من كبار الفقهاء مجد الدين التابلسى ثم خرجت منها الى مدينة نابلس وهى مدينة عظيمة
كثير الاشجار مطردة الانهار من أكثر بلاد الشام زيتوناً ومنها يحمل الزيت الى مصر

ودمشق وبها تصنع حلواء الخروب وتجلب الي دمشق وغيرها وكيفية عملها ان يطبخ الخروب ثم يعصر ويؤخذ ما يخرج منه من الرب فتصنع منه الحلواء ويجلب ذلك الرب أيضاً الي مصر والشام وبها البطيخ المنسوب اليها وهو طيب عجيب والمسجد الجامع في نهاية من الاتقان والحسن وفي وسطه بركة ماء عذب ثم سافرت منها الي مدينة عجلون (وهي بفتح العين المهملة) وهي مدينة حسنة لها أسواق كثيرة وقاعة خطيرة ويشقها نهر ماء عذب ثم سافرت منها بقصد اللاذقية فمررت بالغور وهو وادي بين تلأل به قبر أبي عبيدة بن الجراح أمين هذا الامة رضي الله عنه زرناه وعليه زاوية فيها الطعام لأنباء السبيل وبتنا هنالك ليلة ثم وصلنا الي القصير وبه قبر معاذ بن جبل رضي الله عنه تبركت أيضا بزيارته ثم سافرت على الساحل فوصلت الي مدينة عكة وهي خراب وكانت عكة قاعدة بلاد الافرنج بالشام ومرسى سفنهم وتشبه قسطنطينية العظمى وبشرقيها عين ماء تعرف بعين البقر يقال ان الله تعالى أخرج منها البقر لآدم عليه السلام وينزل اليها في درج وكان عليها مسجد بقي منه محرابه وبهذه المدينة قبر صالح عليه السلام ثم سافرت منها الي مدينة صررو وهي خراب وبخارجها قرية معمورة وأكثر أهلها أرفاض ولقد نزلت بها مرة على بعض المياه أريد الوضوء فأتني بعض أهل تلك القرية ليتوضأ فبدأ بغسل رجليه ثم غسل وجهه ولم يتمضمض ولا استنشق ثم مسح بعض رأسه فأخذت عليه في فعله فقال لي ان البناء انما يكون ابتداءً من الاساس ومدينة صور هي التي يضرب بها المثل في الحصانة والمنعة لان البحر محيط بها من ثلاث جهاتها ولها بابان أحدهما للبر والثاني للبحر ولبابها الذي يشرع للبر أربعة فصلات كلها في ستائر محيطة بالباب وأما الباب الذي للبحر فهو بين برجين عظيمين وبنائها ليس في بلاد الدنيا أعجب ولا أغرب شأناً منه لان البحر محيط بها من ثلاث جهاتها وعلى الجهة الرابعة سور تدخل السفن تحت السور وترسو هنالك وكان فيما تقدم بين البرجين سلسلة حديد معترضة لا سبيل الي الداخل هنالك ولا الي الخارج الا بعد حطها وكان عليها الحراس والامناء فلا يدخل داخل ولا يخرج خارج الا على علم منهم وكان لعكة أيضاً منامها ولكنها لم تكن تحمل الا السفن الصغار ثم سافرت منها الي مدينة

صيدا وهي على ساحل البحر حسنة كثيرة الفواكه يحمل منها التين والزبيب والزيت الى بلاد مصر نزلت عند قاضيها كمال الدين الأشموني المصري وهو حسن الاخلاق كريم النفس ثم سافرت منها الى مدينة طبرية وكانت فيا مضي مدينة كبيرة ضخمة ولم يبق منها الا رسوم تنبئ على ضخامتها وعظم شأنها وبها الحمامات العجيبة لها بيتان أحدهما للرجال والثاني للنساء وماؤها شديد الحرارة ولها البحيرة الشهيرة طولها نحو ستة فراسخ وعرضها أزيد من ثلاثة فراسخ وبطبرية مسجد يعرف بمسجد الانبياء فيه قبر شعيب عليه السلام وبنته زوج موسى الكليم عليه السلام وقبر سليمان عليه السلام وقبر يهودا وقبر روبيل صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم وقصدنا منها زيارة الجلب الذي ألقى فيه يوسف عليه السلام وهو في صحن مسجد صغير وعليه زاوية والجب كبير عميق شرسا من مائه المجتمع من ماء المطر وأخبر ناقيه ان الماء ينبع منه أيضا ثم سرنا الى مدينة بيروت وهي صغيرة حسنة الاسواق وجامعها بديع الحسن وتجلب منها الى ديار مصر الفواكه والحديد وقصدنا منها زيارة أبي يعقوب يوسف الذي يزعمون انه من ملوك المغرب وهو بموضع يعرف بكرك نوح من بقاع العزيز وعليه زاوية يطعم بها الوارد والصادر ويقال ان السلطان صلاح الدين وقف عليها الاوقاف وقيل السلطان نور الدين وكان من الصالحين ويذكر انه كان ينسج الحصر ويقتات بثمنها

﴿حكاية أبي يعقوب يوسف المذكور﴾

يحكى انه دخل مدينة دمشق فرض بها مرضا شديدا وأقام مطروحا بالاسواق فلما برئ من مرضه خرج الى ظاهر دمشق ليلتمس بستانا يكون حارسا له فاستؤجر حراسة بستان للملك نور الدين وأقام في حراسته ستة أشهر فلما كان في أو ان الفاكهة أتى السلطان الى ذلك البستان وأمر وكيل البستان أبي يعقوب ان يأتي برمان يأكل منه السلطان فأتاه برمان فوجد حاضرا فأمرا ان يأتي بغيره ففعل ذلك فوجد أيضا حامضا فقال له الوكيل أتكون في حراسة هذا البستان منذ ستة أشهر ولا تعرف الحلوم من الحامض فقال انما استأجرتني على الحراسة لا على الاكل فأتني الوكيل الى الملك فاعلمه بذلك فبعث اليه الملك

وكان قد رأى في المنام انه يجتمع مع أبي يعقوب وتحصل له منه فائدة ففرس انه هو فقال له أنت أبو يعقوب قال نعم فقام اليه وعانقه وأجلسه الى جانبه ثم احتمله الى مجلسه فاضافه بضيافة من الحلال المكتسب بكديمينه وأقام عنده أياماً ثم خرج من دمشق فاراً بنفسه في أوائل البرد الشديد فأتى قرية من قرأها وكان بهار جل من الضعفاء فعرض عليه النزول عنده ففعل وصنع له مرققة وذبح دجاجة فأتاه بها وبخبز شب عير فأكل من ذلك ودعا للرجل وكان عنده جملة أولاد منهم بنت قد آن بناء زوجها عليها ومن عوائدهم في تلك البلاد ان البنت يجهزها أبوها ويكون معظم الجهاز أو اني النحاس وبه يتفاخرون وبه يتبايعون فقال أبو يعقوب للرجل هل عندك شيء من النحاس قال نعم قد اشتريت منه لتجهيز هذه البنت قال اتني به فأتاه به فقال له استعمر من حيرانك ما أمكنتك منه ففعل وأحضر ذلك بين يديه فأوقد عليه النيران وأخرج صرة كانت عنده فيها الاكسيف فطرح منه على النحاس فعاد كله ذهباً وتركه في بيت مقفل وكتب كتاباً الى نور الدين ملك دمشق يعلمه بذلك وينبهه على بناء مارستان للرضى من الغرباء ويوقف عليه الاوقاف ويبنى الزوايا بالطرق ويرضي أصحاب النحاس ويعطي صاحب البيت كفايته وقال له في آخر الكتاب وان كان ابراهيم بن أدهم قد خرج عن ملك خراسان فانا قد خرجت من ملك المغرب وعن هذه الصنعة والسلام وفر من حينه وذهب صاحب البيت بالكتاب الى الملك نور الدين فوصل الملك الى تلك القرية واحتمل الذهب بعد ان أرضى أصحاب النحاس وصاحب البيت وطلب أبا يعقوب فلم يجد له أثراً ولا وقع له على خبر فعاد الى دمشق وبنى المارستان المعروف باسمه الذي ليس في المعمور مثله ثم وصات الى مدينة طرابلس وهي إحدى قواعد الشام وبلدانها الضخام تخترقها الأنهار وتحفها البساتين والأشجار ويكنفها البحر بمرافقه العجيمه والبر بخيرات المقيمه ولها الاسواق العجيبه والمسارح الخصبه والبحر على ميلين منها وهي حديثة البناء وأما طرابلس القديمة فكانت على ضفة البحر وتماكها الروم زماناً فلما استرجعها الملك الظاهر خربت وأخذت هذه الحديثة وبهذه المدينة نحو أربعين من أمراء الأتراك وأميرها طي لان الحاجب المعروف بملك الأمراء ومسكنه منه بالدار

المعروفة بدار السعادة ومن عوائده أن يركب في كل يوم اثنين وخميس ويركب معه الامراء
والعساكر ويخرج الى ظاهر المدينة فاذا عاد اليها وقارب الوصول الى منزله ترحل الامراء
ونزلوا عن دوابهم ومشوا بين يديه حتى يدخل منزله وينصرفون وتضرب الطلبة خانة
عند دار كل أمير منهم بعد صلاة المغرب من كل يوم وتوقد المشاعل ويمن كان بهامس الاعلام
كاتب السربهاء الدين بن غانم أحد الفضلاء الحسباء معروف بالسخاء والكرم وأخوه حسام
الدين هو شيخ القدس الشريف وقد ذكرناه وأخوهما علاء الدين كاتب السرب بدمشق
ومنهم وكيل بيت المال قوام الدين بن مكين من أكابر الرجال ومنهم قاضي قضائهم شمس
الدين بن النقيب من اعلام علماء الشام وبهذه المدينة حمامات حسان منها حمام القاضي
القرمي وحمام سندمور وكان سندمور أمير هذه المدينة ويذكر عنه أخبار كثيرة في الشدة
على أهل الجنايات منها ان امرأة شكت اليه بأن أحد عماليكه الخواص تعدى عليها في ابن
كانت تبيعه فشر به ولم تكن لها بيعة فامر به فوسط فخرج الابن من مصرانه وقد اتفق مثل
هذه الحكاية للعريس أحد امراء الملك الناصر أيام امارته على عيذاب واتفق مثلها للملك
كبك سلطان تركستان ثم سافرت من طرابلس الى حصن الاكراد وهو بلد صغير كثير
الاشجار والانهار بأعلى تل وبه زاوية تعرف بزاوية ابراهيمي نسبة الى بعض كبراء
الامراء ونزلت عند قاضيها ولا أحقق الآن اسمه ثم سافرت الى مدينة حمص وهي مدينة
مليحة ارجاؤها مونة وأشجارها مورقة وأنهارها متدفقة وأسواقها فسيحة الشوارع
وجامعها متميز بالحسن الجامع وفي وسطه بركة ماء وأهل حمص عرب لهم فضل وكرم
وبخارج هذه المدينة قبر خالد بن الوليد سيف الله ورسوله وعليه زاوية ومسجد وعلى القبر
كسوة سوداء وقاضي هذه المدينة جمال الدين الشريشي من أجمل الناس صورة وأحسنهم
سيرة ثم سافرت منها الى مدينه حماد احدي أمهات الشام الرفيعة ومدائن البديعة ذات
الحسن الرائق والجمال الفائق تحفها البساتين والجنان عليها التواعير كالافلاك
الدائرات يشقها النهر العظيم المسمى بالعاصي ولها ربض سمي بالمنصورية أعظم من المدينة
فيه الاسواق الحافلة والحمائم الحسان وبمحماة الفواكه الكثيرة ومنها المشمش اللوزي

إذا كثرت نواته وجدت في داخلها الوزه حلوة قال ابن جزى وفي هذه المدينة ونهرها
ونواعيرها وبساتينها يقول الأديب الرحال نور الدين أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد
العنسي العماري الغرناطي نسبة لعمار بن ياسر رضي الله عنه (طويل)

حمى الله من شطى حماة مناظرا * وقفت عليها السمع والفكر والطرفا
تغنى حمام أوتميل خمال * وتزهى مباني تمنع الواصف الوصف
يلوموني أن أعصي الصون والنهي * (٢) وأطيع الكأس واللاه والقصفا
إذا كان فيها النهر عاص فكيف لا * أحاسيه عصيانا وأشربها صرفا
وأشدو لدى تلك النواعر شدوها * وأغلبها رقصاً وأشبهها غرفا
تئن وتذرى دمعها فكأنها * تهيم بمرآها وتسألها العظفا
ولبعضهم في نواعيرها ذاهباً مذهب التورية (طويل)

وناعورة رقت لعظم خطيئتي * وقد عاينت قصدي من المنزل القاصي
بكت رحمة لي ثم باحت بشجوها * وحسبك أن الحشب تبكي علي العاصي
ولبعض المتأخرين فيها أيضاً من الثورية (كامل)

ياسادة سكنوا حماة وحقكم * ما حلت عن تقوي وعن اخلاصي
والطرف بعدكم اذا ذكر الالقيا * يجري المدامع طائماً كالعاصي

(رجع) ثم سافرت الى مدينه المعرة التي ينسب اليها الشاعر أبو العلاء المعري وكثير سواه
من الشعراء قال ابن جزى وانما سميت بمعرة انعمان لان النعمان بن بشير الانصاري
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي له ولد أيام امارته على حمص فدفنه بالمعرة فعرفت
به وكانت قبل ذلك تسمى ذات القصور وقيل ان النعمان جبل مطلق عليها سميت به
(رجع) والمعرة مدينة كثيرة حسنة أكثر شجرها التين والفسق و منها يحمل الى مصر
والشام وبخارجها علي فرسخ منها قبر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ولا زاوية عليه ولا
خديم له وسبب ذلك انه وقع في بلاد صنف من الرافضة ار جاس يبغيضون العشرة من
الصحابه رضي الله عنهم ولعن مبغضهم ويبغيضون كل من اسمه عمر وخصوصاً عمر بن

عبد العزيز رضي الله عنه لما كان من فعله في تعظيم علي رضي الله عنه ثم سرنا منها الى مدينة
سرمين وهي حسنة كثيرة البساتين وأكثر شجرها الزيتون وبها يصنع الصابون الآجري
ويجلب الى مصر والشام ويصنع بها أيضا الصابون المطيب لغسل الأيدي ويصبغونه بالحمرة
والصفرة ويصنع بها ثياب قطن حسان تنسب اليها وأهلها سبابون يبيعون العشرة ومن
العجب انهم لا يذكرون لفظ العشرة وينادي سمسرتهم بالاسواق على الساع فإذا بلغوا الى
العشرة قالوا تسعة وواحد وحضر بها بعض الأتراك يوما فسمع سمسارا ينادي تسعة
وواحد فضر به بالدبوس فلي رأسه وقال قل عشرة بالدبوس وبها مسجد جامع فيه تسع
قباب ولم يجعلوها عشرة قياما بذهبهم القبيح ثم سرنا الى مدينة حلب المدينة الكبرى والقاعد
العظمى قال أبو الحسين بن جبير في وصفها قدرها خطير وذكرها في كل زمان يطير خطابها
من الملوك كثير ومحلمها من النفوس أثير فكم حاجت من كداح وسئل عليها من يبض
الصفاح لها قاعة شهيرة الامتناع بأثنة الارتفاع فنزهت حصانة من أن ترام أو تستطاع
منحوتة الأجزاء موضوعة على نسبة اعتدال واستواء قد طاولت الأيام والاعوام
ووسعت الخواص والعوام أين أمراؤها الحمدانيون وشعراؤها فني جميعهم ولم يبق الا
بناؤها فإعجابا بالبلاد تبقى وبذهب ملاكها ويهلكون لا يقضى هلاكها ونحط بذهبهم فلا
يتمذرا ملاكها وترام في تيسر بأهون شيء أدراكها هذه حلب كم ادخات ملوكها في خبر
كان ونسخت صرف الزمان بالمكان أنث اسمها فتحلت بحياة الغوان وأتت بالعدو
فيمند دان وأنجبت عروسا بعد سيف دواتها ابن حمدان هيئات سيهرم شبابها ويعدم
خطابها ويسرع فيها بعد حين خرابها وقلة حلب تسمى الشهباء وبداخلها جبلان ينبع
منهما الماء فلا تخاف الظماء ويظيف بها سوران وعليها خندق عظيم ينبع منه الماء
وسورها متداني الابراج وقد اتظمت بها الملايحية المفتحة الطيقان وكل برج
منها مسكون والطعام لا يتغير بهذه القلعة على طول العهد وبها مشهد يقصده بعض الناس
يقال ان الخليل عليه السلام كان يتعبد به وهذه القلعة تشبه قلعة رحية مالك بن طوق التي على
الفرات بين الشام والعراق ولما قصد قازان طاغية الترمذية حلب حاصر هذه القاعة أياما

ونكص عنها خائباً قال ابن جزى وفي هذه القلعة يقول الخالدي شاعر سيف الدولة
 وخرقاء قد قامت على من برومها * بمرقبها العالي وجانبها الصعب
 يجر عليها الجوجيب غمامه * ويلبثها عقد أبانجمه الشهب
 اذا ما سرى برق بدت من خلالها * كالأحت العذراء من خلل السحب
 فكم من جنود قد أمتت بغصة * وذى سطوات قد أبانت على عقب
 وفيها يقول أيضاً وهو من بديع النظم (بسيط)

وقلعة عائق العنقاء سافلها * وراز منطقة الجوزاء عاليها
 لا تعرف الفطر اذا كان الغمام لها * أرضاً توطأ قطريه مواشيها
 اذا انعمت راحة غاض ساكنها * حياضها قبل ان تهيم عالياها
 يعد من أنجم الافلاك مرقبها * لو أنه كان يجرى في بحارها
 ردت مكائد أقوام مكايدها * ونصرت لدواهيهم دواهيها
 وفيها يقول جمال الدين علي بن أبي المتصور (كامل)

كادت لبون سموها وعملوها * تستوقف الفلك المحيط الدائرا
 وردت قواظها المجرة منها * ورعت سوابقها النجوم زواها
 ويظل صرف الدهر منها خائفا * وجلالها يسمي لديها حاضرا
 (رجع) ويقال في مدينة حلب حلب ابراهيم لان الخليل صلوات الله وسلامه على نبينا
 وعليه كان يسكنها وكانت له الغنم الكثيرة فكان يسقى الفقراء والمساكين والوارد والصادر
 من البانها فكانوا يجتمعون ويسألون حلب ابراهيم فسميت بذلك وهي من أعز البلاد التي
 لا نظير لها في حسن الوضع واتقان الترتيب واتساع الاسواق وانتظام بعضها ببعض
 وأسواقها مسقفة بالحطب فأهلها دائمون في ظل ممدود وقيسارياتها لا تملك حسانا وكبرا
 وهي تحيط بمسجدها وكل سباط منها محاذي لباب من أبواب المسجد ومسجدها الجامع
 من أجل المساجد في صحته بركة ماء ويظف به بلاط عظيم الاتساع ومنبرها بديع العمل
 مرصع بالماج والأبنوس وبقراب جامعها مدرسة مناسبة له في حسن الوضع واتقان الصنعة

ينسب لأمرأء بنى حمدان وبالبلد - واهات ثلاث مدارس وبها مدارس - تان وأما خارج المدينة فهو بسيط أفيح عريض به المزارع العظيمة وشجرات الاغشاب منتظمة به والبساتين على شاطئ نهرها وهو النهر الذي يمر بحماة ويسمى العاصى وقيل انه سمي بذلك لانه يخيل لناظره ان جريانه من أسفل الى علو والنفس تجدد في خارج مدينة حلب اسرا حاسورا ونشاطا لا يكون في سواها وهي من المازن حتى : ملح للخلافة قال ابن جزى أطنبت الشعراء في وصف محاسن حلب وذكر داخلها وخارجها ونها يقول أبو عبادة البحتري (كامل)

يا براق أسفر عن فوق مطايي * حلب فاعلى القصر من بعلباس

عن منبت الورد المعصر صبغه * في كل ضاحية ومجنى الآس

أرض اذا السوحشتكم بتذكر * حشدت على فأكثر ايتامى

وقال فيها الشاعر المجيد أبو بكر الصنوبري (مقارب)

سقى حلب المازن مغنى حلب * فكم وصلت طربا بالطرب

وكم مستطاب من العيش لذ * بها اذ بها العيش لم يستط

اذا شر الزهر أعلامه * بها ومطارفه والعذب

غدا وحواشيه من فضة * تروق وأوساطه من ذهب

وقال فيها أبو العلاء المعري (خفيف)

حلب للورادجنة عدن * رعى للغادرين نار سمير

والعظيم العظيم يكبر في عيه * نيه منها قدر الصغير الصغير

فتويق في أنفس القوم بحر * و - صاة منه مكان ثبير

وقال فيها أبو الفتيان بن جبوس

يا صاحبي اذا أتيا كما سقمي * فتذيانى نسيم الريح من حلب

من البلاد التي كان الصبا سكنا * فيها وكان الهوى العذرى من أربى

وقال فيها أبو الفتح كشاجم (مقارب)

(٤ - رحله)

وما أمتعت جارها بلدة * كما أمتعت حلب جارها

بها قد تجمع ما تشتهي * فزرها فطوبى لمن زارها

وقال فيها أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الغرناطي العنسي (خفيف)

حادي العيس كم تذيخ المطايا * سقى بروحي من بدمهم في سياق

حلب أنها مقرر غرامي * ومرامي وقبلة الأشواق

لك خلا جوشن وبطياس والعرب * ومن كل وابل غيداق

كم بهامرتع ادأرف وقاب * فيه سقى المنى بكأس دهاق

وتغنى طيورها لارتياح * وتثني غصونها لعناق

وعلو الشبهاء حيث استدارت * أنجم الأفق حولها كالنطاق

(رجع) وبحلب ملك الأمراء أرغون الدوادار أكبر أمراء الملوك الناصرو وهو من الفقهاء

موصوف بالعدل لكنه بخيل والقضاة بحلب أربعة للمذاهب الأربعة منهم القاضي كمال الدين

ابن الزملاكان شافعي المذهب عالي الهمة كبير القدر كريم النفس حسن الاخلاق متفنن

بالعلوم وكان الملك الناصرة بعث اليه ليوأيه قضاة القضاة بحضرته ملكه ثم بقض له ذلك وتوفي

ببلييس وهو متوجه اليها ولما ولي قضاء حلب فصدته اشعراء من دمشق وسواها وكان

قيمن قصده شاعر الشام شهاب الدين أبو بكر محمد بن الشيخ المحدث شمس الدين أبي عبد

الله محمد بن نباتة انقرشى الادوى الفارقي فامتدحه بقصيدة طويلة حافلة أولها (كامل)

أسفت لفقدك جباقي الفيحاء * وتباشرت لقدمك الشهباء

وعلا دمه شق وتدرحات كآبة * رعا الاربا حلب سناوسناء

قد أسرفت دار سكنت فيها * حتى غدت ولنورها لآلاء

ياسائر اسقى المكارم والعلي * بمن يحل عنده الكرماء

هذا كمال الدين لذبحنا به * تنعم ثم الفضل والنعماء

قاضي القضاة أجل من أيامه * تغنى بها الايتام والفقراء

قاس زكي أصلا وفر عافا على * شرفت به الآباء والأبناء

من الاله على بنى حلب به * لله وضع الفضل حيث يشاء
 كشف المعمي فهمه ويأنه * فكأنما ذاك انتكاء ذكاء
 يا حاكم الحكام تدرك سابق * عن ان تسرك رتبة شماء
 ان المناصب دون همتك التي * في الفضل دون محلها الجوزاء
 لك في العلوم فضائل مشهورة * كالصبح شق له الظلام ضياء
 ومناقب شهد البدو بفضلها * والفضل ما شهدت به الاعداء

وهي أزيد من خمسين يتأوا أجازة عليها بكسوة ودرهم واثقده عليه الشتراء ابتداء
 بلفظ أسعت قال ابن جزى وليس كلامه في هذه القصيدة بذاك وهو في المقطعات أجود
 منه في القصائد واليه انتهت الرئاسة في الشعر على هذا العهد في جميع بلاد المشرق وهو من
 ذرية الخطيب أبي يحيى عبد الرحيم بن نبانة منشي الخطب الشهيرة ومن يديع مقطعاته
 في التورية قوله (كامل)

علقها غيداء حالية البلي * تحبني على عقل الحب وقلبه
 بخلت بأواثرها عن الأثم * ففدت مطوقة بما بخلت به

(رجع) ومن قضاة حلب قاضي قضاة الحنفية الامام المدرس ناصر الدين بن العديم حسن
 الصورة والسيرة أصيل مدينة حلب (كامل)

تراه اذا ماجتته متهللا * كأنك تعطيه الذي أنت سائله
 ومنهم قاضي قضاة المالكية لأذكره كان من الموثقين بمصر وأخذ الخطة عن غير
 استحقاق ومنهم قاضي قضاة الحنابلة لأذكر اسمه وهو من أهل صالحية تدمشق وتقيب
 بالاشراف بحلب بدر الدين بن الزهراء ومن فقهاء شافعية الدين بن العجمي وأما به هم
 كبراء مدينة حلب ثم ماقرت منها إلى مدينة تيزين وهي على طريق قنسرين (وضبط
 اسمها بقاء معلومة مكسورة وياء مدوزاى مكسورة وياء مدثانية ونون) وهي حديثه أخذها
 التركمان وأسواقها حسان ومساجدها في نهاية من الاتقان وقاضيا بدر الدين العسقلاني
 وكانت مدينة قنسرين قديمة كسيرة ثم خرجت ولم يبق الا رسومها ثم سافرت إلى مدينة

انطاكية وهي مدينة عظيمة أصلية وكان عليها سور محكم لا نظير له في أسوار بلاد الشام فلما فتحها الملك الظاهر هدم سورها وانطاكية كثير العمارة ودورها حسنة البناء كثيرة الاشجار والمياه وبخارجها نهر العاصي وبها قبر حبيب التجار رضى الله عنه وعليه زاوية فيها الطعام للوارد والصادر شيخها الصالح المعمر محمد بن علي سنة ينف على المائة وهو مجتمع بقوته دخلت عليه مرة في بستان له وقد جمع حطباً ورفعته على كاهله يأتي به منزله بالمدينة ورأيت ابنه قد أناف على الثمانين الا انه محدود بالظهر لا يستطيع النهوض ومن يراها يظن الوالد منهما ولداً والولد الدائم سافرت الى حصن بغراس (وضبط اسمه بيا موحدة مضمومة وغين معجمة مسكنة وراء وآخره سين مهملة) وهو حصن منيع لا يرام عليه البساتين والمزارع ومنه يدخل الى بلاد سيس وهي بلاد كفار الارمن وهم رعية للملك الناصر يؤدون اليه مالا ودراهمهم فضة خالصة تعرف بالبلدية وبها تصنع الثياب الديزية وأمير هذا الحصن صارم الدين بن الشيباني وله ولد فاضل اسمه علاء الدين وابن أخ اسمه حسام الدين فاضل كريم يسكن الموضع المعروف بالرصاص (بضم الراء والصاد المهملة الاول) ويحفظ الطريق الى بلاد الارمن ﴿حكاية﴾

شكى الارمن مرة الى الملك الناصر بالامير حسام الدين وزوروا عليه امورا لا تليق ففقد امره لامير الامراء بحلب ان يخنقه فلما توجه الامير بلغ ذلك صديقه من كبار الامراء فدخل على الملك الناصر وقال يا خوندان الامير حسام الدين هو من خيار الامراء ينصح للمسلمين ويحفظ الطريق وهو من الشجمان والامن يريدون الفساد في بلاد المسلمين فيمنعهم ويقهرهم وانما أرادوا اضعاف شوكة المسلمين بقتله ولم يزل به حتى أنفذ امرا ثانيا بسراجه والخلع عليه وردده لموضع ودعا الملك الناصر بريدا يعرف بالافوش وكان لا يبعث الا في مهم وأمره بالاسراع والجدي السير فسار من مصر الى حلب في خمس وهي مسيرة شهر فوجد امير حلب قد حضر حسام الدين وأخرجه الى الموضع الذي يخنق به الناس فخلصه الله تعالى وعاد الى موضعه ولقيت هذا الامير يومه قاضي بغراس شرف الدين الحموي بموضع يقال له العمق متوسط بين انطاكية

وتيزين وبغراس ينزله التركان بمواشيهم لخصبه وسعته ثم سافرت الى حصن القصير تصغير
 قصر وهو حصن حسن أميره علاء الدين الكردي وقاضيه شهاب الدين الارمنى من
 أهل الديار المصرية ثم سافرت الى حصن الشغربكاس (وضبط اسمه بضم الشين المعجم
 واسكان الفين المعجم وضم انراء والباء الموحدة وآخره سين مهمل) وهو منبع في رأس
 شاقق أميره سيف الدين الطنطاش فاضل وقاضيه جمال الدين بن شجرة من أصحاب ابن
 التيمية ثم سافرت الى مدينة صهيون وهى حسنة بها الانهار المطردة والاشجار المورقة
 ولها قلعة جيدة وأميرها يعرف بالابراهيمى وقاضيا محيى الدين الحمصى وبخار جهازاوية
 فى وسط بستان فيها الطعام ناوارد والصادر وهى على قبر الصالح العابد عيسى البدوى
 رحمه الله قد زرت قبره ثم سافرت منها فررت بحصن القدموس (وضبط اسمه بفتح
 القاف واسكان الدال المهمل وضم الميم وآخره سين مهمل) ثم بحصن المينقة (وضبط
 اسمه بفتح الميم واسكان الياء وفتح النون والقاف) ثم بحصن الحليقة واسمه على لفظ
 واحدة العايق ثم بحصن مصيايف (وصادده مهملة) ثم بحصن الكهف وهذه الحصون
 اطائفة يقال لهم الاسماعيلية ويقال لهم الفداوية ولا يدخل عليهم أحد من غيرهم وهم سهام
 الملك الناصر بهم يصيب من يعدو عنه من أعدائه بالعراق وغيرها ولهم المرتبات واذا
 أراد السلطان ان يبعث أحدهم الى اغتيال عدوله أعطاه ديتة فان سلم بعد تأتي ما يراد منه
 فهي له وان أصيب فهي لولده ولهم سكاكين مسمومة يضربون بها من بعثوا الى قتله
 وربما لم تصح حيلهم فقتلوا كما جرى لهم مع الامير قراسنقور فانه لما ضرب الى العراق
 بعث اليه الملك الناصر جملة منهم فقتلوا ولم يقدر واعليه لانه بالجزم (حكاية)
 كان قراسنقور من كبار الامراء ومن حضر قتل الملك الاشرف أخى الملك الناصر
 وشارك فيه ولما تمهد الملك للملك الناصر وقر به القرار واشتدت أواخى سلطانه جعل
 يتتبع قتلة أخيه فيقتلهم واحدا واحدا واما اظهرا للاخذ بثأر أخيه وخوفا أن يتجاسروا
 عليه بما تجاسروا على أخيه وكان قراسنقور أمير الامراء بحلب فكتب الملك الناصر الى
 جميع الامراء أن ينفروا بعساكرهم وجعل لهم ميغادا يكون فيه اجتماعهم بحلب ونزولهم

عليها حتى يقبضوا عليه فامام فعلوا ذلك خاف قراسنقور ع: نفسه ركان له ثمانمائة مملوك
فركب فيهم وخرج على العساكر صباحا فاختر قههم وأعجزهم سبقا وكانوا في عشرين ألفا
وقصد منزل أمير العرب ميثابن عدي وهو دلي مسيرة يومين من حاب وكان ميثابي
قنص له فقصد بيته ونزل عن فرسه وأتى العمامة في عنق نفسه ونادى الجواريا أمير العرب
وكانت هنالك أم الفضل زوج ميثاب بنت عمه فقالت له قد أجرتك وأجرتنا من معك
فقال نعم أطاب أولادي ومالي فقالت له لك ما تحب فانزل في جوارنا ففعل ذلك وأتى ميثاب
فأحسن نزله وحكمه في ماله فقال انت أحب أهلي ومالي الذي تركته بحباب فمد عامهنا
باخوته وبنى عمه مشاورهم في أمرهم ففهم من أجابه إلى ما أراد ومنهم من قال له كيف
نحارب الملك الناصر ونحن في بلاده بالشام فقال لهم ميثاب أما أنا فأقول لهذا الرجل ما يريد
وأذهب معه إلى سلطان العراق وفي ثمانية ذلك ورد عليهم الخبر بأن أولاد قراسنقور
سيروا على البريد إلى مصر فقال ميثاب ان قراسنقور أما أولادك فلاحيلة فيهم وأما ممالك
فجته في خلاصه فركب فيمن أطاعه من أهله واستغفر من العرب نحو خمسة وعشرين
ألفا وقصدوا حاب فأحرقوا باب تاجها وتغابروا عليها واستخلصوا منها مال قراسنقور
ومن بقي من أهله لم يمتدوا إلى سوى ذلك وقصدوا ملك العراق وحجزهم أمير حص
الأنر ووصلوا إلى الملك محمد بن محمد بنده سلطان العراق وهو يومئذ وضع مصيفه المسمى
تراباغ (بنج تناف والراء واليا الموحد والغبين المعجمة) وهو ما بين السلطانية
وتبريز فأكرم نزاههم وأعطى ميثاب العراق العرب وأعطى قراسنقور مدينة مراغة من
عراق العجم وتسمى دمشق الصغيرة وأعطى الأفرم همدان وأقاموا عنده مدة مات
فيها الأفرم وعاد ميثاب إلى الملك الناصر بسد موثيق وعهودا أخذها منه وبقي قراسنقور
على حاله وكان الملك الناصر يبحث له الفداوية مرة بعد مرة ففهم من يدخل عليه داره
فيقتل دونه ومنهم من يرمي بنفسه عليه وهو راكب فيضربه وقتل بسببه من الفداوية
جساعة وكان لا يفارق الدرع أبدا ولا ينام إلا في بيت العود والحديد ففعلت السلطان
محمد وولي ابنه أبو سعيد وقع ما سئذ كره من أمر الجوبان كبير أمرائه وفرار ولده

الدمر طاش الى الملك الناصر ووقعت المراسلة بين الملك الناصر وبين ابي سعيد وانفقا
على أن يبعث أبوسعيد الى الملك الناصر برأس قراسنقور ويبعث اليه الملك الناصر
برأس الدمر طاش فبعث الملك الناصر برأس الدمر طاش الى أبي سعيد فلما وصله أمر
بحمل قراسنقور اليه فمأعرف قراسنقور بذلك أنذختما كان له مجوف في داخله سم
ناقع فنزع ففصه وامتص ذلك السم فمات - لينه فمرف أبوسعيد بذلك الملك الناصر ولم
يبعث له برأسه ثم سافرت من حصون الفداوية الى مدينة جبيلة وهي ذات أنهار مطردة
وأشجار والبحر على نحو ميل منها وبها قبر الولي الصالح الشهير ابراهيم بن أدهم رضي الله
عنه وهو الذي نبذ الملك وانقطع الى الله تعالى حبس بياض ذلك ولم يكن ابراهيم من بيت
ملك كما يظنه الناس انما ورث الملك عن جده أبي أمه وأما أبنوه أدهم فكان من الفقراء
الصالحين السائمين المتعبدين الورعين المنقطعين

حكاية أدهم

يذكر انه مر ذات يوم ببساتين مدينة بخارى وتوضأ من بطن الأنهار التي تتخللها قاذ
بفاحه يحماها ماء النهر فقال هذه لا خطر لها فأكلها ثم وقع في خاطره من ذلك وسواس
فغزم على أن يستحل من صاحب البستان فقرع باب البستان فخرجت اليه مجارية فقال لها
ادعي لي صاحب المنزل فقالت انه لا امرأة فقال استأذني لي عاينها ففعلت فأخبر المرأة بخبر
التفاح فقالت له ان هذا البستان نصه له لي ونصفه لاساطان واساطان يومئذ بائخ وهي
مسيرة عشرة دنانير بخارى وأحاطت المرأة من نصفها وذهب الى بائخ فاعترض الساطان في
مركبه فأنكره فأنكره واستحلها فأمروا أن يعودا اليه من الغد كان لاساطان بنت باعة الجمال
قد خطبها البنا الملوك فتمننت وحببت اليها العبادة وحب الصالحين وهي تحب أن تتزوج من
ورع زاهد في الدنيا فلما عاد الساطان الى منزله أخبر بنته بخبر أدهم وقال ما رأيت أروع
من هذا يأتي من بخارى الى بائخ لاجل نصف تفاحه فرغبت في تزوجه فلما أتاه من الغد
قال لا أحلك الآن تتزوج ببنتي فأنقذ لذلك بعد استمضاء وتمنع فتزوج منها فلما دخل
عليها وجدها متزينة والبيت مزين بالفرش وسواها فعمد الى ناحية من البيت وأقبل على

صلاته حتى أصبح ولم يزل كذلك سبع ليال وكان السلطان مأحله قبل فبعث إليه أن يحله
نقاله لأحلك حتى يقع اجتماعك بزوجتك فلما كان الليل واقعا ثم اغتسل وقام إلى
الصلاة فصاح صيحة وسجد في مصلاه فوجد ميتا رحمه الله وحملت منه فولدت إبراهيم
ولم يكن لجدده ولد فأُسند الملائكة إليه وكان من تخليه عن الملك ما اشتهر وعي قبر إبراهيم
ابن أدهم زاوية حسنة فيها بركة ماء وبها الطعام لئلا ادروا نوارد وخدامها إبراهيم الجمحي
من كبار الصالحين والناس يقصدون هذه الزاوية ليلة الاصف من شعبان من سائر أقطار
الشام وقيمون بها ثلاثا وبقوم بها خارج المدينة سوق عظيم فيه من كل شيء ويقدم الفقراء
المتجردون من الآفاق بحضور هذا الموسم وكل من يأتي من الزوار لهذه التربة يعطي
خدامها شمة فيجتمع من ذلك قناطير كثيرة وأكثر أهل هذه السواحل هم الطائفة
التصيرية الذين يعتقدون أن علي بن أبي طالب اله وهم لا يصلون ولا يتطهرون ولا
يصومون وكان الملك الظاهر أنزاهم بناء المساجد بقراهم فبنوا بكل قرية مسجدا بعيدا
عن النار ولا يدخلونه ولا يعمرونه ويرتبا آوت اليه وواسيهم ودواهم ثم ورعما وصل
اغريب اليهم فينزل بالمسجد ويؤذن للصلاة فيقولون له لا تنهق عليك يأتيك
وعددهم كثير

(حكاية)

ذكر لي أن رجلا مجهولا وقع به رده . لغاشة فادعى الهداية وتكاثر واعاياه فوعدهم
بملك البلاد وقسم بينهم بلاد الشام وكان يعين لهم البلاد ويأمرهم بالخروج اليها ويعطيهم
من ورق الزيتون ويتول لهم استظهارها بها فاتها كالأوامر اكم فاذا خرج أحددهم إلى
بلد أحضره أمير حامية قول له ان الامام المهدي أعطاني هذا البلد فيقول له أين الامر
فيخرج ورق الزيتون فيضرب ويحبس ثم انه أمرهم بالتجهيز لقتال المسلمين وأن يسدوا
بمدينة جبلة وأمرهم أن يأخذوا عرض السيوف قضبان الآس ووعدهم أنها تصير في
أيديهم سيوف عند القتال فتدروا مدينة جبلة وأهلها في صلاة الجمعة فدخلوا الدور
وهتكوا الحرم ونار المسلمون من مدهم فخذوا السلاح وقتلوهم كيف شاؤوا
واتصل الخبر بالاذقية فاقبل أميرها بدر ديدانه بعسكره وطيرت الحمام إلى طرابلس

فأتى أمير الأمراء بساكره واتبعوه هم حتى قتلوا منهم نحو عشرين ألفاً وتحصن الباقون بالجبال وراسلوا ملك الأمراء والتزموا أن يعطوه ديناراً عن كل رأس إن هو حاول إبقاءهم، وكان الخبر قد طير به الخمام إلى الملك الناصر وصدر جوابه أن يحمل عليهم السيف فراجعهم ملك الأمراء وألقى له انهم عمال المسلمين في حراثة الأرض وانهم إن قتلوا ضغف المسلمون لذلك فأمر بالبقاء عليهم ثم سافرت إلى مدينة اللاذقية وهي مدينة عتيقة على ساحل البحر يزعمون أنها مدينة الملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا وكانت انما قصدتها لزيارة الولي المباح عبد المحسن الأدهم كندري فاما وصاتها وجدته غائبا بالحجاز الشريف فالتفت من أصحابه الشيخين الصالحين سعيد البجائي ويحيى السلاوي وهما بمسجد علماء الدين بناتها من فضل الشام وكبرائها صاحب الصدقات والمكارم وكان قد عمر لهما زاوية بقرب المسجد وجمع بها الطعام لا وارد والصادر وقاضيهما الفقيه الفاضل جلال الدين عبد الحق المصري المالكي فاضل كريم تمام بطيوان ملك الأمراء فولاه قضاءها

﴿حكاية﴾

كان باللاذقية رجل يعرف بابن المؤيد هجاء لا يسلم أحد من أسانه متهم في دينه مستخف يتكلم بانقباض من الاتحاد فمرضت له حاجة عند طيوان ملك الأمراء فلم يقضها له فقصد مصر وتقول عاياه أمورا شنيعة وعاد إلى اللاذقية فكتب طيوان إلى القاضي جلال الدين أن يحمي في قتله بوجه شرعي فدعاه القاضي إلى منزله وبحثه واستخرج كامن الحادثة فتكلم بعبائهم أيسرهم ووجب القتل وقد أعد القاضي الشهود وخاف الحجاب فكتبوا عقدا بمقاله وثبت عند القاضي وسجن وأعلم ملك الأمراء بقضيته ثم أخرج من السجن وحق على بابه ثم لم يلبث أن استأجر طيوان أن عزله عن طرابلس وولاهم الحاج قرطبة من كبار الأمراء ومن تقدمت له فيها نوالا وبينه وبين طيوان عداوة فجعل يتبع سقطاته وقام لديه أخوة ابن المؤيد شاكين من القاضي جلال الدين فأمر به بالشهود الذين شهدوا على ابن المؤيد فاحضروا وأمر بنحقتهم وأخرجوا إلى ظاهرا المدينة حيث يفتق الناس وأجلس

كل واحد منهم تحت مخنتقه ونزعت عمامتهم ومن عادة أمراء تلك البلاد انه متى أمر
أحدهم بقتل أحد من الناس يمر الحاكم من مجلس الأمير سباقاً على فرسه الى حيث المأمور
بقتله ثم يعود الى الأمير فيكرراستئذانه يفعل ذلك ثلاثاً فإذا كان بعد الثلاث أنفذ الأمير
قاما فعل الحاكم ذلك قامت الأمراء في المرة الثالثة وكشفوا رؤسهم وقالوا أيها الأمير
هذه سبة في الاسلام يقتل التواضي والشهود وقبل الأمير شفاعتهم وحنى سبيهم وبخارج
اللاذقية الدير المعروف بدير الفاروص وهو أعظم دير بالشام ومصر يسكنه الرهبان
ويقصد انصارى من الآفاق وكل من نزل به من المسلمين فالتصاري يعاقبونه وطعامهم
الخبز والخبز والزيتون والخل والكبرياء ميناء هذه المدينة عامها سباسة بين برجين
لا يدخلها أحد ولا يخرج منها حتى تحيط له السلسلة وهي من أحسن المراسي بالشام
سافرت الى حصن المرقب وهو من الحصون العظيمة بمثل حصن الكرك وميناء على
جبل شامخ وخار به رضى نزاله انحر به ولا يدخلون قاعته وافتتحه من أيدي الروم الملك
المنصور قلاوون وعاليه ولد ابنه الملك الناصر وكان قاضيه برهان الدين المصري من
أفاضل القضاة وكرماهم ثم سافرت الى الجبل الاقصر وهو أعلى جبل بالشام وأول
ما يظهر منها من البحر وسكانه التركمان وفيه العيون والأنهار وسافرت منه الى جبل لبنان
وهو من أحسن جبال الدنيا فيه أصناف الفواكه وعيون المساء والظلال الوافرة ولا ينزل
من المنقطعين الى الله تعالى والزهاد والصالحين وهو شهر بذلك ورأيت به جماعة من
الصالحين قد انقطعوا الى الله تعالى ممن لم يشتر اسمه
أخبرني بعض الصالحين الذين أتيتهم بمقال كتابي هذا ان مع جماعة من الأمراء أيام البرد
الشديد فأوقدنا ناراً عظيمة وأخذت نأكل بها فقال بعض الحاضرين يصالح لهذه النار ما يشوي
فيها فقال أحد الفقراء ممن تزدرى العين ولا يعاب به في كنت عند صلاة العصر بمعتبدا إبراهيم
ابن ادهم فرأيت بمقربة منه حماراً وحشاً قد أحرقا تلج به من كل جانب وأظنه لا يتقدر على
الحراك فلو ذهبتم اليه أقدرتم عليه وشويتم لحمه في هذه النار قال فتعنا اليه في خمسة
رجال فلقيناه كما وصف البنافق بضعته وأتينا به أصحابنا وذبحناه وأشوينا لحمه في تلك النار

وطبنا الفقير الذي نبه عليه فلم يجده ولا وقعنا له علي أثر نطال عجيبنا منه ثم وصلنا من جبل لبنان الي مدينة بعليك وهي حسنة قديمة من أطيب مدن الشام تحديقها البساتين الشريفة والجنات المنيفة وتحترق أرضها الانهار الجارية وتضاهي دمشق في خيراتها المتناهية وبها من حب الملوك ما ليس في سواها وبها يصنع الدبس المنسوب اليها وهو نوع من الرب يصنعونه من المنب ولهم تربة يضعونها فيه فيجمدو تكسر القالة التي يكون بها فيبقى قطعة واحدة وتصنع منه الحلواء ويجعل فيه الفستق واللوز ويسمون حلواء بالمابن ويسمون بها أيضا بجلد الفرس وهي كثيرة الابان وتجلب منها الي دمشق ويذهبها مسيرة يوم للمجد وأما الرفاق فيخرجون من بعليك فيبيتون ببلدة صغيرة تعرف بالزبداني كثيرة الفواكه ويندون منها الي دمشق ويصنع بعليك اثياب المنسوبة اليها من الالام وغديره ويصنع بها أواني الخشب وملاعقها التي لا نظير لها في البلاد وهم يسمون الصحف بالدسوت وربما صنعوا الصحف وصنعوا صحفة أخرى تسع في جوفها وأخرى في جوفها الي ان يناموا العشرة فيخيل لرائيها انها صحفة واحدة وكذلك الملاعق يصنعون نهاعشرة واحدة في جوف واحدة ويصنعون لها غشاء من جلد ويمسكها الرجل في يذامه واذا حضر طعاما مع أصحابه أخرجه فلا فيظن رائيه انها مائة واحدة ثم يخرج من جوفها تسعة وكان دخول بعليك عشية النهار وخرجت منها بلدول فرط اشتياقي الي دمشق ووصلت يوم الخميس التاسع من شهر رمضان المعظم عام ستة وعشرين الي مدينة دمشق الشام فزات منها بمدرسة الملكة المعروفة بانشر ابشية ودمشق هي التي تفضل بيع البلاد حسنا وتتقدمها جلا ولا وصف وان طال فهو قاصر عن محاسنها ولا أدع ممات قاله أبو الحسين ابن جبير رحمه الله تعالى في ذكرها قال وأما دمشق فهي جنة المشرق ومطلع نورها المشرق وخاتمة بلاد الاسلام التي استقريناها وعروس المدن التي اجتليناها قد تحلت بازاهير الرياحين وتجت في حالي سندسية من البساتين وحلت من موضع الحسن بالمكان المكين وتزينت في منصفها أجمل تزيين وتشرفت بأن آوى المسيح عليه السلام وأمه منها الي ربوة ذات قرار ومعين ظل ظليل وماء سلسيل تناسب

مذاذيه انسياب الارقام بكل سبيل ورياض يحجي النفوس نسيمة العليل تتبرج لناظرها
 بمجئتي صقيل وتناديهم هاموا الي معرس لاحسن ومقيل وقد شمت أرضها كثرة
 الماء حتى اشتاقت الي الظماء فتكاد تناديك بها الصم الصلاب أركض برجلك هذا
 مغتسل بارد وشراب وقد أحقت البساتين بها احداق الهالة بالقمر والاكام بالثمر
 وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر وكل موضع لحظت بجهاها الاربع
 فضرته اليانعة قيد البصر ولله صدق القائلين عنها ان كانت الجنة في الارض فدمشق
 لاشك فيها وان كانت في السماء فهي تساميهاتخاذها قال ابن جزى وقد نظم بعض
 شعرائهم في هذا المعنى فقال

ان تكن جنة الخلود بأرض * فدمشق ولا تكون سواها
 أو تكن في السماء فهي عليها * قد أبدت هواءها وهواها
 بلد طيب ورب غفور * فاغتمها عشية ونحاهها

وذكر شيخنا المحدث الرحال شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جابر بن حسان التيسري
 الوادي أشي نزيل تونس ونص كلام ابن جبير ثم قال ولقد أحسن فيما وصف منها وأجاد
 وتوق الأنفس للتطاع على صورتها بما أفاد هذا وان لم تكن له بها اقامه فيعرب عنها
 بحقيقة علامه ولا وصف ذهيبات أصيائها وقد حان من الشمس غروبها ولا زمان
 جفولها المتنوعات ولا أوقات سرورها المنبهات وقد اختص من قال الفيتهم كما تصف
 الألسن وفيها ما تشبهه الأنفس وتلذ الأعين قال ابن جزى والذي قالته الشعراء في
 وصف محاسن دمشق لا يحصر كثرة وكان والذي رحمه الله كثيرا ما ينشد في وصفها هذه
 الابيات وهي لشرف الدين بن محسن رحمه الله تعالى

دمشق بناشوق اليها مبرح * وان لج واش أو ألح عذول
 بلاد بها الحصباء دروتربها * عير وأنقاس الشمال شمول
 تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق * وصح نسيم الروض وهو عليل

وهذا من النظم العالي من الشعر وقال فيها عروة الدمشقي الكلابي (كامل)

الشام شامة وجنة الدنيا كما * انسان مقلتها الغضيفة جلق
من آسها لك جنة لا تنقذ * ومن الشقيق جهنم لا تحرق

وقال أيضا فيها (بسيط)

اما دمشق فجنات معجلة * لاطالين بها الولدان والخور
ما صاح فيها سلى أوتاره قر * الا يئنه قمرى وشحرور
باحبذا ودروع الماء تنسجها * أنامل الريح الا انها زور

وله فيها أشعار كثيرة سوى ذلك وقال فيها أبو الوحش سبع بن خلف الاسدي (رجز)

سقى دمشق الله غيثا محسنا * من مستهل ديمة دهاقها
مدينة ايس يضاهاى حسنها * في سائر الدنيا ولا آفاقها
تود زورا العراق انها * منها ولا تعزى الى عراقها
فأرضها مثل السما بهجة * وزهرها كالزهر فى اشراقها
نسيم روضها متى ما قدسرى * فكأخا لهموم من وثاقها
قدرت الربيع فى ربوعها * وسيقت الدنيا الى أسواقها
لا تسمام العيون والانوف من * رؤيتها يوما ولا استنشاقها

ومما يناسب هذا للقاضى الفاضل عبد الرحيم اليسانى فيها من قصيدة وقد نسبت أيضا
لابن المنير (كامل)

يا برق هل لك فى احتمال تحية * عذبت فصارت مثل مائك سلسلا
باكر دمشق بمشق اقلام الحيا * زهر الرياض مرصعا ومكلا
واجرد بجيرن ذبولك واختصص * مغنى تآزر بالعلا وتسربلا
حيث الحيا الربيع محلول الحيا * والوايل الرفي مفرى الكلا

وقال فيها أبو الحسن على بن موسى بن سعيد العنسي الغرناطى المدعو نور الدين (بسيط)

دمشق منزلنا حيث النسيم بدا * مكمل وهو فى الآفاق مختصر
القصب راقصة والطير صادحة * والزهر مرتفع والماء منحدر

وقد تجلت من الازدات أوجهها * لكنها بظلال الدوح تستتر
وكل وادبه موسى يفجره * وكل روض على حافته الحضر

وقال أيضا فيها (بسيط)

خيم بجاق بين الكأس والوتر * في جنة هي ملء السمع والبصر
ومتع الطرف في مرأى محاسنه * وروض السكر بين الروض والنهر
وانظر الى ذهيات الاصيل بها * واسمع الى نعمات الطير في الشجر
وقل لمن لام في لذاته بشرا * دعني فانك عندي من سوى البشر

وقال فيها أيضا (كامل)

أما دمشق فجنة * ينسي بها الوطن الغريب
لله أيام السبو * تبها ومنظرها العجيب
انظر بعينك هل تري * الا محبا أو حبيب
في موطن غنى الحما * مبه على رقص القضيب
رغدت ازاهر روضه * تحتال في فرح وطيب

وأهل دمشق لا يعملون يوم السبت عملا انما يخرجون الى المنزهات وشطوط الانهار
ودوحات الاشجار بين البساتين النظيرة والمياه الجارية فيكونون بها يومهم -م الى الليل وقد

طال بنا الكلام في محاسن دمشق فلنرجع الى كلام الشيخ ابي عبد الله

«ذكر جامع دمشق المعروف بجامع بني أمية»

وهو أعظم مساجد الدنيا احتفالا وأتقن اصناعة وابدها حسنا وبهجة وكالا ولا يعلم له
نظير ولا يوجد له شبيه وكان الذي تولى بناءه واتفقانه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن
مروان ووجه الى ملك الروم بقسطنطينية يأمره ان يبعث اليه الصناع فبعث اليه اثني عشر
الف صانع وكان موضع المسجد كنيسة فاما افتتح المسلمون دمشق دخل خالد بن الوليد
رضي الله عنه من احدى جهاتها بالسيف فاتمهي الى نصف الكنيسة ودخل أبو عبيدة بن
الجراح رضي الله عنه من الجهة الغربية صلحها فاتمهي الى نصف الكنيسة فصنع المسلمون

من نصف الكنيسة الذي دخلوه عنوة ومسجد آو بقي النصف الذي صالحوا عليه كنيسة فلما عزم الوليد على زيادة الكنيسة في المسجد طلب من الروم ان يبيعوا منه كنيسة لهم تلك بمساواة امن عوض فأبوا عليه فانتزعها من أيديهم وكانوا يزعمون ان الذي يهدمها يحزن فذكروا ذلك للوليد فقال انا اول من يحزن في سبيل الله وأخذ الفأس وجعل يهدم بنفسه فلما رأى المسلمون ذلك تابعوا على الهدم وأكذبوا زعم الروم وزين هذا المسجد بفصوص الذهب المعروفة بالنسيفساء تخاطبها أنواع الاصبغة الغربية الحسن وذرع المسجد في الطول من الشرق الى الغرب مائة خطوة وهي ثلاثمائة ذراع وعرضه من القبلة الى الجوف مائة وخمس وثلاثون خطوة وهي مائة ذراع وعدد شمعات الزجاج الملونة التي في دار ربع وسبعون وبلاطه ثلاثة مستطيلة من شرق الى غرب سبعة كل بلاط منها ثمان عشرة خطوة وقد قامت على أربع وخمسين سارية وثماني أرجل جصية تحللها وست أرجل مرخمة مرصعة بالرخام الملون قد صور فيها اشكال محاريب وسواها وهي مثل قبة الرصاص التي امام المحراب المسماة بقبة النسر كأنهم شبهوا المسجد بنسرا طائر او الة رأسه وهي من أعجب مباني الدنيا ومن أي جهة استقبلت المدينة بدت لاث قبة النسر ذاهبة في الهواء منيفة على جميع مباني البلد وتستدير بالصحن بلاطات ثلاثة من جهاته الشرقية والغربية والجوفية سعة كل بلاط منها عشر خطا وبها من السواري ثلاث وثلاثون ومن الارجل أربع عشرة وسعة الصحن مائة ذراع وهو من أجمل المناظر وأتمها حسنا وبها يجتمع أهل المدينة بالمشايخ قاري ومحدث وذاهب ويكون انصرافهم بعد العشاء الاخيرة واذا لقي أحد كبارهم من الفقهاء وسواهم صاحب الدار سرع كل منهما نحو صاحبه وخط رأسه وفي هذا الصحن ثلاث من القباب احداها في غربيه وهي أكبرها وتسمى قبة عائشة أم المؤمنين وهي قائمة على ثمان سواري من الرخام مزخرفة بالفصوص والاصبغة الملونة مسقفة بالرصاص يقال ان ما ان الجامع كان يحتزن بها وذكركلي ان فوائده مستلآت الجامع ومجايبه نحو خمسة وعشرين الف دينار ذهباني كل سنة والقبعة الثانية من شرقي الصحن على هيئة الاخرى الا انها أصغر منها قائمة على ثمان من سواريه

الرخام وتسمى قبة زين العابدين والقبة الثالثة في وسط الصحن وهي صغيرة مشعنة من
 رخام عجيب محكم الاصاق قائمة على أربع سوارى من الرخام الناصع وتحتها شبك حديد
 في وسطه أبواب نحاس يفتح الماء الى علو فيرتفع ثم ينثنى كأنه قضيب لجين وهم يسمونه
 قفص الماء ويستحسن الناس وضع افواههم فيه لا شرب وفي الجانب الشرقي من الصحن
 باب يفتى الى مسجد بديع الوضع يسمى مشهد على بن أبي طالب رضي الله عنه ويقال له من
 الجهة الغربية حيث يلتقي البلاطان الثربي والجوفي موضع يقال ان عائشة رضي الله عنها
 سمعت الحديث هناك وفي قبلة المسجد المقصورة العظمى التي يؤم فيها امام الشافعية وفي
 الركن الشرقي منها ازاء المحراب خزانة كبيرة فيها المصحف الكريم الذي وجهه أمير
 المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه الى الشام وتفتح تلك الخزانة كل يوم جمعة بعد الصلاة
 فيزدحم الناس على اتم ذلك المصحف الكريم وهناك يحلف الناس غرماء دم ومن ادعوا
 حاشاه شيئاً وعن يسار المقصورة محراب الصحابة ويذكر أهل التاريخ انه اول محراب وضع
 في الاسلام وفيه يؤم امام المالكية وعن يمين المقصورة محراب الخفية وفيه يؤم امامهم
 ويليه محراب الخنابلة وفيه يؤم امامهم ولهذا المسجد ثلاث صوامع احداها بشارقية وهي
 من بناء الروم وبابها داخل المسجد وباسفها مطهرة وبيوت للوضوء يغتسل فيها
 المعتكفون والماترمون للمسجد ويتوضؤون والصومعة الثانية بغربية وهي أيضا من بناء
 الروم والصومعة الثالثة بشماله وهي من بناء المسلمين وعدد المؤمنين به سبعون مؤذنا وفي
 شرقي المسجد مقصورة كبيرة فيها صهريج ماء وهي لطائفة الزياعة السودانية وفي وسط
 المسجد قبر زكريا عليه السلام وعليه تابوت معترض بين اسطواناتين مكسوة بثوب حرير
 اسود مع لم فيه مكتوب بالايض (يا زكريا اننا نبشرك بغلام اسمه يحيى) وهذا المسجد
 شهر الفضل وقرأت في فضائل دمشق عن سفيان الثوري ان الصلاة في مسجد دمشق
 ثلاثين ألف صلاة وفي الاثر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يعبد الله فيه بعد خراب
 الدنيا أربعين سنة ويقال ان الجدار القبلي منه وضعه نبي الله هو ود عليه السلام وان قبره به
 وقد رأيت على مقربة من مدينة ظفار اليمن بموضع يقال له الاحفاف بنية فيها قبر مكتوب

عليه هذا قبر هود بن عابر صلى الله عليه وسلم ومن فضائل هذا المسجد انه لا يخلو عن قراءة القرآن والصلاة الا قليلا من الزمان كما سئذ ذكره والناس يجتمعون به كل يوم اثر صلاة الصبح فيقرؤون سبعا من القرآن ويجتمعون بعد صلاة العصر لقراءة تسحى الكوثرية يقرؤون فيها من سورة الكوثر الى آخر القرآن ويجمعون على هذه القراءة مرتبات تجرى لهم وهم نحو ستائة انسان ويدور عليهم كاتب الغيبة فمن غاب منهم قطع له عند دفع المرتب بقدر نذيره وفي هذا المسجد جماعة كثيرة من المجاورين لا يخرجون منه مقبلون على الصلاة والقراءة والذكر لا يفترون عن ذلك ويتوضئون من المطاسر التي بداخل الصومعة الشرقية التي ذكرناها وأهل البلد يعينونهم بالمعاعم والملابس من غير أن يسألوهم شيئا من ذلك وفي هذا المسجد أربعة أبواب باب قبلي يعرف بباب الزيادة وباعلاء قطعة من الرمح الذي كانت فيه راية خالد بن الوليد رضي الله عنه ولهذا الباب دهايز كبير متسع فيه حوانيت السقاطين وغيرهم ومنه يذهب الى دار الخيل وعن يسار الخارج منه سماط الدفارين وهي سوق عظيمة تمتد مع جدار المسجد اقبلي من أحسن اسواق دمشق وبموضع هذه السوق كانت دار معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ودور قومه وكانت تسمى الخضراء فهدمها بنو العباس رضي الله عنهم وصار مكانها سوقا وباب شرقي وهو أعظم أبواب المسجد ويسمى بباب جيرون وله دهايز عظيم يخرج منه الى بلاط عظيم طويل امامه خمسة أبواب لها ستة أعمدة طوال وفي جهة اليسار منه مشهد عظيم كان فيه رأس الحسين رضي الله عنه وبازائه مسجد صغير ينسب الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وبه ما جاور وقد اتظمت امام البلاط درج ينحدر فيها الى الدهايز وهو كالخندق العظيم يتصل بباب عظيم الارتفاع تحته اعمدة كالجدوع طوال ويجاني هذا الدهايز اعمدة قد قامت عليها شوارع مستديرة فيها دكاكين البزازين وغيرهم وعليها شوارع مستطيلة فيها حوانيت الجوهريين والكتبيين وصناع أواني الزجاج العجيبة وفي الرحبة المتصلة بالباب الاول دكاكين لكبار الشهود منها دكانان للشافعية وسائر اصحاب المذاهب يكون في

ان كان منها الخمسة والستة من العدول والعاقلة لانكحة من قبل القاضي وسائر الشهود
 مفترقون في المدينة وبمقربة من هذه الدكاكين سوق الوراقين الذين يبيعون الكاغد
 والاقلام والمداد وفي وسط الدهليز المذكور حوض من الرخام كبير مستدير خلية قبة
 لا سقف لها تقام اعمدة رخام وفي وسط الحوض أبواب نحاس يزعج الماء بقوة فيرتفع
 في الهواء ازيد من قامة الانسان يسمونه الفوارة منظره عجيب وعن يمين الخارج من باب
 جيرون وهو باب الساعات غرفة لها هيئة طاق كبير فيه طيقان صغار مفتحة لها أبواب
 على عدد ساعات النهار والاياب مصبوغ باطنها بالخضرة وظاهرها بالصفرة فاذا ذهبت
 ساعة من النهار انقلب الباطن الاخضر ظاهرا والظاهر الاصفر باطنا ويقال ان بداخل
 الغرفة من يتولى اهبائها يده عند مضي الساعات والباب الغربي يعرف بباب البريد وعن
 يمين الخارج منه مدرسة الشافعية وله دهليز فيه حوانيت للشماعين وسماط لبيع الفواكه
 وباعلاد باب بسعد اليه في درج له اعمدة سامية في الهواء وتحت الدرج ستايتان عن يمين
 وشمال مستديرتان والباب الجنوبي يعرف بباب النطغانين وله دهيز عظيم وعن يمين
 الخارج منه خانقا تعرف بالشميعانية في وسطها صهريج ماء ولها مطاهر يجري فيها الماء
 ويقال انها كانت دار عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وعلى كل باب من أبواب المسجد
 الاربعة دار وضوء يكون فيها نحو مائة بيت تجري فيها المياه الكثيرة

﴿ذكر الائمة بهذا المسجد﴾

وامتته ثلاثة عشر اماما اولهم امام الشافعية وكان في عهد دخولي اليها امامهم قاضي القضاة
 جلال الدين محمد بن عبد الرحمن التزويني من كبار الفقهاء وهو الخطيب بالمسجد وسكنه
 بدار الخطابة ويخرج من باب الحديد ازاء المقصورة وهو الباب ادى كان يخرج منه معاوية
 رضي الله عنه وقت تولى جلال الدين بعد ذلك قضاء القضاة بالديار المصرية بعد ان ادى عنه
 الملك الناصر نحو مائة الف درهم كانت عليه ديناً بدمشق واذا سلم امام الشافعية من صلاته
 اقام الصلاة امام مشهد علي ثم امام مشهد الحسين ثم امام الكلاسة ثم امام مشهد ابي بكر ثم
 امام مشهد عمر ثم امام مشهد عثمان رضي الله عنهم اجمعين ثم امام المسالكية وكان امامهم

في عهد دخولي اليها الفقيه أبو عمر بن أبي الوليد بن الحاج التجيبي القرطبي الاصل
الغرناطي المولد نزيل دمشق وهو يتناوب الامامة مع أخيه رحمهما الله ثم امام الحنفية
وكان امامهم في عهد دخولي اليها الفقيه عماد الدين الحنفي المعروف بابن الرومي وهو من
كبار الصوفية وله شياخة الخانقاه الخاتونية وله أيضا خانقاه بالشرف الاعلى ثم امام الخنابلة
وكان في ذلك العهد الشيخ عبد الله الكفيف أحد سيوخ القراءة بدمشق ثم بعد هؤلاء
خمسائة لقضاء الفوائت فلا تزال الصلاة في هذا المسجد من أول النهار الى ثلث الليل
وكذلك قراءة القرآن وهذا من مفاخر هذا الجامع المبارك

﴿ ذكر المدرسين والمعلمين به ﴾

ولهذا المسجد حائقات التدريس في قنون العلم والحدثون يقرؤون كتب الحديث على
كراسي مرتفعة وقراء القرآن يقرؤون بالاصوات الحسنة صباحا ومساء وبه جماعة من
المعلمين لكتاب الله يستند كل واحد منهم الى سارية من سوارى المسجد يلقن الصبيان
ويقرئهم وهم لا يكتبون القرآن في الاواح تنزيها لكتاب الله تعالى وانما يقرؤون القرآن
تلقينا ومعلم الخط غير معلم القرآن يعلمهم بكتب الاشعار وسواها فينصرف الصبي من
التعليم الى التكتيب وبذلك جاد خطه لان المعلم لا يخط لا يعلم غيره ومن المدرسين بالمسجد
المذكور العالم الصالح زهران الدين بن الفركح الشافعي ومنهم العالم الصالح نور الدين أبو
اليسر بن الصائغ من المشتهرين بالفضل والصلاح وذلك الى قضاء بمصر جلال الدين
القزويني وجهه الى أبي اليسر الخامة والامر بقضاء دمشق فامنع من ذلك ومنهم الامام
العالم شهاب الدين بن جويل من كبار العلماء هرب من دمشق لما امتنع أبو اليسر من
قضائها خوفا من ان يقلد القضاء فاتصل بذلك بالملك الناصر فولى قضاء دمشق شيخ
السيوخ بالديار المصرية قطب العارفين لسان المتكلمين علاء الدين القونوي وهو من
كبار الفقهاء ومنهم الامام الفاضل بدر الدين علي السخاوي المالكي رحمة الله
عليهم أجمعين

﴿ ذكر قضاء دمشق ﴾

قد ذكرنا قاضي القضاة الشافعي بها جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني وأما قاضي المالكية فهو شرف الدين بن خطيب الفيوم حسن الصورة والهيئة من كبار الرؤساء وهو شيخ شيوخ الصوفية والنائب عنه في القضاة شمس الدين بن القفصى ومجلس حكمه بالمدرسة الصمصامية وأما قاضي قضاة الحنفية فهو عماد الدين الحوراني وكان شديد السطوة واليه يتحاكم النساء وأزواجهن وكان الرجل إذا سمع اسم القاضي الحنفي أنصف من نفسه قبل الوصول إليه وأما قاضي الحنابلة فهو الإمام الصالح عز الدين بن مسلم من خيار القضاة ينصرف على حمارة ومات بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً لما توجه للحجاز الشريف

﴿حكاية﴾

وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين بن تيمية كبير الشام يتكلم في الفنون إلا أن في عقله شياً وكان أهل دمشق يعظمونه أشد التعظيم ويعظمهم على المنبر وتكلم مرة بأمراء أنكره الفقهاء ورفعوه إلى الملك الناصر فأمر بأمره فخاصه إلى القاهرة وجمع القضاة والفقهاء بمجلس الملك الناصر وتكلم شرف الدين الزواوي المالكي وقال إن هذا الرجل قال كذا وكذا وعد ما أنكر على ابن تيمية وأحضر العقود بذلك ووضعها بين يدي قاضي القضاة وقال قاضي القضاة لابن تيمية ما تقول قال لا إله إلا الله فاعاد عليه فأجاب بمثل قوله فأمر الملك الناصر بسجنه فسجن أعواماً وصنف في السجن كتاباً في تفسير القرآن سماه بالبحر المحيط في نحو أربعين مجلداً ثم إن أمه تعرضت للملك الناصر وشكت إليه فأمر بإطلاقه إلى أن وقع منه مثل ذلك ثانية وكنت إذ ذاك بدمشق فحضرت يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم فكان من جملة كلامه أن قال إن الله ينزل إلى سما الدنيا كنزولي هذا ونزل درجة من درج المنبر فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء وأنكر ما تكلم به فقامت العامة إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والأعمال ضرباً كثيراً حتى سقطت عمامته وظهر على رأسه شاشية حرير فأنكر وأعليه لباسها واحتملوه إلى دار عز الدين بن مسلم قاضي الحنابلة فأمر بسجنه وعززه بعد ذلك فأنكر فقهاء المالكية والشافعية ما كان من تعزيره ورفعوا الأمر إلى ملك الأمراء سيف الدين

تسكين وكان من خيار الامراء وصلاحاتهم فكتب الى الملك الناصر بذلك وكتب عقدا شرعيا على ابن تيمية بامور منكرة منها ان المطلق بالثلاث في كلمة واحدة لا تلزمه الا طلقة واحدة ومنها المسافر الذي ينوي سفره زيارة القبر الشريف زاده الله طيبا لا يقصر الصلاة وسوى ذلك مما يشبهه وبعث العقد الى الملك الناصر فامر بسجن ابن تيمية بالقلمة فسجن بها حتى مات في السجن

﴿ذكر مدارس دمشق﴾

اعلم ان لشافعية بدمشق جملة من المدارس اعظمها العادلية وبها يحكم قاضي القضاة وتقابلها المدرسة الظاهرية وبها قبر الملك الظاهر وبها جلوس نواب القاضي ومن نوابه نجر الدين القبطي كان والده من كتاب القبط وأسلم ومنهم جمال الدين بن جملة وقد تولى قضاء قضاة الشافعية بعد ذلك وعزل لامرأ أو جب عزله

﴿حكاية﴾

كان بدمشق الشيخ الصالح ظهير الدين العجمي وكان ينف الدين تسكين ملك الامراء يتلمذ له ويعظمه فحضر يوما بدار العدل عند ملك الامراء وحضر القضاة الاربعة فحكي قاضي القضاة جمال الدين بن جملة حكاية فقال له ظهير الدين كذبت فأنت القاضي من ذلك وامتعض له فقال الامير كيف يكذبني بحضرتك فقال له الامير احكم عليه وسلمه اليه وظنه انه رضي بذلك فلا يتاله بسوء فأحضره القاضي بالمدرسة العادلية وضر به مائتي سوط وطيف به على حمار في مدينة دمشق ومنادين ادى عليه فتى فرغ من نداءه ضربه على ظهره ضربة وهكذا العادة عندهم فبلغ ذلك ملك الامراء فأنكره أشد الانكار وأحضر القضاة والفقهاء فأجمعوا على خطا القاضي وحكمه بغير مذهب فان التعزير عند الشافعي لا يبلغ به الحد وقال قاضي القضاة المالكية شرف الدين قد حكمت بتفسيقه فكتب الى انلك الناصر بذلك فعزله وللاحنفية مدارس كثيرة وأكبرها مدرسة السلطان نور الدين وبها يحكم قاضي قضاة الحنفية والمالكية بدمشق ثلاث مدارس احدها الصمصامية وبها سكن قاضي القضاة المالكية وقعوده الاحكام والمدرسة التورية عمرها

السلطان نور الدين محمود بن زنكي والمدرسة الشراشية عمرها شهاب الدين الشراشبي
التاخر وللحنابلة مدارس كثيرة اعظمها المدرسة النجمية

﴿ذكر أبواب دمشق﴾

ولمدينة دمشق ثمانية أبواب منها باب الفراديس ومنها باب الحايية ومنها الباب الصغير
وفيها بين هذين البابين مقبرة فيها العمد والجميع من الصحابة والشهداء فمن بعدهم قال محمد
ابن جزي لقد أحسن بعض المتأخرين من أهل دمشق في قوائمه

دمشق في أوصافها * جنة خلد راضيه

أما ترى أبوابها * قد جعلت ثمانية

﴿ذكر بعض المشاهد والمزارات بها﴾

فمنها بالمقبرة التي بين البابين باب الحايية والباب الصغير قبر أم حبيبة بنت أبي سفيان أم
المؤمنين وقبر أخيها أمير المؤمنين معاوية وقبر بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورضى الله عنهم أجمعين وقبر أويس القرني وقبر كعب الاحبار رضى الله عنهم ما وجدت
في كتاب المعلم في شرح صحيح مسلم للقرطبي ان جماعة من الصحابة صحبهم أويس القرني
من المدينة الى الشام فتوفي في أثناء الطريق في بركة لا عمارة فيها ولا ماء فتحيروا في أمره
فقتلوا فوجاً واحداً وكفناوا ما فجعوا من ذلك وغسلوه وكفنوه وصاوا عنقه
ودفنوه ثم ركبوا فقال بعضهم كيف نترك قبره بغير علامة فمادوا له ووضع فلم يجدوا القبر
من أثر قال ابن جزي ويقال ان أويسا قتل بصفين مع علي عليه السلام وهو الأصح ان شاء
الله ويلي باب الحايية باب شرقي عنده جبانة فيها قبر أبي بن أمية صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفيها قبر العابد الصالح رسلان المروفي بالباز الاشهب

﴿حكاية في سبب تسميته بذلك﴾

يحكى أن الشيخ الولي أحمد الرفاعي رضي الله عنه كان مسكنه بام عبيدة بمقربة من مدينة
واسط وكانت بين ولي الله تعالى أبي مدين شعيب بن الحسين وبينه مؤاخاة ومراسلة
ويقال ان كل واحد منهما كان يسلم على صاحبه باحاً ومساء فيرد عليه الآخر وكانت

لاشيخ أحمد نخيلات عند زاويته فلما كان في إحدى السنين جذها على عادته وترك تذقا
 منها وقال هذا برسم أخي شعيب فحج الشيخ أبو مدين تلك السنة واجتمعوا بالموقف الكريم
 بعرفة ومع الشيخ أحمد خديعة رسلان فتفاوضا الكلام وحكي الشيخ حكاية العذق فقال
 بهرسلان عن أمرك ياسيدي آتية به فأذن له فذهب من حينه وأتاه به ووضع بين أيديهما
 فأخبر أهل الزاوية أنهم رأوا عشيية يوم عرفة بازاء شهب تدانقض على النخلة فقطع
 ذلك العذق وذهب به في الهواء وبغري دمشق جبانة تعرف بقبور الشهداء فيها قبر أبي
 الدرداء وزوجة أم الدرداء وقبر فضالة بن عبيد وقبر وائلة بن الاسقع وقبر سهل بن
 حنظلة من الذين ناضوا تحت الشجرة رضى الله عنهم أجمعين وبقرة تعرف بالبيضة شرق
 دمشق وعلى أربعة أميال منها قبر سعد بن عباد رضى الله عنه وعليه مسجد صغير حسن
 البناء وعلى رأسه حجر فيه مكتوب هذا قبر سعد بن عباد رأس الخنزرج صاحب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم تسليما وبقرية قبلى البلد وعلى فرسخ منها شهاد أم كلثوم بنت علي بن
 أبي طالب من فاطمة عليهم السلام ويقال ان اسمها زينب وكنىها النبي صلى الله عليه وسلم
 أم كلثوم نسبها بنحو أنها أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه مسجد كبير
 وحوله مساكن وله أوقاف ويسميه أهل دمشق قبر الست أم كلثوم وقبر آخر يقال انه قبر
 سكينه بنت الحسين بن علي عليه السلام وبجامع الزيرب من قري دمشق في بيت بشريه قبر
 يقال انه قبر أم مريم عليها السلام وبقرية تعرف بداريا غربي البلد وعلى أربعة أميال منها
 قبر أبي مسلم الخولاني وقبر أبي سليمان الداراني رضى الله عنهما ومن مشاهد دمشق
 الشهيرة البركة مسجد الأقدام وهو في قبلى دمشق على ميابن منها على قارعة الطريق
 الأعظم الآخذ الى الحجاز الشريف والبيت المقدس وديار مصر وهو مسجد عظيم
 كثير البركة وله أوقاف كثيرة ويعظمه أهل دمشق تعظيما شديدا والأقدام التي ينسب اليها
 هي أقدام مصورة في حجر هنالك يقال انها أثر قدم موسى عليه السلام وفي هذا المسجد
 بيت صغير فيه حجر مكتوب عليه كان بعض الصالحين يرى المصطفى صلى الله عليه وسلم في
 النوم فيقول له ههنا قبر أخي موسى عليه السلام وبمقبرة من هذا المسجد على الطريق

• موضع يعرف بالكشيب الاحمر وبمقربة من بيت المقدس وأريحاء موضع يعرف أيضاً
بالكشيب الاحمر تعظمه اليهود (حكاية)

شاهدت أيام الطاعون الأعظم بدمشق في أواخر شهر ربيع الثاني سنة تسع وأربعين من
تعظيم أهل دمشق لهذا المسجد ما يعجب منه وهو أن ملك الأمراء نائب السلطان أرغون
شده أمر منادياً ينادي بدمشق أن يصوم الناس ثلاثة أيام ولا يضبغ أحد بالسوق ما يؤكل
نهاراً أو أكثر اثنا عشر يوماً بالعمامة التي يصنع بالسوق فصام الناس ثلاثة أيام متوالية
كان آخرها يوم الخميس ثم اجتمع الأمراء والشرفاء والنقضاء والعقهاء وسائر الطبقات على
احتفالها في الجوامع حتى غص بهم وباتوا ليلة الجمعة به ما بين مصلي وذاكر ثم صلوا
المسبح وخرجوا جميعاً على أقدامهم وبأيديهم المنصاحف والأمراء حفاة وخرج جميع
أهل البلد كوراً أو ناعماً أو كباراً أو خراج اليهود بتوراتهم والصغارى بأنجيلهم ومعهم
النساء والبرادار وجميعهم باكون مضرعون متوسلون إلى الله بكتبته وأنبيائه وقصدوا
مسجد الأقدام وأقاموا به في تضرعهم ودعائهم إلى قرب الزوال وعادوا إلى البلد ففصلوا
الجمعة وختم الله تعالى عنهم ما انتهى عدد الموتى إلى اثنين في اليوم الواحد وقد انتهى
عدد بانه هرقة مصر إلى أربعة عشرين ألفاً في يوم واحد وبالباب الشرقي من دمشق
منار فيضاء يقال لها التي ينزل عيسى دايه السلام عند احتسابها ورد في صحيح مسلم

(ذكر أرباض دمشق)

وندور بدمشق من جهاتها ما عندا الشرقية أرباض نسيحة الساحات دواخلها أمانح من
داخل دمشق لأجل الضيق الذي في سككها بالحديقة الشمالية، ثم أرباض الصالحية وهي
مدينة عظيمة طاسرق لا نظير لحسنه وفيها مسجد جامع ومارستان وبها مدرسة تعرف
بمدرسة ابن عمر موقوفة على من أراد أن يتعلم القرآن الكريم من الشيوخ والكهول
وتجري لهم ولمن يعاينهم كفايتهم من المال وكل والملابس ويدخل البلد أيضاً مدرسة مثل
هذه تعرف بمدرسة ابن منجا وأهل الصالحية كلهم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل
رضي الله عنه (ذكر قاسيون ومشاهد الأباركة)

وقاسيون جبل في شمال دمشق والصالحية في سفحه وهو شهر البركة لانه مصعد الانبياء عليهم السلام ومن مشاهد الكريمة الغار الذي ولد فيه ابراهيم الخليل عليه السلام وهو غار مستطيل ضيق عليه مسجد كبير وله سومة عالية ومن ذلك الغار رأى الكوكب والقمر والشمس حسبما ورد في الكتاب العزيز وفي ظهر الغار مقامه الذي كان يخرج اليه وقد رأيت بيلاذ العراق قرية تعرف ببرص (بضم الباء الموحدة وآخرها صادمهمل) ما بين الحلة وبغداد يقال ان مولدا ابراهيم عليه السلام كان بها وهي بمقربة من بلد ذي الكفل عليه السلام وسها قبره ومن مشاهدته بالقرب منه مغارة الدم وفوقها الجبل دمها يسل بن آدم عليه السلام وقد أبقى الله منه في الحجارة أثر احمر او هو الموضع الذي قتله اخوته واجترأ الي المغارة ويذكر ان تلك المغارة صلى فيها ابراهيم وموسى وعيسى وأيوب ولوط صلى الله عليهم أجمعين وعليهم مسجد متقن البناء يصعد اليه على درج وفيه بيوت ومرافق للسكنى ويفتح في كل يوم اثنين وخميس والشمع والسررج توقد في المغارة ومنها كمف بأعلى الجبل ينسب لآدم عليه السلام وعاليه بناء وأسفل منه مغارة تعرف بمغارة الجوع يذكر انه آوى اليه اسجدون من الانبياء عليهم السلام وكان عندهم رغيظ فلم يزل يدور عليهم وكل منهم يثرى صاحبه به حتى ماتوا جميعا صلى الله عليهم وعلى هذه المغارة مسجد مبني والسرج تقده ايلادونها را ولكل مسجد من هذه المساجد أوقاف كثيرة معينة ويذكر ان فيما بين باب الفراديس وجامع قاسيون مدفن سبع مائة نبي وبعضهم يقول سبعين ألفا وخارج المدينة المقبرة العتيقة وهي مدفن الانبياء والصالحين وفي صرفها تماثيل البساتين أرض منخفضة غاب عليها الماء يقال انها مدفن سبعين نبيا وقد عادت قرارا لاما ونزهت من ان يدفن فيها أحد

﴿ ذكر الربوة والقرى التي تواليها ﴾

وفي آخر جبل قاسيون الربوة المباركة المذكورة في كتاب الله ذات القرار والمعين ومأوى المسيح عيسى وأمه عليهم السلام وهي من أجمل مناظر الدنيا ومنزهاتها ربها القصور المشيدة والمباني الشريفة والبساتين البديعة والمأوى المبارك مغارة صغيرة في وسطها

كالبيت الصغير وازاءها بيت يقال انه مصلى الخضر عليه السلام يبادر الناس الى الصلاة
 فيها ولما رى باب حديد صغير والمسجد يدور به وله شوارع دائرة وسبعة حكمة ينزل
 لها الماء من علو وينسب في شاذر وان في الجدار يتصل بحوض من رخام ويقع فيه الماء
 ولا نظير له في الدنيا وغرابة الشكل ويقرب ذلك مطاهر للوضوء يجري فيها الماء وهذه
 الربوة المباركة هي رأس بساتين دمشق وبها منابع مياهها وينقسم الماء الخارج منها على
 سبعة أنهار كل نهر أخذ في جهة ويعرف ذلك الموضع بالمقاسم وأكبر هذه الأنهار النهر
 المسمى بتورة وهو يشق تحت الربوة وقد نحت له مجرى في الحجر الصلد كأنها الكبر وربما
 انغمس ذو الجسارة من العوامين في النهر من أعلى الربوة واندفع في الماء حتى يشق مجراه
 ويخرج من أسفل الربوة وهي مخاضرة عظيمة وهذه الربوة تشرف على البساتين الدائرة
 بالبلد ولها من الحسن والسمع مسرح الابصار ما ليس لسواها وتلك الأنهار السبعة تذهب
 في طرق شتى فتعدها العين في حسن اجتماعها واقتراعها واندفاعها وانصبابها وجمال
 الربوة وحسن البناء أعظم من ان يحيط به الوصف بلها الاوقاف الكثيرة من المزارع
 والبساتين والرباع تقام منها وظائفها الامام والمؤذن وانصاره والواردون بأسفل الربوة قرية
 الثير وقد تكاثرت بساتينها وتكاثفت ظلالها وتدنات أشجارها فلا يظهر من بنائها الا
 ماسما ارتناعه ولها حمام ما يحولها جامع بديع مفروش بحنه بفصوص الرخام وفيه سقاية
 ماء رائحة الحسن ومطهرة فيها بيوت عدة يجري فيها الماء وفي القبلي من هذه القرية قرية
 المزنة وتعرف بمزة كلب نسبة الى قبيلة كلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن
 الحاف بن قضاعة وكانت اقضاء الهمة واليه ينسب الامام حافظ الزياجال الدين يوسف
 ابن الزكي الكلبي المزي وكثير واهل من العلماء وهي من أعظم قرى دمشق بها جامع كبير
 عجيب وسقاية مينة وأكثر قرى دمشق فيها الحمامات والمساجد الجامعة والاسواق
 وسكانها كاهل الحاضرة في مناحيهم وفي شرقي البلد قرية تعرف ببيت الالهية وكانت فيها
 كنيسة يقال ان آزر كان نحت فيها الاصنام فيكسرها الخليل عليه السلام ولها الآن مسجد
 جامع بديع مزين بفصوص الرخام الملونة المنظمة باعجب نظام وأزين التمام

﴿ ذكر الاوقاف بدمشق وبعض فضائل أهلها وعوائدهم ﴾

والاوقاف بدمشق لا تحصر أنواعها ومصارفها لكثرتها فمنها أوقاف على العاجزين عن الحج يعطى لمن يحج عن الرجل منهم كنفائته ومنها أوقاف على تجهيز البنات الى أزواجهن وهي الاوقاف لاقدرة لأهلها على تجهيزهن ومنها أوقاف لفكك الاسارى ومنها أوقاف لأبناء السبيل يعطون منها ما يأكلون ويابسون ويستزودون لبلادهم ومنها أوقاف على تعديل الطرقت ورصفها لان أزقة دمشق لكل واحد منها رصيفان في جنبه يمر عليهما المترجلون ويمر الركبان بين ذلك ومنها أوقاف اسوى ذلك من أفعال الخير

﴿ حكاية ﴾

مررت يوماً بموضع أزقة دمشق فرأيت به مملوكاً صغيراً قد سقطت من يده صحيفة من الفخار الصينى وهم يسمونها الصحن فتكسرت واجتمع عليه الناس فقال له بعضهم اجمع شقفها واحملها ملكاً صاحب أوقاف الاوانى فجمعها وذهب الرجل معه اليه فأراد اياها فدفعت له ما اشترى به مثل ذلك الصحن وهذا من أحسن الاعمال فان سيد الغلام لا بد له ان يخرجه عن كسر الصحن أو ينهره وهو أيضاً ينكسر قلبه ويتغير لاجل ذلك فكان هذا الوقف - بيرا نة تلوب جزى الله خيراً من تسامت همته في الخير الى مثل هذا وأهل دمشق يتنافسون في عمارة المساجد والزوايا والمدارس والمشاهد وهم يحسنون العطن بالمغاربة ويعظمون انبياءهم بالاموال والاهل والاولاد وكل من انقطع بجهة من جهات دمشق لا بد ان يتأتى له وجه من المعاش من اسامة مسجد أو قراءة بمدرسة أو ملازمة مسجد يجي اليه فيه رزقه أو قراءة القرآن أو خدمة شهد من المشاهد المباركة أو يكون كجالة الصوفية بالحرايق تجري له النفقة والكسوة فمن كان بها غريباً على خير لم يزل مصوناً عن بذل وجهه محفو ظاعماً يزرى بالمرءة ومن كان من أهل المهنة والخدمة فله أسباب آخر من حراسة بستان أو أمانة طاحونة أو كفالة صبيان يفسدو معهم الى التعليم ويروح ومن أراد طلب العلم أو التفرغ للعبادة وجد الاعانة التامة على ذلك ومن فضائل أهل دمشق انه لا يفطر أحد منهم في ليالي رمضان وحده البتة فمن كان من الامراء والقضاة والكبراء فانه يدعى أصحابه والفقراء

بسطرون عنده ومن كان من التجار وكبار السوقة صنع مثل ذلك ومن كان من الضعفاء
والبادية فانهم يجتمعون كل ليلة في دار أحدهم أو في مسجد ويأتى كل أحد بما عنده فيفطرون
جميعا ولما وردت دمشق وقعت بيني وبين نور الدين السخاوي مدرس المالكية صحبة
فرغب مني أن أفطر عنده في أياي رمضان فحضرت عنده أربع ليال ثم أصابني الحمى
فخبت عنه فبعث في طابقي فاعتذرت بالمرض فلم يسعني عذرا فرجعت إليه وبث عنده فلما
أردت الانسراف بالغد منعني من ذلك وقال لي احسب داري كأنها دارك أو دار أهلك أو
أخيك وأمر باحضار طيب وان يصنع لي بداره كل ما يشتهي به الطيب من دواء أو غذاء
وانت كنت كذلك عنده الى يوم العيد وحضرت المصلى وشفاني الله تعالى عما أصابني وقد كان
ما شدي من النعمة نفرا فعمل بذلك فاكترى لي جمالا وأعتلوا الزاد وسواه وزادني دراهم
وقال لي تكون الساعةى ان يعتريك من أمر مهم جزاه الله خيرا وكان بدمشق فاضل من
كتاب الملك الناصر يسمى عماد الدين القيصراني من عاداته انه متى سمع ان مغربيا وصل الى
دمشق بحث عنه وأضافه أحسن إليه فان عرف منه الدين والفضل أمره بتلازمته وكان
بلازمه منهم جماعة وعلى هذه الطريقة أيضا كتب السر الفاضل علاء الدين بن عام وجادة
غيره وكان بها فاضل من كبرائها وهو صاحب عز الدين القلانسي له مآثر ومكارم
ونضائل وإثار وهو ذو مال عرض وذكروا ان الملك الناصر لما قدم دمشق أضافه
وجميع أهل دولته ومما يكرهه خواصه ثلاثة أيام فسماء اذذاك بالصاحب * ومما يؤثر من
فسادهم ان أحدهم لو كرم السالفين لما نزل به الموت أو حي ان ينفق بقبلة الجامع المكرم
ويحرق قبره وعين أو قافا عظيمة لقراء يقرؤن سبعاً من القرآن الكريم في كل يوم صلاة
الصبح بالجهة الشرقية من متصوارة الصحابة رضى الله عنهم حيث قبره فصارت قراءة
القرآن على قبره لا تنقطع أبداً وبقي ذلك الرسم الجميل بعده مخلداً ومن عادة أهل دمشق
وسائر تلك البلاد انهم يخرجون بعد صلاة العصر من يوم عرفة فيقفون بمسجد المساجد
كبيت المقدس وجامع بنى أمية وسواها ويقف بهم أئمتهم تاشفى رؤسهم داعين خاضعين
حاشعين ملتزمين البركة ويتوخون الساعة التي يقف فيها وفد الله تعالى وحجاج بيته

بعرفات ولا يزالون في خضوع وودعاء وابتهاال وتوسل الى الله تعالى بحجاج يته الى ان
 تغيب الشمس فينفرون كما ينفر الحاج باكين على ما حرموه من ذلك الموقوف الشريف
 بعرفات داعين الى الله تعالى ان يوصلهم اليها ولا يخليهم من بركة القبول فيما فعلوه ولهم أيضا
 في اتباع الجنائز رتبة عجيبة وذلك انهم يمشون امام الجنائز والقراء يقرؤون القرآن بالأصوات
 الحسنة واللاحين المبكية التي تسكاد انفوس تطير لها رقة وهم يصلون على الجنائز بالنسج
 الجامع قبالة المقصورة فان كان الميت من أئمة الجامع أو مؤذنيه أو خدامه أدخلوه بالقراءة
 الى موضع الصلاة عليه وان كان من سواهم قطعوا القراءة عند باب المدجد ودخلوا
 الجنائز وبعضهم يجتمع له بالسلطان الرئي من الصحن بمقربة من باب البريد فيجاسون
 وامامهم ربعات القرآن يترؤن فيها ويرفعون أصواتهم بالتدء لكل من يصلح للعزاء من
 كبار البلدة وأعيانها ويقولون باسم الله فلان الدين من كمال وجمال وشمس وبدرو غير
 ذلك فاذا أتموا القراءة قام المؤذنون فيقولون افتكروا واعتبروا ولا تكلم على فلان
 الرجل الصالح العالم ويصفونه بصفات من الخير ثم يصلون عليه ويذهبون به الى مدفته
 ولاهل الهند رتبة عجيبة في الجنائز أيضا زائدة على ذلك وهي انهم يجتمعون بروضة الميت
 صبيحة ثلاث من دفنه وتفرش الروضة بالثياب الرقيقة ويكسى القبر بالكسي الفاخرة
 وتوضع حوله الرياحين من الورد والذسرين والياسمين وذلك النوار لا ينقطع عندهم
 ويأتون بأشجار الليمون والأترج ويجعلون فيها حبوبها ان لم تكن فيها ويجعل صيوان يظلل
 الناس نحو دويأتى القضاة والأمراء ومن يماثلهم فيقدحون ويقابلهم التمرأ ويؤتي بالربعات
 الكرام يأخذ كل واحد منهم جزأفاذا تمت القراءة من القراء بالأصوات الحسان يدعى
 القاضي ويقوم قائما يخطب خطبة معدة لذلك ويذكر فيها الميت ويرثيه بأيات شعر
 ويذكر أقاربهم ويعزيهم عنه ويذكر السلطان داعياله وعند ذكر السلطان يقوم الناس
 ويحيطون رؤسهم الى سمت الجهة التي بها السلطان ثم يتعد القاضي ويأتون بماء الورد
 فيصب على الناس صبايتدا بالقاضي ثم من يايه كذلك الى ان يم الناس أجمعين ثم يؤتى
 بأواني السكر وهو الجلاب محلول بالماء فيسقون الناس منه ويبدؤن بالقاضي ومن يليه

هم يؤتي بالتنبول وهم يعظمونه ويكرمونه من يأتي لهم به فإذا أعطي السلطان أحد أمته
فهو أعظم من أعطاء الذهب والخلع وإذامات الميت لمياً كل أهله التنبول الا في ذلك اليوم
فيأخذ القاضى أو من يقوم منامه أو اقامته فيعطىها لولي الميت فيأكلها وينصرفون حينئذ
وسبأني ذكر التنبول ان شاء الله تعالى

فذكر سماعي بدمشق ومن أجازني من أهلها

سمعت بحاجه نبي أمية عمره الله بذكره جميع صحيح الامام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل
الجوفي البجلي رضي الله عنه على الشيخ المعمر رحمة الآفاق ملحق الا صاغر بالا كابر
شهاب الدين أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم بن حسن بن علي بن بيان الدين مقرر الصالح
المعروف باب الشحنة الحجازي في أربعة عشر مجاًساً أولها يوم الثلاثاء منتصف شهر
رمضان المعظم سنة ست وعشرين وسبعمائة وآخرها يوم الاثنين الثامن والعشرين منه
بقراءة الامام الحافظ مؤرخ الشام عبد الله بن أبي محمد انقاسم بن محمد بن وسف البرزالي
الاشبيلي الاصل الدمشقي في جماعة كبيرة كتب أسماهم محمد بن المغيرة بن عبد الله بن
الغزال ثمير بن سماع الشيخ أبي العباس الحجازي جميع الكتاب من الشيخ الامام سراج
الدين أبي عبد الله الحسين بن أبي بكر المبارك بن محمد بن يحيى بن علي بن إسماعيل بن عمران
الريفي البغدادي الزبيدي الحنبلي في آخر شوال وأوائل ذي القعدة من سنة ثلاثين
وسمائة بالحاج المطفري بسفح جبل قاسيون ظاهر دمشق وبأجازته في جميع الكتاب
من الشيخين أبي الحسن محمد بن أحمد بن عمر بن الحسين بن الحافظ القطيبي المؤرخ ودلي بن
أبي بكر بن عبد الله بن روبة القلاسي العطار البغدادي ومن باب غيرة النساء ووجدته
الي آخر الكتاب من أبي السجا عبد الله بن عمر بن علي بن زيد بن أبي الخزامي البغدادي
بسماع أربعهم من الشيخ سديد الدين أبي الوقت عبد الاول بن عيسى بن شعيب بن
ابراهيم السجزي الهروي الصوفي في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ببغداد قال أخبرنا
الامام جمال الاسلام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود بن
أحمد بن معاذ بن سهل بن الحكم الداودي قراءة عليه وأنا أسمع ببوشنج سنة خمس

وستين وأربعمائة قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حوية بن يوسف بن أيمن
 السرخسي قراءة عليه وأنا أسمع في صفر سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة قال أخبرنا عبد الله
 محمد بن يوسف بن مطار بن صالح بن بشر بن إبراهيم الفريزي قراءة عليه وأنا أسمع سنة
 ست عشرة وثلاثمائة بفربر قال أخبرنا الإمام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري رضي
 الله عنه سنة ثمان وأربعين ومائتين بفربر ومرة ثانية بعد هاتين سنة ثلاث وخمسين ومن
 أجازني من أهل دمشق أجازة عامة الشيخ أبو العباس الحجازي المذكور سبق إلى ذلك
 وتلفظ لي به ومنهم الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي
 ومولده في ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وستمائة ومنهم الشيخ الإمام الصالح عبد الرحمن
 ابن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن النحدي ومنهم الإمام الأئمة جمال الدين أبو الحسن
 يوسف بن أنزكي عبد الرحمن بن يوسف المزني الكلبي حافظ الحافظ ومنهم الشيخ
 الإمام علاء الدين علي بن يوسف بن محمد بن عبد الله النافعي والشيخ الإمام الشريف محي
 الدين يحيى بن محمد بن علي الملوي ومنهم الشيخ الإمام المحدث محمد الدين القاسم بن عبد
 الله بن أبي عبد الله بن المعلى الدمشقي ومولده سنة أربع وخمسين وستمائة ومنهم الشيخ
 الإمام العالم شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن فلاح بن محمد الاسكندر ومنهم الشيخ
 الإمام ولي الله تعالى شمس الدين بن عبد الله بن تمام والشيخ خان الإخوان شمس الدين
 محمد وكمال الدين عبد الله ابنا إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي والشيخ المأبد شمس
 الدين محمد بن أبي الزمراء بن سالم الهكاري والشيخ الصالح أم محمد عائشة بنت محمد بن
 مسلم بن سلامة الخراساني والشيخ الصالح رحمة الدين أزياب بنت كمال الدين أحمد بن عبد
 الرحيم بن عبد الواحدين أحمد المقدسي كل هؤلاء أجازني أجازة عامة في سنة ست وعشرين
 بدمشق وثلاثمائة شوال من السنة المذكورة خرج الركب الحجازي إلى خارج دمشق
 ونزلوا القرية المعروفة بالكسوة فأخذت في الحركة معهم وكان أمير الركب سيف الدين
 الجوبان من كبار الأمراء وقاضيه شرف الدين الأذري الخوراني وحج في تلك السنة
 مدرس المالكية صدر الدين الغماري وكان سفري مع طائفة من العرب تدعى العجارمة

أميرهم محمد بن رافع كبير القدر في الأمراء وارتحلنا من الكسوة إلى قرية تعرف بالصنمين
عظيمة ثم ارتحلنا منها إلى بلدة زرعوة وهي صغيرة من بلاد حوران نزلنا بالقرب منها ثم
ارتحلنا إلى مدينة بصرى وهي صغيرة ومن عادة الركبان يقسمها أربعاً إلى حق بهم من
تخلف بدمشق اقضاء ما ربه وإلى بصرى وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعث
في تجارة خديجة وبها مبارك ناقته قد بنى عليه مسجد عظيم ويجتمع أهل حوران لهذه
المدينة ويتزود الحاج منها ثم يرحلون إلى بركة زيرة (زيرا) ويقيمون عليها يوماً ثم يرحلون
إلى الأجران وبها الماء الجاري ثم يرحلون إلى حصن الكرك وهو من أعجب الحصون
وأمنها وأشهرها ويسمى بحصن الغراب والوادي يطيف به من جميع جهاته وله باب
واحد قد نحت المدخل إليه في الحجر الصلد ومدخل دهليزه كذلك وبهذا الحصن يحصن
الملوك واليه ياجئون في النوائب وله لجأ الملك الناصر لأنه ولى الملك وهو صغير السن
فاستوى على التمدد بمملوكه سالاراً نائب عنه فآظمه الملك الناصر أنه يريد الحج وواقفه
الأمراء على ذلك فتوجه إلى الحج فلما وصل عقبه أيلة لجأ إلى الحصن وأقام به أعواماً إلى
أن قصده أمراء الشام واجتمعت عليه الممالكة وكان قد ولى الملك في تلك المدة برس
الشنكري وهو أمير الطما وتسمى بالملك المظفر وهو الذي بنا الخانقاه البيبرسية بمقرنة من
خانقاه سعيد السعداء التي بناها صلاح الدين بن أيوب فقصدده الملك الناصر بالعساكر ففر
يسبرس إلى الصحراء فبعثه العساكر وقبض عليه وأوتى به إلى الملك الناصر فامر بقتله
فقتل وقبض على سالار وحبس في جب حتى مات جوعاً ويقال أنه أكل جيفة من الجوع
نموذ بالله من ذلك وأقام الركبان بخارج الكرك أربعة أيام بموضع يقال له الثانية وتجهزوا
لدخول البرية ثم أرحلنا أي معان وهو آخر بلاد الشام ونزلنا من عقبه الصوان إلى
الصحراء التي يقال فيها إذا خافها مفقود وخارجها مولود وبعد مسيرة يومين نزلنا ذات حج
وهي حسيان لا عمارة بها ثم إلى وادي بلدح ولما به ثم إلى تبوك وهو الموضع الذي
غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها عين ماء كانت تبخر بشيء من الماء فاما نزلها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوضأ منها جادت بالماء المعين ولم نزل إلى هذا العهد

بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عادة حجاج الشام اذا وصلوا منزل تبوك أخذوا اسلحتهم وجردوا سيوفهم وحملوا على المنزل وضربوا النخيل بسيوفهم ويقولون هكذا دخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وينزل الركب العظيم على هذه العين فيروى منها جميعهم وبقية أربعين أيام للراحة وارواء الجمال واستعداد المساء للبرية المخوفة التي بين العلا وتبوك ومن عادة السقائين انهم ينزلون على جوانب هذه العين ولهم أحواض مصنوعة من جلود الجواميس كالصهاريج الضخام يسقون منها الجمال ويملؤن الروايا والقرب ولكل أمير أو كبير حوض يسقى منه جماله وجمال أصحابه ويملأ رواياهم وسواهم من الناس يتفق مع السقائين على سقى جملة وملء قربته بشيء معلوم من الدراهم ثم يرحل الركب من تبوك ويجدون السير ليلا ونهارا خفافا من هذه البرية وفي وسطها الوادي الاخضر كاه وادي جهنم اعادنا الله منها وأصاب الحجاج به في بعض السنين مشقة بسبب ريح السموم التي تهب فانتشفت المياه وانتهت شربة المساء الى ألف دينار ومات مشربها وبائعها وكتب ذلك في بعض صخر الوادي ومن هنالك ينزلون بركة المعظم وهي ضخمة نسبتها الى الملك المعظم من أولاد أيوب ويجمع بياماء المطر في بعض السنين وربما جف في بعضها وفي الخامس من أيام رحيلهم عن تبوك يصلون الى بئر الحجر حجر ثمود وهي كثيرة المساء ولكن لا يردها أحد من الناس مع شدة عطشهم اقتداء بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بها في غزوة تبوك فأسرع براحله وأمر أن لا يسقى منها أحد ومن عجن به أطعمه الجمال وهنالك ديار ثمود في جبال من الصخر الاحمر منحوتة لها عتب منقوشة يظن رائيها انها حديثة الصنعة وعظامهم منحرة في داخل تلك البيوت ان في ذلك لمبرة ومبرك ناقة صالح عليه السلام بين جبلين هنالك وبينهما أثر مسجد يصلى الناس فيه وبين الحجر والملا نصف يوم أو دونه والملاقية كبيرة حسنة لها بساكن النخل والمياه المعينة يقيم بها الحجاج أرباعا يتزودون ويغسلون ثيابهم ويدعون بها ما يكون عندهم من فضلى زاد ويستصحبون قدر الكفاية وأهل هذه القرية أصحاب أمانة واليه ينتهي تجار

فصارى الشام لا يتمدونهم اويبا يعون الحجاج بها الزاد وواد ثم رحل الركب من العلا
فينزلون في غدر حياهم الوادي المعروف بالعطاس وهو شديد الحرارة فيه السموم المهلكة
هبت بعض السنين على الركب فلم يخلص منهم الا اليسير وتعرف تلك السنة سنة الامير
الحاجي ومنه ينزلون هـ ربة وهي حسيان ماء بوادي يحفرون به فيخرج الماء هو زقاق وفي
اليوم الثالث ينزلون بظاهر البلد المقدس الكريم الشريف

﴿طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم﴾

وفي عشي ذلك اليوم دخلنا الحرم الشريف واتهمنا الى المسجد الكريم فوقنا باب السلام
مسامحين وصلينا بالروضة الكريمة بين القبر والمنبر الكريم واستمعنا للقطعة الباقية من الجذع
الذي حن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ماضة بعد ودقائم بين القبر والمنبر عن
يمين مستقبل القبلة وأديننا حق السلام على سيد الاولين والآخرين وشفيع العصاة
والمذنبين الرسول النبي الهاشمي الابطاحي محمد صلى الله عليه وسلم تسليما وشرف وكرم
وحق السلام على ضجيعيه وصاحبيه أبي بكر الصديق وأبي حفص عمر الفاروق رضي الله
عنهما وانصرفنا الى رحلتنا سرورين بهمة انعممة المظهي مستبشرين بنيل هذا المنة
الكبرى حامدين لله تعالى على البلوغ الى معاهد رسوله الشريفه ومشاهدا العظيمة المنيفه
داعين أن لا يجعل ذلك آخر عهدنا بها وأن يجعلنا من قبلت زيارته وكتبته في سبيل
الله سفرته

﴿ذكر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروضته الشريفه﴾

المسجد المعظم مستطيل تحفه من جهاته الاربع بلاطات دائرية ووسطه صحن مفروش
بالخصى والرمل ويدور بالمسجد الشريف شارع مبسط بالحجر المنحوت والروضة
المقدسة صلوات الله وسلامه على ساكنها في الجهة القبليّة مما يلي الشرق من المسجد
الكريم وشكلها عجيب لا يتأتى تمثيله وهي مدورة بالرّخام البديع النحت الرائق التعت قد
علاها تضيغ المسك والطيب مع طول الازمان وفي الفحة القبليّة منها سمارضة هو
قبالة الوجه الكريم وهناك يقف الناس لسلام مستقبّين الوجه الكريم مستدبرين القبلة

فيسامون وينصرفون يمينا الى وجه أبي بكر الصديق ورأس أبي بكر رضي الله عنه عند
 قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينصرفون الى عمر بن الخطاب ورأس عمر عند
 كتفي أبي بكر رضي الله عنهما وفي الجوف من الروضة المقدسة زادها الله طيبا حوض صغير
 مرخم في قبلته شمل محراب يقبل انه كان بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 تسليما ويقال أيضا هو قبرها والله أعلم وفي وسط المسجد الكريم دفة مطبوعة على وجه
 الارض مقفلة على سرداب له درج يفضى الى دار أبي بكر رضي الله عنه خارج المسجد على
 ذلك السرداب كان طريق بنته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها الى داره ولا شك انه هو
 الخوخة التي ورد ذكرها في الحديث وأمر النبي صلى الله عليه وسلم لم تسليما ببقائها وسما
 سواها وبازاء دار أبي بكر رضي الله عنه دار عمرو ودار ابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
 وبشرقي المسجد الكريم دار امام المدينة أبي عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه وبمقربة
 من باب السلام سفابة ينزل انهار على درج ماؤها معين وتعرف بالامين الزرقاء
 (ذكر ابتداء بناء المسجد الكريم)

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما المدينة الشريفة دار الهجرة يوم الاثنين الثالث
 عشر من شهر ربيع الاول فنزل على عمرو بن عوف اقام عندهم ثنتين وعشرين
 ليلة وقبل أربع عشرة ليلة وقيل أربع ليال ثم توجه الى المدينة فنزل على بني النجار بدار
 أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه وأقام عنده سبعة أشهر حتى بني مساكنه ومسجده
 وكان موضع المسجد مر بداهل وسهيل ابني رافع بن أبي عمر بن عائد بن ثعلبة بن غانم بن
 مالك بن النجار وهما يتمان في حجر أسعد بن زرارة رضي الله عنهما أجمعين وقيل كانا في
 حجر أبي أيوب رضي الله عنه فابتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ذلك المر بدوقيل
 بل أرضاها أبو أيوب عنه وقيل انهما وهبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما فبنى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم تسليما المسجد وعمل فيه مع أصحابه وجعل عليه حائطاً ولم يجعل له
 سقاً ولا أساطين وجعله مربعا طوله مائة ذراع وعرضه مثل ذلك وقيل ان عرضه كان
 دون ذلك وجعل ارتفاع حائطه قدر القامة فالما اشتد الحر تكلم أصحابه في تسقيفه فاقام له

أساطين من جذوع التخل وجعل سقفه من جريدها فلما أمطرت السماء وكف المسجد فكلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمله بالطين فقال كلا عريش كعريش موسى أو ظلة كظلة موسى والامرأ أقرب من ذلك قيل وما ظلة موسى قال صلى الله عليه وسلم كان اذا قام أصاب السقف رأسه وجعل للمسجد ثلاثة أبواب ثم سد الجنوبي منها حين حولت القبلة وبقي المسجد على ذلك حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً وحياة أبي بكر رضي الله عنه فلما كانت أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه زاد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً وقال لولا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً يقول ينبغي ان يزيد في المسجد ما زدت فيه فانزل أساطين الخشب وجعل مكانها أساطين اللبن وجعل الأساس حجارة الى القامة وجعل الالبواب ستة منها في كل جهة ما عدا القبلة بابان وقال في باب منها ينبغي ان يترك هذا للنساء فري فيه حتى لقي الله عز وجل وقال لو زدنا في هذا المسجد حتى يباغ الحيانة لم يزل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد عمر ان يدخل في المسجد موضعه للعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم تسليماً ورضي عنه ما فتنه منه وكان فيه ميزاب يصب في المسجد فنزعه عمر وقال انه يؤذي الناس فنازعه العباس وحكما بينهما أبي بن كعب رضي الله عنهما فأتيا داره فلم يأذن لهما الا بعد ساعة ثم دخلا اليه فقال كانت جاريتي تغسل رأسي فذهب عمر ايتكلم فقال له أبي دع أبا الفضل يتكلم لما كانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً فقال العباس خطبة خطبها لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً وبنيتها معه وما وضعت الميزاب الا ورجلاي على عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم فحجاء عمر فطرحه وأراد دخاله في المسجد فقال أبي ان عندي من هذا علما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً يقول أراد داود عليه السلام ان يبنى بيت الله المقدس وكان فيه بيت ليتيمين فراودهما على البيع فأيا ثم راودهما فباعاه ثم قاما بالغين فرد البيع واشتراه منهما ثم رداه كذلك فاستعظم داود الثمن فأوحى الله اليه ان كنت تعطي من شيء هلاك فأنت أعظم وان كنت تعطيهما من رزقنا فأعطيهما حتى يرضيا وان أغنى البيوت عن مظلمة بيت هولي وقد حرمت عليك بناءه

قال يارب فأعطه إيمان فأعطاه سليمان عليه السلام فقال عمر من لي بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً قاله فخرج أبي قحافة من الانصار قائمته قال ذلك فقال عمر رضي الله عنه أما اني لو لم أجد غيرك أخذت قولك ولكني أحببت أن أثبت ثم قال للعباس رضي الله عنه والله لا ترد الميزاب الا وقدماك على عاتقي ففعل العباس ذلك ثم قال أما اذا أثبتت لي فهي صدقة لله فهدمها عمر وأدخلها في المسجد ثم زار فيه عثمان رضي الله عنه وبناه بقوة وباشره بنفسه فكان يظل فيه نهاره ويبيضه وأتقن عمله بالحجارة المنقوشة ووسعه من جهاته الاربعة الشرق منها وجعل له سوارى حجارة مثبته بأعمدة الحديد والبرصاس وسقفه بالساج وصنع له محراباً وقيل ان مروان هو أول من بنى المحراب وقيل عمر بن عبد العزيز في خلافة الوليد ثم زاد فيه الوليد بن عبد الملك تولى ذلك عمر بن عبد العزيز فوسعه وحسنه وبالغ في اتقانه وعمله بالرخام والساج المذهب وكان الوليد يبعث الى ملك الروم اني أريد ان أبني مسجد نبينا صلى الله عليه وسلم تسليماً فأعني فيه فبعث اليه الفمعة وثمانين ألف مثقال من الذهب وأمر الوليد بادخال حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تسليماً فيه فاشترى عمر من الدور ما زاده في ثلاث جهات من المسجد فلما صار الى القبلة امتنع عبيد الله بن عبد الله بن عمر من بيع دار حفصة وطال بينهم الكلام حتى ابتاعها عمر على أن لهم ما بقى منها وعلى أن ينجزوا من باقيها طريقاً الى المسجد وهي الخوخة التي في المسجد وجعل عمر للمسجد أربع صوامع في أربعة أركانها وكانت احداها مظلة على دار مروان فلما حج سليمان بن عبد الملك نزل بها فاطل عليه المئذنة حين الاذان فامر بهدمها وجعل عمر للمسجد محراباً ويقال هو أول من أحدث المحراب ثم زاد فيه المهدي ابن أبي جعفر المنصور وكان أبوه هم بذلك ولم يقض له وكتب اليه الحسن بن زيد بن غبغب في الزيادة فيه من جهة الشرق ويقول انه ان زيد في شرقيه توسطت الروضة الكريمة المسجد الكريم فاتمه أبو جعفر بانه انما أراد هدم دار عثمان رضي الله عنه فكتب اليه اني قد عرفت الذي أردت فاكفف عن دار عثمان وأمر أبو جعفر ان يظل الصحن أيام القيظ يستور تنشر على حبال ممدودة على خشب تكون في الصحن لتكون المصلين من الحر وكان

طول المسجد في بناء الوليد مائتي ذراع فبلغه المهدي الى ثلاثمائة ذراع وسوي المقصورة
بالارض وكانت مرتفعة عنها بقدر ذراعين وكتب اسمه على مواضع من المسجد ثم أمر
الملك المنصور قلاوون ببناء دار للوضوء عند باب السلام فتولى بناءها الامير الصالح علاء
الدين المعروف بالاقمر واقامها متسعة الفناء تستدير بها اليوت واجري اليها الماء واراد
ان يبني بمكة شرفها الله تعالى مثل ذلك فلم يتم له بناء ابنه الملك الناصر بين الصفة والمروة
وسيدكر ان شاء الله وقبلة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما قبله قطع لانه صلى
الله عليه وسلم تسليما اقامها وقيل اقامها جبريل عليه السلام وقيل كان يشير جبريل له الى
سمتها وهو يقيمها وروى ان جبريل عليه السلام اشار الى الحياض فتواضعت فتشحت حتى
بدت الكعبة فكان صلى الله عليه وسلم تسليما يبني وهو ينظر اليها عيانا وبكل اعتبار فهي قبله
قطع وكانت ثقبلة اول ورود النبي صلى الله عليه وسلم تسليما المدينة الى بيت المقدس ثم
حوالت الى الكعبة بعد ستة عشر شهرا وقيل بعد سبعة عشر شهرا

﴿ ذكر المنبر الكريم ﴾

وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما كان يخطب الى جذع نخلة بالمسجد
فلما صنع له المنبر ونحوه تحول اليه من الجذع حنين الناقة الى حوارها وروى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم تسليما نزل اليه فالتزمه فسكن وقال لو لم التزمه لن الى يوم القيامة
واحتمت الروايات في من صنع المنبر الكريم فروى ان تمبا الداري رضي الله عنه هو الذي
صنعه وقيل ان غلاما لالعباس رضي الله عنه صنعه وقيل غلام لامرأة من الانصار وورد
ذلك في الحديث الصحيح صنع من طرفاء الغابة وقيل من الابل وكان له ثلاث درجات
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد على عليا هن ويضع رجله الكريمتين في
وسطاهن فلما ولي أبو بكر الصديق رضي الله عنه قعد على وسطاهن وجعل رجله على
أولاهن فلما ولي عمر رضي الله عنه جلس على أولاهن وجعل رجله على الارض وفعل
ذلك عثمان رضي الله عنه صدر من خلافته ثم ترقى الى الثالثة ولما ان صار الامر الى معاوية
رضي الله عنه اراد نقل المنبر الى الشام فضج المسلمون وعصفت ريح شديدة وخسفت

الشمس وبدت النجوم نهاراً وظلمت الأرض فكان الرجل يصادم الرجل ولا يتبين مسلك فاحمراً أي ذلك معاوية تركه وزاد فيه ست درجات من أسفل فبلغ تسع درجات

﴿ ذكر الخطيب والامام بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

وكان الامام بالمسجد الشريف في عهد دخولي الى المدينة بهاء الدين بن سلامة من كبار أهل مصر وينوب عنه العالم الصالح الزاهد بغيّة المشايخ عز الدين الواسطي نفع الله به وكان يخطب قبله ويقضى بالمدينة الشريفة سراج الدين عمر المصري ﴿ حكاية ﴾

يذكر ان سراج الدين هذا أقام في خطة القضاء بالمدينة والخطابة بها نحو أربعين سنة ثم انه أراد الخروج بعد ذلك الى مصر فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم ثلاث مرات في كل مرة ينهاه عن الخروج منها وأخبره باقتراب أجله فلم ينته عن ذلك وخرج فمات بموضع يقال له يسويس على مسيرة ثلاث من مصر قبل ان يصل اليها نعوذ بالله من سوء الخاتمة وكان ينوب عنه الفقيه أبو عبد الله محمد بن فرحون رحمه الله وأبناءؤه الآن بالمدينة الشريفة أبو محمد عبد الله مدرس المالكية ونائب الحكم وأبو عبد الله محمد رأساهم من مدينة تونس ولهم بها حسب واصالة وتولى الخطابة والقضاء بالمدينة الشريفة بعد ذلك جمال الدين الاسيوطي من أدل مصر وكان قبل ذلك قاضياً بخص الكرك

﴿ ذكر خدام المسجد الشريف والمؤذنين به ﴾

وخدام هذا المسجد الشريف وسدته قتيان من الاحايش وسواهم وهم على هيات حسان وصور نظاف وملا بس ظراف وكبيرهم يعرف بشيخ الخدام وهو في هيئة الامراء الكبار ولهم المراتب بديار مصر والشام ويأتي اليهم بها في كل سنة ورئيس المؤذنين بالحرم الشريف الامام المحدث الفاضل جمال الدين المطري من مطرية قرية بمصر وولده الفاضل عفيف الدين عبد الله والشيخ المجاور الصالح أبو عبد الله محمد بن محمد الغرناطي المعروف بالتراس قديم الجاورة وهو الذي جب نفسه خوفاً من الفتنة ﴿ حكاية ﴾

يذكر ان أبا عبد الله الغرناطي كان خديماً للشيخ يسمى عبد الحميد العجمي وكان الشيخ حسن الظن به يطمئن اليه بأهله وماله ويتركه متى سافر بداره فسافر مرة وتركه على عادته

بمنزله فعلقت به زوجة الشيخ عبد الحميد وراودته عن نفسه فقال اني أخاف الله ولا أخون
من ائتمنى على أهله وماله فلم تزل تراوده وتعارضه حتى خاف عن نفسه الفتنة وجب نفسه
وغشى عاينه ووجدته الناس على تلك الحالة فعالجوه حتى ربي وصار من خدام المسجد
الكريم ومؤذنبه ورأس الطائفتين وهو باق بقيد الحياة الى هذا العهد
﴿ ذكر المجاورين بالمدينة الشريفة ﴾

منهم الشيخ الصالح فاضل أبو العباس أحمد بن محمد بن مرزوق كثير العبادة والصوم
والصلاة بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً صابراً محتسباً وكان ربما جاور بمكة
المعظمة رأيت به في سنة ثمان وعشرين وهو أكثر الناس طوافاً وكنت أعجب من ملازمته
الطواف مع شدة الحر بالمطاف والمطاف مفروش بالحجارة السود وتصير بحر الشمس
كانها الصفايح المحممة واقدر أيت السقائين يصبون الماء عليها فما يجاوز الموضع الذي
يصب فيه الا ويلتهب الموضع من حينه وأكثر الطائفتين في ذلك الوقت يلبسون الجوارب
وكان أبو العباس بن مرزوق يطوف حافي القدمين ورأيت به يوماً يطوف فاحيت ان أطوف
معه فوصلت المطاف وأردت استلام الحجر الاسود فاحتقني لهب تلك الحجارة وأردت
الرجوع بعد تقبيل الحجر فإوصاته الا بعد جهد عظيم ورجعت نلماً أطف وكنت أجعل
بجادي على الارض وأمشي عليه حتى بلغت الرواق وكان في ذلك العهد بمكة وزير غرامة
وكبيرها أبو القاسم محمد بن محمد بن محمد بن أبي الحسن سهل بن مالك الازدي وكان يطوف
كل يوم سبعين أسبوعاً ولم يكن يطوف في وقت القائلة لشدة الحر وكان ابن مرزوق يطوف
في شدة القائلة زيادة عليه ومن المجاورين بالمدينة كرمها الله الشيخ الصالح العابد سعيد
المرأكشي الكفيف ومنهم الشيخ أبو مهدي عيسى بن حزون المكناسي (حكاية)
جاور الشيخ أبو مهدي بمكة سنة ثمان وعشرين وخرج الى جبل حراء مع جماعة من
المجاورين فلما صعدوا الجبل ووصلوا المتعبد النبي صلى الله عليه وسلم تسليماً ونزلوا عنه
تأخراً أبو مهدي عن الجماعة ورأى طريقاً في الجبل فظنه قاصراً فسلك عليه ووصل
الصحابة الى أسفل الجبل فانتظروهم فلم يأت فتطلعوها فيما حولهم فلم يروا له أثراً فظنوا انه

سبقهم فمضوا الى مكة شرفها الله تعالى ومر عيسى على طريقه فافضى به الى جبل آخر وتاه
عن الطريق وأجهده العطش والحرو وتمزقت نعله فمكأن يقطع من ثيابه ويلف على رجليه
الى ان ضعف عن المشي واستظل بشجرة دام غيلان فبعث الله امرأياً على جبل حتى وقف
عليه فأعامه بحاله فأركبه وأوصله الى مكة وكان على وسطه هميان فيه ذهب فسلمه اليه واقام
نحو شهر لا يستطيع ان يام على قدميه ونهبت جلدهما ونبتت لهما جلدة أخرى وقد جرى
مثل ذلك لصاحب لي اذ كره ان شاء الله ومن المجاورين بالمدينة الشريفة أبو محمد الشروي
من انقراء المحسنين وجاور بمكة في السنة المذكورة وكان يقرأ بها كتاب الشفاء للقاضي
عياض بعد صلاة الظهر وأم في التراويح بها ومن المجاورين الفقيه أبو العباس الفاسي
مدرس المالكية بها وتزوج بنت الشيخ الصالح شهاب الدين الزرندي (حكاية)
يذكر ان أبا العباس الفاسي تكلم يوماً مع بعض الناس فاتهمي به الكلام الى ان تكلم بعظيمة
ارتكب فيها بسبب جهله بعلم النسب وعدم حفظه للسانه من تكباص عبا عفا الله عنه فقال ان
الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام لم يعقب فبلغ كلامه الى أمير المدينة طفيل بن
منصور بن حجاز الحسني فأنكر كلامه وبحق إنكاره وأراد قتله فكلّم فيه ففاه عن المدينة
ويذكر انه بعث من اغتاله والى الآن لم يظهر له أثر نعمو ذباله من عثرات اللسان وزله
﴿ذكر أمير المدينة الشريفة﴾

كان أمير المدينة كيش بن منصور بن حجاز وكان قد قتل عمه مقبلاً ويقال انه توضأ بدمه
ثم ان كيش اخرج سنة سبع وعشرين الى الفلاة في شدة الحر ودمه أصحابه قادر كتبهم القائلة
في بعض الايام فتفرقوا تحت ظلال الاشجار فمراهم الاواباء مقبل في جماعة من
عيدهم ينادون يا ثارات مقبل فقتلوا كيش بن منصور صبراً ولعقوا دمه وتولي بعده
أخوه طفيل بن منصور الذي ذكرنا انه نفى أبا العباس الفاسي
﴿ذكر بعض المشاهد الكريمة بخارج المدينة الشريفة﴾

فمنها بقيع الغرقود وهو شرقي المدينة المكرمة ويخرج اليه على باب يعرف باب البقيع فأول
ما يلتقي الخارج اليه على يساره عند خروجه من الباب قبر صفة بنت عبد المطلب رضي الله

عنهما وهي عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تسليما وأم الزبير بن العوام رضي الله عنه
 وإمامها قبر إمام المدينة أبي عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه وعليه قبة صغيرة مختصرة
 البناء وإمامه قبر السلالة الطاهرة المقدسة النبوية الكريمة إبراهيم بن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم تسليما وعليه قبة بيضاء وعن يمينها تربة عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب رضي
 الله عنهما وهو المعروف بأبي شحمة وبازائه قبر عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه وقبر عبد
 الله ابن ذي الجناحين جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما وبازائهم روضة يذكرون قبور
 أمهات المؤمنين بها رضي الله عنهن ولبها روضة فيها قبر العباس بن عبد المطلب عم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وهي قبة ذاهبة في
 الهواء بديعة الأحكام عن يمين الحاج من باب البقيع ورأس الحسن إلى رحلي العباس
 عليهما السلام وقبرا ممر تمنعان عن الأرض متسعان مغشيان بالواح بديعة الاصفاق
 مرصعة بصفائح الصفرة البديعة العمل وبالبقيع قبور المهاجرين والانصار وسائر الصحابة
 رضي الله عنهم الأمهات يعرف أكثرها وفي آخر البقيع قبر أمير المؤمنين أبي عمر عثمان
 ابن عفان رضي الله عنه وعليه قبة كبيرة وعلى مقربة منه تربة فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي
 ابن أبي طالب رضي الله عنهما وعن ابنها ومن المشاهد الكريمة قباء وهو قبلي المدينة على نحو
 ميلين منها الطريق بينهما في حدائق النخل وبه المسجد الذي أسس على التقوى
 والرضوان وهو مسجد مربع فيه صومعة بيضاء طويلة تظهر على البعد وفي وسطه مبرك
 الناقة بالنبي صلى الله عليه وسلم تسليما يتبرك الناس بالصلاة فيه وفي الجهة القبليّة من صحنه
 محراب على مسطبة هو أول موضع ركع فيه النبي صلى الله عليه وسلم تسليما وفي قبلي المسجد
 دار كانت لأبي أيوب الانصاري رضي الله عنه ويليه دور تنسب لأبي بكر وعمر وفاطمة
 وعائشة رضي الله عنهم وبازائه بئر اريس وهي التي عادماؤها عذ بالماتفل فيه النبي صلى الله
 عليه وسلم تسليما بعد أن كان أجاجا وفيه وقع الختم الكريم من عثمان رضي الله عنه ومن
 المشاهد قبة حجر الزيت بخارج المدينة الشريفة يقال إن الزيت رشع من حجر هنالك
 للنبي صلى الله عليه وسلم تسليما وإلى جهة الشمال منه بئر بضاعة وبازائها جبل الشيطان حيث

صرخ يوم أحد وقال قتل نبيكم وعلى شفير الخندق الذي حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً عند تحزب الأحزاب حصن خرب يعرف بحصن العزاب يقال إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نصفها بعشرين ألفاً ومن المشاهد الكريمة أحد وهو الحبل المبارك الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً إن أحد أجبل يحبنا ونحبه وهو بجوف المدينة الشريفة على نحو فرسخ منها وبازائه الشهداء المكرمون رضي الله عنهم وهناك قبر حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً ورضي الله عنه وحوله الشهداء المستشهدون في أحد رضي الله عنهم وقبورهم أقبل أحد وفي طريق أحد مسجد ينسب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ومسجد ينسب إلى سامان الفارسي رضي الله عنه ومسجد الفتح حيث أنزلت سورة الفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً وكانت أقامتنا بالمدينة الشريفة في هذه الوجهة أربعة أيام وفي كل ليلة نبيت بالمسجد الكريم والناس قد حلقوا في صحبة حلقاً وأوقدوا الشمع الكثير ويذوقون ريعات القرآن الكريم يملونه وبعضهم يذكرون الله وبعضهم في مشاهدة التربة الطاهرة زادها الله طيباً والحدادة بكل جانب يترنمون بمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً وهكذا أدب الناس في تلك الليالي المباركة ويجودون بالصدقات الكثيرة على المجاورين والمحتاجين وكان في صحبتي في هذه الوجهة من الشام إلى المدينة الشريفة رجل من أهالي فاضل يعرف بنصور بن شكل وأضافني بها واجتمعنا بعد ذلك بحلب وبخاري وكان في صحبتي أيضاً قاضي الزبدي شرف الدين قاسم بن سنان وصحبي أيضاً أحد العلماء الفقهاء من أهل غرناطة يسمى بعلي بن حجر الأموي (حكاية)

لما وصلنا إلى المدينة كرمها الله على ساكنها أفضل الصلاة ذكر لي علي بن حجر المذكور أنه رأى تلك الليلة في النوم قائلاً يقول له أسمع مني واحفظ عني (طويل)

هنيأ لكم يا زائرين ضريحه * أمنت به يوم المعاد من الرجس

وصاتم إلى قبر الحبيب بطيبة * فطوبى لمن يضحي بطيبة أو يمسي

وجاور هذا الرجب بعد صحبه بالمدينة ثم رحل إلى مدينة دهلي قاعدة بلاد الهند في سنة

ثلاث وأربعين فزل في جوارى و ذكرت حكاية رؤياه بين يدي ملك الهة - فأمر باحضاره
فحضر بين يديه وحكى له ذلك فأعجبه واستحسنه وقال له كلاما جميلا بالفارسية وأمر بانزاله
واعطاه ثلاثمائة تسكة من ذهب ووزن التسكة من دنانير المغرب ديناراً ونصف دينار
واعطاه فرساً على السرج والاعجام وخلمة وعين له مرتباً في كل يوم وكان هنالك فقيه طيب
من أهل غرناطة ومولده ببجاية يعرف هنالك بجمال الدين المغربي فصاحبه علي بن حجر
المذكور وواعده على ان يزوجه بنته وأنزله بدويرة خارج داره واشترى جارية وغلاما
وكان يترك الدنانير في مفرش ثيابه ولا يطمئن بها الا حذفتها في النلام والجارية على أخذ
ذلك الذهب واخذاه وهربا فلما اتى الدار لم يجد لهما أثرا ولا للذهب فامتنع من الطعام
والشراب واشتد به المرض أسفا على ما جرى عليه فعرضت قضيته بين يدي الملك فامر
أن يخاف له ذلك فبعث اليه من يعلمه بذلك فوجده قد مات رحمه الله تعالى وكان رجلا
من المدينة يريد مكة شرفها الله تعالى فنزلنا بقرب مسجد ذي الحليفة الذي أحرم منه
رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما والمدينة منه على خمسة أميال وهو منتهى حرم المدينة
وبالقرب منه وادي العقيق وهنالك تجردت من مخيط اثياب واغتسلت ولبست ثوب
احرامى وصليت ركعتين واحرمت بالحج مفرداً ولم أزل مليا في كل سهل وجبل وصعود
وسدور الى ان أتيت شعب علي عليه السلام وبه نزلت تلك الليلة ثم رحلنا منه ونزلنا
بالروحاء وما يترعرع بثر ذات العلم ويقال ان عليا عليه السلام قاتل بها الجن ثم رحلنا
ونزلنا بالصفراء وهو واد معمر فيه ماء ونخل وبنيان وقصر يسكنه الشرفاء الحسنيون
وسواهم فيها - حصن كبير وتواليه حصون كثيرة وقرى متصلة ثم رحلنا منه ونزلنا بيدر
حيث نصر الله رسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وانجز وعده الكريم واستأصل صناديد
المشركين وهي قرية فيها حدائق نخل متصلة وبها حصن منيع يدخل اليه من بطن وادي
جبال وبيدر عين فوارق تجري ماؤها وموضع القلب الذي سحب به أعداء الله المشركون
هو اليوم بستان وموضع الشهداء رضى الله عنهم خلفه وجبل الرحمة الذي نزلت به
الملائكة على يسار الداخل منه الى الصفراء وبازائه جبل الطبول وهو شبه كتيب الرمل

ممتد ويزعم أهل تلك البلدة أنهم يسمعون هنالك مثل أصوات الطبول في كل ليلة جمعة
و موضع عريش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان به يوم بدر يناشد ربه جل وتعالى
متصل بسفح جبل الصبول وموضع الوقعة أمامه وعند نخل القليب مسجد يقال له مبارك
ناقة النبي صلى الله عليه وسلم تسليما وبين بدر والصفراء نحو بر يدي واديين جبال تطرد
فيه العيون وتتصل حدائق النخل ورحلتنا من بدر إلى الصحراء المروقة بقاع البرواء وهي
برية يضل بها الدليل ويذهل عن خايله الخليل مسيرة ثلاث وفي منتهاها وادي رابع
يتكون فيه بالمطر غدران يبقى بها الماء زمنا طويلا ومنه يحرم حجاج مصر والمغرب
وهو دون الجحفة وسرنا من رابع ثلاثا إلى خايس ومررنا بقبه السويق وهي على مسافة
نصف يوم من خايس كثيرة الرمل والحجاج يقصدون شرب السويق بها ويستسحبونه
من مصر والشام برسم ذلك ويسقونه الناس مخاطا بالسكر والامراء يماؤن منه
الاحواض ويستقونها الناس ويذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بها ولم يكن مع
أصحابه طعام فأخذ من رملها فأعطاهم إياه فشربوه سويقا ثم انزلنا بركة خايس وهي
في بسيط من الأرض كثيرة حدائق النخل لها حصن مشيد في قنة جبل وفي البسيط
حصن خرب وبها عين فوارة قد صنعت لها أخاديد في الأرض وسربت إلى الضياع
وصاحب خايس شريف حسني النسب وعرب تلك الناحية يقيمون هنالك سوة عظيمة
يجلبون إليها الغنم والتمر والاعمال ثم رحلنا إلى عسفان وهي في بسيط من الأرض بين جبال
وبها آبار ماء معين تنسب أحداها إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه والمدرج المنسوب إلى
عثمان أيضا على مسافة نصف يوم من خايس وهو مضيق بين جبالين وفي موضع منه بلاط
على صورة درج أثر عمارة قديمة وهنالك بئر تنسب إلى علي عليه السلام ويقال أنه
أحدثها وبسفان حصر عتيق وبرج مشيد قد أوهنه الخراب وبه من شجر المثل كثير
ثم ارحلنا من عسفان ونزلنا بطن مرو يسمى أيضا مر الظهيران وهو واد مخصب كثير
النخل ذو عين فوارة تسقى تلك الناحية ومن هذا الوادي تجلب الفواكه والخضر
إلى مكة شرفها الله تعالى ثم أدرجنا من هذا الوادي المبارك والنفوس مستبشرة ببلوغ

آمالها مسرورة بحملها وما لها فوصلنا عند الصباح الى البلد الامين مكة شرفها الله تعالى
 فوردنا منها على حرم الله تعالى ومبوا أخيله ابراهيم ومبعث صفيه محمد صلى الله عليه وسلم
 ودخلنا البيت الحرام الشريف الذي من دخله كان آمنا من باب بني شيبه وشاهدنا الكعبة
 الشريفة زادة الله تعظيما وهي كالعروس تحبي على منصة الجلال وترفل في برود الجمال
 محفوفة بوفود الرحمن موصلة الى جنة الرضوان وطفنا بها طواف اقدوم واستلنا
 الحجر الكريم وصاننا ركعتين بمقام ابراهيم وتعلقنا بأستار الكعبة عند الملتزم بين الباب
 والحجر الاسود حيث يستجاب الدعاء وشرنا من ماء زمزم وهو لما شرب له حسبا وورد
 عن النبي صلى الله عليه وسلم تسايما ثم سعيانا بين الصفا والمروة ونزلنا هناك بدار بمقربة من
 باب ابراهيم والحمد لله الذي شرفنا بالوفادة على هذا البيت الكريم وجعلنا من بلغته دعوة
 الخليل عليه الصلاة والتسليم ومتع أعيننا بمشاهدة الكعبة الشريفة والمسجد العظيم والحجر
 الكريم . زمزم والحمام ومن عجب صنع الله تعالى انه طبع القلوب على النزوع الى هذه
 اشاهد المنيعة والشوق الى المثلوث بمعاهدها الشريفة وجلل بها متمكن في القلوب فلا
 يحجزها أحدا الا أخذت بمجامع قلبه ولا يفارقها الا أسفا فراقها متو لها بالعبادة منها شديد
 الحنين اليها ناويا لتكرار الوفاة عليها فارضها المباركة نصب الاعين ومحبتها حشا القلوب
 حكمة من الله بالغة وتصديقا لدعوة خايه عايه السلام والشوق يحضرها وهي نائية ويمثلها
 وهي غائبة ويهون على قاصدها ما يلقاه من المشاق ويعانيه من العناء وكم من ضعيف يرى
 الموت عيانا دونها ويشاهد التللف في طريقها فاذا جمع الله بها شمله تلقاها مسرورا
 مستبشرا كأنها لم تذوق المرارة ولا كابد محنة ولا نصيبا انه لا امر الا الهي وصنع رباني
 ودلالة لا يشوبها لبس ولا تشابهها شبهة ولا يضرقتها تمويه وتز في بصيرة المستبصرين وتبدو
 في فكرة المتفكرين ومن رزقه الله تعالى الحلول بلك الارحاء والمثل بذاك الفناء فقد
 أنعم الله عليه النعمة الكبرى وخوله خير الدارين الدنيا والاخرى فحق عليه ان يكثر
 الشكر على ما خزله ويديم الحمد على ما أولاه جعلنا الله تعالى بمن قبلت زيارته وربحت في
 قصدها تجارته وكتبت في سبيل الله آثاره وعيت بالقبول أوزاره بمنه وكرمه

﴿ذكر مدينة مكة المعظمة﴾

وهي مدينة كبيرة متصلة البنيان مستطيلة في بطن واد تحف به الجبال فلا يراها قاصدها حتى يصل إليها وتلك الجبال المطلة عليها ليست بمفرحة الشموخ والاختشبان من جبالها هما جبل أبي قيس وهو في جهة الجنوب، ونهار جبل قمعقان هو في جهة منها وفي الشمال منها الجبل الأحمر ومن جهة أبي قيس أحياد الأكر وأحياد الأصغر وهما شعبان والخدمة وهي جبل وستندكر وإنما سلك كما هي وعرفة وانزلفة بشرقي مكة شرفها الله ولمكة من الأبواب ثلاثة باب المعلى بأعلاها وباب الشبيكة من أسفلها ويعرف أيضا باب الزاهر وباب الحرة وهي إلى جهة المغرب وعليه طريق المدينة الشريفة وحضر والشام وجدة ومنه يتوجه إلى التميم وسيدكر ذلك وباب السفلى وهو من جهة الجنوب ومنه دخل خالد بن الوليد رضي الله عنه يوم الفتح بمكة شرفها الله كما أخبر الله في كتابه العزيز حاكيا عن نبيه الخليل بواد غير ذي زرع ولكن سبقت لها الدعوة المباركة فدخل طرفه تجاب إليها وثمرات كل شيء تنجي لها وقد أكلت بهامن النواكه العنب والتين والخوخ والرطب مالا نظيره في الدنيا وكذلك البطيخ المجلوب إليها لا يباع ثلثه سواد طيبا وحلاوة والاحوم بها سمان لذيات الطعموم وكل ما يفترق في البلاد من السماع فيها بالجماعة وتجلب لها الفواكه والخضر من الطائف ووادي نخلة وبطن من لعنهم الله بسكان حرمة الأيمن ومجاوري بيته العتيق

﴿ذكر المسجد الحرام شرفه الله وكرمه﴾

والمسجد الحرام في وسط البلد وهو متسع الساحة طوله من شرق إلى غرب أزيد من أربع مائة ذراع . كي ذلك الأزقي وعرضه يقرب من ذلك والكعبة العظمى في وسطه ومنظره بدبوع ومرآة جميل لا يتعطي إلا من وصف بدائمه ولا يحيط الوصف بحسن كماله وارتفاع حيطانه نحو عشرين ذراعا وسقفه على أعمدة طوال مصطفة ثلاثة صفوف بأتم صناعة وأجماها وقد انتظمت بلاطانه الثلاثة انتظاما عجيبا كأنها بلاط واحد وعدد سواريه الرخامية أربع مائة واحد وتسمون سارية ماعدا الجصية التي في دار الندوة

المزيد في الحرم وهي داخلة في البلاط الآخذ في الشمال ويقابلها المقام مع الركن العراقي وقضائهما متصل يدخل من هذا البلاط اليه ويتصل بجدار هذا البلاط مساطب تحت قسي - بنايا بجدارها المقرؤون والنساخون والخطاطون وفي جدار البلاط الذي يقابله مساطب تمثّلها وسائر البلاطات تحت جداراتها مساطب بدون خنايا وعند باب ابراهيم مدخل من البلاط الغربي فيه سوارى حبسية وللخليفة المهدي محمد بن الخليفة أبي جعفر المنصور رضى الله عنهما آثار كريمة في توسيع المسجد الحرام واحكام بنائه وفي أعلى جدار البلاط الغربي مكتوب أمر عبد الله محمد المهدي أمير المؤمنين أصلحه الله بتوسعة المسجد الحرام لحاج بيت الله وعمارتة في سنة سبع وستين ومائة

﴿ذكر الكعبة المعظمة الشريفة زادها الله تعظيما وتكريما﴾

والكعبة ماثلة في وسط المسجد وهي بنية مربعة ارتفاعها في الهواء من الجهات الثلاث ثمان وعشرون ذراعا ومن الجهة الرابعة التي بين الحجر الاسود والركن اليماني تسع وعشرون ذراعا وعرض صفحتها التي من الركن العراقي الى الحجر الاسود أربعة وخمسون شبرا وكذلك عرض الصفحة التي تقابلها من الركن اليماني الى الركن الشامي وعرض صفحتها التي من الركن العراقي الى الركن الشامي من داخل الحجر ثمانية وأربعون شبرا وكذلك عرض الصفحة التي تقابلها من الركن الشامي الى الركن العراقي وأما خارج الحجر فانه مائة وعشرون شبرا والطواف انما هو خارج الحجر وبنائها بالحجارة الصخر قد ألصقت بأبدع الاصاق وأحكامه وأشده فلا تغيرها الايام ولا تؤثر فيها الا زمان وباب الكعبة المعظمة في الصفح الذي بين الحجر الاسود والركن العراقي بينه وبين الحجر الاسود عشرة أشبار وذلك الموضع هو المسمى بالمتزم حيث يستجاب الدعاء وارتفاع الباب عن الارض أحد عشر شبرا ونصف شبرا وسعته ثمانية أشبار وطوله ثلاثة عشر شبرا وعرض الحائط الذي ينطوى عليه خمسة أشبار وهو مصفح بصفائح البضة بديع الصنعة وعضاداته وعتبه العلياء مصفحات بالفضة وله تقارتان كبيرتان من فضة عليهما قفل ويفتح الباب الكريم في كل يوم جمعة بعد الصلاة ويفتح في يوم

مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ورسمهم في فتحه ان يضعوا كرسيا شبه المنبر له
 درج وقوائم خشب لها أربع بكرات يجري الكرسي عليها ويصقونه الى جسد الكعبة
 الشريفة فيكون درجه الاعلى متصلا بالعتبة الكريمة ثم يصعد كبير الشيبين ويده المفتح
 الكريم ومعه المدينة فيمسكون الستر المسبل على باب الكعبة المسمى بالبرقع بخلاف ما يفتح
 رئيسهم الباب فاذا فتحه قبل العتبة الشريفة ودخل البيت وحددوا الباب وأقام قدر
 ما ركع ركعتين ثم يدخل سائر الشيبين ويسدون الباب أيضا ويركعون ثم يفتح الباب
 ويبادر الناس بالدخول وفي أثناء ذلك يقفون مستقبلين الباب الكريم باصابع خاشعة
 وقلوب ضارعة وأيدي مبسوطة الى الله تعالى فاذا فتح كبروا نادوا اللهم افتح لنا أبواب
 رحمتك ومغفرتك يا أرحم الراحمين وداخل الكعبة الشريفة مفروش بالرخام المجزع
 وحيطانه كذلك وله أعمدة ثلاثة طوال مفرطة الطول من خشب الساج بين كل عمود منها
 وبين الآخر أربع ختلا وهي متوسطة في الفضاء داخل الكعبة الشريفة يقابل الاوسط
 منها نصف عرض الصفح الذي بين الركنين العراقي والشامي وستور الكعبة الشريفة
 من الحرير الاسود مكتوب فيها بالابيض وهي تتلأأ عليها نور او اشراقا وتسو جميعها
 من الاعلى الى الارض ومن عجائب الآيات في الكعبة الكريمة ان بابها يفتح والحرم غاص
 بأمم لا يحصيها الا الله الذي خلقهم ورزقهم فبذلك خلونها أجمعين ولا تضيق عنهم ومن
 عجائبها انها لا تخلو عن طائف أبدا ليلا ولا نهارا ولم يذكر أحد انه رآها قبل دون
 طائف ومن عجائبها ان حمام مكة على كثرتها وسواها من الطير لا ينزل عليها ولا يملؤها
 في البيران وتجد الحمام يطير على أعلى الحرم كله فاذا حاذى الكعبة الشريفة عرج عنها الى
 إحدى الجهات ولم يعلها ويقال انه لا ينزل عليها طيرا الا اذا كان به مرض فمان يموت
 لحينه أو يبرأ من مرضه فسبحان الذي خصها بالتشريف والتكريم وجعل لها المهابة

والتعظيم
 وذكر الميزاب المبارك

والميزاب في أعلى الصفح الذي على الحجر وهو من الذهب وسعته شبر واحد وهو بارز

بمقدار ذراعين والموضع الذي تحت الميزاب مظنة استجابة الدعاء وتحت الميزاب في الحجر هو قبر اسمعيل عليه السلام وعليه رخامة خضراء مستطيلة على شكل محراب متصلة برخامة خضراء مستديرة وكلتا عماستهما مقدار شبر ونصف شبر وكلتاها مغربية الشكل ورائقة انظر الى جانبه مما يلي الركن العراقي قبر أمه هاجر عليها السلام وعلامته رخامة خضراء مستديرة سعتها مقدار شبر ونصف وبين القبرين سبعة اشبار

﴿ذكر الحجر الاسود﴾

وأما الحجر فارفعه عن الأرض ستة اشبار فالطويل من الناس يتطأون لتقبيله والصغير يتناول اليه وهو ملصق في الركن الذي الى جهة المشرق وسعته ثلثا شبر وطوله شبر وعقد ولا يعلم قدر ما دخل منه في الركن وفيه أربع قطع ماصقة ويقال ان القمر مطي اعنه الله كسره وقيل ان الذي كسره سواء ضربه بدبوس فكسره وتبادر الناس الى قتله وقتل بسببه جماعة من المغاربة وجوانب الحجر مشدودة بصفيحة من فضة يلوح بياضها على سواد الحجر الكريم فيجتلي منه العيون حسنا باهرا واتقبيله لذة يتنعم بها النعم وبودلائمه ان لا يفارق لثمه خاصية مودعة فيه وعناية ربانية به وكفى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يمين الله في أرضه نفعنا الله باستلامه ومصاحته واوفد عاياه كل شيق اليه وفي القطعة الصحيحة من الحجر الاسود مما يلي جانبه الموالي ليمين مستلثة نقطة بيضاء صغيرة مشرقة كأنها خال في تلك الصفحة البهية وترى الناس اذا طافوا بها يتساقط بعضهم على بعض ازدحاماً على تقبيله فقام ما يمكن أحد من ذلك الا بعد المزاخرة الشديدة وكذلك يصنعون عند دخول البيت الكريم ومن عند الحجر الاسود ابتداء الطواف وهو اول الاركان التي يلقيها الطائف فاذا استلمته تقهقر عنه قليلا وجعل النكبة الشريفة عن يساره ومضى في طوافه ثم يلتقي بعد الركن العراقي وهو الى جهة الشمال ثم ياتي الركن الشامي وهو الى جهة الغرب ثم يلتقي الركن اليمني وهو الى جهة الجنوب ثم يعود الى الحجر الاسود وهو الى جهة المشرق

﴿ذكر المقام الكريم﴾

اعلم ان بين باب الكعبة شرفها الله وبين الركن العراقي موضعا طوله اثنا عشر شبرا وعرضه نحو نصف من ذلك وارتفاعه نحو شبرين وهو موضع المقام في مدة ابراهيم عليه السلام ثم صرفه النبي صلى الله عليه وسلم الى الموضع الذي هو الآن مصلى وبقي ذلك الموضع شبه الحوض واليه ينصب ماء البيت الكريم اذا غسل وهو موضع مبارك يزدحم الناس للصلاة فيه وموضع المقام الكريم يقابل ما بين الزكن العراقي وباب الكريم وهو الى الباب أميل وعليه قبة تحتها شبك حديد متجاف عن المقام الكريم قدر ما تصل اصابع الانسا اذا أدخل يده من ذلك الشباك الى الصندوق والشباك مقفل ومن ورائه موضع محوز قد جعل مصلى لركعتي الطواف وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ما دخل المسجد أتى البيت فطاف به سبعا ثم أتى المقام فقرأ وأخذوا من مقام ابراهيم مصلى وركع خلفه ركعتين وخلف المقام مصلى امام الشافعية في الخطيم الذي هنالك

﴿ ذكر الحجر والمطاف ﴾

ودور جدار الحجر تسع وعشرون خطرة وهي أربعة وتسعون شبرا من داخل الدائرة وهو بالرخام البديع المجزع المحكم الا لصاق وارتفاعه خمسة اشبار ونصف شبر وسعته أربعة اشبار ونصف شبر وداخل الحجر بلاط واسع مفروش بالرخام المجزع المنظم معجز الصنعة البديع الاتقان وبين جدار الكعبة الشريفة الذي تحت الميزاب وبين ما يقابله من جدار الحجر على خط استواء أربعون شبرا ولا حجر مدخل لأن أحدهما يذنه وبين الركن العراقي وسعته ستة ذرع وهذا الموضع هو الذي تركته قريش من البيت حين بنته كما جاءت الآثار الصحاح والمدخل الآخر عند الركن الشامي وسعته أيضا ستة أذرع بين المدخلين ثمانية وأربعون شبرا وموضع الطواف مفروش بالحجارة السوداء محكمة الا لصاق وقد اتسعت عن البيت بمقدار تسع خطا في الجهة التي تقابل المقام الكريم فانها امتدت اليه حتى احاطت به وسائر الحرم مع البلاطات مفروش برمل أبيض وطواقم لنساء في آخر الحجارة المفروشة

﴿ ذكر زمزم المباركة ﴾

وقبة بئر زمزم تقابل الحجر الاسود ويُنسبها أربع وعشرون خطرة والمقام الكريم بعينه

يبين القبة ومن ركنها اليه عشر خطا وداخل القبة مفروش بالرخام الأبيض وتور البئر المباركة في وسط القبة مائلا الى الجدار المقابل للكعبة الشريفة وهو من الرخام البديع الا لصاق مفروغ بالرصاص ودوره أربعون شبرا وارتفاعه أربعة أشبار ونصف شبرا وعمق البئر أحد عشر ذقمة وهم يذكرون ان ماءها يتزايد في كل ليلة جمعة وباب القبة اجهة الشرق وقد استدارت بداخل القبة سقاية سعتها شبر وعمقها مثل ذلك وارتفاعها من الارض نحو خمسة أشبار تملأ ماء للوضوء وحوطها مسطبة دائرة يقعد الناس عاين للوضوء ويلى قبة زمزم قبة الشراب المندوبة الى العباس رضي الله عنه وبابها الى جهة الشمال وهي الا تيجمل بهاء زمزم في قلل يسمونها الدوارق وكل دورق له مقبض واحد وترك بها ليرد فيها الماء فيشربه الناس وبها اختزان المصاحف الكريمة والكتب التي للحر الشريف وبها خزانة تحتوي على تابوت مبسوط متسع فيه مصحف كريم بخط زيد بن ثابت رضي الله عنه منسوخ سنة ثمان عشرة من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وأهل مكة اذا أصابهم قحط أو شدة أخرجوا هذا المصحف الكريم وفتحوا باب الكعبة الشريفة ووضعوه على العتبة الشريفة ووضعوه في مقام ابراهيم عليه السلام واجتمع الناس كاشفين رؤسهم داعين متضرعين متوسلين بالمصحف العزيز والمقام الكريم فلا ينفصلون الا وقد تداركهم الله برحمته وتغمدهم بلطفه ويلى قبة العباس رضي الله عنه على انحراف القبة المعروفة بقبة اليهودية

ذكر أبواب المسجد الحرام وما دار به من المشاهد الشريفة

وابواب المسجد الحرام شرفه الله تعالى تسعة عشر بابا أكثرها مفتحة على أبواب كثير فتحها باب الصفا وهو مفتوح على خمسة أبواب وكان قديما يعرف بباب بنى مخزوم وهو أكبر أبواب المسجد ومنه يخرج الى المسمى ويستحب للوافد على مكة ان يدخل المسجد الحرام شرفه الله من باب بنى شيبه ويخرج بعد طوانه من باب الصفا جاعلا طريقه الاسطواناتين اللتين قامهما أمير المؤمنين المهدي رحمه الله على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما الى الصفا ومنها باب أحياذ الاصغر مفتوح على بايين ومنها باب الحياطين

مفتوح على باين ومنها باب العباس رضي الله عنه مفتوح على ثلاثة أبواب ومنها باب النبي صلى الله عليه وسلم تسليماً مفتوح على باين ومنها باب بنى شينة وهو في ركن الجدار الشرقي من جهة الشمال امام باب المكعبة الشريفة متياسراً وهو مفتوح على ثلاثة أبواب وهو باب بنى عبد شمس ومنه كان دخول الخلفاء ومنها باب صغير ازاء باب بنى شينة لا اسم له وقيل يسمى باب الرباط نه يدخل منه لرباط السدرة ومنها باب الندوة ويسمى بذلك ثلاثة أبواب اثنان منتظمان والثالث في الركن الغربي من دار الندوة ودار الندوة قد جعلت مسجداً شارعاً في الحرم مضافاً اليه وهي تقابل الميزاب ومنها باب صغير لدار العجلة محدث ومنها باب السدرة واحد ومنها باب العمرة واحد وهو من أجمل أبواب الحرم ومنها باب ابراهيم واحد والناس يختلفون في نسبته فبعضهم ينسبه الى ابراهيم الخليل عليه السلام والصحيح انه منسوب الى ابراهيم الخوزي من الاعاجم ومنها باب الحزورة مفتوح على باين ومنها باب احياد الاكبر مفتوح على باين ومنها باب ينسب الى احياد ايضاً مفتوح على باين وباب ثالث ينسب اليه مفتوح على باين ويتصل لباب الصفا ومن الناس من ينسب البابين من هذه الاربعة المنسوبة لاجياد الى الدقاقين وصوامع المسجد الحرام خمس احدها على ركن أبي قيس عندي باب الصفا والاخرى على ركن باب بنى شينة والثالثة على باب دار الندوة والرابعة على ركن باب السدرة والخامسة على ركن احياد وبمقربة من باب العمرة مدرسة عمرها السلطان المعظم يوسف بن رسول ملك اليمن المعروف بالملك المظفر الذي تنسب اليه الدراهم المظفرية باليمن وهو كان يكسو الكعبة الى أن غلبه على ذلك الملك المنصور قلاوون وبخارج باب ابراهيم زاوية كبيرة فيها دار امام المالكية الصالح أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المدعو بن خليل وعلى باب ابراهيم قبة عظيمة مفرطة السمو قد صنع في داخلها من غرائب صنع الجص ما يعجز عنه الوصف وبازاء هذا الباب عن يمين الداخل اليه كان يقعد الشيخ العابد جلال الدين محمد بن أحمد الافشهرى وخارج باب ابراهيم بئر تنسب كنسبته وعنده يضادار الشيخ الصالح دانيال المعجمي الذي كانت صدقات العراق في أيام السلطان أبي سعيد تأتي على يديه وبمقربة منه رباط الموفق وهو من أحسن الرباطات سكنته أيام

بحاورتي بمكة المعظمة وكان به في ذلك العهد الشيخ الصالح أبو عبد الله الزواوي المغربي وسكن به أيضا الشيخ الصالح الطيار سماعة الجرائني ودخل يومًا إلى بيته بعد صلاة العصر فوجد ساجدًا مستقبل الكعبة الشريفة ميتًا من غير مرض كان به رضي الله عنه وسكن به الشيخ الصالح شمس الدين محمد الشامي نحوًا من أربعين سنة وسكن به الشيخ الصالح شعيب المغربي من كبار الصالحين دخلت عليه يومًا فلم يقع بصري في بيته على شيء سوى حصر فقلت له في ذلك فقال لي استر على ما رأيت وحول الحرم الشريف دور كثيرة لها مناظر وسطوح يخرج منها إلى سطح الحرم وأهلها في مشاهدة البيت الشريف على الدوام ودور لها أبواب تفضي إلى الحرم منها دار زيدة زوج الرشيد أمير المؤمنين ومنها دار المعجزة ودار الشرايبي وسواها ومن المشاهد الكريمة بمقربة من المسجد الحرام قبة الوحي وهي في دار خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها بمقربة من باب النبي صلى الله عليه وسلم وفي البيت قبة صغيرة حيث ولدت فاطمة عليها السلام وبمقربة منها دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبيتا بلها جدار مبارك فيه حجر مبارك بارز طرفه من الحائط يستلمه الناس ويقول أنه كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ويذكرون النبي صلى الله عليه وسلم تسليما جاء يومًا إلى دار أبي بكر الصديق ولم يكن حاضرًا فنادى به النبي صلى الله عليه وسلم تسليما فطق ذلك الحجر وقال يا رسول الله إنه ليس بحاضر.

﴿ذكر الصف والمروة﴾

ومن باب الصف الذي هو أحد أبواب المسجد الحرام إلى الصف است وسبعون خطوة وسعة الصف سبع عشر خطوة وله أربع عشرة درجة عالياً من كاهها مسطبة وبين الصف والمروة أربع مائة وثلاث وتسعون خطوة منها من الصف إلى الميل الأخضر ثلاث وتسعون خطوة ومن الميل الأخضر إلى الميلين الأخضرين خمس وسبعون خطوة ومن الميلين الأخضرين إلى المروة ثلاث مائة وخمس وعشرون خطوة والمروة خمس درجات وهي ذات قوس واحد كبير وسعة المروة سبع عشرة خطوة والميل الأخضر هو سارية خضراء مثبتة مع يمين الصومعة التي على الركن الشرقي من الحرم عن يسار الساعية إلى المروة والميلان

الاخضران هما ساريتان خضر اوان ازاء باب على من أبواب الحرم أحدهما في جدار الحرم
عن يسار الخارج من الباب والاخرى تقابلها وبين الميـل الاخضر والميلين الاخضرين
يكون الرمل ذاهباً وعائدوا بين الصفوا والمروة مسيل فيه سوق عظيمة يباع فيها الحبوب
وللحم والتمر والسمن وسواها من الفواكه والساعون بين الصفوا والمروة لا يكادون
يخلصون لازدحام الناس على حوائث الباعة وليس بمكة سوق منتظمة سوى هذه الا
البزازون والطارون عند باب بني شيبه وبين الصفوا والمروة دار العباس رضى الله عنه وهي
الآن رباط يسكنه المجاورون عمره الملك الناصر رحمه الله ونبي أيضاً دار وضوء فيما بين
الصفوا والمروة سنة ثمان وعشرين وجعل لها بابين أحدهما في السوق المذكور والاخر في
سوق الطارين وعليها ربع يسكنه خدامها وتولى بناء ذلك الأمير علاء الدين بن هلال
وعن يمين المروة دار أمير مكة سيف الدين عطيفة بن أبي نعي وسند كره

﴿ذكر الحيانة المباركة﴾

وحيانة مكة خارجة باب المعلى ويعرف ذلك الموضع أيضاً بالحجون واية عن الحرث بن
مضاخر الجرهمي بقوله

كان لم يكن بين الحجون الى الففا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن ككنا أهلها فأبادنا * صروف اليا الى والجدود انموثر

وبهذه الحيانة مدفن الجرم الفقير من الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين والاولياء الا أن
مشاهدتهم دثرت وذهب عن أهل مكة علمهم فلا يعرف منها الا القليل فمن المعروف منها قبر
أم المؤمنين ووزير سيد المرسلين خديجة بنت خويلد أم أولاد النبي صلى الله عليه وسلم تسليماً
كلهم ما عدا ابراهيم وجدة السبطين الكريمين صلوات الله وسلامه على النبي صلى الله عليه
وسلم تسليماً وعليهم أجمعين وبمترية منه قبر الخليفة أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور عبد الله
ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضى الله عنهم أجمعين وفيها الموضع الذي صلب فيه
عبد الله بن الزبير رضى الله عنهم وكان به بنية هدمها أهل الطائف غيرة منهم لما كان يلحق
حجاجهم المير من الامن وعن يمين مستقبل الحيانة مسجد خراب يقال انه المسجد الذي

بايعة الجن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً وعلى هذه الحياة طريق الصاعد الى عرفات وطريق الازهار الى الطائف والى العراق

﴿ذكر بعض انشاء خارج مكة﴾

ثمها الحجون وقد ذكرناه ويقال أيضاً ان الحجون هو الجبل المطل على الحياة ومنها المحصب وهو أيضاً الا بطح وهو الى الحياة المذكورة وفيه خيف بني كنانة الذي نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً ومنها ذو طوى وهو وادي يهبط على قبور المهاجرين التي بالحصب خاص دون ثنية كداء ويخرج منه الى الاعلام الموضوعة بجزا بين الحل والحرم وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه اذا قدم مكة شرفها الله تعالى بيده بذي طوى ثم يغتسل منه ويغزو الى مكة ويذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً فعل ذلك ومنها ثنية كدي (بضم الكاف) وهي باعلى مكة ومنها دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع الى مكة ومنها ثنية كداء (بفتح الكاف) ويقال لها الثنية البيضاء وهي بأسفل مكة ومنها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً عام الوداع وهي بين جبلين وفي مضيقها كوم حجارة موضوع على الطريق وكل من يمر به يرجه بحجر ويقال انه قبر أبي لهب وزوجه حمالة الحطب وبين هذه الثنية وبين مكة بسيط سهل ينزله الرك اذا صدر راعن منى هو بمقربة من هذا الموضع على نحو ميل من مكة شرفها الله مسجد بآرائه حجر موضوع على الطريق كأنه مسطبة يملوه حجر آخر كان فيه نقش قد ترسوه يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم تسليماً قعد بذلك الموضع مستريحاً عند مجيئه من عمرته فيتبرك الناس بتقييله ويستندون اليه ومنها التميم ود على فرسخ من مكة ومنها يعتمر أهل مكة وهو أدنى الحل الى الحرم ومنها اعتمر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً في حجة الوداع مع أخيها عبد الرحمن رضي الله عنه وأمره أن يعمرها من التميم وبنت هنالك مساجد ثلاثة على الطريق تنسب كلها الى عائشة رضي الله عنها وطريق التميم طريق فسيح والناس يخرجون كنفه في كل يوم رغبة في الاجر والثواب لان من المعتمرين من يمشي فيه حافياً وفي هذا الطريق الآبار العذبة التي تسمى الشبيكة ومنها الزاهر وهو على نحو ميلين

من مكة على طريق التنعيم وهو موضع على جانبي الطريق فيه أثر دور وبساتين وأسواق وعلى جانب الطريق دكان مستطيل تصنف عليه كيزان الشرب وأواني الوضوء ولماؤها خديم ذلك الموضع من آبار الزاهر وهي بعيدة القعر جدا والخديم من الفقراء المجاورين وأهل الخير يعينونه على ذلك لمساقيه من المرفة للمعتمرين من الغسل والشرب والوضوء وذو طوي يتصل بالزاهر

﴿ذكر الجبال المطيفة بمكة﴾

فمنها جبل أبي قيس وهو في جهة الجنوب والشرق من مكة حرسها الله وهو أحد الاخشيين وادنى الجبال من مكة شرفها الله وية ابل ركن الحجر الاسود وبأعلاه مسجد وأثر رباط وعمارة وكان الملك الظاهر رحمه الله أراد أن يعمره وهو مطل على الحرم الشريف وعلى جميع البلد منه يظهر حسن مكة شرفها الله وجمال الحرم واتساعها والكعبة المعظمة ويذكر أن جبل أبي قيس هو أول جبل خلقه الله تعالى وفيه استودع الحجر زمان الطوفان وكانت قريش تسميه الامين لأنه أدى الحجر الذي استودع فيه الى الخليل ابراهيم عليه السلام ويقال ان قبر آدم عليه السلام به وفي جبل أبي قيس موضع موقف النبي صلى الله عليه وسلم حين انشق له القمر ومنها قيعان وهو أحد الاخشيين ومنها الجبل الاحمر وهو في جهة الشمال من مكة شرفها الله ومنها الخندمة وهو جبل عند الشيبين المعروفين باحياد الاكبر وأحياد الاصغر ومنها جبل الطير وهو على أربعة عن جهتي طريق التنعيم يقال انها الجبال التي وضع عليها الخليل عليه السلام أجزاء الطير ثم دعاها حسبما نص الله في كتابه العزيز وعابها الأعلام من حجارة ومنها جبل حراء وهو في الشمال من مكة شرفها الله تعالى على نحو فرسخ منها وهو مشرف على مني ذاهب في الهواء عالي القنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه كثير اقبل المبعث وفيه ماء الحق من ربه وبدء الوحي وهو الذي اهتز تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اثبت فمعا عليك الانبي وصديق وشهيدواختلف فيمن كان معه يومئذ وروى أن العشرة كانوا معه وقد روى أيضاً أن جبل ثبير اهتز تحته أيضاً ومنها جبل نور وهو على مقدار فرسخ من مكة شرفها

الله تعالى على طريق اليمن وفيه الغار الذي آوى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما حين
خروجه مهاجرا من مكة شرفها الله ومعه الصديق رضي الله عنه حسباء ورد في الكتاب
العزير وذكر الازرق في كتابه أن الجيل المذكور نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم
تسليما وقال الى يا محمد الى الى ان قد آويت قبلك سبعين نبيا فلما دخل رسول الله الغار واطمأن
به وصاحبه الصديق معه نسجت العنكبوت من حينها على باب الغار وصنعت الحماة عشا
وفرخت فيه باذن الله تعالى فاتهمي المشركون ومعهم قصاص الاثر الى الغار فقالوا ههنا
انقطع الاثر ورأوا العنكبوت قد نسج على فم الغار والحمام مفرخة فقالوا ما دخل احد هنا
وانصرفوا فقال الصديق يا رسول الله لو ولجوا علينا منه قال كنا نخرج من هنا وأشار بيده
المباركة الى الجانب الآخر ولم يكن فيه باب فافتتح فيه باب لالحين بقدره الملك الوهاب
واناس يقصدون زيارة هذا الغار المبارك فيرومون دخوله من الباب الذي دخل منه
النبي صلى الله عليه وسلم تبركا بذلك فمنهم من يتأني له ومنهم من لا يتأني له وينشب فيه حتى
يتناول بالجذب العنيف ومن الناس من يصلي امامه ولا يدخله وأهل تلك البلاد يقولون انه
من كان لرشدة دخله ومن كان لزنية لم يقدر على دخوله ولهذا تحاماه كثير من الناس لانه
مخجل فاضح قال ابن حزي اخبرني بعض اشياخنا الحجاج الاكياس ان سبب صعبوبة
الدخول اليه هو ان بداخله ممالي هذا الشق الذي يدخل منه حجرا كبيرا معترضا فمن
دخل من ذلك الشق مبطحا على وجهه وصل رأسه الى ذلك الحجر فلم يتمكن التولج ولا يمكنه
أن ينطوي الى العلو ووجهه وصدره يليان الارض فذلك هو الذي ينشب ولا يخلص الا
بعد الجهد والجذا الى خارج ومن دخل منه مستاقيا على ظهره تمكنه لانه اذا وصل رأسه
الى الحجر انعترض رفع رأسه واستوى قاعد أفكان ظهره مستدأ الى الحجر المعترض
وأوسطه في الشق ورجلاه من خارج الغار ثم يقوم قائما بداخل الغار رجعا (حكاية)
ومما اتفق بهذا الجيل لصاحبين من أصحابي أحدهما الفقيه المكرم أبو محمد عبد الله بن
فرحان الافريقى التوزري والآخر أبو العباس أحمد بن الاندلسي الوادي أشي انهما قصدا
(الغار) في حين مجاورتهما بمكة شرفها الله تعالى في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وذهبا

منفردين لم يستصحبوا دليلاً عارفاً بطريقه فتأها وضلاً طريق الغار وسلكا طريقاً سواها
 منقطعة وذلك في أو ان اشتداد الحر وحمي القيظ فلهما انقضا كان عندهما من الماء وهما لم يصلا
 الى الغار اخذا في الرجوع الى مكة شرفها الله تعالى فوجدوا طريقاً قافلاً تبعاه وكان يفضي الى
 جبل آخر واشتد بهما الحر وأجهدهما العطش وعائنا الهلاك وعجز النقيع أبو محمد بن فرحان
 عن المشي جملة والقي بنفسه الى الارض ونجا الاندلسي بنفسه وكان فيه فضل قوة ولم يزل
 يسلك تلك الجبال حتى أفضي به الطريق الى أحياد فدخل الى مكة شرفها الله تعالى وقصدني
 واعلمني بهذه الحادثة وبما كان من أمر عبد الله التوزري واتقطاعه الجبل وكان ذلك في
 آخر النهار ولعب به الله المذكور ابن عم اسمه حسن وهو من سكان وادي نخلة وكان اذذاك
 بمكة فاعلمته بما جرى على ابن عمه وقصدت الشيخ الصالح الامام أبا عبد الله محمد بن عبد
 الرحمن المعروف بخليل امام المالكية فنع الله به فاعلمته بخبره فبعث جماعة من أهل مكة
 عارفين بتلك الجبال والشعاب في طلبه وكان من أمر عبد الله التوزري انه لما فارقه رفيقه
 لحاً الى حجر كبير فاستظل بظله واقام على هذه الحالة من الجهد والعطش والغربان تطير
 فوق رأسه وتنتظر موته فلما انصرم النهار وأتى الليل وجد في نفسه قوة ونعشه برد الليل
 فقام عند الصباح على قدميه ونزل من الجبل الى بطن واد حجبت الجبال عنه الشمس فلم يزل
 ماشياً الى أن بدت له دابة فقصد قصد ها فوجد خيمة للعرب فلما رآها وقع الى الارض ولم
 يستطع النهوض فرأته صاحبة الخيمة وكان زوجها قد ذهب الى ورد الماء فسقته ما كان
 عندها من الماء فلم يرو ووجاء زوجها فسقاه قربة ماء فلم يرو وواركه حماراً له وقدم به مكة
 فوصلها عند صلاة العصر من اليوم الثاني متغيراً كما قام من قبر

﴿ ذكر أميري مكة ﴾

وكانت امانة مكة في عهد دخول اليها الاشريين الاجلين الاخوين أسد الدين رمية
 وسيف الدين عطيفة ابني الامير أبي نجي بن أبي سعد بن علي بن قتادة الحسينيين ورمية
 أكبرهما سنا ولكنه كان يقدم اسم عطيفة في الدعاء له بمكة لعدله ورمية من الاولاد أحمد
 ومجلان وهو أمير مكة في هذا العهد وتقية وسندو أم قاسم ولعطيفة من الاولاد محمد ومبارك

ومسعود ودار عطيفة عن يمين المروة ودار أخيه رميثة برباط الشرابي عند بادية بني شيبه
وتضرب الطبول على باب كل واحد منهما عند صلاة المغرب من كل يوم

﴿ ذكر أهل مكة وفضائلهم ﴾

ولا هـل مكة الافعال الجميلة والمكارم التسامة والاخلاق الحسنة والايشار الي الضعفاء
والمنقطعين وحسن الجوار لاغرباء ومن مكارمهم انهم متى صنع أحدهم وليمة يبدأ فيها بطعام
الفقراء المنقطعين المجاورين ويستدعيهم بتلطف ورفق وحسن خلق ثم يطعمهم وأكثر
الماكين المنقطعين يكونون بالافران حيث يطبخ الناس أخبازهم فاذا طبخ أحدهم خبزه
واحتمله الي منزله فيتبعه المساكين فيعطى لكل واحد منهم ما قسم له ولا يرددهم خائبين ولو
كانت له خبزة واحدة فانه يمطي ثلثها أو نصفها طيب النفس بذلك من غير ضجر ومن أفعالهـم
الحسنة ان الايتام الصغار يقعدون بالسوق ومع كل واحد منهم قمتان كبرى وصغرى وهم
يسمون القففة مكنتلا فيأتي الرجل من أهل مكة الي السوق فيشتري الحبوب وانا حـم
والخضر ويعطى ذلك لاصبي فيجعل الحبوب في إحدى قفتيه والاحم والخضر في الاخرى
ويوصل ذلك الي دار الرجل ليهايله طعامه منها ويذهب الرجل الي طوافه وحاجته فلا
يذكر ان احدا من الصبيان خان الامانة في ذلك قط بل يؤدي ما حمل على انهم الوجوه ولهم
على ذلك أجرة معلومة من فلوس وأهل مكة لهم ظرف ونظافة في الملابس وأكثر لباسهم
لبياض فترى ثيابهم ابداناً صاعدة ساطعة ويستعملون الطيب كثيراً ويكثرون ويكثرون
لسواك بعيدان الاراك الاخضر ونساء مكة فائقات الحسن بارعات الجمال ذوات صلاح
وعفاف وهن يكثرن التطيب حتي ان احداهن لتيت طاوية وتشترى قوتها طيبا وهن
تمصدن الطواف بالبيت في كل ليلة جمعة فيأتين في أحسن زي وتغلب على الحرم رائحة طيبهن
تذهب المرأة منهن فيبقى أثر الطيب بعد ذهابها عبقا ولا هـل مكة عوائد حسنة في الموسم
يغيره سندكرها ان شاء الله تعالى اذا فرغنا من ذكر فضلائها ومجاوريها

﴿ ذكر قاضي مكة وخطيبها وامام الموسم وعلمائها وصلحاتها ﴾

قاضي مكة العالم الصالح العابد نجم الدين محمد بن الامام العالم محي الدين الطبري وهو فاضل

كثير الصدقات والمواهب لأمجاد مجاورين حسن الأخلاق كثير الطواف والمشاهدة للكمبة الشريفة يطعم الطعام الكثير في الواسم المعظمة وخصوصاً في مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسامياً فإنه يطعم فيه شرفاء مكة وكبراءها وفقراءها وخدام الحرم الشريف وجميع المجاورين وكان سلطان مصر الملك الناصر رحمه الله يعظمه كثير من جميع صدقاته وصدقات أمراءه تجري على يديه وولده شهاب الدين فاضل وهو الآن قاضي مكة شرفها الله وخطيب مكة الإمام بمقام إبراهيم عليه السلام الفصيح المصقع وحيد عصره بهاء الدين الطبري وهو أحد الخطباء الذين ليس بالمعمورة مثلهم بلاغة وحسن بيان وذكرك لي أنه ينشئ لكل جمعة خطبة ثم لا يكررها فيما بعد وإمام الموسم وإمام المالكية بالحرم الشريف هو الشيخ الفقيه السالم الصالح الخاشع الشهير أبو عبد الله محمد بن الفقيه الإمام الخ الورع أبي زيد عبد الرحمن وهو المشتهر بخليل نفع الله به وأمتع بقائه وأهله من بلاد الجريد من إفريقية ويمر فون بها بني حيون وهم من كبارها ومولده ومولده أبيه بمكة شرفها الله وهو أحد الكبار من أهل مكة بل وأئمة أهلها وقطبها باجماع الطوائف على ذلك مستغرق العبادة في جميع أوقاته مستحج كريم النفس حسن الأخلاق كثير الشفقة لا يرد من سأله خائباً

﴿حكاية مباركة﴾

رأيت أيام مجاورتي بمكة شرفها الله وأنا ذاك ساكن منها بالمدرسة المظفرية رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً في النوم وهو قاعد بمجاس التدريس من المدرسة المذكورة بجانب الشباك الذي تشاهد منه الكمبة الشريفة والناس يبايعونه فكنت أرى الشيخ أبا عبد الله المدعو بخليل قد دخل وقعدا لقرئاء بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تسامياً وجعل يردد في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبايكم على كذا وكذا وعدداً من شأنها وأن لا أردد من يتي مسكيناً خائباً وكان ذلك آخر كلامه فكنت أعجب من قوله وأقول في نفسي كيف يقول هذا ويقدر عليه مع كثرة فقره ومكة واليمن والزيالة والعراق والعجم ومصر والشام وكنت أراه حين ذلك لا بأساجية بيضاء قصيرة من ثياب القطن المدعوة بالقفطان كان يلبسها في بعض الأوقات فلما صابت الصبح تدوت عليه وأعلمته برؤياي فسر بها وبكى

وقال لي تلك الحجة أهدها بعض الصالحين لجدي فانا ألبسها تبركا وما آيته بعد ذلك يرد
سائر الأخائب وكان يأمر خدامه ينحزون الخبز ويطحون الطعام ويأتون به الى بعد صلاة
العصر من كل يوم وأهل مكة لا يأكلون في اليوم الامرة واحدة بعد العصر ويقتصرون
عليها الى مثل ذلك الوقت ومن أراد الاكل في سائر النهار أكل التمر ولذلك صحت أبدانهم
وقلت فيهم الامراض والعاهات وكان الشيخ خليل متزوجا بنت القاضي نجم الدين الطبري
فشك في طلاقها وفارقها وتزوجها بعد الغيبة شهاب الدين النويري من كبار المجاورين
وهو من صعيد مصر وأقامت عنده أعواما وسافر بها الى المدينة الشريفة ومعهما أخوها
شهاب الدين فمات في يمين بالطلاق ففارقها على ضنائه بها وراجعها الفقيه خليل بعد سنين
عدة ومن أعلام مكة امام الشافعية شهاب الدين بن البرهان ومنهم امام الحنفية شهاب الدين
أحمد بن علي من كبار أئمة مكة وفضلائها يطعم المجاورين وأبناء السبيل وهو أكرم فتهاء مكة
ويدان في كل سنة أربعين ألف درهم وخمسين ألفا فيؤديه الله عنه وأمراء الأتراك
يعظمونه ويحسنون الظن به لانه امامهم ومنهم امام الخنابلة المحدث الفاضل محمد بن عثمان
البغدادي الأصل السكي المولد وهو نائب القاضي نجم الدين والمحتسب بعد قتل تقي الدين
المصري والناس يهابونه اسعولونه

﴿حكاية﴾

كان تقي الدين المصري محتسبا بمكة وكان له دخول فيما يمينه وفيما لا يمينه فاتفق في بعض
السنين ان أتى أمير الحاج بصبي من ذوى الدعارة بمكة قد سرق بعض الحاج فامر بقطع
يده فقال له تقي الدين ان لم تقطعها بحضرتك والاغلب أهل مكة خدامك عليه فاستنقذوه
منهم وخصوصا فامر بقطع يده في حضرة فقطعت وحققدها لتقي الدين ولم يزل يتربص به
الدوائر ولا قدرة له عليه لان له حسابا من الاميرين بميثقة وعطيفة والحسب عندهم ان يعطى
أحدهم هدية من عمامة أو شاشية بمحضرة الناس تكون جوار المن أعطيته ولا تزول
حرمتها معه حتى يريد الرحلة والتحول عن مكة فاقام تقي الدين بمكة أعواما ثم عزم على
الرحلة وودع الاميرين وطاف طواف الوداع وخرج من باب الصفا فلقية صاحبه الاقطع
وتشكى له ضعف حاله وطلب منه ما يستعين به على حاجته فانتهر تقي الدين وزجره فاستل

خنجرا له يعرف سندهم بالجندية وضربه ضربة واحدة كان فيها حتفه ومنهم الفقيه الصالح زين الدين الطبري شقيق نجم الدين المذكور من أهل الفضل والاحسان للمجاورين ومنهم الفقيه المبارك محمد بن فهد القرشي من فضلاء مكة وكان ينوب عن القاضي نجم الدين بعد وفاة الفقيه محمد بن عثمان الخنبلي ومنهم العدل الصالح محمد بن البرهان زاهد ورع مبتلى بالوسواس رأيت يوم مايتوضأ من بركة المدرسة المظفرية فيغسل ويكرر ويسح رأسه أعاد مسح مرات ثم لم يقفه ذلك فغطس رأسه في البركة وكان إذا أراد الصلاة بمصلي الامام الشافعي وهو يقول نويت نويت فيصلي مع غيره وكان كثير الطواف والاعتمار واذكر

﴿ذكر المجاورين بمكة﴾

فمنهم الامام العالم الصالح الصوفي المحقق العابد عفيف الدين عبد الله بن أسعد البني الشافعي الشهير بالياضي كثير الطواف بالليل وأطراف النهار وكان إذا طاف من الليل يصعد إلى سطح المدرسة المظفرية فيقعد ثم يمشي إلى الكعبة الشريفة إلى أن يغلب النوم فيجمل تحت رأسه حجرا وينام يسيرا ثم يجدد الوضوء ويعود للحالة من الطواف حتى يصلي انصبح وكان متزوجا بنت الفقيه العابد شهاب الدين بن البرهان وكانت صغيرة السن فلا تزال تشكو إلى أبيها حالها فإمرها بالصبر فقامت معه على ذلك سنين ثم فارقتهم ومنهم الصالح العابد نجم الدين الاصفهاني كان قاضيا ببلاط الصعيد فانقطع إلى الله تعالى وجاور بالحرم الشريف وكان يعتمر في كل يوم من التعميم ويعتمر في رمضان مرتين في اليوم اعتمادا على ما في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم تسليما أنه قال عمرة في رمضان تعدل حجة ممي ومنهم الشيخ الصالح العابد شمس الدين محمد الحلبي كثير الطواف والتلاوة من قدماء المجاورين مات بمكة شرفها الله ومنهم الصالح أبو بكر الشيرازي المعروف بالصامت كثير الطواف أقام بمكة أعواما لا يتكلم فيها ومنهم الصالح خضر المعجمي كثير الصوم والتلاوة والطواف ومنهم الشيخ الصالح برهان الدين المعجمي النواعظ كان ينصب له كرسي تجاه الكعبة الشريفة فيعظ الناس ويذكرهم بلسان فصيح ووقاب خاشع يأخذ بمجامع القلوب ومنهم الصالح المجود برهان الدين ابراهيم المصري مقرئ مجيد ساكن رباط السعدرة ويقصده أهل مصر والشام

بصدقاتهم ويعلم الايتام كتاب الله تعالى ويقوم بمؤتمهم ويكسوهم ومنهم الصالح العابد عن
 الدين الواسطي من أصحاب الأموال الطائلة يحمل اليه من بلدة المال الكثير في كل سنة
 فيبتاع الحبوب والتمر ويقرقها على الضعفاء والمساكين ويتولى حملها الى بيوتهم بنفسه ولم
 يزل ذلك دأبه الى ان توفي ومنهم الفقيه الصالح الزاهد أبو الحسن علي بن رزق الله الأنجري
 من أهل قطر طنجة من كبار الصالحين جاور بمكة أعواما وبها وفاته كانت بينه وبين والدي
 صحبة قديمة حتى أتى بلدها طنجة نزل عندنا وكان له بيت بالمدرسة المظفرتة يعلم العلم فيها نهارا
 ويأوى بالليل الى مسكنه برباط ربيع وهو من أحسن الرباطات بمكة بداخله بئر عذبة
 لا تماثلها بئر بمكة وسكانه الصالحون وأهل ديار الحجاز يعظمون هذا الرباط تعظيما شديدا
 وينذرون له التذور وأهل الطائف يأتونه بالفواكه ومن عاداتهم ان كل من له بستان من
 النخيل والعنب والفرسك وهو الخوخ والتين وهم يسمونه الخبط يخرج منه العشر لهذا
 الرباط ويوصلون ذلك اليه على جمالهم ومسيرة ما بين مكة والطائف يوان ومن لم يف بذلك
 نقصت فواكه في السنة الآتية وأصابها الجوائح

﴿حكاية في فضله﴾

أتي يوما غلمان الأمير أبي نعي صاحب مكة الى هذا الرباط ودخلوا بخيل الأمير وسقوها من
 تلك البئر فلما عادوا بالخيول الى مرابطها أصابها الاوجاع وضربت بانفسها الارض
 وبرؤسها وأرجلها واتصل الخبر بالأمير أبي نعي فأتى باب الرباط بنفسه واعتذر الي
 المساكين الساكنين به واستصحب واحدا منهم فمضى الى بطون الدواب بيده أراقت
 ما كان في أجوافها من ذلك الماء وبرئت مما أصابها ولم يتعرضوا بعدها للرباط الا بالخير
 ومنهم الصالح المبارك أبو العباس الفماري من أصحاب أبي الحسن بن رزق الله وسكن
 رباط ربيع ووفاته بمكة شرفها الله ومنهم الصالح أبو يعقوب يوسف من بادية سبتة كان
 خديما للشيخين المذكورين فلما توفيا صار شيخ الرباط بعدها ومنهم الصالح السائح
 السالك أبو الحسن علي بن فرغوس التامساني ومنهم الشيخ سعيد الهندي شيخ
 رباط كلالة

﴿حكاية﴾

كان الشيخ سعيد قد قصد ملك الهند محمد شاه فاعطاه مالا عظيما قدم به مكة فسيجنه الامير عطيفة وطلبه باداء المال فامتنع فعذب بعه ررجا فاعطني خمسة وعشرين ألف درهم نقرة وعاد الى بلاد الهند ورأيت بها ونزل بدار الامير سيف الدين غدا بن هبة الله بن عيسى ابن مهدي أمير عرب الشام وكان غدا ساكنا ببلاد الهند متزوجا بخت مائكةا وسيدكر أمير فاعطني ملك الهند للشيخ سعيد جملة مال وتوجهه صحبة حاج يرف بوشلي من ناس الامير غدا ووجه الامير المذكور يأتيه ببعض ناسه ووجهه معه أهوالا وتخدمها الخامة التي حمله اعليه ملك الهند لانه زفانه باخته وهي من الحرير الازرق زركشة بالذهب ومرصعة بالجواهر بحيث لا يظن لونها الغلبة الجوهر عاير به ثمنه خمسين ألف درهم ليش تري له الخيل العتق فاسافر الشيخ سعيد صحبة وشل واشترى سلما بمعا عندهما من الاموال فابلهما وصلا جزيرة سقطرة المنسوب اليها الحبر السفطري خرج عليه مالصوص الهند في سراكب كثيرة فقاموا هم قبالا لشديد ألمات فيه من الفريقةين جملة وكان وشل رايا فقتل منهم جماعة ثم غاب السراق عايرهم وطعنوا وشلا طعنة مات منها بعد ذلك وأخذوا ما كان عندهم وتركوا لهم مركبهم بالة ففردوا زاد نذهبوا الى عدن ومات بها وشل وعادة هؤلاء السراق أنهم لا يتلون أحدا إلا في حير القتل ولا يفرقونه وانما يأخذون ماله ويتكونه يذهب بمركبه يث شاء ولا يأخذون المما باليك لانهم من جنسه وكان الحاج سعيدا سمع من ملك الهندا يريد اظهار الدعوة العباسية ببلده كمثل ما فعله ملوك الهند من بعده مثل الساعدان شمس الدين الممشوا (فتح التزم المشرق واستأمنه راجع) وشين معجم) وولده ناصر الدين ومثل السلطان جلال الدين فيروز شاه والسلطان غياث الدين بلبن وكانت الخلع تأتي اليهم من بغداد فلهما توفي وشل قصد الشيخ سعيد الى الخليفة أبي العباس بن الخليفة أبي الربيع سايمان العباسي بمصر وأعلمه بالامر فكتب له كتابا بخطه بالنيابة عنه ببلاد الهند فاستمع صاحب الشيخ سعيد الكتاب وذهب الى اليمن واشترى بها

ثلاث خلع سودا وركب البحر الى هذا فلما وصل كنيات وهي على مسيرة أربعين يوما من دهلي حضرة ملك الهند كتب صاحب الخبر الى الملك يعلمه بقدم الشيخ سعيد وأن معه أمير الخليفة وكتابه فورد الأمر ببعثه الى الحضرة مكرما فلما قرب من الحضرة بعث الأمراء والقضاة والفقهاء لتلقيه ثم خرج هو بنفسه لتلقيه فتلقاء وعانقه ودفع له الأمر فقبله ووضع على رأسه ودفع له الصندوق الذي فيه الخلع فاحتمله الملك على كاهله خطرات ولبس إحدى الخلع وكسى الأخرى الأمير غياث الدين محمد بن عبد القادر بن يوسف بن عبد العزيز بن الخليفة المنتصر العباسي وكان مقبلا عند وسيد كر خبره وكسى الخلة الثالثة الأمير قبولة الملقب بالملك الكبير وهو الذي يقوم على رأسه ويشرد عنه الذباب وأمر الساطع نخلع على الشيخ سعيد ومن معه وأركبه على الفيل ودخل المدينة كذلك والسلطان أمامه على فرسه وعن يمينه وشماله الأميران اللذان كساها الخلعين العباسيين والمدينة قد زينت بأنواع الزينة وصنع بها إحدى عشرة قبة من الخشب كل قبة منها أربع طبقات في كل طبقة طائفة من المغنيين رجالا ونساء وانراصات وكلهم مماليك الساطع والقبة مزينة بثياب الحرير المذهب أعلاها وأسفلها وداخلها وخارجها وفي وسطها ثلاثة أحواض من جلود الحواميس ملوذة ماء قد غسل فيه الجلاب يشربه كل واحد وصادر لا يمنع منه أحد وكل من يشرب منه يعطى بمثل ذلك خمس عشرة ورقة من أوراق التنبول والفوفل والتوردة فيأكلها فطيب نكهته ويزيد في حمرة وجهه ولثاته وتقمع عنه الصفراء وتهضم ماأكل من الطعام ولمساركب الشيخ سعيد على الفيل فرشت له ثياب الحرير بين يدي الفيل يطأ عليها الفيل من باب المدينة الى دار السلطان وأنزل بدار تقرب من الملك وبنت له أم والاطائلة وجميع الاثواب المعلقة بالمفروشة بالقبات والموضوعة بين يدي الفيل لا تعود الى السلطان بل يأخذها أهل الطرب وأهل الصناعات الذين يصنعون القباب وخدام الاحواض وغيرهم وهكذا فعلهم متى قدم السلطان من سفر وأمر الملك بكتاب الخليفة أن يقرأ على المنبر بين الخطبتين في كل يوم جمعة وأقام الشيخ سعيد شهرا ثم بعث معه الملك هدايا الى الخليفة فوصل كنيات وأقام بها حتى تيسرت أسباب حركته في البحر وكان

ملك الهند قد بعث أيضاً من عنده رسولاً الى الخليفة وهو الشيخ رجب البرقي أحد شيوخ
الصوفية وأصله من مدينة القرم من صحراء قبجق وبعث معه هدايا للخليفة منها حجر يا قوت
قيمته خمسون ألف دينار وكتب له يطلب منه أن يعقد له النيابة عنه ببلاد الهند والسند
ويبعث لها سواه من يظهر له هكذا نص عليه كتابه اعتقاد آمنه في الخلافة وحسن نية وكان
للشيخ رجب أخ بديار مصر يدعي بالامير سيف الدين الكاشف فلما وصل رجب الى
الخليفة أي أن يقرأ الكتاب ويقبل الهدية الا بمحض الملك الصالح اسماعيل ابن الملك
الناصر فأشار سيف الدين على أخيه رجب ببيع الحجر فباعه واشترى بثمنه وهو ثلاثمائة
الف درهم أربعة أحجار وحضر بين يدي الملك الصالح ودفع له الكتاب وأحداً لحجار
ودفع سائر هالامراته واتفقوا على أن يكتب للملك الهند بما طلبه فوجهوا الشهود الى
الخليفة وأشهد على نفسه أنه قدمه نائباً عنه ببلاد الهند وما يليها وبعث الملك الصالح رسولاً من
قبله وهو شيخ الشيوخ بمصر ركن الدين المعجمي ومعه الشيخ رجب وجماعة من الصوفية
وركبوا بحر فارس من الابل الى هرمز وسلطانها يومئذ قطب الدين نعمان بن طوران شاه
فاكرم منواهم وجهازهم مركباً الى بلاد الهند فوصلوا مدينة كنيات والشيخ سعيد بها
وأمرها يومئذ مقبول التتسكي أحد خواص ملك الهند فاجتمع الشيخ رجب بهذا الامير
وقال له ان الشيخ سعيد انما جاءكم بالتزوير والخلع التي ساقها انما اشتراها بعدن فينبغي
أن تتفقوه وتبعثوه لخوند عالم وهو السلطان فقال له الامير الشيخ سعيد معظم عند السلطان
فما يفعل به هذا الا بامر ولكني أبعثه معكم ليرى فيه السلطان رأيه وكتب الامير بذلك
كله الى السلطان وكتب به أيضاً صاحب الاخبار فوقع في نفس السلطان تغير وانقبض عن
الشيخ رجب لكونه تكلم بذلك على رؤس الاشهاد بعد ما صدر من السلطان للشيخ سعيد
من الاكرام ما صدر فتمنع رجا من الدخول عليه وزاد في اكرام الشيخ سعيد ولم يدخل
شيخ الشيوخ على السلطان قام اليه وعانقه وأكرمه وكان متى دخل اليه يقوم له وبقى الشيخ
سعيد المذكور بارض الهند معظم ما مكر ما وبها تركته سنة ثمان وأربعين وكان بمكة أيام
مجاورتي بها حسن المغربي المجنون وأمره غريب وشأنه عجيب وكان قبل ذلك صحيح العقل

خديع لولي الله تعالى نجم الدين الاصبهاني أيام حياته

﴿حكايته﴾ كان حسن المجنون كثير الطواف بالليل وكان يرى في طوافه بالليل فقير
يكثّر الطواف ولا يراه بالنهار فلقية ذلك الفقير ليلة وسأله عن حاله وقال له يا حسن أراك
تبكي عايتك وهي مشتاقة الي رؤيتك وكانت من اماء الله الصالحات فتعجب أن تراها قال له نعم
ولكني لا قدر تلي على ذلك فقال له فجمع ههنا في الليلة المقبلة أن شاء الله تعالى فاما كانت
الليلة المقبلة وهي ليلة الجمعة وجده حيث واعدته فطافا بالبيت ما شاء الله ثم خرج وهو في أثره
الي باب المسمى نأمره أن يسد عينيه ويمسك بشوبا ففعل ذلك ثم قال بعد ساعة أتعرف بلدك
قال نعم قل هاهو هذا ففتح عينيه فاذا به على دار أمد فدخل سائها ولم يعلم بها بشي مما جرى
وأقام عندهما نصف شهر وأظن ان بلده مدينة أسفى ثم خرج الي الحيانة فوجد الفقير
صاحبه فقال له كيف أنت فقال ياسيدي انى اشتقت الي رؤية الشيخ نجم الدين وكنت
خرجت على عادتي وغبت عنه هذا الايام واحب ان ردي اليه فقل له نعم وواعدته الحيانة
ليلا فاما واقام به امره أن يفعل كفعله في مكة شرفها الله من تغيب عينيه والامساك بذيله
ففعل ذلك فاذا به في مكة شرفها الله وأوصاه ان لا يحدث نجم الدين بشي مما جرى ولا يحدث
به غيره فلما دخل الي نجم الدين قال له أين كنت يا حسن في غيبتك فأبى أن يخبره فعزم عليه
وأخبره بالحكاية فقال أرى الرجل فأتى معه ليلا وأتى الرجل على عادته فلما مر بهما قال له
ياسيدي هو هذا فسمعه الرجل فضرب بيده على فمها وقال أسكت أسكتك الله فخرس لسانه
وذهب عقله وبقى بالحرم وطاف بالليل والنهار من غير وضوء ولا صلاة والناس
يتبركون به وبنته وانه اذا جاع خرج الي السوق اتي بين السبائ والمروقة في تصدحوا من
الحوانيت فبأكل منها ما احب لا يصدده أحد ولا يمنعه بل يسر كل من أكل له شيئا وتظهر له
البركة والنساء في بيعه وربحه وبقى في السوق تطاولاها باعناقهم اليه كل منهم يحرس
على أن يأكل من عنده ما جربوه من بركته وكذلك فعله مع السقائين متى أحب أن يشرب
ولم يزل دأبه كذلك الي سنة ثمان وعشرين ففج فيها الامير سيف الدين يملك فاستدعيه
صه الي ديار مصر فاقطع خبره ففزع الله تعالى به

﴿ ذكر عادة أهل مكة في صلواتهم وموضع أئمتهم ﴾

فمن عادتهم أن يصلي أول الأئمة أمام الشافعية وهو المقدم من قبل أولى الأمر وصلاته خلف المقام الكريم مقام إبراهيم الخليل عليه السلام في حطيم له هنالك بديع وجهه ورالناب بمكة على مذهبه والحطيم خشبتان موصول ما بينهما باذرع شبه السلم تقابلهما خشبتان على صفتهم واقعدت على أرجل محصصة وعرض على أعلى الخشب خشبة أخرى فيها خطاطيف حديد يعلق منها قاذيل زجاج فاذا صلى الإمام الشافعي صلى بعده الإمام المالكية في محراب قبالة الركن اليماني ويصلي أمام الحنابلة معه في وقت واحد مقابلا ما بين الحجر الأسود والركن اليماني ثم يصلي أمام الحنفية قبالة الميزاب المكرم تحت حطيم له هنالك ويوضع بين أيدي الأئمة في محاريبهم الشمع وترتيبهم هكذا في الصلوات الأربع وأما صلاة المغرب فأنهم يصلونها في وقت واحد كل إمام يصلي بطائفته ويدخل على الناس من ذلك سهو وتخليط فرماد كع المالكي ركوع الشافعي وسجدة الحنفي وسجود الحنبلي وتراهم مصيحين كل واحد إلى صوت المؤذن الذي يسمع طائفته ليلا يدخل عليه السهو

﴿ ذكر عادتهم في الخطبة وصلاة الجمعة ﴾

وعادتهم في يوم الجمعة أن يلصق المنبر المبارك إلى صفح الكعبة الشريفة، فها بين الحجر الأسود والركن العراقي ويكون الخطيب مستقبلاً المقام الكريم فاذا خرج الخطيب أقبل لا بسائوب سواد معتما بعمامة سوداء عليها طياسان أسود كل ذلك من كسوة الملك الناصر وعليه الوقار والسكينة وهو يتهاذى بين رايتين سوداوين تمسكهما رجلا من المؤذنين وبين يديه أحد القوم في يده الفرقة وهي عود في طرفه جلد رقيق مفتول ينفذه في الهواء فيسمع له صوت عال يسمعه من بداخل الحرم وخارجيه فيكرن اعلاما بخروج الخطيب ولا يزال كذلك إلى أن يقرب من المنبر فيقبل الحجر الأسود ويدعو عنده ثم يقصد المنبر والمؤذن الزمزمي وهو رئيس المؤذنين بين يديه لا بسا السواد وعلى عاتقه السيف ممسكاً به يده أو تركز الرايتان عن جانبي المنبر فاذا صعد أول درج من درج المنبر قلده المؤذن السيف فيضرب بنصل السيف ضربة في الدرج يسمعها الحاضرين ثم يضرب في الدرج الثاني ضربة

ثم في الثالث أخرى فاذا استوي في عاليا الدرجات ضرب ضربة رابعة ووقف داعيا بدعاء خفي مستقبل الكعبة ثم يقبل على الناس فيسلم عن يمينه وشماله ويرد عليه الناس ثم يقعد ويؤذن المؤذنون في أعلى قبة زمزم في حين واحد فاذا فرغ الاذان خطب الخطيب خطبة يكثر بها من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول في أثنائها اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ما طاف بهذا البيت طائف ويشير باصبعه الى البيت الكريم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ما وقف بعرفة واقف ويرضى عن الخلفاء الاربعة وعن سائر الصحابة وعن عمي النبي صلى الله عليه وسلم وسبطيه وأمهما وخريجة جدتهما على جميعهم السلام ثم يدعو للملك الناصر ثم للسلطان المجاهد نور الدين علي بن الملك المؤيد داود بن الملك المظفر يوسف بن علي بن رسول ثم يدعو للسيد الشريفين الحسينين أمير مكة سيف الدين عطيفة وهو أصغر الاخوين وبقية دم اسمه لعدله واسد الدين رميثة ابني أبي نجي بن أبي سعد ابن علي بن قسادة وقد دعا السلطان العراقي مرة ثم قطع ذلك فاذا فرغ من خطبته صلى وانصرف والرايتان عن يمينه وشماله وانفرقة امامه اشعارا بانقضاء الصلاة ثم يعاد المنبر الى مكانه ازاا المقام الكريم

﴿ذكر عاداتهم في استهلال الشهور﴾

وعاداتهم في ذلك ان يأتي أمير مكة في اول يوم من الشهر وقوادح يحفون به وهو لا بس البياض معتم متقلد سيفا وعليه السكينة والوقار فيصلي عند المقام الكريم ركعتين ثم يقبل الحجر ويشرع في طواف أسبوع ورئيس المؤذنين على أعلى قبة زمزم فعند ما يكمل الأمير شوطا واحدا ويقصد الحجر لتقبيله يندفع رئيس المؤذنين بالدعاء له التهنية بدخول الشهر رافعا بذلك صوته ثم يذكر شعرافي مدحه ومدح سلفه الكريم ويفعل به هكذا في السبعة اشواط فاذا فرغ منها ركع عند الملتزم ركعتين ثم ركع خلف المقام أيضا ركعتين ثم انصرف ومثل هذا سواء يفعل اذا اراد سفرا او اذا قدم من سفر ايضا

﴿ذكر عاداتهم في شهر رجب﴾

وإذا دخل لئلال رجب امر أمير مكة بضرب الطبول والبوقات اشعارا بدخول الشهر ثم

يخرج في أول يوم منه راكبا ومعه أهل مكة فرسانا ورجالا على ترتيب عجيب وكلهم بالأسلحة يلعبون بين يديه والفرسان يجولون ويجرون والرجالة يتواثبون ويرمون بحراهم أبي الهواء ويألقفونها والامير رميثة والامير عطيفة معهما أولادها وقوادهما مثل محمد بن ابراهيم وعلي وأحمد ابني صبيح وعلي بن يوسف وشداد بن عمرو وعامر الشرة ومنصور ابن عمرو وموسي المزرق وغيرهم من كبار أولاد الحسن ووجوه القواد بين أيديهم الرايات والطبول والدفادب وعليهم السكينة والوقار ويسرون حتي ينتهون الى الميقات ثم يأخذون في الرجوع على معهود ترتيبهم الى المسجد الحرام فيطوف الامير بالبيت والمؤذن الزمزمي باعز قبسة زمزم يدعوه عند كل شوط على ما ذكرناه من شادته فاذا طاف صلى ركعتين عند الملتزم وصلى عند المقام وتمسح به وخرج الى المسمى فسمى راكبا والقواد يحفون به والحرابة بين يديه ثم يسير الى منزله وهذا اليوم عندهم عيد من الاعيان ويلبسون فيه أحسن الثياب ويتنافسون في ذلك

﴿ ذكر عمرة رجب ﴾

وأهل مكة يحتفلون بعمرة رجب الاحتفال الذي لا يهد منه رهي متصلة ليلاتها وأوقات الشهور كلها معمورة بالعبادة وخصوصا أول يوم منه ويوم خمسة عشر والسابع والعشرين فانهم يستعدون لها قبل ذلك بأيام شاهدتهم في ليلة السابع والعشرين منه وشوارع مكة قد غصت بالهوادج عليها كساء الحرير والكتان الرقيق كذا حد يفعل بقدر استطاعته والجمال مزينة مقلدة بقلائد الحرير واستار الهوادج ضافية تكاد تمس الارض فهي كالقباب المضروبة ويخرجون الى ميقات التنعيم فتسيل أبطح مكة بملك الهوادج وانيران مشعلة بجنبتي الطريق والشمع والمشاعل امام الهوادج والخيال تجيب بصداها اهللال المهاين فترق النفوس وتهمل الدموع فاذا قضاوا العمرة وطافوا بالبيت خرجوا الى المسمى بين الصفا والمروة بعد مضي شيء من الليل والمسمى متقد السرج غاص بالناس والساعات في هوادج جهن والمسجد الحرام يتلأأ نورا وهم يمدحون هذه العمرة بالعمرة الاكسية لانهم يحرمون بها من اكمة امام مسجد عائشة رضي الله عنها بمسدة ارغوة على مقربة من المسجد المنسوب الى علي رضي الله عنه والاصل في هذه العمرة ان عبد الله بن الزبير

رضي الله عنهما سافر غ من بناء الكعبة المقدسة خرج اشيا حافيا معتمرا او معه أهل مكة
 وذلك في اليوم السابع والعشرين من رجب وانتهى الى الاكمة فاحرم منها وجعل طريقه
 على نية الحجون الى الملى من حيث دخل المسلمون يوم الفتح فبقيت تلك العمرة سنة عند
 أهل مكة الى هذا العهد وكان يوم عبد الله مذكورا أهدى فيه بدنا كثيرا أهدى اشرف
 مكة وأهل الاستطاعة منهم أقاموا اياما يطعمون ويطعمون شكر الله تعالى على ما وهبهم
 من التيسير والموتة في بناء بيته الكريم على الافة التي كان عليها في أيام الخليل صلوات الله
 عليه ثم لما قبل ابن الزبير نقض الحجاج الكعبة وردّها الى بنائها في عهد قريش وكانوا
 قد اقتسمروا في بنائها وأبقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك لحثانهم هدم
 ما لكفر ثم أراد الخليفة أبو جعفر المنصور ان يعيدها الى بناء ابن الزبير فنهاه مالك رحمه الله
 عن ذلك وقال يا أمير المؤمنين لا تجمل اليك ملعة للملوك متى أراد أحدهم أن يغيره فعمل
 فخره على حاله سدالة نريمة وأهل الجهات الموالية لمكة مثل بحيلة وزهران وغامد
 يباعدون لحضرة ورعمة رجب ويجلبون الى مكة الحبوب والسمن والعسل والزبيب
 والزيت واللوز فترخص الاسعار بركة ويرغ غعيش أهلها وتعمهم المرافق ولولا أهل هذه
 البلاد كان أهل مكة في شظف من العيش ويذكرونهم متى أقاموا ابيلا دهم ولم يأتوا بهذه
 الميرة أجديت بلادهم ووقع الموت في وانشيهم ومتى أوصلوا الميرة أخضبت بلادهم
 وظهرت فيها البركة وانت أموا لهم فهم ان احان وقت ميرتهم وأدركهم كسل عنها اجتمعت
 نسائهم فاخرجهم وهذا من لطائف صنع الله تعالى وعنايته ببلده الامين وبلاد السرو
 التي يسكنها بحياة وزهران وغامد وسواهم من القبائل مخضبة كثيرة الاغاب وافرة الغلات
 وأهلها فصحاء الالسن لهم صدق نية وحسن اعتقاد وهم اذا طافوا بالكعبة يتطارحون
 عليها لا ندين بجوارها متعلقين باستارها داعين بادعية تتصدر لقتها القلوب وتدمع العيون
 الجامدة فترمي الناس حولهم باسطي أيديهم مؤمنين على ادعيتهم ولا يتمك اغيرهم الطواف
 معهم ولا استلام الحجر لتزاحمهم على ذلك وهم شجمان انجاد ولباسهم الجلود واذ اوردوا
 مكة هابت اعراب الطريق مقدمهم وتجنبوا اعتراضهم ومن صحبهم من الزوار حمد صحتهم

وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكرهم وأثنى عليهم نيرا وقال علموهم الصلاة يعلموكم
الدعاء وكفاهم شرفا دخولهم في عموم قوله صلى الله عليه وسلم الايمان بمان والحكمة
بمانية وذكر أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يحري وقت طوافهم ويدخل في
جملتهم تبركا بدعائهم وشأنهم عجيب كله وقد جاء في أن زاحوهم في الطواف فان الرحمة
تصب عليهم صبا

﴿ذكر عاداتهم في ايلة النصف من شعبان﴾

وهذه ايلة من الياالي المعظمة عند أهل مكة يبادرون فيها الى أعمال البر من الطواف
والصلاة جماعات وأفاذا والاعمار ويجمعون في المسجد الحرام جماعات اجل جماعة
امام ويوقدون السرج والمصابيح والمشاعل ويقابل ذلك ضوء القمر يتلأأ الأرض
والسماء نور او يصلون مائة ركعة يقرؤن في كل ركعة بأم القرآن وسورة الاخلاص
يكررونها عشرا وبعض اثنان يصلون في الحجر منفردين وبعضهم يطوفون بالبيت
الشريف وبعضهم قد خرجوا للاعمار

﴿ذكر عاداتهم في شهر رمضان المعظم﴾

واذا أهل هلال رمضان تضرب بالطبول والدفادب عند أمير مكة ويقع الاحتفال بالمسجد
الحرام من تجديد الحصر وتكثير الشمع والمشاعل حتى يتلأأ الحرم نور او يسطع بهجة
واشرقا وتتفرق الائمة فرقا وهم الشافعية والحنفية والحنابلة والزيدية وأمال المالكية
فيجتمعون على أربعة من القراء يتناوبون القراءة ويوقدون الشمع ولا تبقى في الحرم
زاوية ولا ناحية الا وفيها قارئ يصلي بجماعة فيبج المسجد لاصوات القراء وترق النفوس
وتحضر القلوب وتهمل الاعين ومن الناس من يقتصر على الطواف والصلاة في الحجر
منفردا والشافعية أكثر الائمة اجتهادا وعاداتهم انهم اذا اكملوا التراويح المعتادة وهي
عشرون ركعة يطوف امامهم وجاعته فاذا فرغ من الاسبوع ضربت الفرقة التي ذكرنا
انها تكون بين يدي الخطيب يوم الجمعة كأن ذلك اعلاما بالعودة الى الصلاة ثم يصلي
ركعتين ثم يطوف أبو عاها هكذا الي ان يتم عشرين ركعة أخرى ثم يصلون الشفع والوتر

وينصرفون وساثر الائمة لا يزيدون على العادة شيئا واذا كان وقت السحور يتولى المؤذن
الزمزمي التسيحير في الصومعة التي بالركن الشرقي من الحرم فيقوم داعيا ومذكرا ومحرضا
على السحور والمؤذنون في ساثر الصوامع فاذا تكلم أحد منهم أجابه صاحبه وقد نصبت في
أعلى كل صومعة خشبة على رأسها عود معترض قد علق فيه قنديلان من الزجاج كبيران
يقعدان فاذا قرب الفجر ووقع الايدان بالقطع مرة بعد مرة حط القنديلان وابتدأ
المؤذنون بالاذان وأجاب بعضهم بعضا ولديار مكة شرفها الله سطوح فمن بعدت داره بحيث
لا يسمع الاذان يبصر القنديليين المذكورين فيتسحر حتى اذا لم يبصرهما اتبع عن الاكل
وفي كل ليلة وتر من ليالي العشر الاواخر من رمضان يختمون القرآن ويحضر الحتم القاضي
والنقهاء والكبراء ويكون الذي يختم بهم أحبا وأبناء كبراء أهل مكة فاذا ختم نصب له منبر
مزين بالحرير وأوقد الشمع وخطب فاذا فرغ من خطبته استعفى أبوه الناس الى منزله
فأطعمهم الاطعمة الكثيرة والحلاوات وكذلك يصنعون في جميع ليالي الوتر وأعظم تلك
الليالي عندهم ليلة سبع وعشرين واحتفالهم لها أعظم من احتفالهم لساثر الليالي ويختم
بها القرآن الكريم وخاف المقام الكريم وتقام ازاء حطيم الشافعية خشب عظام توصل بالحطيم
وتعرض بينها ألواح طوال وتجعل ثلاث طبقات وعليها الشمع وقناديل الزجاج فيكاد
يغشي الابصار شعاع الانوار ويتقدم الامام فيصلي فريضة العشاء الآخرة ثم يتدي قراءة
سورة القدر واليه يكون انتهاء قراءة الائمة في الليلة التي قبلها وفي تلك الساعة يمسك جميع
الائمة عن التراوح تعظيما للتحمة المقام ويحضرونها تبركين فيختم الامام في تسليمتين ثم
يقوم خطيبا من قبل المقام فاذا فرغ من ذلك عاد الائمة الى صلاتهم وانفس الجميع ثم
يكون الحتم ليلة تسع وعشرين في المقام المذكور في منظر مختصر وعن المباحة منزله
موقر فيختم ويخطب

﴿ ذكر عاداتهم في شوال ﴾

وعاداتهم في شوال وهو مفتتح شهر الحج المعلومات أن يوقدوا المشاعل ليلة استهلاله
ويسرجون المصابيح والشمع على نحو فعلهم في ليلة سبع وعشرين من رمضان وتوقد

السرّج في الصوامع من جميع جهاتها ويوقد. طح الحرم كله ونسطح المسجد الذي بالي أبي
قيس ويقيم المؤذنون ليأتهم تلك في تهليل وتكبير وتسييح والناس ما بين طواف وصلاة
وذكر ودعاء فاذا صلوا صلاة الصبح أخذوا في أهبة العيد ولبسوا أحسن ثيابهم وبادروا
لأخذ مجالسهم بالحرم الشريف وبه يصلون صلاة السيد لأنه لا موضع أفضل منه ويكون
أول من يكر إلى المسجد الشيبون فيفتحون باب الكعبة المقدسة ويقعد كبيرهم في تحتها
وسائرهم بين يديه إلى أن يأتي أمير مكة فيتلقونه ويطوف بالبيت أسبوعاً والمؤذن الزمزمي
فوق شطح قبة زمزم على العادة رافعاً صوته بالشاء عليه ولدعاء له ولاخيه كما ذكر ثم يأتي
الخطيب بين الرايتين السوداوين والفرقة امامه وهو لا يس السواد فيصلي خلف المقام
الكريم ثم يصعد المنبر ويخطب خطبة بليغة ثم اذا فرغ منها أقبل الناس بعضهم على
بعض بالسلاام والمصافحة والاسستغفار ويقصدون الكعبة الشريفة فيدخلونها أفواجا
ثم يخرجون إلى مقبرة باب المعلى تبركاً بمن فيها من الصحابة وصدور السلف ثم ينصرفون
﴿ذكر احرام الكعبة﴾

وفي اليوم السابع والعشرين من شهر ذي القعدة تشمر أسوار الكعبة الشريفة زادها الله
تعظيماً إلى نحو ارتفاع قامة ونصف من جهاتها الأربع صونا لها من الأيدي أن تنتهبها
ويسمون ذلك احرام الكعبة وهو يوم مشهود بالحرم الشريف ولا تفتح الكعبة المقدسة
من ذلك اليوم حتى تنقضي الوقفة بعرفة

﴿ذكر شعائر الحج واعماله﴾

واذا كان في أول يوم شهر ذي الحجة تضرب "طبول والدبادب في أوقات الصلوات وبكرة
وعشية اشعاراً بالموسم المبارك ولا تزال كذلك إلى يوم الصعود إلى عرفات فاذا كان
اليوم السابع من ذي الحجة خطب الخطيب اثر صلاة الظهر خطبة بليغة يعلم الناس فيها
مناسكهم ويعلمهم يوم الوقفة فاذا كان اليوم الثامن بكر الناس بالصعود إلى منى وامراء
مصر والشام والعراق وأهل العلم يبيتون تلك الليلة بمنى وتنع المباحاة والمفاخرة بين أهل
مصر والشام والعراق في ايقاد الشمع ولكن الفضل في ذلك لأهل الشام دائماً فاذا كان

اليوم التاسع رحلوا من منى بعد صلاة الصبح الى عرفة فيمرون في طريقهم بوادي محسر
ويهرولون وذلك سنة ووادي محسر هو الحد ما بين مزدلفة ومنى ومزدلفة بسيط من
الارض فسيح بين جباين وحولها مصانع وصهاريج للماء مما بنته زبيدة ابنة جعفر بن
أبي جعفر المنصور زوجة أمير المؤمنين هارون الرشيد وبين منى وعرفة خمسة أميال
وكذلك بين منى ومكة أيضاً خمسة أميال وعرفة ثلاثة أسماء وهي عرفة وجمع والمشر الحرام
وعرفات بسيط من الارض فسيح ابيض تحديق به جبال كثيرة وفي آخر بسيط عرفات
جبل الرحمة وفيه الموقف وفيما حوله والعلمان قبله بخوميل وهما الحد ما بين الحل والحرم
وبمقربة منهما مائيل عرفة بطن عرنة الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالارتفاع عنه
ويجب التحفظ منه ويجب أيضاً الامساك عن النفور حتى يتمكن سقوط الشمس فان
الجهالين ربما استحسنوا كثير آمن الناس وحذروهم الزحام في النفور واستدروهم الى
أن يصلوا بهم بطن عرنة فيبطل حجهم وجبل الرحمة التي ذكرناه قائم في وسط بسيط جمع
منقطع عن الجبال وهو من حجارة منقطع بعضها عن بعض وفي أعلاه قبة تنسب الى أم
سلمة رضي الله عنها وفي وسطها مسجد يتزاحم الناس للصلاة فيه وحوله سطح فسيح
يشرف على بسيط عرفات وفي قبله جدار فيه محاريب منصوبة يصلي فيه الناس وفي أسفل
هذا الجبل عن يسار المستقبل للكعبة دار عتيقة البناء تنسب الى آدم عليه السلام ومن
يسارها المخزرات التي كان موقف النبي صلى الله عليه وسلم عندها وحول ذلك صهاريج
وجباب للماء وبمقربة منه الموضع الذي يقف فيه الامام ويخطب ويجمع بين الظهر والعصر
وعن يسار العلمين للمستقبل أيضاً وادي الاراك وبه أراك أخضر يمتد في الارض امتداداً
طويلاً واذا حان وقت النفرا أشار الامام المسالكى بيده ونزل عن موقفه فدفع الناس بالنفر
دفعاً ترجح لها الارض وترجف الجبال فياله موقفاً كريماً ومشهداً عظيماً ترجو النفوس
حسن عقابه وتطمح الآمال الى نفحات رحمائه جعلنا الله ممن خصه فيه برضاه وكانت
وقفتي الاولى يوم الخميس سنة ست وعشرين وأمر أمير الراكب المصري يومئذ أرغون الدوادار
نائب الملك الناصر وحجت في تلك السنة ابنة الملك الناصر وهي زوجة أبي بكر بن أرغون

الذكور وحجت فيها زوجة الملك الناصر المسماة بالخوندوة وهي بنت السلطان المعظم محمد
اوزبك ملك السراوخوارزم وأمير الركب الشامي سيف الدين الجوبان ولمّا وقع انفار
بعد غروب الشمس وصلنا من دافة عند العشاء الآخرة فصليناها المغرب والعشاء جمعا
بينهما حسبما جرت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمّا صلينا الصبح بمزدلفة غدونا
منها الى منى بعد انوقوف والدعاء بالمشعر الحرام ومزدلفة كلها موقف الا وادي محسر ففيه
تقع الرولة حتى يخرج عنه ومن مزدلفة يستحب أكثر الناس حصيات الجمار وذلك
مستحب ومنهم من يلقطها حول مسجد الخيف والامر في ذلك واسع ولما انتهى الناس
الى منى بادروا الرمي جرة العقبة ثم نحر واودبحوا ثم حلقوا وحلوا من كل شيء الا النساء
والطيب حتى يطوفوا طواف الافاضة ورمي هذه الجمرة عند طلوع الشمس من يوم النحر
ولما رموها توجه أكثر الناس بعد أن ذبحوا وحلقوا الى طواف الافاضة ومنهم من
أقام الى اليوم الثاني وفي اليوم الثاني رمي الناس عند زوال الشمس بالجرة الاولى سبع
حصيات وبأوسطي كذلك ووقفوا للدعاء بهاتين الجمرتين اقتداء بفعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولما كان اليوم الثالث تعبّل الناس الانحدار الى مكة شرفها الله بعد أن كمل لهم
رمي تسع وأربعين حصاة وكثير منهم أقام اليوم الثالث بعد يوم النحر حتى رمى
سبعين حصاة

يذكر كسوة الكعبة

وفي يوم النحر بعثت كسوة الكعبة الشريفة من الركب المصري الى البيت الكريم فوضعت
في طينها ما كان اليوم الثالث بعد يوم النحر أخذ الشيعيون في اسبائها الى الكعبة
الشريفة وهي كسوة سوداء حالكة من الحرير مبطنة بالكتان وفي أعلاها طراز مكتوب
فيه بالبياض جعل الله لكعبة البيت الحرام قياما لآية وفي سائر جهاتها طرز مكتوبة
بالبياض فيها آيات من القرآن وعليها نور لآلئ مشرق من سوادها ولما اكسيت شمرت
اذيا لها صونا من أيدي الناس والملك الناصر هو الذي يتولى كسوة الكعبة الكريمة ويبعث
مراتب القاضي والخطيب والائمة والمؤذنين والفراشين والقومة وما يحتاج له الحرم

الشريف من الشمع والزيت في كل سنة وفي هذه الايام تفتح الكعبة الشريفة في كل يوم للعراقيين والحراسانيين وسواهم ممن يصل مع الركب العراقي وهم يقيمون بمكة بعد سفر الركبين الشامي والمصري اربعة ايام فيكثرون فيها الصدقات على المجاورين وغيرهم ولقد شاهدتهم يطوفون بالحرم ليلا فلقوه في الحرم من المجاورين أو المكيين أعطوه الفضة والاثياب وكذلك يعطون للمشاهدين الكعبة الشريفة وربما وجدوا انسانا ثامنا فجعلوا في فيه الذهب والفضة حتى يفيق ولما قدمت معهم من العراق سنة ثمان وعشرين فملوا من ذلك كثيرا وأكثروا الصدقة حتى رخص سوم الذهب بمكة وانتهى صرف المتقال الى ثمانية عشر درهما نقرة لكثرة ما تصدقوا به من الذهب وفي هذه السنة ذكر اسم السلطان أبي سعيد ملك العراق على المنبر وقبة زمزم

﴿ ذكر الانفصال عن مكة شرفها الله تعالى ﴾

وفي الموفى عشرين ندى الحجة خرجت من مكة صحبة أمير ركب العراقي البهلوان محمد الخويج (بعضين مهملين) وهو من أهل الموصل وكان يلي اماره الحاج بعد موت الشيخ شهاب الدين قلندر وكان شهاب الدين شيخا فاضلا عظيم الحرمه عند سلطانه يحلق لحيته وحاجبيه على طريقة القاندريه ولما خرجت من مكة شرفها الله تعالى في صحبة الامير البهلوان المذكور اكرت لي شقة محارة الى بغداد ودفع اجارتها من ماله وأنزلني في جواره وخرجنا بعد طواف الوداع الى بطن صر في جمع من العراقيين والحراسانيين والفارسيين والاعاجم لا يحصى عديدهم توج بهم الارض موجا ويسرون سير السحاب المتراكم فمن خرج عن الركب لحاجة ولم تكن له علامة يستدل به على موضعه ضل عنه لكثرة الناس وفي هذا الركب نواضح كثيرة لأبناء السبيل يستقون منها الماء وجمال ترفع الزاد للصدقة ورفع الادوية والاشربة والسكر لمن يصيبه مرض واذا نزل الركب طبخ الطعام في قدور نحاس عظيمة تسمى الدسوت وأطعم منها أبناء السبيل ومن لا زاد معه وفي الركب جملة من الجمال يحمل عليها من لا قدرة له على المشي كل ذلك من صدقات السلطان أبي سعيد ومكارمه قال ابن جزري كرم الله هذه الكنية الشريفة فما أعجب أمر

في الكرم وحسبك بمولانا بحر المكارم ورافع رايات الجود الذي هو آية في الندى والفضل
 أمير المسلمين أبي سعيد ابن مولا نافع الكنار والآخذ للاسلام بالنار أمير المسلمين أبي
 يوسف قدس الله أزواجهم الكريمة وأبقى الملك في عقبهم الطاهر الى يوم الدين (رجع)
 وفي هذا الركب الاسواق الحافلة والمرافق العظيمة وأنواع الاطعمة والفواكه وهم
 يسرون بالليل ويوقدون المشاعل امام القطار والمحارات فتري الارض تتألأ نورا
 والليل قد عاد نهارا ساطعا ثم رملنا من بطن مرالى عسفان ثم الى خليص ثم رحلنا
 اربع مراحل ونزلنا وادي السمك ثم رحلنا خمسا ونزلنا في بدر وهذه المراحل ثنتان في
 اليوم احدهما بعد الصبح والاخرى بالمشي ثم رحلنا من بدر فنزلنا الصفراء وأقمنا بها
 يوما مستريحين ومنها الى المدينة الشريفة مسيرة ثلاث ثم رحلنا ووصلنا الى طيبة مدينة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وحصلت لنا زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا وأقمنا
 بالمدينة كرمها الله تعالى ستة أيام واستصحبنا منها الماء لمسيرة ثلاث ورحلنا عنها فنزلنا في
 الثالثة بوادي العروس فزودنا منه الماء من حسيان يحفرون عليها في الارض فينبطون
 ماء عذبا مينا ثم رحلنا من وادي العروس ودخلنا أرض نجد وهو بسيط من الارض مد
 البصر فتسمننا سيمة الطيب الارج ونزلنا بعد اربع مراحل على ماء يعرف بالعسيلة ثم
 رحلنا عنه ونزلنا ماء يعرف بالنقرة فيه آثار مصانع كالصهاريج اعظيمة ثم رحلنا الى ماء
 يعرف بالقارورة وهي مصانع مملوءة بماء المطر مما صنعتها زبيدة ابنة جعفر رحمه الله ونهها
 وهذا الموضع هو وسط أرض نجد فسيح طيب النسيم صحيح الهواء تنقي التربة معنديل في
 كل فصل ثم رحلنا من القارورة ونزلنا بالحاجر وفيه مصانع الماء ورعى الجف فحفر عن
 الماء في الجفار ثم رحلنا ونزلنا سميرة وهي أرض غائرة في بسيط فيه شبه حصن مسكون
 وماؤها كثير في آبار الا انه زعاق ويأتي عرب تلك الارض بالغن والسمن والابن فيبيعون
 ذلك من الحجاج بالثياب الخام ولا يبيعون بسوى ذلك ثم رحلنا ونزلنا بالحليل المخروق
 وهو في يبداء من الارض وفي أعلاه ثقب نافذ تخرقه الريح ثم رحلنا منه الى وادي
 الكروش ولما به ثم اسرنا ليلنا وصبحنا حصن فيد وهو حصن كبير في بسيط من

الأرض يدور به سور وعليه ريش وساكنو عرب يتعيشون مع الحاج في البيع والتجارة
وهناك يترك الحجاج بعض أزوادهم حين وصولهم من العراق إلى مكة شرفها الله تعالى
فإذا عادوا وجدوه وهو نصف الطريق من مكة إلى بغداد ومنه إلى الكوفة مسيرة اثني عشر
يوماً في طريق سهل به المياه في المصانع ومن عادة الركاب أن يدخلوا هذا الموضع على تعبئة
وأهبة للحرب أرها بالاعراب المجتمعين هناك وقطعا لا طمأنينة لهم عن الركاب وهناك أقمنا
أمير العرب وهما فياض وحيار واسمه (بكسر الحاء واهماله وياء آخر الحروف) وهما
أبناء الأمير مهدي بن عيسى ومعهما من خيل العرب ورجالهم من لا يحصون كثرة فظهر
منهم المحافظة على الحاج والرحال والحوطة لهم وأني العرب بالجمال والغنم فاشترى منهم
الناس ما قدروا عليه ثم رحلنا ونزلنا الموضع المعروف بالاجفر ويشترى باسم العاشتين
جميل وبثينة ثم رحلنا ونزلنا بالبيداء ثم أسرينا ونزلنا نزرود وهي بسيطة من الأرض
فيه رمال من الهالة وبه دور صغير قد اداروه شبه الحصن وهناك أبار ماء ليست بالعذبة ثم
رحلنا ونزلنا العليبية ولما حصن خرب إزائه مصنع هائل ينزل إليه في درج وبه من ماء لمعار
ما يعم الركاب ويجمع من العرب بهذا الموضع جمع عظيم فيبيعون الجمال والغنم والسمن
واللبن ومن هذا الموضع إلى الكوفة ثلاث مراحل ثم رحلنا فزلنا ببركة المرجوم وهو
مشهد على الطريق عاياه كوم عظيم من حجارة وكل من مر به رجحه ويذكر أن هذا
المرجوم كان رافضياً سافر مع الركاب يريد الحج فوثقت بينه وبين أهل السنة من الأتراك
مشاجرة فشب بعض الصحابة فقتلوه بالحجارة وبهذا الموضع بيوت كثيرة للعرب
ويقصدون الركاب بالسمن واللبن وسوى ذلك وبه مصنع كبير يبيع الركاب مما يأتونه
زيدة رحمة الله عاياه وكل مصنع أو بركة أو بئر بهذا الطريق التي بين مكة وبغداد فهي من
كريم آثارها جزاها الله خير أو في لها أجرها ولو لا غنايتها بهذه الطريق ما أكلها أحد ثم
رحلنا ونزلنا موضعاً يعرف بالمشقوق فيه مصنعان بهما الماء العذب السافي وأراق النار
ما كان عندهم من الماء وتزودوا منها ثم رحلنا ونزلنا موضعاً يعرف بالسانر وفيه مع
مخلى بالماء ثم أسرينا منه واجتازنا ضحوة بزمالة وهي قرية معمورة بها تصرب

ومصنعان للماء وآبار كثيرة وهي من مناهل هذا الطريق ثم رحلنا فزلنا الهشمين وفيه
مصنعان للماء ثم رحلنا فزلنا دون العقبة المعروفة بعقبة الشيطان وصعدنا العقبة في اليوم
الثاني وليس بهذا الطريق وعمرسواها على أنها ليست بصعبة ولا طائلة ثم زلنا موضعا
يسمى واقصة فيه قصر كبير ومصانع للماء معمور بالعرب وهو آخر مناهل هذا الطريق
وليس فيما بعده إلى الكوفة منهل مشهور إلا مزارع ماء الفرات وبه يتلقى كثير من أهل
الكوفة الحاج ويأتون بالدقيق والخبز والترو والفواكه ويهني الناس بعضهم بعضا بالسلامة ثم
زلنا موضعا يعرف بلورة فيه مصنع كبير للماء ثم زلنا موضعا يعرف بالمساجد فيه ثلاث
مصانع ثم زلنا موضعا يعرف بمنارة القرون وهي منارة في يدا من الأرض بئنة الارتفاع
مجلمة بقرون الغزلان ولا عمارة حولها ثم زلنا موضعا يعرف بالعذيب وهو واد
مخصب عليه عمارة وحوله فلاة خصبة فيها مسرح للبصر ثم زلنا القادسية حيث كانت
الوقعة الشهيرة على الفرس التي أظهر الله فيها دين الإسلام وأذل الجوس عبدة النار فلم تقم
لهم بعدها قائمة واستأصل الله شأقتهم وكان أمير المسلمين يومئذ سعد بن أبي وقاص رضي الله
عنه وكانت القادسية مدينة عظيمة افتتحها سعد رضي الله عنه وخر بت فلم يبق منها الآن إلا
مقدار قرية كبيرة وفيها حدائق النخل وبها مزارع من ماء الفرات ثم رحلنا منها فزلنا مدينة
مشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنجف وهي مدينة حسنة في أرض فسيحة صلبة من
أحسن مدن العراق وأكثرها ناسا وأتقنها أبناء ولها أسواق حسنة نظيفة دخلناها من باب
الحضرة فاستقبلنا سوق البقالين والطباخين والخبازين ثم سوق الفاكهة ثم سوق الحياطين
والقسارية ثم سوق العطارين ثم باب الحضرة حيث القبر الذي يزعمون أنه قبر علي عليه
السلام وبازائه المدارس والزوايا والخوانق معمورة أحسن عمارة وحيطان بالقاشاني
وهو شبه الزليج عندنا لكن لونه أشرق ونقشه أحسن

﴿ ذكر الروضة والقبور التي بها ﴾

ويدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة ولكل

وارد عليها ضيافة ثلاثة أيام من الخبز واللحم والتمر مرتين في اليوم ومن تلك المدرسة
 يدخل الى باب القبة وعلى بابها الحجاب والنقباء والطواشية فعند ما يصل الزائر يقوم اليه
 أحدهم أو جميعهم وذلك على قدر الزائر فيقفون معه على العتبة ويستأذنون له ويقولون
 عن أمركم يا أمير المؤمنين هذا العبد الضعيف يستأذن على دخوله للروضة العلية فإن
 أذنتم له والارجع وإن لم يكن أذلال ذلك فأنتم أهل المكارم والسيتر ثم يأمرونه بتقبيل
 العتبة وهي من الفضة وكذلك العضادتان ثم يدخل القبة وهي مروشة بأنواع البسط من
 الحرير وسوام وبها قناديل الذهب والفضة منها الكبار والصغار وفي وسط القبة مسطبة
 مربعة مكسوة بالخشب عليه صفائح الذهب المنقوشة المحكمة العمل مسطرة بمسارير الفضة
 قد غلبت على الخشب بحيث لا يظهر منه شيء وارتفاعها دون القمامة وفوقها ثلاثة من
 القبور يزعمون أن أحدها قبر آدم عليه الصلاة والسلام والثاني قبر نوح عليه الصلاة
 والسلام والثالث قبر علي رضي الله عنه وبين القبور طسوت ذهب وفضة فيها ماء الورد
 والمسك وأنواع الطيب يغمس الزائر يده في ذلك ويدهن به وجهه تبركا وللقبلة باب آخر
 عتبه أيضاً من الفضة وعليه ستور من الحرير الملون يفضي الى مسجد مفروش بالبسط
 الحسان مستورة حيطانه وسقفه بستور الحرير وله أربعة أبواب عتبهها فضة وعليها ستور
 الحرير وأهل هذه المدينة كلهم رافضية وهذه الروضة ظهرت لها كرامات ثبت بها
 عندهم أن بها قبر علي رضي الله عنه فمنها أن في ليلة السابع والعشرين من رجب وتسمى
 عندهم ليلة الحيا يؤتى الى تلك الروضة بكل مقعد من العراقين وخراسان وبلاد فارس
 والروم فيجتمع منهم الثلاثون والاربعون ونحو ذلك فإذا كان بعد المساء آخرة جعلوا
 فوق الضريح المقدس والناس ينتظرون بياهم وهم ما بين مصل وذاكر وتل ومشاهد
 للروضة فإذا مضى من الليل نصفه أو ثلثاه أو نحو ذلك قام الجميع اصحاء من غير سوء وهم
 يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله على ولي الله وهذا أمر مستفيض عندهم سمعته من
 الثقات ولم أحضر تلك الليلة لكني رأيت بمدرسة الضياف ثلاثة من الرجال أحدهم
 من أرض الروم والثاني من أصبهان والثالث من خراسان وهم مقعدون فاستخبرتهم على

شأنهم فاخبروني انهم لم يدركوا ليلة الحيا وانهم متظرون أو انها من عام آخر وهذه الليلة يجتمع لها الناس من البلاد. ويقيمون سوقاً عظيمة مدة عشرة أيام وليس بهذه المدينة مغرم ولا مكاس ولا وال وانما يحكم عليهم نقيب الاشراف وأهلها تجاريس فرون في الاقطار وهم أهل شجاعة وكرم ولا يضام جارهم صحبتهم في الاسفار فخدمت صحبتهم لكنهم غلوا في على رضي الله عنه ومن الناس في بلاد العراق وغيرها من يصيبه المرض فينذر للروضة نذراً اذا برى ومنهم من يمرض رأسه فيصنع رأساً من ذهب أو فضة ويأتي به الى الروضة فيجعله النقيب في الخزانة وكذلك اليد والرجل وغيرهما من الاعضاء وخزانة الروضة عظيمة فيها من الاموال ما لا يضبط لكثرة

﴿ ذكر نقيب الاشراف ﴾

ونقيب الاشراف مقدم من ملك العراق ومكانه عنده مكين ومنزله رفيع وله ترتيب الامراء الكبار في سفره وله الاعلام والاطبال وتضرب الطبل بخانة عنديابه مساء وصباحاً واليه حكم هذه المدينة والوالي بها سواء ولا مغرم فيها للسلطان ولا لغيره وكان النقيب في عهد دخولي اليها نظام الدين حسين بن تاج الدين الآوى نسبة الى بلدة آوة من عراق العجم أهلها رافضة وكان قبله جماعة يلي كل واحد منهم بعد صاحبه منهم جلال الدين ابن الفقيه ومنهم قوام الدين بن طاوس ومنهم ناصر الدين مطهر ابن الشريف الصالح شمس الدين محمد الاوهرى من عراق العجم وهو الآن بارض الهند من ندماء ملكها ومنهم أبو غرة بن سالم بن مهني بن جاز بن شيحة الحسيني المدني ﴿ حكاية ﴾

كان الشريف أبو غرة قد غلب عليه في أول أمره العبادة وتعلم العلم واشتهر بذلك وكان ساكناً بالمدينة الشريفة كرمها الله في جوار ابن عمه منصور بن جاز أمير المدينة ثم انه خرج عن المدينة واستوطن العراق وسكن منها بالحلة فمات النقيب قوام الدين بن طاوس فاتفق أهل العراق على تولية أبي غرة نقابة الاشراف وكتبوا بذلك الى السلطان أبي سعيد فامضاه ونفذه اليه يرليخ وهو الظهير بذلك وبعث له الخلة والاعلام والطبول على عادة النقباء ببلاد العراق فغلبت عليه الدنيا وترك العبادة والزهد وتصرف في الاموال تصرفاً

قبيحاً فرفع أمره إلى السلطان فلم يعلم بذلك أعمل السفر مظهراً أنه يريد خراسان قاصداً
 زيارة قبر علي بن موسى الرضي بطوس وكان قصده الفرار فلما زار قبر علي بن موسى قدم
 مرادوهي آخر بلاد خراسان وأعلم أصحابه أنه يريد بلاد الهند فرجع أكثرهم عنه وتجاوز
 هو أرض خراسان إلى السند فلما جاز وادي السند المعروف بذي آب ضرب طبوله
 وانفاره فراع ذلك أهل القرى وظنوا أن التتر أتوا للاغارة عليهم وأجفلوا إلى المدينة
 المسماة بأوجا وأعلموا أميرها بما سمعوه فركب في عساكره واستعد للحرب وبعث
 الطلائع فرأوا نحو عشرة من الفرسان وجماعة من الرجال والتجار ممن صحب الشريف
 في طريقه معهم الاطبال والاعلام فسألوهم عن شأنهم فاخبروهم أن الشريف تقيب
 العراق أتى وافداً على ملك الهند فرجع الطلائع إلى الأمير وأخبروه بكيفية الحال
 فاستضعف عقل الشريف لرفعه العلامات وضربه الطبول في غير بلاده ودخل الشريف
 مدينة أوجا وأقام بها مدة تضرب الاطبال على باب داره غدوة وعشيا وكان مولعاً بذلك
 ويذكر أنه كان في أيام نقابته بالعراق تضرب الاطبال على رأسه فإذا أمسك النصارى
 الضرب يقول له زد نقره يا نقار حتى لقب بذلك وكتب صاحب مدينة أوجا إلى ملك الهند
 يخبر الشريف وضربه الاطبال بالطريق وعلى باب داره غدوة وعشيا ورفع الاعلام وعادة
 أهل الهند أن لا يرفع علم ولا يضرب طبل إلا من أعطاه الملك ذلك ولا يفعله إلا في السفر
 وأما في حال الإقامة فلا يضرب الطبل إلا على باب الملك خاصة بخلاف مصر والشام والعراق
 فإن الطبول تضرب على أبواب الأمراء فلما بلغ خبره إلى ملك الهند كره فعله وأنكره
 وفعل في نفسه ثم خرج الأمير إلى حضرة الملك وكان الأمير كشلي خان والخان عندهم
 أعظم الأمراء وهو الساكن ببلتان كرسي بلاد السند وهو عظيم القدر عند ملك الهند
 يدعو به بالعم لأنه كان ممن أعان أباه السلطان غياث الدين تغلق شاه على قتال السلطان ناصر
 الدين خسرو شاه قد قدم على حضرة ملك الهند فخرج الملك إلى لقائه فاتفق أن كان وصول
 الشريف في ذلك اليوم وكان الشريف قد سبق الأمير باميال وهو على حاله من ضرب
 الاطبال فلم يرعه إلا السلطان في موكبته فتقدم الشريف إلى السلطان فسلم عليه وسأله

السلطان عن حاله وما الذي جاء به فأخبره ومضي السلطان حتى لقي الأمير كشلي خان وعاد إلى حضرته ولم يلتفت إلى الشريف ولا أمر له بأنزال ولا غيره وكان الملك عازماً على السفر إلى مدينة دولة أباد وتسمي أيضاً بالكتكة (بفتح الكافين والتاء المعلوثة التي بينهما) وتسمي أيضاً بالدو بجر (دو كير) وهي على مسيرة أربعين يوماً من مدينة دهلي حضرة الملك فلما شرع في السفر بعث إلى الشريف بخمسمائة دينار دراهم وصر فها من ذهب المغرب مائة وخمسة وعشرون ديناراً وقال لرسوله إليه قل له إن أراد الرجوع إلى بلاده فهذا زاد وإن أراد السفر معناه في نفقته بالطريق وإن أراد الإقامة بالحضرة فهي نفقته حتى يرجع فأنتم الشريف لذلك وكان قصده أن يجزل له العطاء كما هي عادته مع أمثاله واختار السفر صحبة السلطان وتعلق بالوزير أحمد بن إياس المدعو بنحو واجه جهان وبذلك ساء الملك وبه يدعو به وبه يدعو مسائر الناس فإن من عادتهم أنه متى سمي الملك أحداً باسم مضاف إلى الملك من عماد أو ثقة أو قطب أو باسم مضاف إلى الجهان من صدر وغيره فبذلك يخاطبه الملك وجميع الناس ومن خاطبه بسوي ذلك لزمته العقوبة فتأكدت المودة بين الوزير والشريف فأحسن إليه ورفع قدره ولاطف الملك حتى حسن فيه رأيه وأمر له بقريتين من قرى دولة أباد وأمر أن تكون إقامته بها وكان هذا الوزير من أهل الفضل والمروءة ومكارم الأخلاق والمحبة في الغرباء والاحسان إليهم وفعل الخير وأطعم الطعام وعمارة الزوايا فأقام الشريف يستغل القريتين ثمانية أعوام وحصل من ذلك مالا عظيماً ثم أراد الخروج فلم يمكنه فانه من خدم السلطان لا يمكنه الخروج إلا بدنه وهو محب في الغرباء فقليل ما يأذن لأحدهم في السراح فأراد الفرار من طريق الساحل فردمته وقدم الحضرة ورغب من الوزير أن يحاول قضية انصرافه فتلطف الوزير في ذلك حتى أذن له السلطان في الخروج عن بلاد الهند وأعطاه عشرة آلاف دينار من دراهمهم وصر فها من ذهب المغرب ألفان وخمسمائة دينار فأتى بها في بدرة فجعلها تحت فراشه ونام عليها المحبته في الدنيا وقرحه بها وخوفه أن يتصل لأحد من أصحابه شيء منها فانه كان بخيلاً فأصابه وجع في جنبه بسبب رقاذه عليها ولم يزل يتزايد به وهو أخذ في حركة سفره إلى أن توفي بعد

عشرين يوماً من وصول البصرة إليه وأوصي بذلك المال لأشريف حسن الجرائي فتصدق بحملته على جماعة من الشيعة المقيمين بدعبي من أهل الحجاز والعراق وأهل الهند لا يورثون بيت المال ولا يتعرضون لمال الغرباء ولا يسألون عنه ولو بلغ ما عسي أن يبلغ وكذلك السودان لا يتعرضون لمال الأبيض ولا يأخذونه إنما يكون عند الكبار من أصحابه حتى يأتي مستحقه وهذا الشريف أبو غرة له أخ اسمه قاسم سكن غرناطة مدة وبها تزوج بنت الشريف أبي عبد الله بن إبراهيم الشهير بالمكي ثم انتقل إلى جبل طارق فسكنه إلى أن استشهد بوادي كربة من نظر الجزيرة الخضراء وكان بهمة من البهم لا يصطلي بناره خرق المعتاد في الشجاعة وله فيها أخبار شهيرة عند الناس وترك ولدين هما في كفالة ريبيهما الشريف الفاضل أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم بن نفيس الحسيني الكر بلائي الشهير ببلاط المغرب بالعراق وكان تزوج أمهما بعد موت أبيهما وهو ومحسن لهما جزاء الله خيراً

ولما تحصلت لنا زيارة أمير المؤمنين على عليه السلام لام سافر الركب إلى بغداد وسافرت إلى البصرة صحبة رفيقة كبيرة من عرب خفاجة وهم أهل تلك البلاد ولهم شوكة عظيمة وبأس شديد ولا سبيل للسفر في تلك الاقطار الا في صحبتهم فاكثرت جملا على يد أمير تلك القافلة شامرين دراج الخفاجي وخرجننا من مشهد على غاية السلام فنزلنا الحورنق موضع سكني النعمان بن المنذر وآبائه من ملوك بني ماء السماء وبه عمارة وثقايا قباب ضخمة في فضاء فسيح على نهر يخرج من الفرات ثم رحلنا عنه فنزلنا موضعا يعرف بقاشم الواقع وبه أثر قرية خربة ومسجد خرب لم يبق منه الا صومعته ثم رحلنا عنه آخذين مع جانب الفرات بالموضع المعروف بالمدار وهو غابة قصب في وسط الماء يسكنها اعراب يعرفون بالمعادي وهم قطاع الطريق رافضة المذهب خرجوا على جماعة من الفقراء تأخروا عن رفقتنا فسلموهم حتى النعال والكشاكل وهم تحصنون بتلك الغابة ويمتنعون بها ممن يريد هم والسباع بها كثيرة ورحلنا مع هذا العذار ثلاث مراحل ثم وصلنا مدينة واسط

﴿مدينة واسط﴾

وهي حسنة الاقطار كثيرة النساتين والاشجار بها اعلام يهودي الخير شاهد هم ونهدي

الاعتبار مشاهدتهم وأهلها من خيار أهل العراق بل هم خيرهم على الإطلاق أكثرهم
يحفظون القرآن الكريم ويحيدون تجويده بالقراءة الصحيحة واليهم يأتي أهل بلاد العراق
برسم تعلم ذلك وكان في القافلة التي وصلنا فيها جماعة من الناس أتوا برسم تجويد القرآن على
من بها من الشيخ وبها مدرسة عظيمة حافلة فيها نحو ثلاثمائة خلوة ينزلها الغرباء القادمون
لتعلم القرآن عمرها الشيخ تقي الدين عبد المحسن الواسطي وهو من كبار أهلها وفقهائها
ويسطي لكل متعلم بها كسوة في السنة ويجري له نفقته في كل يوم ويقعد هو وأخوانه وأصحابه
لتعليم القرآن بالمدرسة وقد لقيته وأضافني وزودني تمرًا ودرهمًا ولما نزلنا مدينة واسط
أقامت القافلة ثلاثًا بنجار جهات التجارة فسبح لي زيارة قبر الولي أبي العباس أحمد الرفاعي وهو
بقرية تعرف بأمة عبيدة على مسيرة يوم من واسط فطلبت من الشيخ تقي الدين أن يبعث
معي من يوصاني إليها فبعث معي ثلاثة من عرب بني أسد وهم قطن تلك الجهة وأركني فرسًا
له وخرجت ظهر آفت تلك الليلة بحوش بني أسد ووصلنا في ظهر اليوم الثاني إلى الرواق
وهو رباط عظيم فيه آلاف من الفقراء وصادقنا به قدوم الشيخ أحمد قوجك حفيد ولي الله
أبي العباس الرفاعي الذي قصدنا بزيارته وقد رسم من موضع سكنائه من بلاد الروم برسم زيارة
قبر جده والبه انتهت الشياخة بالرياق ولما انقضت صلاة العصر ضربت الطبول والدفوف
وأخذ الفقراء في الرقص ثم صلوا المغرب وقدموا السباط وهو خبز الأرز والسماك
واللبن والتمر فأكل الناس ثم صلوا العشاء الآخرة وأخذوا في الذكر والشيخ أحمد
قاعد على سجادة جده المذكور ثم أخذوا في السماع وقد أعدوا أحلامًا من الحطب
فأججوها نارًا ودخلوا في وسطها يرقصون ومنهم من يترغ فيها ومنهم من يأكلها بقمه
حتى أطفئوها جميعًا وهذا أدهم وهذه الطائفة الاحمدية مخصوصون بهذا وفيهم من يأخذ
الحية العظيمة فيعض بأسنانه على رأسها حتى يقطعها

﴿حكاية﴾

كنت مررت بموضع يقال له أفقانبور من عمالة هزارا مروها وبينها وبين دهلي حضرة
الهند مسيرة خمس وقد نزلنا بها على نهر يعرف بنهر السرور وذلك في أوان الشكال
والشكال عندهم هو المطر وينزل في أبان القيظ وكان السيل ينحدر في هذا النهر من جبال

قرا حبل فكل من يشرب منه من انسان أو بهيمة يموت - لنزول المطر على الحشائش المسمومة فأقنعنا على النهار أربعة أيام لا يقربه أحد ووصل الى هنالك جماعة من الفقراء في أعناقهم أطواق الحديد وفي أيديهم وكبيرهم رجل أسود حالك اللون وهسم من الطائفة المعروفة بالحيدرية فباتوا عندنا ليلة وطلب مني كبيرهم أن آتيه بالحطب ليوقدوه عند رقصهم فكلفت والى تلك الجهة وهو عزيز المعروف بالجاروسيا تى ذكره أن يأتى بالحطب فوجه منه نحو عشرة أحمال فأضرموافيه النار بعد صلاة العشاء الآخرة حتى صارت جراواخذوا في السماع ثم دخلوا في تلك النار فسالوا ايرقصون ويتمرغون فيها وطلب مني كبيرهم قيصاً فأعطيته قيصاً في النهاية من الرقة فلبسه وجعل يتمرغ به في النار ويضرها بأكمامه حتى طفئت تلك النار وخذت وجاء الى بالقميص والنار لم تؤثر فيه شيئاً البتة فطال عجبى منه ولما حصلت لى زيارة الشيخ أبي العباس الرقاعي نفع الله به عدت الى مدينة واسط فوجدت الرفقة التي كنت فيها قد رحلت فلحقته في الطريق ونزلنا ماء يعرف بالهضيب ثم رحلنا ونزلنا بوادي الكراع وليس به ماء ثم رحلنا ونزلنا موضعاً يعرف بالمشرب ثم رحلنا منه ونزلنا بالقرب من البصرة ثم رحلنا فدخلنا نخوة النهار الى مدينة البصرة

﴿ مدينة البصرة ﴾

فزلنا بهار باط مالك دينار وكنت رأيت عند قدومى عليها على نحو ميلين منها بناء عالي مثل الحصن فسألت عنه فقليل له هو مسجد على بن أبي طالب رضي الله عنه وكانت البصرة من اتساع الحطة وانفساح الساحة بحيث كان هذا المسجد في وسطها وبينه الآن وبينها ميلان وكذلك ينسب وبين السور الاول المحيط بها نحو ذلك فهو متوسط بينهما مدينة البصرة احدى أمهات العراق الشهيرة الذكر في الآفاق الفسيحة الارحاء المؤنقة الافناء ذات البساتين الكثيرة والفواكه الانيرة توفر قسمها من النضارة والخصب لما كانت مجمع البحرين الاجاج والمذب وليس في الدنيا أكثر نخلا منها في باع التمر في سوقها بحساب أربعة عشرة رطلا عراقيه بدرهم ودرهمهم تلك النقرة ولقد بعث الى قاضيها حجة الدين بهوصرة تمر يحملها الرجل على تكلف فأردت بيعها فبيعت بتسعة دراهم أخذ الخصال

منها ثلثها عن أجرة حملها من المنزل الى السوق ويصنع بها من التمر غسل يسمى السيلان وهو طيب كأنه الجلاب والبصرة ثلاث محلات احداها محلة هبذيل وكبيرها الشيخ الفاضل علاء الدين بن الاثير من الكرماء الفضلاء اضافني وبعث الي بذياب ودراهم والمحلة الثانية محلة بني حرام كبيرها السيد الشريف محمد الدين موسي الحسيني ذو مكارم وفواضل اضافني وبعث الي التمر والسيلان والدراهم والمحلة الثالثة محلة العجم كبيرها جمال الدين ابن اللوكي واهل البصرة لهم مكارم أخلاق وايناس للغريب وقيام بحقه فلا يستوحش فيما بينهم غريب وهم يصلون الجمعة في مسجد أمير المؤمنين على رضي الله عنه الذي ذكرته ثم يسد فلا يتونه الا في الجمعة وهذا المسجد من أحسن المساجد وصحبه متناهي الانفساح مفروش بالحصباء الحمراء التي يؤتي بها من وادي السباع وفيه المصحف الكريم الذي كان عثمان رضي الله عنه يقرأ فيه لما قتل وأثر تغيير الدم في اوراقه التي فيها قوله تعالى (فسيكفيكم الله وهو السميع العليم)

(حكاية استبار)

شهدت مرة بهذا المسجد صلاة الجمعة فلما قام الخطيب به الى الخطبة وسردها نحن فيها الحنا كثير اجليا فعجبت من أمره وذكرت ذلك للقاضي حجة الدين فقال لي ان هذا البلد لم يبق به من يعرف شيئا من علم النحو وهذه عبرة لمن تفكر فيها سبحانه مغير الاشياء ومقلب الامور هذه البصرة التي الى أهلها انتهت رئاسة النحو وفيها أصله وفرعه ومن أهلها امامه الذي لا ينكر سبقه لا يقيم خطيبها خطبة الجمعة على دونه عليها وهذا المسجد سبع صوامع احداها الصومعة التي تحرك بزعمهم عند ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه صعدت اليها من أعلى سطح المسجد ومعي بعض أهل البصرة فوجدت في ركن من أركانها مقبض خشب مسمر فيها كأنه مقبض مملسة البناء فجعل الرجل اندي كان معي يده في ذلك المقبض وقال بحق رأس أمير المؤمنين على رضي الله عنه تحركي وهن المقبض فتحركت الصومعة فجعلت أنا يدي في المقبض وقلت له وأنا أقول بحق رأس أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحركي وهززت المقبض فتحركت الصومعة فوجدوا من ذلك وأهل البصرة على مذهب السنة والجماعة ولا يخاف من يفعل مثل فعلهم ولو جرى مثل هذا بمشهد على

أو مشهد الحسين أو بالحلة أو بالبحرين أو قم أو قاشان أو ساوة أو آوة أو طوس لهلاك
 فاعله لأنهم رافضة غالية قال ابن جزى قد عانت بمدينة برشانة من وادي المنصورة من بلاد
 الأندلس حاطها الله صومعة تهتز من غير أن يذكر لها أحد من الخلفاء أو سواهم وهي
 صومعة المسجد الأعظم بها وبنائها ليس بالقديم وهي كأحسن ما أنت راء من الصوامع
 حسن منظر واعتدالها وارتفاعها لا ميل فيها ولا زيج صمدت إليها مرة ومي جماعة من
 الناس فأخذ بعض من كان معي بجوانب جامورها ومزوها فاهتزت حتى أشرت إليهم أن
 يكفوا فكفوا عن هذا (رجع)

﴿ ذكر المشاهد المباركة بالبصرة ﴾

فمنها مشهد طاحنة بن عبيد الله أحد العشرة رضي الله عنهم وهو بداخل المدينة وعليه قبة
 ومسجد وزاوية فيها الطعام لا وارد والصادر وأهل البصرة يعظمونه تعظيماً شديداً وحق
 له ومنها مشهد الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته رضي الله
 عنهم ما هو بخارج البصرة ولا قبة عليه وله مسجد وزاوية فيها الطعام لا بناء السبيل ومنها
 قبر حليلة السعدية أم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة رضي الله عنها وإلى جانبها
 قبر ابنه ارضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها قبر أبي بكر صاحب رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وعليه قبة وعلى ستة أميال منها بقرب وادي السباع قبر أنس بن مالك خادم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ولا سبيل لزيارته إلا في جمع كثيف لكثرة السباع وعدم العمران
 ومنها قبر الحسن بن أبي الحسن البصري سيد التابعين رضي الله عنه ومنها قبر محمد بن
 سيرين رضي الله عنه ومنها قبر محمد بن واسع رضي الله عنه ومنها قبر عتبة الغلام رضي الله
 عنه ومنها قبر مالك بن دينار رضي الله عنه ومنها قبر حبيب العجمي رضي الله عنه ومنها
 قبر سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه وعلى كل قبر منها قبرية مكتوب فيها اسم صاحب
 القبر ووفاته وذلك كله داخل السور القديم وهي اليوم بينها وبين البلد نحو ثلاثة أميال
 وبها سوى ذلك قبور الجرم الفقير من الصحابة والتابعين المستشهدين يوم الجمل وكان أمير
 البصرة حين ورودى عليها يسمى بركن الدين العجمي التوريزي أضافني فأحسن إلى

والبصرة على ساحل الفرات والدجلة وبها المد والجزر كمثل ما هو بوادي سلا من بلاد
المغرب وسواه والخليج المساح الخارج من بحر فارس على عشرة أميال منها فإذا كان المد
غلب الماء المساح على العذب وإذا كان الجزر غلب الماء الحلو على المساح فيستسقي أهل
البصرة الماء لدورهم ولذلك يقال إن ماءهم زعاق قال ابن جزي وبسبب ذلك كان هواء
البصرة غير جيد وألوان أهلها مصفرة كاسفة حتى ضرب بهم المثل وقال بعض الشعراء
وقد أحضرت بين يدي صاحب أترجة (سريع)

لله أترج غدا ينتا * معبرا عن حال ذي عبرة
لما كسي الله ثياب الضنا * أهل الهوى وساكني البصرة

(رجع) ثم ركب من ساحل البصرة في صنبوق وهو القارب الصغير إلى الابلّة وبينها
وبين البصرة عشرة أميال في بساتين متصلتين ونخيل مظلة عن اليمين واليسار والبياعة في
ظلال الأشجار يبيعون الخبز والسمك والتمر واللبن والفواكه وفيما بين البصرة والابلّة
متعبد سهل بن عبد الله التستري فإذا حاذاه الناس بالسفن تراهم يشربون الماء مما يحاذيه
من الوادي ويدعون عند ذلك تبركاً بهذا الولي رضي الله عنه والنواية بحر فون في هذه
البلاد وهم قيام وكانت الابلّة مدينة عظيمة يقصدها تجار الهند وفارس فخربت وهي الآن
قرية بها آثار قصور وغيرها دالة على عظمها ثم ركبنا في الخليج الخارج من بحر فارس في
مركب صغير لرجل من أهل الابلّة يسمى بمغامس وذلك نياماً بعد المغرب فصباحنا عبادان
وهي قرية كبيرة في سبحة لا عمارة بها فيها مساجد كثيرة ومتعبدات ورباطات
للصالحين وبها وبين الساحل ثلاثة أميال قال ابن جزي عبادان كانت بلداً فيما تقدم
وهي مجذبة لأزرع بها وإنما يجلب إليها والماء أيضاً بها قليل وقد قال فيها بعض
الشعراء (سريع)

من مبلغا اندلسا اني * حلت عبادان أقصى النرا
أوحش ما أبصرت لكني * قصدت فيها ذكرها في الوري
الخبز فيها يتهادونه * وشربة الماء بها تشتري

(ر ج ع) وعلى ساحل البحر منها رابطة تعرف بالنسبة الى الخضر والياس عليهما السلام وبازائها زاوية يسكنها أربعة من الفقراء بأولادهم يخدمون الرابطة والزاوية ويتعيشون من فتوحات الناس وكل من يمر بهم يتصدق عليهم وذكر لي أهل هذه الزاوية ان عبادان عابداً كبير القدر ولا أنيس له يأتي هذا البحر مرة في الشهر فيصطاد فيه ما يقوته شهر أنتم لا يرى الا بعد تمام شهر وهو على ذلك منذ أعوام فلما وصلنا عبادان لم يكن لي شأن الا طلبه فاشتغل من كان معي بالصلاة في المساجد والمتعبدات وانطلقت طالباً له فجيئت مسجداً آخر بافوجده يصلي فيه فجلست الى جانبه فأوجز في صلاته ولم أسلم أخذ يدي وقال لي بلغك الله مرادك في الدنيا والآخرة فقد بلغت بحمد الله مرادي في الدنيا وهو السياحة في الارض وبلغت من ذلك ما لم يبلغه غيري فيما أعلمه وبقيت الاخري والرجاء قوى في رحمة الله وتجاوزته وبلغ المراد من دخول الجنة ولما أتيت أصحابي أخبرتهم خبر الرجل وأعلمتهم بموضعه فذهبوا اليه فلم يجدوه ولا وقعوا له على خير فمجبوا من شأنه وعدنا بالعشي الى الزاوية فبتنا بها ودخل علينا أحد الفقراء الاربعة بعد صلاة العشاء الآخرة ومن عادة ذلك الفقير أن يأتي عبادان كل ليلة فيسرج السرج يساجدها ثم يعود الى زاويته فلما وصل الى عبادان وجد الرجل العابد فأعطاه سمكة طرية وقال له اوصل هذه الى الضيف الذي قدم اليوم فقال لنا الفقير عند دخوله علينا من رأى منكم الشيخ اليوم فقلت له أنا رأيتاه فقال يقول لك هذه ضيافتك فشكرت اني على ذلك وطبخ لنا الفقير تلك السمكة فأكلنا منها أجمعين وما أكلت قط سمكاً أطيب منها وحس في خاطري الإقامة بقية العمر في خدمة ذلك الشيخ ثم صرفتني النفس الاجوج عن ذلك ثم ركبنا البحر منذ الصباح بقصد بلدة ماجول ومن عادتي في سفرى أن لا أعود على طريق سلكتها ما أمكنني ذلك وكنت أحب قصد بغداد العراق فأشار على بعض أهل البصرة بالسفر الى أرض اللور ثم الى عراق العجم ثم الى عراق العرب فعملت بمقتضى اشارته ووصلنا بعد أربعة أيام الى بلدة ماجول على وزن فاعول وجيمها معقودة وهى صغيرة على ساحل هذا الخليج الذي ذكرنا انه يخرج من بحر فارس وأرضها سبخة لا شجر فيها ولا نبات ولها سوق عظيمة

من أكبر الاسواق وأقيمت بها يوماً واحداً ثم اكرت دابة لركوبى من الذين يجلبون
 الحبوب من رامز الى ماجول وسرناثلاثاني صحراء يسكنها الاكراد في بيوت الشعر ويقال
 ان أصلهم من العرب ثم وصلنا الى مدينة رامز وأول حروفها (راء) وآخرها زاي وميمها
 (مكسورة) وهي مدينة حسنة ذات فواكه وأنهار ونزلتساها عند القاضي حسام الدين
 محمود ولقيت عنده رجلاً من أهل العلم والدين والورع هندي الأصل يدعي بهاء الدين
 ويسمى اسماعيل وهو من أولاد الشيخ بهاء الدين أبي زكريا الملتاني وقرأ على مشايخ
 نوريز وغيرها وافتت بمدينة رامز ليلة واحدة ثم رحلنا منها ثلاثاني بسيط فيه قرى يسكنها
 الاكراد وفي كل مرحلة منها زاوية فيها للوارد الحبز واللحم والحلواء وحلواؤهم من رب
 الغنم مخلوط بالدقيق والسمن وفي كل زاوية الشيخ والامام والمؤذن والخادم للفقراء
 والعبيد والخدم يطبخون الطعام ثم وصلت الى مدينة تستروهي آخر البسيط من بلاد
 اتابك وأول الحيايل مدينة كبيرة رائقة نظيرة وبها البساتين الشريفة والرياض المنيفة ولها
 المحاسن البارعة والاسواق الجامعة وهي قديمة البناء افتتحها خالد بن الوليد والى هذه
 المدينة ينسب سهل بن عبد الله ويحيط بها النهر المعروف بالازرق وهو عجيب في نهاية من
 الصفاء شديد البرودة في أيام الحر ولم أركز رفته الا نهر بلخشان ولها باب واحد للمسافرين
 يسمى دروازة دسبول والدروازة عندهم الباب ولها ابواب غيره شارة الى النهر وعلى
 جانبي النهر البساتين والدواليب والنهر عميق وعلى باب المسافرين منه جسر على القوارب
 كجسر بغداد والحلة قال ابن جزي وفي هذا النهر يقول بعضهم (كامل)

انظر لساذروان تستروا عجب * من جمعه ماء لري بلاده

كملك قوم جمعت امواله * فقد ايفرقه على اجناده

وتفواكه بتستركشيرة والخيرات متيسرة غزيرة ولا مثل لاسواقها في الحسن وبخارجها
 تربة معظمة يقصدها اهل تلك الاقطار للزيارة وينتظرون لها التذور ولها زاوية بها
 جماعة من الفقراء وهم يزعمون انها تربة زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
 وكان نزولي من مدينة تستر في مدرسة الشيخ الامام الصالح المتوفى شرف الدين موسي ابن

الشيخ الصالح الامام العليم صدر الدين سليمان وهو من ذرية سهل بن عبد الله وهذا الشيخ ذو مكارم وفضائل جامع بين العلم والدين والصلاح والايتار وله مدرسة وزاوية وخدامها قتيان له اربعة سنبل وكافور وجوهر وسرور احدهم موكل بأوقاف الزاوية والثاني تصرف فيما يحتاج اليه من النفقات في كل يوم والثالث خديم السماط بين ايدي الواردين ومرتب الطعام لهم والرابع موكل بالطباخين والسقائين والفراشين فأقت عدة ستة عشر يوماً فلم أر عجب من ترتيبه ولا ارغد من طعامه يقدم بين ايدي الرجل ما يكفي الاربعة من طعام الارز المفضل المطبوخ في السمن والدجاج المنلى والحبز واللحم والحلواء وهذا الشيخ من أحسن الناس صورة واقومهم سيرة وهو يعظ الناس بعد صلاة الجمعة بالمسجد الجامع ولما شاهدت مجالسه في الوعظ صغر لدي كل واعظ رأيته قبله بالحجاز والشام ومصر ولم ألق فيمن لقيتهم مثله حضرت يوماً عنده ببستان له على شاطئ النهر وقد اجتمع فقهاء المدينة وكبرأؤها وأتت الفقراء من كل ناحية فأطعم الجميع ثم صلى بهم صلاة الظهر وقام خطيباً واعظاً بعد ان قرأ القرآن امامه بالثلاحين المبكية والنفقات المحركة المهيجة وخطب خسبة يسكون ووقار وتصرف فنون العلم من تفسير كتاب الله وايراد حديث رسول الله والتكلم على ممانيه ثم ترامت عليه الرقاع من كل ناحية ومن عادة الاعاجم ان يكتبوا المسائل في رقاع ويرمونها الي انواعظ فيجيب عنها فلما رمي اليه بملك الرقاع جمعها في يده وأخذ يجيب عنها واحدة بعد واحدة بأبدع جواب وأحسنه وحان وقت صلاة العصر فصلى بالقوم وانصرفوا وكان مجلسه مجلس علم ووعظ وبركة وتبادر التائبون فأخذ عليهم العهد وجزئوا صيهم وكانوا خمسة عشر رجلاً من الطلبة قدموا من البصرة برسم ذلك وعشرة رجال من عوام تستر

(حكاية)

لما دخلت هذه المدينة أصابني مرض الحمى وهذه البلاد يحجم داخلها في زمان الحركما يعرض في دمشق وسواها من البلاد الكثيرة المياه والفواكه وأصابني الحمى أيضاً فمات منهم شيخ اسمه يحيى الحراساني وقام الشيخ تجهيزه من كل ما يحتاج اليه الميت وصلى عليه وترك بها صاحباً لي يدعي بهاء الدين الحنفي فمات بعد سفري وكنت حين

مرضي لا أشتهي إلا طعمة التي تصنع لي بمدرسته فذكر لي الفقيه شمس الدين السندی من طلبتها طعاماً فأنته به ودفعت له دراهم وطبخ لي ذلك الطعام بالسوق وأتى به الي فأكلت منه وبلغ ذلك الشيخ فشق عليه وأتى الي وقال لي كيف تفعل هذا وتبيع الطعام في السوق وهذا أمرت الخدام أن يصنعوا لك ما شتهيه ثم احضر جميعهم وقال لهم جميع ما يطلب منكم من أنواع الطعام والسكر وغير ذلك فأتوا اليه به واطبجه الله ما يشاءوه وأكد عليهم في ذلك أشد التأكيده خيراً ثم سافرتا من مدينة تسعة ثلثين في جبال شامخة وبخل منزل زاوية كما تقسم ذكر ذلك ووصلنا الى مدينة ايندج (وضبط اسمها) بكسر الهمزة وياء مسدود ذال معجم مفتوح وحيم وتسمى أيضاً مال الأمير وهي حضرة السلطان أتابك وعند وصولي اليها اجتمعت بشيخ شيوخها العالم الورع نور الدين الكرمانى وله النظر في جميع الزوايا وهم يسمونها المدرسة والسلطان يعظمه ويقصد زيارته وكذلك أرباب الدولة وكبراء الحضرة يزورونه غدوا وعشياً فأكرمني وضافني وأزاني بزاوية تعرف باسم الدينوري وأقيمت بها أياما وكان وصولي في أيام القيظ وكنا نصلي صلاة الليل ثم ننام باعلى سطحها ثم نزل الي الزاوية ضحوة وكان في صحبتي اثنا عشر فقيراً منهم امام وقارئان مجيدان وخادم ونحن على أحسن ترتيب

✽ ذكر ملك ايندج وتستر ✽

وملك ايندج في عهد دخول اليها السلطان أتابك انراسياب ابن السلطان أتابك أحمد وatabك عندهم سمة لكل من يلي هذه البلاد من ملك وتسمى هذه البلاد بلاد اللور وولي هذا السلطان بعد أخيه أتابك يوسف وولي يوسف بعد أبيه أتابك أحمد وكان أحمد المذكور ملكاً صالحاً سمعت من الثقة بيلاده انه عمرار بعامة وستين زاوية بيلاده منها بحضرة ايندج أربع وأربعون وقفاً ثم خراج بيلاده اثلاثاً فثلث منه نفقة الزوايا والمدارس والثلث منه لمرتب العساكر والثلث لنفقته ونفقة عياله وعبيده وخدمه ويبحث منه هدية لملك العراق في كل سنة ووربما وفد عليه بنفسه وشاهدت من آثاره الصالحة بيلاده ان اكثرها في جبال شامخة وقد نحتت الطرق في الصخور والحجارة وسويت ووسعت بحيث

تصعد هاللدواب بأحمالها وطول هذه الجبال مسيرة سبعة عشر في عرض عشرة وهي شاهقة متصل بعضها ببعض تشقهها الأنهار وشجرها البلوط وهم يصنعون من دقيق الخبز وفي كل منزل من منازلها زاوية يسمونها المدرسة فاذا وصل المسافر الى مدرسة منها أتى بما يكفيه من الطعام والملف لدايته سواء طلب ذلك أو لم يطلبه فارادتهم أن يأتي خادم المدرسة فيعدهم من نزل بهما من الناس ويعطى كل واحد منهم قرصين من الخبز ولحمًا وحلواء وكل ذلك من أوقاف السلطان عاينها وكان السلطان أتابك أحمد زاهدًا صالحًا كما ذكرناه يلبس تحت ثيابه ما يلي جسده ثوب شعر ﴿حكاية﴾

قدم السلطان أتابك أحمد مرة على ملك العراق أبي سعيد فقال له بعض خواصه ان أتابك يدخل عليك وعليه الدرع وخن ثوب الشعر الذي تحت ثيابه درعًا فامرهم باختبار ذلك على جهة من الانبساط ليعرف حقيقة فدخل عليه يومًا فقام اليه الأمير الجوبان عظيم امراء العراق والأمير سويته أمير ديار بكر والشيخ حسن الذي هو الآن سلطان العراق وامسكوا بثيابه كأنهم يمازحونه ويضحكونه فوجدوا تحت ثيابه ثوب الشعر مرورا به السلطان أبو سعيد وقام اليه رعاقته وأجاسه الي جانبه وقال له سن أطاومعناه بالتركية أنت أبي وعوضه عن هديته باضعافها وكتب له اليرليغ وهو الظهير ان لا يطالبه بهدية بعدها هو ولأولاده وفي تلك السنة توفي وولي ابنه أتابك يوسف عشرة أعوام ثم ولى أخوه أفراسياب ولما دخلت مدينة اينج أردت رؤية السلطان أفراسياب المذكور فلم يتأت لي ذلك بسبب انه لا يخرج الا يوم الجمعة لادمانه على الخمر وكان له ابن هو ولي عهد وليس له سواه فرض في تلك الايام ولما كان في احدي الليالي أتاني أحد خدامه وسألني عن حاله فعرفته وذهب عني ثم جاء بعد صلاة المغرب ومعه طيفوران كبيران أحدهما بالطعام والاخر بالفاكهة وخريطة فيها دراهم ومعه أهل السماع بالآلاتهم فقاموا السماع حتى يرهج الفقراء ويدعون لابن السلطان فقلت له ان أصحابي لا يدرون بالسماع ولا بالرقص ودعونا للسلطان ولولده وقسمت الدراهم على الفقراء ولم يكن نصف الليل سمعنا الصراخ والتوايح وقدمات المريض المذكور ولما كان من الغد دخل على شيخ الزاوية

وأهل البلد وقالوا ان كبراء المدينة من القضاة والفقهاء والاشراف والامراء قد ذهبوا الى دار السلطان المعزاء فيذبغي لك ان تذهب في جملتهم فأيدت عن ذلك فعزموا على فلم يكن لي بد من المسير فسررت معهم فوجدت مشور دار السلطان تلتار جالا وصييانا من الممالك وأبناء الملوك والوزراء والاجناد وقد لبسوا التبرليس وجلال الدواب وجمعوا فوق رؤسهم التراب والتين وبعضهم قد جز ناصيته وانقسموا فرقتين فرقة بأعلى المشور وفرقة بأسفله وتزحف كل فرقة الى جهة الاخرى وهم ضاربون بأيديهم على صدورهم قائلون خوندكار ما ومعناه مولاي أنا (مولانا) فرأيت من ذلك أمرا هائلا ومنظرا فظي عالم أعده مثله

﴿حكاية﴾

ومن غريب ما اتفق لي يومئذاني دخالت فرأيت القضاة والخطباء والشرفاء قد استندوا الى حيطان المشور وهو غاص بهم من جميع جهاته وهم بين بك ومتباك ومطرق وقد لبسوا فوق ثيابهم ثيابا خامة من غليظ القطن غير محكمة الخياطة بطائنها الى أعلى ووجوهها مملأ بلى أجسادهم وعلى رأس كل واحد منهم قطعة خرقه أو متر رأسود وهكذا يكون فلبسهم الى تمام أربعين يوما وهي نهاية الحزن عندهم وبعده ما بيعت السلطان لكل من فعل ذلك كسوة كاملة فلما رأيت جهات المشور خاصة بالناس نظرت يمينا وشمالا أرتاد موضع الجلوسي فرأيت هنالك سقيفة مرتفعة عن الارض بمقدار شبر وفي احدى زواياها رجل منفرد عن الناس قاعد عليه ثوب صوف شبه اللبد يلبسه بتلك البلاد ضعفاء الناس أيام المطر والثلج وفي الاسفار فتقدمت الى حيث الرجل وانقطع عني أصحابي لمسا رأوا اقدامي نحوه وعجبوا مني وأنا لا أعلم عندي بشي من حاله فصعدت السقيفة وسلمت على الرجل فرر على السلام وارتفع عن الارض كأنه يريد القيام وهم يسمعون ذلك نصف القيام وهم يدت في الركن المقابل له ثم نظرت الى الناس وقدر موني بأبصارهم جميعا فعجبت منهم ورأيت الفقهاء والاشايخ والاشراف مستندين الى الحائط تحت السقيفة وأشار الى أحد القضاة ان انحط الى جانبه فلم أفعل وحينئذ استشعرت انه اساطان فلما كان بعد ساعة أتى شيخ المشايخ نور

الدين الكرمانى الذى ذكرناه قبل فصعد الى السقيفة وسلم على الرجل فقام اليه وجلس فيما بين وبينه حينئذ علمت ان الرجل هو السلطان ثم جئ بالجنائزة وهي بين أشجار الاترج والليمون والنارنج وقد ملؤا أغصانها بثمارها والأشجار بأيدي الرجل فكان الجنائزة تمشى في بستان والمشاعل في رماح طوال بين يديها والشمع كذلك فصلى عليها وذهبت الناس معها الى مدفن الملوك وهو بموضع يقال له هلاخيحان على أربعة أميال من المدينة وهناك مدرسة عظيمة يشقها النهر وبداخلها مسجد تقام فيه الجمعة وبخارجها حمام ويحف بها بستان عظيم وبها الطعام للوارد والصادر ولم أستطع ان أذهب معهم الى مدفن الجنائزة لبعده الموضع فعدت الى المدرسة فلما كان بعد أيام بعث الى السلطان رسوله الذي أتاني بالضيافة ألا يدعوني اليه فذهبت معه الى باب يعرف بباب السرو وضعتنا في درج كثيرة الى ان انتهينا الى موضع لا فرش به لاجل ما هم فيه من الحزن والسلطان جالس فوق مخدة وبين يديه أنبتان قد غطيتا أحدهما من الذهب والاخرى من الفضة وكانت بالمجلس سجادة خضراء ففرشت لي بالقرب منه وقعدت عليها وليس بالمجلس الا حاجب الفقيه محمود ونديم له لا أعرف اسمه فسألني عن حالي وبلادي وسألتني عن الملك الناصر وبلاد الحجاز فأجبتة عن ذلك ثم جاء فقيه كبير هو رئيس فقهاء تلك البلاد فقال لي السلطان هذا مولانا فضيل والفقيه ببلاد الاعاجم كلها انما يخاطب بمولانا وبذلك يدعو السلطان وسواء ثم أخذني التواء على الفقيه المذکور وظهر لي ان السكر غالب عليه وكنت قد عرفت ادمانه على الخمر ثم قال لي باللسان العربي وكان يحسنه تكلم فقلت له ان كنت تسمع مني أقول لك أنت من أولاد السلطان أتاك أحمد المشهور بالصلاح والزهد وليس فيك ما يقدح في سلطنتك غير هذا وأشرت لي الآيتين فخجلت من كلامي وسكت وأردت ان انصرف فأمرني بالجلوس وقل لي الاجتماع مع أمثالك رحمة ثم رأيته يتسائل ويريد النوم فانصرفت وكنت تركت نعلي بالباب فلم أجده فنزل الفقيه محمود في طلبه وصعد الفقيه فضيل يطلبه في داخل المجلس فوجدته في طاق هناك فأقنى الى به فأخجاني بره واعتذرت اليه فقبل نعلي حينئذ ووضعته على رأسه وقال لي بارك الله فيك هذا الذي قلته لسلطاننا لا يقدر أحد ان يقول له

غيرك والله اني لا رجوا أن يؤثر ذلك فيه ثم كان رحيلي من حضرة ايدج بعد أيام فنزلت بمدرسة السلاطين التي بها قبورهم وأقيمت بها أياما ربعث الي السلطان بجملة دنائروبعث بمثلها لاصحابي وسافرنا في بلاد هذا السلطان عشرة أيام في جبال شامخه وفي كل ليلة نزل بمدرسة فيها الطعام فمنها ما هو في العمارة ومنها ما لا عمارة حوله ولكن يجلب اليها جميع ما تحتاج اليه وفي اليوم العاشر نزلنا بمدرسة تعرف بمدرسة كريوا الرخ وهي آخر بلاد هذا الملك وسافرنا منها في بسط من الارض كثير المياه من عمالة مدينة أصفهان ثم وصلنا الى بلدة أشتركان (وضبط اسمها بضم المزة واسكان الشين المعجم وضم التاء المعلو واسكان الراو آخره نون) وهي بلدة حسنة كثيرة المياه والبساتين ولها مسجد يدعى يشقه النهر ثم رحلنا منها الى مدينة فيروزان واسمها كأنه تنذية فيروز وهي مدينة صغيرة ذات أنهار وأشجار وبساتين وصلنا بها بعد صلاة العصر فرأينا أهلها قد خرجوا لتشييع جنازة وقد أودوا خلفها و امامها المشاعل واتبعوها بالزامير والمغنين بأنواع الاغاني المطربة فمعجنا من شأنهم وبتنا باليلة ومررنا بالغد بقربة يقال لها انبلان وهي كبيرة على نهر عظيم والي جانبه مسجد في النهاية من الحسن يصعد اليه في درج وتحفه البساتين وسرنا يومنا فيما بين البساتين والمياه والقرى الحسان الكثيرة أبراج الحمام ووصنا بعد العصر الى مدينة أصفهان من عراق العجم (واسمها يقال بالفاء الخاصة ويقال بالفاء المعقودة المفخمة) ومدينة أصفهان من كبار المدن وحسانها الا أنها الآن قد خرب أكثرها بسبب الفتنة التي بها بين أهل السنة والروافض وهي متصلة بينهم حتى الآن فلا يزالون في قتال وسها القوا كالكثيرة ومنها المشمش الذي لا نظير له يسمى بقمر الدين وهم يبيسونه ويدخرونه ونوام ينكسر عن لوز حلو ومنها السفرجل الذي لا مثل له في طيب المطعم وعظم الجرم والاعناب الطيبة والبطيخ العجيب الشأن الذي ليس في الدنيا مثله الا ما كان من بطيخ بخاري وخوارزم وقشره أخضر وداخله أحمر ويدخر كما تدخر الشريحة بالمغرب وله حلاوة شديدة ومتى لم يكن ألفأ كاه فانه في أول أمره يسهله وكذلك اتفق لي لما أكلته بأصفهان وأهل أصفهان حسان الصور والوانهم بيض زاهرة مشوبة

بالحرارة والغالب عليهم الشجاعة والنجدة وفيهم كرم وتنافس عظيم فيما بينهم في الاطعمة تؤثر
 عنهم فيه أخبار غريبة وربما دعا أحدهم صاحبه فيقول له اذهب معي لنأكل نان وماس
 والنان بلسانهم الخبز والناس اللبن فاذا ذهب معه أطعمته أنواع الطعام العجيب مباحياله
 بذلك وأهل كل صناعة يقدمون على أنفسهم كبيراً منهم يسمونه الكلو وكذلك كبار المدينة
 من غير أهل الصناعات وتكون الجماعة من الشبان الاعراب وتتفاخر تلك الجماعات
 ويضيف بعضهم بعضاً مظهرين لما قدروا عليه من الامكان محتفلين في الاطعمة وسواها
 الاحتفال العظيم واقد ذكروا لي ان طائفة منهم أضفت أخرى فطبخوا طعامهم بنار الشمع
 ثم اضافوها الاخرى فطبخوا طعامهم بالحريرو كان نزولي باصفهان في زاوية تنسب للشيخ
 علي بن سهل تلميذ الخنيد وهي معظمة تصدها أهل تلك الآفاق ويتبركون بزيارتها وفيها
 الطعام المأرور الصادر وهو احمام عجيب عفر وش بالرخام وحيطانه بالاشاني وهو موقوف
 في السبيل لا يلزم أحد في دخوله شيء وشيخ هذه الزاوية الصالح العابد الورع قطب الدين
 حسين بن الشيخ الصالح ولي الله شمس الدين محمد بن محمود بن علي المعروف بالرجاء
 وأخوه العالم المفتي شهاب الدين أحمد أقت عند الشيخ قلب الدين هذه الزاوية أربعة عشر
 يوماً فرأيت من اجتهاده في العبادة وحبه في الفقراء والمساكين وتواضعه لهم ما قضيت منه
 العجب وبالغ في اكرامي وأحسن ضيافتي وكساني كسوة حسنة وساعة وصولي الزاوية
 بعث الي بالطعام وبنات بطيحات من البطيخ الذي وصفناه آنفاً ولم أكن رأيت قبل
 ولا أكلته - (كرامة لهذا الشيخ)

دخل على يوماً موضع نزولي من الزاوية وكان ذلك الموضع يشرف على بستان للشيخ
 وكانت ثيابه قد غسلت في ذلك اليوم وشررت في البستان ورأيت في جملتها حبة بيضاء مبطنة
 تدعي عندهم هزر ميخي فأعجبني وقلت في نفسي مثل هذه كنت اريد فاما دخل على الشيخ
 نظر في ناحية البستان وقال لبعض خدامه ائتني بذلك الثوب الهزر ميخي فأتوا به فكساني
 اياه فأهويت الى قدميه اقبلهما وطابت منه ان يلبسني طاقية من راسه ويحيزني في ذلك بما
 اجازة والده عن شيوخه فألبسني اياه في الرابع عشر لجمادي الاخرة سنة سبع وعشرين

وسبع مائة زوايته المذكورة كما لبس من والده شمس الدين ولبس والده من أبيه تاج الدين محمود ولبس محمود من أبيه شهاب الدين على الرجا ولبس على من الامام شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي ولبس عمر من الشيخ الكبير ضياء الدين أبي النجيب السهروردي ولبس أبو النجيب من عمه الامام وحيد الدين عمر ولبس عمر من والده محمد بن عبد الله المعروف بعمويه ولبس محمد بن الشيخ أخي فرج الزنجاني ولبس أخو فرج من الشيخ أحمد الدينوري ولبس أحمد من الامام محمد بن محمد بن أبي القاسم الجنيدي ولبس محمد بن الشيخ المحقق علي بن سهل الصوفي ولبس علي من أبي القاسم الجنيدي ولبس الجنيدي من سري القسطنطيني ولبس سري القسطنطيني من داود الطائي ولبس داود من الحسن ابن أبي الحسن البصري ولبس الحسن بن أبي الحسن البصري من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال ابن جزى هكذا: اورد الشيخ أبو عبد الله هذا السند والمعروف فيه ان سريا السقطنطيني صاحب معروف الكرخي وصاحب معروف داود الطائي وكذلك داود الطائي بينهما وبين الحسن حبيب العجمي وأخو فرج الزنجاني انما المعروف انه صاحب اباب العباس النهاوندي وصاحب النهاوندي ابا عبد الله بن خفيف وصاحب ابن خفيف ابا محمد رويما وصاحب رويما ابا القاسم الجنيدي واما محمد بن عبد الله عموه فهو الذي صاحب الشيخ أحمد الدينوري الاسود ولبس بينهما أحدهما الله أعلم والذي صاحب أخو فرج الزنجاني هو عبد الله بن محمد بن عبد الله والده أبي النجيب (راجع) ثم سافرا من اصفهان بقصد زيارة الشيخ محمد الدين بشيراز وبيتهما مسيرة عشرة أيام فوصلنا الى بلدة كليل (وضبطها بفتح الكاف وكسر اللام وياء مد) وبيتهما وبين اصفهان مسيرة ثلاثة هي لمدة صغيرة ذات انهار وبساتين وفواكه رأيت التفاح يباع في سوقها خمسة عشر دراهم ودرهمهم ثلث القرية ونزائنا منها زواية عمرها كبير هذه البلدة المعروف بخواجه كافي وله مال عريض قد اعانه الله على انفاقه في سبيل الخيرات من الصدقة وعمارة الزوايا واطعام الطعام لآباء السبيل ثم سرفنا من كليل يومين ووصلنا الى قرية كبيرة تعرف بصوماء وبها زواية فيها الطعام لاوارد والسادس عمرها خواجه كافي المذكور ثم سرفنا الى يزد خاص (وضبط اسمها بفتح الياء آخر الحروف

واسكان الزاى رضم الدال المهمل وخاء معجم والباء وصا. مهمل) بلدة صغيرة متقنة
العمارة حسنة السوق والمسجد الجامع بها عجيب مبنى بالحجارة مسقف بها والبلدة على
ضفة خنق فيه بساينها ومياهها وبخارجها رباط ينزل به المسافرين عليه باب حديد وهو في
النهاية من الحسنة والمنعة وبداخله حوانيت يباع فيها كل ما يحتاجه المسافرون وهذا
الرباط عمره الامير محمد شاه بنجو والد السلطان ابي اسحق ملك شيراز وفي يزد خاص
يصنع الحين الزد خاصي ولا نظير له في طييه ووزن الحينة منه من اوقيتين الى اربع ثم سرنا
منها على طريق دشت الروم وهي صحراء يسكنها الاترك ثم سافرنا الى ماين (واسمها
بياتين مسفولتين اولاهما مكسورة) وهي بلدة صغيرة كثيرة الانهار والبساتين حسنة
الاسواق وأكثر أشجارها الجوز ثم سافرنا منها الى مدينة شيراز وهي مدينة أصلية البناء
فسيحة الارحاء شهيرة الذكر منيفة القدر لها البساتين المؤنقة والانهار المتدفقة
والاسواق البديعة والشوارع الرفيعة وهي كثيرة العمارة متقنة المباني عجيبة الترتيب
وأهل كل صناعة في سوقها لا يخالطهم غيرهم وأهلها احسان الصور نظاف الملابس وليس
في المشرق بلدة تداني مدينة دمشق في حسن أسواقها وبساتينها وأنهارها وحسن صور
ساكنيها إلا شيراز وهي في بسائط من الارض تحف بها البساتين من جميع الجهات
وتشقها خمسة أنهار أحدها النهر المعروف بركن آباد وهو عذب الماء شديد البرودة في
الصيف سخن في الشتاء فينبعث من عين في سفح جبل هنالك يسمى القليعة ومسجدها
الاعظم يسمى بالمسجد العتيق وهو من أكبر المساجد ساحة وأحسنها بناء وصحنه
متسع مفروش بالمرمر ويغسل في أو ان الحرك كل ليلة ويجتمع فيه كبار أهل المدينة كل عشية
ويصلون به المغرب والعشاء وبشماله باب يعرف بباب حسن يقضى الى سوق الفاكهة
وهي من أروع الاسواق وأنا أقول بتفضيلها على سوق باب البريد من دمشق وأهل شيراز
أهل صلاح ودين وعفاف وخصوصا نساؤها وهن يلبسن الخفاف ويخرجن متلحفات
متبرعات فلا يظهر منهن شيء ولهن الصدقات والايتار ومن غريب حالهن انهن يجتمعن
لسماع الوارظ في كل يوم اثنين وخيس وجمعة بالجامع الاعظم فربما اجتمع منهن

الآلاف والآلاف بأيديهم المراءوح وروح بهاء على أنفسهم من شدة الحر ولم ارا اجتماع النساء في مثل عدد هن في بلدة من البلاد وعند دخولي الى مدينة شيراز لم يكن لي هم الا قصد الشيخ القاضي الامام قطب الاولياء فريد الدهر ذي الكرامات الظاهرة محمد الدين اسماعيل ابن محمد بن خداداد ومعني خداداد عطية الله الله فوصلت الى المدرسة المجدية المنسوبة اليه وبها سكناء وهي من عمارته فدخلت اليه رابع اربعة من أصحابي ووجدت الفقهاء وكبار أهل المدينة في انتظار فخرج الي صلاة العصر ومعه محب الدين وعلاء الدين أبناء أخيه شقيقه روح الدين أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهما نائباه في القضاء لضعف بصره وكبر سنه فسلمت عليه وعاقني وأخذ بيدي الى أن وصل الي مصلاه فأرسل يدي وأومأ الي أن أصلي الي جانبه ففعلت وصلي صلاة العصر ثم قرئ بين يديه من كتاب المصابيح وشوارق الأنوار للمصطفى وطالعا نائباه بما جرى لديهم ما من القضاء وتقدم كبار المدينة للسلام عليه وكذلك عادتهم معه صباحاً ومساءً ثم سألتني عن حاله وكيفية قدومي وسألتني عن المغرب ومصر والشام والحجاز فأخبرته بذلك وأمر خدامه فأنزلوني بدويرة صغيرة بالمدرسة وفي غد ذلك اليوم وصل اليه رسول ملك العراق السلطان أبي سعيد وهو ناصر الدين الدرقي من كبار الأمراء خراساني الأصل فعند وصوله اليه نزع شاشيته عن رأسه وهم يسمونها الكلا وقبل رجل القاضي وقعد بين يديه ممسكاً ذن نفسه بيده وهكذا فعل أمراء التتر عند ملوكتهم وكان هذا الأمير قد قدم في نحو خمسمائة فارس من مماليكه وخدامه وأصحابه ونزل خارج المدينة ودخل الي القاضي في خمسة نفر ودخل مجلسه وحده منفرداً تأدباً

﴿حكاية في السبب في تعظيم هذا الشيخ وهي من الكرامات الباهرة﴾

كان ملك العراق السلطان محمد خدابنده قد صحبه في حال كفره فقيه من الروافض الامامية يسمى جمال الدين بن مطهر فلما أسلم السلطان المذكور وأسلمت بأسلامه التتر زاد في تعظيم هذا الفقيه فزين له مذهب الروافض وفضله على غيره وشرح له حل الصحابة والخلافة وقرأ عليه ان بابكر وعمر كانا وزيرين لرسول الله وان علياً ابن عمه وصهره فهو وارث الخلافة ومثل ذلك بما هو مألوف عنده من ان الملك الذي بيده انما هو وارث

عن أجداده وأقاربه مع حادثان عهدا السلطان بالكفر وعدم معرفته بقواعد الدين فأمر
السلطان بحمل الناس على الرفض وكتب بذلك إلى العراقيين وفارس واذر يجان واصفهان
وكرمان وخراسان وبعث الرسل إلى البلاد فكان أول بلاد وصل إليها ذلك بغداد
وشيراز واصفهان فأما أهل بغداد فامتنع أهل باب الأزج منهم وهم أهل السنة وأكثرهم
على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وقالوا لا سمع ولا طاعة وأتوا المسجد الجامع يوم الجمعة
في السلاح وبه رسول السلطان فلما صعد الخطيب المنبر قاموا إليه وهم نحو اثني عشر ألفا في
سلاحهم وهم حملة بغداد والمشار إليهم فيها خلفوا له أنه إن غير الخطبة المعتادة أضافها
أو نقص منها فانهم قاتلوه وقتلوا رسول الملك ومستسلمون بذلك لما شاء الله وكان
السلطان أمرا بأن تسقط أسماء الخلفاء وسائر الصحابة من الخطبة ولا يذكر إلا اسم على
ومن تبعه كعمار رضي الله عنهم فخاف الخطيب من القتل وخطب الخطبة المعتادة وفعل أهل
شيراز واصفهان كفعل أهل بغداد فرجعت الرسل إلى الملك فأخبروه بما جرى في ذلك
فأمر أن يؤتى بقضاة المدن الثلاث فكان أول من أوفى به منهم القاضي محمد الدين قاضي
شيراز والسلطان اذذاك في موضع يعرف بقرباغ وهو موضع مصيفه فلما وصل القاضي
أمرا أن يرمي به إلى الكلاب التي عنده وهي كلاب ضخام في أعناقها السلاسل معدة لأكل
بني آدم فاذا أوتي بمن يسلط عليه الكلاب جعل في رحبة كبيرة مطلقا غير مقيد ثم بثت
تلك الكلاب عليه فيفر أمامها ولا مفرا له فتدركه فتمزقه وتأكل لحمه فلما أرسلت الكلاب
على القاضي محمد الدين ووصلت إليه بصبغت إليه وحررت أذنانها بين يديه ولم تهجم عليه
بشيء فباع ذلك السلطان فخرج من داره حافي القدمين فأكب على رجلي القاضي بقية يوميهما
وأخذ يديه واخلع عليه جميع ما كان عليه من الثياب وهي أعظم كرامات السلطان عندهم
وإذا خلعت ثيابه كذلك على أحد كانت شرفا له وإبديه وأعقابها يتوارثونه مادامت تلك الثياب
أوشي منها وأعظمهم في ذلك سراويل ولما خلع السلطان ثيابه على القاضي محمد الدين
أخذ يديه وأدخله إلى داره وأمر نساءه بتعظيمه والتبرك به ورجع السلطان عن مذهب
الرفض وكتب إلى بلاده أن يقر الناس على مذهب أهل السنة والجماعة وأجزل العلماء

للقاضي وصرفه الى بلاده مكر مامعظما واعطاءه في جملة عطاياها مائة قرية من قرى جهمكان وهو خندق بين بلين طولاه أربعة وعشرون فرسخا يشقه نهر عظيم والقرى منتظمة بجانبيه وهو احسن موضع بشيراز من قراد العظيمة التي تضاهي المدن قرية ميان وهي للقاضي المذكور ومن عجائب هذا الموضع المعروف بجهمكان ان نصفه مما يلي شيراز وذلك مسافة اثني عشر فرسخا شديد البرد ينزل فيه الثلج وأكثر شجره الجوز والنصف الآخر مما يلي بلاده هنج وبال وبلاد الار في طريق هرمرز شبد الحروف فيه شجر النخيل وقد تقرر لي لثناء القاضي محمد الدين ثمانية حين خروجي من الهند قصده من هرمرز متبركا ببقائه وذلك سنة ثمان وأربعين وبين هرمرز وشيراز مسيرة خمسة وثلاثين يوما فدخلت عايه وهو قد ضعف عن الحركة فسلمت عليه فعرفتني وقام الي فعاقتني ووقعت يدي على مرفقه وجلده لاصق بالمعظم لا لحم بينهما وانزاني بالمدرسة حيث أنزلني أول مرة وزرته يوما فوجدت ملك شيراز السلطان أباسحق وسيعق ذكره قاعدا بين يديه ممسكا باذن نفسه وذلك هو غاية الادب عندهم ويفعله الناس اذا قعدوا بين يدي الملك وأتيته مرة أخرى الى المدرسة فوجدت بابها مسدودا فسألت عن سبب ذلك فأخبرت ان أم السلطان وأخته نشأت بينهما خصومة في ميراث فصر فهما الي القاضي محمد الدين فوصلتا اليه الى المدرسة وتحاكمتا عنده وفصل بينهما بواجب الشرع وأهل شيراز لا يدعونه بالقاضي وإنما يقولون له مولانا أعظم وكذلك يكتبون في التسجيلات والمقود التي تفتقر الى ذكر اسمه فيها وكان آخر عهدي به في شهر ربيع الثاني من عام ثمانية وأربعين ولاحت على أنواره وظهرت لي بركاته نفع الله به وبأمثاله

﴿ذكر سلطان شيراز﴾

وسلطان شيراز في عهد قدومي عليه الملك الفاضل أبو اسحق بن محمد شاه بنجو سماه أبوه باسم الشيخ أبي اسحق الكازروني نفع الله به وهو من خيار السلاطين حسن الصورة والسيرة والهيئة كريم النفس جليل الاخلاق متواضع صاحب قوة وملك كبير وعسكره ينيف على خمسين ألفا من الترك والاعاجم وبطائته الادنون اليه اهل أصغهمان وهو

لا يأتمن أهل شیراز على نفسه ولا يستخدمهم ولا يقربهم ولا يبيع لأحد منهم حمل السلاح لأنهم أهل نجدة وبأس شديد وجراءة على الملوك ومن وجد بيده السلاح منهم عوقب ولقد شاهدت مرة رجلاً تجر الجنادرة وهم الشرط إلى الحاكم وقد ربطوه في عنقه فسألت عن شأنه فأخبرت أنه وجدت في يده قوس بالليل فذهب السلطان المذكور إلى قهر أهل شیراز وتفضيل الأصفهانيين عليهم لأنه يخافهم على نفسه وكان أبوه محمد شاه بنجو والياً على شیراز من قبل ملك العراق وكان حسن السيرة محبباً إلى أهلها فلما توفي ولي السلطان أبو سعيد مكانه الشيخ حسيناو هو ابن الجوبان أمير الأمراء وسياقي ذكوره وبعث معه العساكر الكثيرة فوصل إلى شیراز وملكها وضبط مجاييها وهي من أعظم بلاد الله مجي ذكر لي الحاج قوام الدين الطمغجي وهو والي المجي بها أنه ضمنها بعشرة آلاف دينار دراهم في كل يوم وصر فها من ذهب المغرب الفان وخمسة مائة دينار ذهباً وأقام بها الأمير حسين مدة ثم أراد القدوم على ملك العراق فتبض على أبي اسحق بن محمد شاه بنجو وعلى أخويه ركن الدين ومحمد وودك وعلى والدته طاش خاتون وأراد حملهم إلى العراق ليطلبوا بأموال أيهم فلما توسطوا السوق بشيراز كشفت طاش خاتون وجهها وكانت متبرقة حياءان تري في تلك الحال فان عادة النساء الأتراك أن لا يغطين وجوههن واستغاثت بأهل شیراز وقالت أهكذا يا أهل شیراز أخرج من بينكم وأنا فلانة زوجة فلان فقام رجل من التجارين يسمى هلو ان محمود قد رأيته بالسوق حين قدومي على شیراز فقال لا نتركها تخرج من بلدنا ولا نرضى بذلك فتابعه الناس على قوله ونارت عامتهم ودخلوا في السلاح وقتلوا كثيراً من العسكر وأخذوا الأموال وخلصوا المرائ وأولاده وأولادهم والأمير حسين ومن معه وقدم على السلطان أبي سعيد مهزوماً فاعطاه العساكر الكشيفة وأمره بالعود إلى شیراز والتحكم في أهلها بما يشاء فلما بلغ أهلها ذلك علموا أنهم لا طاقة لهم به فقصدا القاضي محمد الدين وطلبوا منه أن يحقن دماء الفريقين ويوقع الصلح فخرج إلى الأمير حسين فترجل له الأمير عن فرسه وسلم عليه ووقع الصلح ونزل الأمير حسين ذلك اليوم خارج المدينة فلما كان من الغد برز أهلها للقائه في أجمل ترتيب وزينوا البلد وأوقدوا الشمع

الكثير ودخل الأمير حسين في ابهة وحفل عظيم وسار فيهم باحسن سيرة فلما مات السلطان أبو سعيد وانقرض عقبه وتغلب كل أمير علي ما يده خافهم الأمير حسين على نفسه وخرج عنهم وتغلب السلطان أبو اسحق عليها وعلى أصفهان وبلاد فارس وذلك مسيرة شهر ونصف شهر واشتدت شوكتهم وطمحت همته الي تملك ما يليه من البلاد فبدأ بالأقرب منها وهي مدينة يزد مدينة حسنة نظيفة عجيبه الاسواق ذات أنهار مطردة وأشجار نضيرة وأهلها تجار شافعية المذهب فحاصرها وتغلب عليها وتحصن الأمير مظفر شاه ابن الأمير محمد شاه ابن مظفر بقاعة على ستة أميال منها منيعة تحمدق بها الرمال فحاصره بها فظهر من الأمير مظفر من الشجاعة ما خرق المعتاد ولم يسمع بمثله فكان يضرب على عسكر السلطان أبي اسحق ليلا ويقتل ماشاء ويحرق المضارب والفساطيط ويعود الي قلعته فلا يقدر على النيل منه وضرب ليلة على دوار السلطان وقتل هنالك جماعة وأخذ من عتاق حيله عشرة وعاد الي قلعته فامر السلطان ان تركب في كل ليلة خمسة آلاف فارس ويصنعون به السكائن ففعلوا ذلك وخرج على عادته في مائة من أصحابه فضرب على العسكر واحاطت به السكائن وتلاحقت المساكر فقتلهم وخلص الي قلعته ولم يصب من أصحابه الا واحد أتى به الي السلطان أبي اسحق فخلع عليه واطلقه وبعث معه أمانا لمظفر لينزل اليه فأبى ذلك ثم وقعت بينهما المراسلة ووقعت له محبة في قلب السلطان أبي اسحق لما رأى من شجاعته فقال أريد أن أراه فاذا رأيته انصرفت عنه فوقف السلطان في خارج القلعة ووقف هو ببابها وسلم عليا فقال له السلطان انزل علي الامان فقال له مظفر اني عاهدت الله أن لا أنزل اليك حتي تدخل أنت قلعتي وحيثما أنزل اليك فقال له اقبل ذلك فدخل اليه السلطان في عشرة من أصحابه الخواص فلما وصل باب القلعة ترجل مظفر وقبل ركابه ومشى بين يديه مترجلا فأدخله داره وأكل من طعامه ونزل معه الي المحلة راكبا فأجلسه السلطان الي جانبه وخاع عليه ثيابه وأعطاه مالا عظيما ووقع الاتفاق بينهما أن تكون الخطابة باسم السلطان أبي اسحق وتكرن البلاد لمظفر وأبيه وعاد السلطان الي بلاده وكان السلطان أبو اسحق طمح ذات مرة الي بناء ابوان كابوان كسرى وأمر أهل شيراز ان يتولوا حفر اساسه

فأخذوا في ذلك وكان أهل كل صناعة يباهون كل من عسداهم فاتهموا في المباهاة إلى أن صنعوا القفاف لنقل التراب من الجلد وكسوها ثياب الحرير المزركش وفعلوا نحو ذلك في برادع الدواب وأخر أجهار صنع بعضهم الفؤس من الفضة وأوقدوا الشمع الكثير وكانوا حين الحفر يلبسون أجمل ثيابهم ويربطون قوط الحرير على أوساطهم والسلطان يشاهد أفعالهم في منظره له وقد شاهدت هذا المبنى وقدار ترفع عن الأرض نحو ثلاثة أذرع ولما بني أساسه رفع عن أهل المدينة التخديم فيه وصارت الفعلة تخدم فيه بالاجرة ويحشر لذلك آلاف منهم وسمعت والي المدينة يقول أن معظم مجباها ينفق في ذلك البناء وقد كان الموكل به الأمير جلال الدين بن الفاسكي التوريزي وهو من الكبار كان أبوه نائباً عن وزير السلطان أبي سعيد المسمي على شاه جيلاان ولهذا الأمير جلال الدين الفلكي أخ فاضل اسمه هبة الله وياق بهاء الملك وقد على ملك الهند حين وفودي عليه ووفد معه شرف الملك أمير بنحت نخلع ملك الهند علينا جميعاً وقدم كل واحد في شغل يابق به وعين لنا المرتب والاحسان وسند كذا ذلك وهذا السلطان أبو اسحق يريد التشبه بملك الهند المذكور في الإيثار واجزال العطايا ولكن أين الثريا من الثرى واعظم ما تعرفناه من عطيات أبي اسحق أنه أعطي الشيخ زاده الخراساني الذي أتاه رسولاً عن ملك هراة سبعين ألف ديناراً وأما ملك الهند فلم يزل يعطي أضعاف ذلك لمن لا يحصي كثرة من أهل خراسان وغيرهم (حكاية) ومن عجيب فعل ملك الهند مع الخراسانيين أنه قدم عليه رجل من فقهاء خراسان هروي الدار من سكان خوارزم يسمى بالأمير عبد الله بعثته الخاتون ترابك زوج الأمير قتلود مور صاحب خوارزم هدية إلى ملك الهند المذكور فقبلها وكافأ عنها بأضعافها وبمث ذلك إليها واختار رسولها المذكور الإقامة عنده فصيره في ندمائه لما كان ذات يوم قال له ادخل إلى الخزانة فارفع منها قدر ما تستطيع أن تحمله من الذهب فذهب إلى داره فأتى بثلاث عشرة خريطة وجعل في كل خريطة قدر ما وسعته وربط كل خريطة بعضو من أعضائه وكان صاحب قوة وقام بها فلما خرج عن الخزانة وقع ونم يستطع الهوض فأمر السلطان يوزن ما خرج به فكان جلته ثلاثة عشر مناب من دهلي والمن الواحد منها خمسة وعشرون

رطلا مصرية فأمر أن يأخذ جميع ذلك فأخذه وذهب به ﴿حكاية تناسبها﴾
 اشتكى مرة أمير بخت الملقب بشرف الملك الخراساني وهو الذي تقدم ذكره آنفاً بحضرة
 ملك الهند فأتاه الملك عائداً ولما دخل عليه أراد القيام فخلف له الملك أن لا ينزل عن كته
 والكت هو السرير ووضع للسلطان متكأة يسمونها المورة فقام معها ثم دعا بالذهب
 والميزان فجاء بذلك وأمر المريض أن يقيم في إحدى كفتي الميزان فقال يا خوند عالم لو
 علمت أنك تفعل هذا لبست على ثياباً كثيرة فقال له البس الآن جميع ما عندك من الثياب
 فلبس ثيابه المعداً لبرد المحشوة بالقطن وقعد في كفة الميزان ووضع الذهب في الكفة
 الأخرى حتى رجحه الذهب وقال له خذ هذا فتصدق به على رأسك وخرج عنه
 ﴿حكاية تناسبها﴾ وقد عليه الفقير عبد العزيز الأردوبلي وكان قد قرأ علم الحديث
 بدمشق وتفقّه فيه فجعل مرتبه مائة دينار دراهم في اليوم وصرف ذلك خمسة وعشرون
 ديناراً ذهباً وحضر مجلسه يوماً فسأله السلطان عن حديث فسر له أحاديث كثيرة في ذلك
 المعنى فأعجبه حفظه وحاف له برأسه أن لا يزول من مجلسه حتى يفعل معه ما يراه ثم نزل
 الملك عن مجلسه فقبل قدميه وأمر بإحضار صينية ذهب وهي مثل الطيفور الصغير وأمر
 أن يلقى فيها ألف دينار من الذهب وأخذها السلطان بيده فصمغها عليه وقال هي لك مع
 الصينية ووفى عليه مرة رجل خراساني يعرف بابن الشيخ عبد الرحمن الأسفرايني وكان
 أبوه نزل بغداد فأعطاه خمسين ألف دينار دراهم وخيلاً وعبيداً وخملاً وسنذكر كثيراً
 من أخبار هذا الملك عند ذكر بلاد الهند وأنما ذكرنا هذا المقدمناه من أن السلطان
 أبا إسحق يريد التشبه بما في المطايا وهو وإن كان كريماً فاضلاً فلا يحق بطبقة ملك الهند
 في الكرم والسخاء ﴿ذكر بعض المشاهد بشيراز﴾

فمنهم أحمد بن موسى أخي علي الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين
 ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهو مشهور معظم عند أهل شيراز يتبركون به
 ويتوسلون إلى الله بفضل وبنت عليه طاش خاتون أم السلطان أبي إسحق مدرسة كبيرة
 وزاوية فيها الطعام لاوارد والصادر والقراء يقرؤون القرآن على الترتيب دائماً ومن عادة

الخاتون انها تأتي الى هذا المشهد في كل ليلة اثنينين ويجتمع في تلك الليلة القضاة والفقهاء
 والشرفاء وشيخا من أكثر بلاد الله شرفاء سمعت من الثقات ان الذين لهم بها المراتب من
 الشرفاء ألف وأربعمائة ونيف بين صغير وكبير ونقيهم عضد الدين الحسيني فاذا حضر
 القوم بالمشهد المبارك المذكور ختموا القرآن قراءة في المصاحف وقرأ القراء بالاصوات
 الحسنة وأتى بالطعام والفواكه والحلواء فاذا أكل القوم وعظ الواعظ ويكون ذلك
 كله من بعد صلاة الظهر الى العشي والخاتون في غرفة مطلة على المسجد لها شبك ثم
 تضرب الطبول والانتقار والبوقات على باب التربة كما يفعل عند أبواب الملوك ومن المشاهد
 بها مشهد الامام القطب الولي أبي عبد الله بن خفيف المعروف عندهم بالشيخ وهو قدوة
 بلاد فارس كلها ومشهد معظم عندهم يأتون اليه بكرة وعشيا فيتمسحون به وقد رأيت
 القاضي مجد الدين أتما زائرا واستلمه وتأتي الخاتون الى هذا المسجد في كل ليلة جمعة
 وعليه زاوية ومدرسة ويجمع به القضاة والفقهاء ويفعلون به كفعالهم في مشهد أحمد بن
 موسي وقد حضرت الموضعين جميعا وتربة الامير محمد شامنجو والد السلطان أبي اسحق
 متصلة بهذه التربة والشيخ أبو عبد الله بن خفيف كبير القدر في الاولياء شهر الذكرو هو
 الذي أظهر طريق جبل سرنديب بجزيرة سيلان من أرض الهند (كرامة لهذا الشيخ)
 يحكى انه قصد مرة جبل سرنديب ومعه نحو ثلاثين من الفقراء فاصابتهم مجاعة في طريق
 الجبل حيث لا عمارة وتأهوا عن الطريق وطلبوا من الشيخ أن يأذن لهم في القبض على
 بعض الفيلة الصغار وهي في ذلك المحل كثيرة جدا ومنه تحمل الى حضرة ملك الهند فهاهم
 الشيخ عن ذلك فغلب عليهم الجوع فتعدوا قول الشيخ وقبضوا على فيل صغير منها
 وذكروه وأكوا اللحم وامتنع الشيخ من أكله فلما ناموا تلك الليلة اجتمعت الفيلة من كل
 ناحية وأتت اليهم فكانت تشم الرجل منهم وتتله حتى أتت على جميعهم وشمّت الشيخ ولم
 تتعرض له واخذ فيل منها ولف عليه خرطوممه ورمي به على ظهره وأتى به الموضع الذي
 فيه العمارة فلما رآه أهل تلك الناحية عجبوا منه واستقبلوه ليتعرفوا امره فلما قرب منهم
 أمسكه الفيل بخرطوممه ووضع على ظهره الى الأرض بحيث يروونه فجأؤا اليه وتمسحوا به

وذهبوا به الى ملكهم فمرفوه خبره و هم كفار و أقام عندهم أياما و ذلك الموضع على خور
 يسمى خور الحبز ران و الخور هو النهر و بذلك الموضع غاص الجوهر و يذكر ان الشيخ
 غاص في تلك الايام فيحضر ملكهم و خرج و قد ضم يديه معا و قال للملك اختر ما في احداها
 فاختر ما في اليمنى فرمى اليه بما فيها و كانت ثلاثة احجار من الياقوت لا مثل لها و هي
 عندهم لو كهم في التاج يتوارثونها و قد دخلت جزيرة سيلان هذه و هم مقيمون على الكفر
 الا انهم يعظمون فقراء المسلمين و يأوونهم الى دورهم و يطعمونهم الطعام و يكونون في
 بيوتهم بين اهليهم و اولادهم خلافا لساائر كفار الهند فانهم لا يقربون المسلمين و لا
 يطعمونهم في آيتهم لا يسقونهم فيها مع انهم لا يؤذونهم و لا يهجونهم و لقد كنا نضطر الى
 ان يطبخ لنا بعضهم اللحم فيأتون في قدورهم و يقعدون على بعد منا و يأتون باوراق الموز
 فيجعلون عليها الارز و هو طعامهم و يصبون عليه الكوشان و هو الادم و يذهبون فناكل
 منه و ما فضل علينا تأكله الكلاب و الطيروان أكل منه الولد الصغير الذي لا يعقل ضربوه
 و اطعموه و روث البقر و هو الذي يظهر ذلك في زعمهم * و من المشاهد بها مشهد الشيخ
 الصالح القطب روزجهان القبلي من كبار الاولياء و قبره في مسجد جامع يخطب فيه و بذلك
 المسجد يصلي القاضي مجد الدين انذي تقدم ذكره رضى الله عنه و بهذا المسجد سمعت
 عليه كتاب مسند الامام أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي قال اخبرتنا به و زيرة بنت
 عمر بن المنجا قالت اخبرنا ابو عبد الله الحسين بن أبي بكر بن المبارك الزبيدي قال اخبرنا
 أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي قال اخبرنا أبو الحسن المكي بن محمد بن منصور
 ابن علان العرضي قال اخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحرشي عن أبي العباس بن
 يعقوب الاصم عن الربيع بن سليمان المرادي عن الامام أبي عبد الله الشافعي و سمعت أيضاً
 عن القاضي مجد الدين هذا المسجد المذكور كتاب مشارق الانوار الامام رضى الدين
 أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصاغاني بحق سماعه له من الشيخ جلال الدين
 أبي هاشم محمد بن محمد بن أحمد الهاشمي الكوفي بروايته عن الامام نظام الدين محمود
 ابن محمد بن عمر الهروي عن المصنف و من المشاهد بها مشهد الشيخ الصالح زر كوب

وعليه زاوية لا طعام الطعام وهذه المشاهد كلها بداخل المدينة وكذلك معظم قبور أهلها
فإن الرجل منهم زوت ولده أو زوجته فيتخذ له تربة من بعض بيوت داره ويدفنه هناك
وينرش البيت بالحصى والبسط ويجعل الشمع الكثير عند رأس الميت ورجليه ويضع
للبيت باباً إلى ناحية لزقاق وشباك حديد فيدخل منه القراء يقرؤون بالأصوات الحسان
وليس في معمر الأرض أحسن أصواتاً بالقرآن من أهل شيراز ويقوم أهل الدار بالتربة
ويقرشونها ويوفدون السرج بها فكان الميت لم يبرح وذكر لي أنهم يطبخون في كل يوم
نصيب الميت من الطعام ويصدقون به عنه

﴿حكاية﴾

مررت يوماً ببعض أسواق مدينة شيراز فرأيت بها مسجداً متقناً البناء جميل الفرش وفيه
مصاحف موضوعة في خرائط حرير موضوعة فوق كرسي وفي الجهة الشمالية من
المسجد زاوية فيها شبك مفتوح إلى جهة السوق وهناك شيخ جميل الهيئة واللباس وبين
يديه دمه حمى يقرأ فيه فسلمت عليه وجاست إليه فسألني عن مقدمي فأخبرته وسألته عن
شأن هذا المسجد فأخبرني أنه هو الذي عمره ووقف عليه أوقافاً كثيرة للقراء وسواهم
وإن تارة الزاوية التي جاست إليه فيها هي موضع قبره إن قضى الله موته بملك المدينة ثم رفع
بساطاً كان تحت القبر مغطى عليه ألواح خشب وأراني صندوقاً كان بازاء فقال في هذا
الصندوق كفى وحنوطي ودراهم كنت استأجرت بها نفسي في حفر بئر لرجل صالح
فدفع لي هذه الدراهم فتركتها لتكون نفقة موارثي وما فضل منها يتصدق بها فعميت من
شأنه وأردب إلا نصراف فحلف علي وأضافني بذلك الموضع ومن المشاهد بخارج شيراز
قبر الشيخ الساح المعروف بالسعدى وكان أشعر أهل زمانه باللسان الفارسي وربما
ألمع في كلامه بالعربي وله زاوية كان قد عمرها بذلك الموضع حسنة بداخلهاستان مليح
وهي بقرب رأس النهر الكبير المعروف بركن آباد وقد صنع الشيخ هناك أحواضاً صغاراً
من المرمر اغسل الثياب فيخرج الناس من المدينة لزيارته ويأكلون من سمنائه ويغسلون
ثيابهم بذلك النهر وينصرفون وكذلك فعلت عند دمر حمله الله وبمقربة من هذه الزاوية
زاوية أخرى تتصل بها مدرسة مبنيتان على قبر شمس الدين السمناني وكان من الأمراء

الفقهاء ودفن هنالك بوصية منه بذلك وبمدينة شيراز من كبار الفقهاء الشريف مجيد الدين
وأمره في الكرم عجيب وورع جاد بكل ما عنده وبالثياب التي كانت عليه ويلبس مرقعة له
فيدخل عليه كبراء المدينة فيجدونه على تلك الحال فيكسونه ومرتبه في كل يوم من
السلطان خمسون ديناراً دراهم ثم كان خروجه من شيراز برسم زيارة قبر الشيخ الصالح
أبي اسحق الكازروني بكازرون وهي على مسيرة يومين من شيراز فنزلنا أول يوم ببلاد
الشول وهم طائفة من الاعام يسكنون البرية وفيهم الصالحون ﴿كرامة ليهضهم﴾
كنت يوماً ببعض المساجد بشيراز وقد قدمت أتوا كتاب الله عز وجل أرصالة الظهر
نحطرن بخاطري انه لو كان لي مصحف كريم لملوت فيه فدخل على في أثناء ذلك شاب وقال
لي بكلام قوي خذ فرغز رأسي اليه فأتني في حجرني مصحفاً كريماً وذهب عني نختمته
ذلك اليوم قراءة وانتظرته لأردمه فلم يعد الي فسألت عنه فقيل لي ذلك بهلول الشولي ولم
أره بعد ووصلنا في عشي اليوم الثاني الى كازرون فقصصنا زاوية الشيخ أبي اسحق نفع
الله به وبتنا تلك الليلة ومن عادتهم أن يطعموا الوارد كائناً من كان من الهريسة المصنوعة
من اللحم والقمح والسمن وتؤكل بالرقاق ولا يترك كون الوارد عليهم لاسفر حتى يقيم في
الضيافة ثلاثة أيام ويعرض على الشيخ الذي بالزاوية حوائجه ويذكرها الشيخ لافتراء
الملازمين للزاوية وهم يزيدون على مائة منهم المتزوجون ومنهم من الاعزاب المتجردون
فيختمون القرآن ويذكرون الذكر ويدعون له عند ضريح الشيخ أبي اسحق فقضى
حاجته باذن الله وهذا الشيخ أبو اسحق معظم عند أهل الهند والصين ومن عادة ركاب
بحر الصين أنهم اذا تغير عليهم الهواء وخافوا الاصوص نذروا لأبي اسحق نذوراً وكتب
كل منهم على نفسه ما نذره فاذا وصلوا بر السلامة صعد خدام الزاوية الى المركب واخذوا
الزمام وقبضوا من كل ناذر نذره وما من مركب يأتي من الصين أو الهند الا وفيه آلاف من
الدنانير يأتي الوكلاء من جهة خدام الزاوية فيقبضون ذلك ومن الفقراء من يأتي طالباً
صدقة الشيخ فيكتب له أمر بها وفيه علامة الشيخ منقوشة في قالب من الفضة فيضمون

لطول وبهذا المسجد آثار كريمة فمنها بيت ازاء المحراب عن يمين مستقبل القبلة يقال ان
لخليل صلوات الله عليه كان له مصلى بذلك الموضع وعري مقربة منه محراب محاق عليه
باعد الساج مرتفع وهو محراب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو هناك ضربه الشقي
بن ماجم واثنا عشر سنة دون الصلاة وفي الزاوية من آخر هذا البلاط مسجد صغير
محاق غار أبي الماورد الساج ذكر ان موضع مسجد فرمنه "تنور حن طوقان" نوح عليه
السلام في داره من المسجد بنى زهر بن نوح عليه السلام ازاء بيت
زهر بن انه تعبد بدار عليه السلام ويتصل به بيت يقال أيضا انه بيت نوح عليه
السلام يقال انه موضع انشاء سفينة نوح عليه السلام وفي آخر هذا القضاء دار علي بن أبي
طالب رضي الله عنه والبيت الذي غسل فيه ويتصل به بيت يقال أيضا انه بيت نوح عليه
السلام والله أعلم بصحة ذلك كله وفي الجهة الشرقية من الجامع بيت مرتفع يصعد اليه فيه
نبر مسلم بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه ويقترب منه خارج المسجد قبر عاتكة وسكينة
بنتي الحسين عليه السلام وأما قصر الامارة بالكوفة الذي بناه سعد بن أبي وقاص رضي الله
عنه فلم يبق منه الا أساسه والفرات من الكوفة على مسافة نصف فرسخ في الجانب الشرقي
منها وهو منتظم بحداثق النخل الملائمة المتصل بعضها ببعض ورأيت بغربي جبانة الكوفة
موضع ما سود أشديد السواد في سيط أبيض فاخبرت ان قبر الشقي ابن ماجم وان أهل
الكوفة يأتون في كل سنة بالحطب الكثير فيوقدون النار على موضع قبره سبعة أيام وعلى
قرب منه قبة أخبرت انها على قبر المختار بن أبي عبيد ثم رحلنا ونزلنا بئر ملاحه وهي بلدة
حسنة بين حدائق النخل ونزلات بخارجها كرهت دخولها لأن أهلها روافض ورحلنا
منها الصبح فنزلنا مدينة الحلثة وهي مدينة كبيرة مستطيلة مع الفرات وهو بشرقها ولها
اسواق حسنة جامعة للمرافق والصناعات وهي كثيرة العمارة وحدائق النخل منتظمة
بهاداخلا وخارجها دورها بين الحدائق ولها بئر عظيم معقود على مراكب متصلة
منتظمة فيما بين الشمين تحف بها من جانبيها - لاسل من حديد مربوط في كلا الشمين
الي خشبة عظيمة مثبتة بالساحل وأهل هذه المدينة كلها امامية اثنا عشرية وهم طائفتان

أحداها تعرف بالاكراد والأخرى تعرف بأهل الجامعين والفتنة بينهم متصلة والقتال قائم أبدا وبمقربة من السوق الأعظم هذه المدينة مسجد على بابها ستر حرير مسدول وهم يسمونه مشهد صاحب الزمان ومن عادتهم أنه يخرج في كل ليلة مائة رجل من أهل المدينة عليهم السلاح وبأيديهم سيوف مشهورة فيأتون أمير المدينة بعد صلاة العصر فيأخذون منه فرسا مسرجا ملجما أو بغلة كذلك ويضربون الطبول والنفار والبوقات امام تلك الدابة ويتقدمها خمسون منهم ويتبعها مثلهم ويمشي آخرون عن يمينها ويسارها ويأتون مشهد صاحب الزمان فيقفون بالباب ويقولون باسم الله يا صاحب الزمان باسم الله اخرج قد ظهر الفساد وكثر الظلم وهذا أو ان خروجه فيعرف الله بك بين الحق والباطل ولا يزالون كذلك وهم يضربون الأبواق والأطبال والأنفار الى صلاة المغرب وهم يقولون ان محمدا بن الحسن العسكري دخل ذلك المسجد وغاب فيه وانه سيخرج وهو الامام المنتظر عندهم وقد كان غلب على مدينة الحلة بعد موت السلطان أبي سعيد الامير أحمد بن رميثة بن أبي نمي أمير مكة وحكمها أعوانا وكان حسن السيرة يحمد أهل العراق الى أن غلب عليه الشيخ حسن سلطان العراق فعذبه وقتله وأخذ الأموال والذخائر التي كانت عنده ثم سافر نامها الى مدينة كربلاء مشهد الحسين بن علي عليهما السلام وهي مدينة صغيرة تحفها حدائق التخل ويسقيها ماء الفرات والروضة المقدسة داخلها وعاليها مدرسة عظيمة وزاوية كريمة فيها الطعام للوارد والصارو على باب الروضة الحجاب والقومة لا يدخل أحد الا عن إذنهم فيقبل العتبة الشريفة وهي من الفضة وعلى الضريح المقدس قناديل الذهب والفضة وعلى الابواب أستار الحرير وأهل هذه المدينة طائفتان أولاد خيك وأولاد فائز وبينهم القتال أبدا وهم جميعا امامية يرجعون الى أب واحد ولا جمل قنتهم تخربت هذه المدينة ثم سافر نامها الى بغداد

✽ مدينة بغداد ✽

مدينة دار السلام وحضرة الاسلام ذات القبر الشريف والفضل المنيف
هتوى الخلفاء ومقر العلماء قال أبو الحسين بن جبير رضي الله عنه وهذه المدينة العتيقة

وان لم تزل حضرة الخلافة العباسية ومناقب الدعوة لامامية القرشيه فقد ذهب رسمها ولم يبق الا اسمها وهي بالاضافة الي ما كانت عليه قبل انحاء الحوادث عليها والتفات أعين النوائب اليها كالظلم للدارس أو تمثيل الخيال الشاخص فلا حسن فيها يستوقف البصر ويستدعي من المستوقف الغفلة والظن الادجلتها التي هي بين شرقيها وغربيها كالمرآة المجلوة بين صفحتين أو المقدم المنتظم بين لبين فهي تردها ولا تنظم وتطلع منها في مرآة صقيلة لا تصدأ والحسن الحريري بين هواها وماثها ينشأ قال ابن جزى وكان أبا تمام حبيب بن أوس اطلع على ما آل اليه امرها حين قال فيها (بسيط)

لقد أقام على بغداد ناعيا * فليكنها لخراب الدهر باكيها
كانت على ماثها والحرب موقدة * والنار تطفأ حسنا في نواحيها
ترجي لها عودة في الدهر سالحة * فالآن أضمر منها اليأس راحيها
مثل العجوز التي ولت شبيبها * وبان عنها جمال كان يحظيها

وقد نظم الناس في مدحها وذكرك محاسنها فاطنبوا ووجدوا مكان القول ذاسعة فاطالوا وأطابوا وفيها قال الامام القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر المالكي البغدادي وأنشدني والدي رحمه الله مرات (بسيط)

طيب الهواء ببغداد يشوقني * قربا اليها وان عاقت مقادير
وكيف أرحل عنها اليوم اذ جمعت * طيب الهواءين بمدود ومقصور
وفيها يقول أيضا رحمه الله تعالى ورضي عنه (طويل)

سلام على بغداد في كل موطن * وحق لها من السلام المضاعف
فوالله ما فارقتها عن قلبي لها * واني بشطي جانبيها لعارف
ولكنها ضاقت على برحبها * ولم تكن الأقدار فيها تساعف
وكانت تكل كنت أهوى دنوء * واخلاقه تنأي به وتخالف

وفيها يقول أيضا مغاضبا لها وأنشدني والدي رحمه الله غير مامرة (بسيط)
بغداد دار لأهل المال واسعة * وللصالح دار الضنك والضيق

ظلمت أمشي مضاعاً في أزقتها * كأنني مصحف في بيت زنديق
وفيها يقول القاضي أبو الحسن علي بن التبيه من قصيدة (خفيف)

آنست بالعراق بدر أميراً * فتوت غيا وخاضت هجيراً
واستطابت دياراً نسائم بغداد * دفكادت لولا البرى أن تطيراً
ذكرت من مسارح الكرخ روضاً * لم يزل ناضراً وماء نميراً
واجتنت من ربا المحول نورا * واجتلت من مطالع التاج نورا

ولبعض نساء بغداد في ذكرها (كامل)

آها على بغدادها وعراقها * وظباها والسحر في احداقها
ومجالها عند الفرات بأوجه * تبدو أهلها على أطواقها
متبخترات في النعم كأنما * خلق الهوى المذرى من أخلاقها
نقسي الفداء لها فأى محاسن * في الدهر تشرق من سنا اشراقها

(رجع) وابعد جسر ان اتان معقودان على نحو الصفة التي ذكرناها في جسر مدينة
الحلّة والناس يعبرونهم باليلا ونهار ارجالاً ونساء فهم في ذلك في نزهة متصلة وبغداد من
المساجد التي يختلط فيها وتقام فيها الجمعة أحد عشر مسجداً منها بالجانب الغربي ثمانية
وبالجانب الشرقي ثلاثة والمساجد سواها كثيرة جداً وكذلك المدارس الا انها خربت
وحمامات بغداد كثيرة وهي من أبدع الحامات وأكثرها مطايع بالقار مسطحة به
فيخيل لرائيه انه رخم اسود وهذا القار يجلب من عين بين الكوفة والبرية تنبع أبداً به
ويصير في حوائرها كالصاصال فيحرف منها ويجلب الي بغداده في كل حمام منها خلوات
كثيرة كل خلوة منها فروسية بالقار مطلى نصف حائطها بمسالي الأرض به والنصف
الأعلى مطلى بالحصص الأبيض الناصع فالضدان بها مجتمعان متقابل حسنهما وفي داخل كل
خلوة حوض من الرخم فيه انبوبان أحدهما يجري بالماء الحار والآخر بالماء البارد
فيدخل الانسان الخلوة منها منفرداً لا يشاركه أحداً الا ان أراد ذلك وفي زاوية كل خلوة
أيضاً حوض آخر للاغتسال فيه أيضاً انبوبان يجريان بالحار والبارد وكل داخل يعطى

ثلاثاً من القوط أحدها يتزربها عند دخوله والاخرى يتزربها عند خروجه والاخرى
ينشف بها الماء عن جسده ولم أر هذا الاثقان كله في مدينة سوى بغداد وبعض البلاد
تقاربها في ذلك

﴿ ذكر الجانب الغربي من بغداد ﴾

الجانب الغربي منها هو الذي عمر أولاً وهو الآن خراب أكثره وعلى ذلك فقد بقي منه
ثلاث عشرة محلة كل محلة كأنها مدينة بها الحمامان والثلاثة وفي ثلث منها المساجد
الجامعة ومن هذه المحلات محلة باب البصرة وبها جامع الخليفة أبي جعفر المنصور رحمه الله
والمارستان فيما بين محلة باب البصرة ومحلة الشارع على الدجلة وهو قصر كبير خرب
بقيت منه الآثار وفي هذا الجانب الغربي من المشاهد قبر معروف الكرخي رضي الله عنه
وهو في محلة باب البصرة وبطريق باب البصرة مشهد حافل البناء في داخله قبر متسع السنام
عليه مكتوب هذا قبر عون من أولاد علي بن أبي طالب وفي هذا الجانب قبر موسى الكاظم
ابن جعفر الصادق والد علي بن موسى الرضا والى جانبه قبر الجواد واقبر ان داخل الروضة
عليهما مكانة ملبسة بالخشب عليه ألواح الفضة

﴿ ذكر الجانب الشرقي منها ﴾

وهذه الجهة الشرقية من بغداد حافلة الاسواق عظيمة الترتيب وأدظم أسواقها سوق
العجبية بسوق الثلاثاء كل صناعة فيها على حدتها وفي وسط هذا السوق المدرسة نظامية
يعرف التي صارت الالهة تضر ببحسنها وفي آخره المدرسة المستنصرية ويسمونها إلى أمير
المؤمنين المستنصر بالله أبي جعفر بن أمير المؤمنين في الظاهر من أمير المؤمنين الناصر وبها
المذاهب الأربعة لكل مذهب ابوان في المسجد ووضع التدريس وجلس المدرس في
قبة خشب صغيرة على كرسي عليه البسط ويقعد المدرس وعليه السكينة والوقار لا يسأله
السواد معتمداً على يمينه ويساره معيدان يعيدان كل مائة يوم وهكذا ترتيب كل مجلس من
هذه المجالس الأربعة وفي داخل هذه المدرسة الحمام للطلبة ودار انوضوء وبهذه الجهة
الشرقية من المساجد التي تقام فيها الجمعة ثلاثة أحدها جامع الخليفة وهو المتصل بقصور

الخلفاء ودورهم وهو جامع كبير فيه سقايات ومظاهر كثيرة لا وضوء والغسل لقيت بهذا
المسجد الشيخ الامام العالم الصالح مسند العراق سراج الدين ابا حفص عمر بن علي بن عمر
القزويني وسمعت عليا فيه جميع مسند أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام
الدارمي وذلك في شهر رجب الثماني عام سبعة وعشرين وسبعمائة قال أخبرني تابه الشيخة
انصالحة المسند بنت الملوك فاطمة بنت العباس تاج الدين أبي الحسن علي بن علي بن أبي
البدر قالت أخبرنا الشيخ أبو بكر محمد بن مسعود بن هرير والطيب المارستاني قال أخبرنا أبو
الوقت عبد الاول بن شعيب السنجري الصوفي قال أخبرنا الامام أبو الحسن عبد الرحمن
ابن محمد بن المظفر الداودي قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حموية السرخسي عن
أبي عمران عيسى بن عمر بن العباس السمرقندي عن أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن
الفصل الدارمي والجامع الثاني جامع الساطان وهو خارج البلد وتصل به قصور تنسب
للسلطان والجامع الثالث جامع الرصافة وبينه وبين جامع السلطان نحو الميل

﴿ ذكر قبور الخلفاء ببغداد وقبور بعض العلماء والصالحين بها ﴾

وقبور الخلفاء العباسيين رضي الله عنهم بالرصافة وعلى كل قبر منها اسم صاحبه فمنهم قبر
المهدي وقبر الهادي وقبر الأمين وقبر المعتصم وقبر الواثق وقبر المتوكل وقبر المنتصر وقبر
المستعين وقبر المعتز وقبر المهدي وقبر المعتمد وقبر المعتضد وقبر المهدي وقبر المعتز وقبر
القاهر وقبر الراضي وقبر المتقي وقبر المستكفي وقبر المطيع وقبر الطائع وقبر القائم وقبر
القادر وقبر المستظهر وقبر المسترشد وقبر الراشد وقبر المقتفي وقبر المستنجد وقبر
المستضي وقبر الناصر وقبر الظاهر وقبر المستنصر وقبر المستعصم وهو آخرهم وعليه
دخل التتر ببغداد بالسيف وذبحوه بعد أيام من دخولهم وانقطع من بغداد اسم الخلافة
العباسية وذلك في سنة أربع وخمسين وثمانمائة بقرب الرصافة قبر الامام أبي حنيفة رضي
الله عنه وعليه قبة عظيمة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر وليس بمدينة بغداد اليوم زاوية
يطعم الطعام فيها ما عدا هذه الزاوية فسبحان مبداء الاشياء ومغيرها وبالقرب منها قبر الامام
أبي عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه ولا قبة عليه ويذكر انها بنيت على قبره مراراً

فقد هدمت بقدره الله تعالى وقبره عند أهل بغداد عظموا كثرهم على مذهبه وبالقرب منه قبر أبي بكر الشبلي من أئمة المتصوفة رحمه الله وقبر سري السقطي وقبر بشر الحافي وقبر داود الطائي وقبر أبي القاسم الجيدير رضي الله عنهم أجمعين وأهل بغداد لهم يوم في كل جمعة لزيارة شيخ من هؤلاء المشايخ ويوم الشيخ آخر يليه مكذا إلى آخر الأسبوع وبغداد كثير من قبور الصالحين والعلماء رضي الله تعالى عنهم وهذه الجهة الشرقية من بغداد ليس بها أفواكه وإنما تنجس إليها من الجهة الغربية لأن فيها البساتين والحدائق ووافق وصولي إلى بغداد كون ملك العراق بها نذ كرمهنا

﴿ ذكر سلطان المراقين وخراسان ﴾

وهو السلطان الجليل أبو سعيد بهادر خان وخان عندهم الملك (وبها در بفتح الباء الموحدة وضم الدال المهملة وآخره راء) ' أن السلطان الجليل محمد خدابنده وهو الذي أسلم من ملوك التترو ضبط اسمه مختلف فيه فمنهم من قال أن اسمه خدابنده (بخاء معجمة مضمومة وذال معجم مفتوح) وبنده لم يختلف فيه (وهو بباء موحدة مفتوحة ونون مسكنة و دال مهملة مفتوح وهاء استراحة) وتفسيره على هذا القول عبد الله لأن خذا بالفارسية اسم الله عز وجل وبنده غلام أو عبد أو مافي معناها وقيل أنما هو خربنده (بفتح الخاء المعجم وضم اراء المهملة) وتفسيره خرب بالفارسية الحمار فمعناه على هذا غلام الحمار فشد ما بين القولين من الخلاف على أن هذا الأخير هو المشهور وكان الأول غيره إليه من تعصب وقيل أن سبب تسميته بهذا الأخير هو أن التتر يسمون المولود باسم أول داخل على البيت عند ولادته فالما لهذا السلطان كان أول داخل الزمال وهم يسمون خربنده فسمي به وأخوه خربنده هو قازغان الذي يقول فيه الناس قازان وقازغان هو القدر وقيل سمي بذلك لأنه لما ولد دخلت الجارية ومعهما القدر وخدا بنده هو الذي أسلم وقد مناقضته وكيف أراد أن يحمل الناس لما أسلم على الرفض وقصة القاضي مجد الدين معه ولم مات ولي الملك ولده أبو سعيد بهادر خان وكان ملكا فاضلا كرميا ملكا وهو صغير السن ورأيت به بغداد وهو شاب أجمل خاق الله صورة

لأنبات بهار ضيه ووزير ما اذ ذاك الامير عياث الدين محمد بن خواججه رشيد وكان أبوه من مهاجرة اليهود واستوزره السلطان محمد خدابنده والد أبي سعيد رأيتهم ما يوم ما بحراقة في الدحلة وتسمى عندهم الشسيارة وهي شبه سلورة وبن يديه مشق خواججه ابن الامير جوبان المتغلب على أبي سعيد وعن يمينه وشماله شباهتان فيهما أهل الطرب والغناء ورأيت من مكارمه في ذلك اليوم انه تعرض له جماعة من العميان فشكوا ضعف حالهم فأمر لكل واحد منهم بكسوة وغلام يقودونه نفقة تجري عليه ولما ولي السلطان أبو سعيد وهو صغير كما ذكرناه استولى على أمره أمير الأمراء الجوبان وحجر عليه التصرفات حتى لم يكن يسده من الملك إلا الاسم ويذكر انه احتاج في بعض الأعياد إلى نفقة تنفقها فلم يكن له سبيل إليها فبعث إلى أحد التجار فأعطاه من المال ما أحب ولم يزل كذلك إلى أن دخلت عليه يوما زوجة أبيه دنيا خاتون فقالت له لو كنا نحن الرجال ما تركنا الجوبان وولده على ماها عليه فاستفهمها عن مرادها بهذا الكلام فقالت له لقد انتهيت أمر دمشق خواججه بن الجوبان أن يفتك بحرم أميك وأنه بات البارحة عند طغي خاتون وقد بعث إلي وقال لي إلى أية أبيت عندك وما الرأي إلا أن تجمع الأمراء والعساكر فاذا صعدت إلى القلعة محتفيا برسم المبيت أمكنك القبض عليه وأبوم يكني الله أمره وكان الجوبان اذ ذاك غائبا بخراسان فغابته الغيرة وبات يدبر أمره فلما علم أن دمشق خواججه بالقاعة مر الأمراء والعساكر أن يطيفوا بها من كل ناحية فلما كان بالغدو خرج دمشق ومعه جندي يعرف بالحاج المصري فوجد سلسلة معرضة على باب القلعة وعالها قفل فلم يمكنه الخروج راكبا فضرب بالحاج المصري السلسلة بسيفه فقطعه وأخرج جامعا فاحاطت بهما العساكر ولحق أمير من الأمراء الخاصكية يعرف بمصر خراجيه وفتى يعرف بأولر دمشق خواججه فقتلاه وأتى الملك أبا سعيد برأسه فرموا به بين يدي فرسه وتلك عادتهم أن يفلوا برأس كبار أعدائهم وأمر السلطان بنهب داره وقتل من قاتل من خدامه ومماليكه واتصل الخبر بأبيه الجوبان وهو بخراسان ومعه أولاد أمير حسن وهرالاكروط والش وجلو خان وهو أصغرهم وهو ابن أخت السلطان أبي سعيد أمه ساطي بك بنت السلطان خدابنده ومعه عساكر التتر

وحاميتها فاتفقوا على قتال السلطان أبي سعيد وزحفوا إليه فلما التقى الجمعان هرب التتر إلى
سلطانهم - ثم وأفردوا الجوبان فلما رأوا ذلك تكبر على عقبيه وفر إلى صحراء سجستان
وأوغل فيها وأجمع على الانتقام بملك هراة ياث الدين مستجير أبوه ومتحصنا بمدينته
وكانت له عليه أيد سابقة فلم يوافقوه ولده حسن وطالش على ذلك وقالوا له لا ينبغي بالمعهد وقد
غدر فيروز شاه بعد أن لجأ إليه وقتله فأبى الجوبان إلا أن يلحق به ففارقوه ولداه وتوجهوا معه
ابنه الأصغر جلوخان فخرج غياث الدين لاستقباله وترجل له وأدخله المدينة على الأمان
ثم غدره بعد أيام وقتله وقتل ولده وبعث رأسيهما إلى السلطان أبي سعيد وأما حسن
وطالش فانهما قصد اخوارزم وتوجها إلى السلطان محمد أوزبك فأكرم مشواهما وأنزلهما
إلى أن صدر منه ما أمأ وأوجب قتلهما - ما قتلهما وكان للجوبان ولد رابع اسمه الدمري طاش
فهرب إلى ديار مصر فأكرمه الملك الناصر وأعطاه الاسكندرية فأبى من قبوله لها وقال
انما أريد العساكر لا قاتل أباسعيد وكان متى بعث إليه الملك الناصر بكسوة أعطى هو
للذي يوصيها إليه أحسن منها أزرأ على الملك الناصر وأظهر أمورا أوجبت قتله فقتله
وبعث رأسه إلى أبي سعيد وقد ذكرنا قصته وقصة قراسنقور فيما تقدم ولما قتل الجوبان
جئ به وبولده ميتين فوقف بهما على عرقات وحملوا إلى المدينة ليدفنا في التربة التي اتخذها
الجوبان بالقرب من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزع من ذنائه ودفن بالبيع
والجوبان هو الذي جلب الماء إلى مكة شرفها الله تعالى ولما استقل السلطان أبو سعيد
بالمملك أراد أن يتزوج بنت الجوبان وكانت تسمى بغداد خاتون وهي من أجمل النساء
وكانت تحت الشيخ حسن الذي تغاب به بموت أبي سعيد على الملك وهو ابن عمته فأمره
فقتل عنها وتزوجها أبو سعيد وكانت أحظى النساء لديه والنساء لدي التراك والبتراهن
حظ عظيم وهم إذا كتبوا أمرا يقولون فيه عن أمر السلطان والخواتين ولعل خاتون
من البلاد والولايات والمجاني العظيمة وإذا سافرت مع السلطان تكون في محلة على حدة
وغلبت هذه الخاتون على أبي سعيد وفضلها على سواها وأقامت إلى ذلك مدة أيامه ثم انه
تزوج امرأة تسمى بدلشاد فأحبها حباً شديداً وأوجر بغداد خاتون فغارت لذلك وسمته في

منديل مسحته به بعد الجماع فسات وانقرض عتبه وغلبت أمراؤه على الجهات كما
سند كره ولما عرف الامراء ان بغداد خاتون هي التي سمتها اجمعوا على قتلها وبدر لذلك
الفتي الرومي خواجه اؤاؤ وهو من كبار الامراء وقد ماثم قاتناها وهي في الحمام فضر بها
بدبوسه وقتلها وطرحته هناك أياما مستورة العورة بقطعة تلبس واستقل الشيخ حسن
بملك عراق العرب وتزوج دلشادا امرأة السلطان أبي سعيد كمثل ما كان أبو سعيد فعله
من تزوج امرأته

﴿ ذكر المتغلبين على الملك بعد موت السلطان أبي سعيد ﴾

فمنهم الشيخ حسن ابن عمته اندي ذكرناه آنفا تغلب على عراق العرب جميعاً ومنهم ابراهيم
شاه ابن الامير سنديته تغلب على الموصل وديار بكر ومنهم الامير ارغون تغلب على بلاد التركمان
المعروفة أيضاً ببلاد الروم ومنهم حسن خواجه بن الدمري طاش بن الجوبان تغلب على
تبريز والسلطانية وهدان وقم وقاشان والري وورامين وفرغان والكرج ومنهم الامير
طغتمور تغلب على بعض بلاد خراسان ومنهم الامير حسين ابن الامير غياث الدين تغلب
على هراة ومعظم بلاد خراسان ومنهم ملك ديار تغلب على بلاد مكران وبلاد كيج ومنهم
محمد شاه بن مظفر تغلب على يزدو كرمان وورقور ومنهم الملك قطب الدين تمهتن تغلب
على هرمز وكيش والقطيف والبحرين وقاهات ومنهم السلطان أبو اسحق الذي تقدم
ذكره تغلب على شيراز واصفهان وملك فارس وذلك مسيرة خمس وأربعين ومنهم
السلطان افراسياب اتابك تغلب على ايدج وغيره من البلاد وقد تقدم ذكره ولنعد الى
ما كنا بسبيله ثم خرجت من بغداد في محلة السلطان أبي سعيد وغرضي أن أشاهد ترتيب
ملك العراق في رحيله ونزوله وكيفية تنقله وسفره وعادتهم أنهم يرحلون عند طلوع الفجر
وينزلون عند الضحى وترتيبهم انه يأتي كل أمير من الامراء بعسكره وطبوله وأعلامه
فيقف في موضع لا يتعداه قدع ين له إماني الميمنة أو الميسرة فاذا توافوا جميعاً وتكاملت
صفوفهم ركب الملك وضربت طبول الرحيل وبوقاته وأنقاره وأتى كل أمير منهم فسلم على
الملك وعاد الى موقفه ثم يتقدم أمام الملك الحجاب والنقباء ثم يليهم أهل الطرب وهم نحو

مائة رجل عليهم الثياب الحسنة وتحتهم مراكب السلطان وأمام أهل الطرب عشرة من
الفرسان قد تقلدوا عشرة من الطبول وخمسة من الفرسان لديهم خمس صرنايات وهي
تسمى عندنا بالغيطات فيضربون تلك الاطبال والصرنايات ثم يسكون ويغني عشرة من
أهل الطرب نوبتهم فاذا قضوا ضربت تلك الاطبال والصرنايات ثم أمسكوا وغنى عشرة
آخرون نوبتهم هكذا الى أن تتم عشر نوبات فعند ذلك يكون النزول ويكون عن يمين السلطان
وشماله حين سيره كبار الامراء وهم نحو خمسين ومن ورائه أصحاب الاعلام والاطبال
والانفار والبوقات ثم يماليك السلطان ثم الامراء على مراتبهم وكل أمير له اعلام
وطبول وبوقات ويتولى ترتيب ذلك كله أمير جنדרوله جماعة كبيرة وعقوبة من تخلف
عن فوجه وجماعته ان يؤخذ تمناقه فيملاؤا رملا ويعاق في عنقه ويمشي على قدميه حتى
يباغ المنزل فيسؤتي به الى الأمير فيطاح على الارض ويضرب خمساً وعشرين مرة على
ظهره سواء كان رفيعاً أو وضعيفاً لا يحاشون من ذلك أحداً واذا نزلوا ينزل السلطان ومماليكه
في محلة على حدة وتنزل كل خاتون من خواتينه في محلة على حدة ولكل واحدة منهن الامام
والمؤذنون والقراء والسوق وينزل الوزراء والكتّاب وأهل الاشغال على حدة وينزل كل
أمير على حدة ويأتون جميعاً الى الخدمة بعد العصر ويكون انصرافهم بعد العشاء الاخيرة
والمشاعل بين أيديهم فاذا كان الرحيل يضرب الطبل الكبير ثم يضرب طبل الخاتون
الكبرى التي هي الملكة ثم اطبال سائر الخواتين ثم طبل الوزير ثم اطبال الوزراء دفعة
واحدة ثم يركب أمير المقدمة في عسكره ثم يتبعه الخواتين ثم انقال السلطان وزاملته
وانقال الخواتين ثم أمير نان في عسكره لا يمنع الناس من الدخول فيما بين الانقال
والخواتين ثم سائر الناس وسافرت في هذه المحلة عشرة أيام ثم صحبت الأمير علاء الدين
محمد الى بلدة تبريز وكان من الامراء الكبار الفضلاء فوصلنا بعد عشرة أيام الى مدينة تبريز
ونزلنا بخارجها في موضع يعرف بالشام وهناك قبر قازان ملك العراق وعليه مدرسة
حسنة وزاوية فيها الطعام لاوارد والصادر من الخبز واللحم والأرز المطبوخ بالسمن
والحلواء وأنزلى الأمير ثلاث الزاوية وهي ما بين أنهار متدفقة وأشجار مورقة وفي غد

ذلك اليوم دخلت المدينة على باب يعرف باب بغداد ووصلنا إلى سوق عظيمة تعرف
 بسوق قازان من أحسن سوق رأيتها في بلاد الدنيا كل صناعة فيها على حدة لا تخلطها
 أخرى واجتازت بسوق الجوهرين ثم شار بصري ثم رأيت من أنواع الجواهر وهي
 بأيدي مماليك من العرب وغيرهم الثياب الفاخرة وأوسطهم مشدودة بمناديل الحرير
 وهم يمشون في الأسواق يبيعون البضائع التي يأتونها من بلادهم كثير من البضائع
 فيه رأيت من البضائع التي يأتونها من بلادهم كثير من البضائع التي يأتونها من بلادهم
 أو أعظم ثم وصفت لي من هذا الموضع الذي يمر منه طريق بغداد المعروف بخيلان وبخارجة
 عن يمينه مستقبل القبة السوداء وعن يساره زواوية ومخمسة مقروسة بالمرصوح حيطانه
 بالقاشاني وهو شبه الزليج ويشبه نهر مائه أنواع الأشجار ودوا إلى العنب وشجر ياسمين
 ومن عاداتهم أنهم يقرؤون به كل يوم سورتين وسورة الفتح وسورة عم بعد صلاة العصر
 في صحن المسجد ويجمع لذلك أهل المدينة فتأليته بتبريز ثم وصل بالغداً أمر السلطان
 أبي سعيد إلى الأمير علاء الدين بأن يصدر إليه فعدت معه ومضى إلى تبريز أحد من العلماء ثم
 سافرنا إلى أن وصلنا محلة السلطان فأعلمه الأمير المذكور بمكاننا وأدخلني عليه فسألني عن
 بلادي وكسائي وأركبني وأعلمه الأمير أن أريد أن أفر إلى الحجاز الشريف فأمر لي بالزاد
 والركوب في السبيل مع المحمل وكتب لي بذلك إلى أمير بغداد فوجهه معروف فعدت إلى
 مدينة بغداد واستوفيت ما أمر لي به السلطان وكان قد بقي لأوان سفر الركب أزيد من
 شهرين فظهر لي أن أسافر إلى الموصل وديار بكر لأشاهد تلك البلاد وأعود إلى بغداد في
 حين سفر الركب فأتوجّه إلى الحجاز الشريف فخرجت من بغداد إلى منزل على نهر دجيل
 وهو يفرع عن دجلة فيسقى فري كثيرة ثم نزلت بعد يومين بقربة كبيرة تعرف بحربة
 مخضبة فسيحة ثم رحلت أنا وموضعنا على شط دجلة بالقرب من حصن يسمى المعشوق
 وهو مبني على الدجلة وفي العدا وذلك مرقية من هذا الحصن مدينة سر من رأى ونسبي
 أيضاً سامر أوتال لها سامر أوتومعناه بالمارسية طريق سامر أوتوهو الطريق وقد استولى
 الخراب على هذه المدينة فلم يبق منها إلا القليل وهي معتلة الهواء رائحة الحسن على بلادها

ودروس معالمها وفيها أيضا منهد صاحب الزمان كما بالحلة ثم سمرنا منها مرحلة ووصلنا الى مدينة تكريت وهي مدينة كبيرة فسيحة الارحاء منيحة الاواق كثيرة المساجد وأهلها موصوفون بحسن الاخلاق والدجلة في الجهة الشمالية منها اولها قلعة حصينة على شاطئ الدجلة والمدينة عتيقة البناء عليها سور يطيف بها سور حزامتها رحاين ووصلنا الى قرية تعرف بالقرى على شاطئ الدجلة وباعلاها روم ساساني حصين ويزعمون انها الحصان الذي روف بخان الحديد له أراج وبنو حافل والقرى اعمدة من هذه تلك التي انوشته ثم رحلنا ونزلنا موضع يعرف بالقيار بنقربة من حاصور في أرض سوداء فيها عيون تتبع بالقار ويصنع له احواض ومجتمع فيها فتراه شبه الحصان على وجه الارض حات اللون صقيلار طباوله رائحة طيبة حول تلك العيون ركة كبيرة سوداء لونها شبه الطحالب الرقيق فتدفعه الى حوانيم فيصير اينما قارا او بمقربة من هذا الموضع عين كبيرة فاذا رادوا نقل القار منها اوندوا عليها النار فتشرب النار ما هذا من رطوبة مائية ثم يقطعونه قطعا وينقلونه وقد تقدم لذكر الامين التي بين الكوفة والبصرة على هذا النحو ثم سافرنا من هذه العيون مرحتين ووصلنا بعد ما الى الموصل

✽ مدينة الموصل ✽

وهي مدينة عتيقة كثيرة الخصب وقدمتها المعروفة بالحدباء عظمة الشان شهيرة الامتناع عايتها سور محكم البناء شديد الارتفاع وتصل بها دور اساطان وقد فصل بينهما وبين البلد شارع متسع مستطيل من أعلى البلد الى أسفله وعن ايسر سور ان اثنان وثيقان ابراجهما كثيرة متقاربات وفي باطن السور بيوت بعضها على بعض مستديرة بجدار متدتمكن فتحها فيه اسعته ولم أرى في أسوار البلاد مثله الا في سور الذي على مدينة دهلي حضرة ملك الهند والموصل رخص كبير فيه المساجد والمساجد والسور وفيه مسجد جامع على شاطئ الدجلة تدور به شبايك حديد وتصل به مصحوب تشرف على دجلة في النهاية من الحسن والاثقان امامه مارستان وبداخل المدينة جامعان أحدهما قديم والآخر حديث وفي صحن الحديث منهما قبور في داخلها حصرة خضراء مربعة مرفوعة على سارية رخام يخرج منها

الماء بقوة وانزعاج فيرتفع ممدار العامة ثم ينسكب فيكور له مرأى حسن وقياسارية
الموصل مليحة لها أبواب حديد ويدور سهادكا كين وبيوت بعضها فوق بعض متقنة البناء
وبهذه المدينة مشهد جرحيس النبي عليه السلام وعليه مسجد والقبر في زاوية منه عن يمين
الداخل اليه وهو فيما بين الجامع الجديد وباب الجسر وقد حصلت لنا زيارته والصلاة
بمسجده والحمد لله تعالى وهناك تل يونس عليه السلام وعلى نحو ميل منه العين المنسوبة
اليه يقال انه أمر قومه بالتطهير فيها ثم صعدوا التل ودعوا دعوا فكشف الله عنهم العذاب
وبمقربة منه قرية كبيرة يقرب منها خراب يقال انه موضع المدينة المعروفة بنذوي مدينة
يونس عليه السلام واثار السور المحيط بها ظهروا واضع الأبواب التي هي متينة وفي التل
بناء عظيم ورباط فيه بيوت كثيرة ومقاصرو ومطاهرو وسقايات يضم الجميع باب واحد
وفي وسط الرباط بيت عاليه ستر حريرو له باب مرصع يقال انه اوضع الذي به موقف
يونس عليه السلام ومحراب المسجد الذي بهذه الرباط يقال انه كان بيتا تعبده عليه
السلام وأهل الموصل يخرجون في كل ايلة جمعة الى هذا الرباط يتعبدون فيه وأهل
الموصل لهم مكارم اخلاق واين كلام وفضيلة ومحبة في الغريب واقبال عليه وكان أميرها
حين قدومي عليها السيد الشريف الفاضل علاء الدين علي بن شمس الدين محمد الملقب
بمحيدر وهو من الكرماء الفضلاء أنزلاني بداره وأجرني على الاتفاق مدة مقامي عنده وله
الصدقات والايثار المعروف وكان السلطان أبو سعيد يعظمه وفوض اليه في هذه المدينة
وما يبايها ويركب في موكب عظيم من مماليكه وأجناده ووجوه أهل المدينة وكبرائها
يأتون للسلام عليه غدوا وعشيا وله شجاعة ومهابة وولاه في حين كتب هذا في حضرة
فاس مستقر الغرباء وماوى الفرق ومحط رحال الوفود زادها الله بسعادة أيام مولانا أمير
المؤمنين بهجة واشراقا وحرس ارجاءها ونواحيها ثم رحلنا من الموصل ونزلنا قرية
تعرف بعين الرصد وهي على نهر عايشه جسر مني وبها خان كبير ثم رحلنا ونزلنا قرية
تعرف بالموياجية ثم رحلنا منها ونزلنا جزيرة ابن عمرو وهي مدينة كبيرة حسنة محيط
بها الوادي ولذلك سميت جزيرة وأكثرها خراب وله سوق حسنة ومسجد عتيق

منى بالحجارة محكم العمل وسورها منى بالحجارة أيضاً وأهلها فضلاء لهم محبة في الغرباء
 ويوم نزولنا بهاراً بنا جبل الجودي المذكور في كتاب الله عز وجل الذي استوت عليه
 سفينة نوح عليه السلام وهو جبل عال مستطيل ثم رحلنا منها مرحلتين ووصلنا إلى مدينة
 نصيبين وهي مدينة عتيقة وسعة قد خرب أكثرها وهي في بساط أفدخ فسيح فيه المياه
 الجارية والبساتين الملتفة والأشجار المنتظمة والقواكه الكثيرة وبها يصنع ماء الورد الذي
 لا نظير له في العطاراة والطيب ويدور بها نهر يحلف عليها أنعطاف السوار منبعم من عيون في
 جبل قريب منها وينقسم أنقساماً فيتخال بساتينها ويدخل منه نهر إلى المدينة فيجري في
 شوارعها ودورها ويحترق صحن مسجدها الأعظم وينصب في بهرين أحدهما في وسط
 الصحن والآخر عند الباب الشرقي وبهذه المدينة مارستان ومدرستان وأهلها أهل
 صلاح ودين وصدق وأمانة ولقد صدق أبو نواس في قوله

طابت نصيبين لي يوماً وطبت لها * ياليت حظي من الدنيا نصيبين

قال ابن جزي والناس يصصفون مدينة نصيبين بفساد الماء والوخامة وفيها يقول بعض
 الشعراء

نصيبين قد عجبت وما في * دارها لي داع إلى العلات

يعدم الورد أحمر في ذراها * لسقام حتى من الوجنات

ثم رحلنا إلى مدينة سنجار وهي مدينة كبيرة كثيرة القواكه والأشجار والعيون المنظر دة
 والانهار مبنية في سفح جبل تشبه دمشق في كثرة أنهارها وبساتينها ومسجدها الجامع
 مشهور بالبركة يذكر أن الدعاء به مستجاب ويدور به نهر ماويثقه وأهل سنجار أكابر
 ولهم شجاعة وكرم ممن لقبته به الشيخ الصالح العابد الزاهد عبد الله الكردي أحد المشايخ
 الكبار صاحب كرامات يذكر عنه أنه لا يفطر إلا بعد أربعين يوماً ويكون افطاره على نصف
 قرص من الشعير لقيته برابطة بأدلى جبل سنجار ودعالي وزدوني بدراهم ثم نزل عندي
 إلى أن سابني كفار الهنود ثم سافرنا إلى مدينة دارا وهي عتيقة كبيرة بيضاء المنظر لها

قلعة مشرفة وهي الآن خراب لا تبق لها وفي خارجها قرية معمورة بها كان نزولنا ثم
 رحلنا منها فوصلنا إلى مدينة ماردين وهي عظيمة في سطح جبل من أحسن مدن الإسلام
 وأبدعها وأتقنها وأحسنها أسواقا وبها تصنع الثياب المنسوبة اليها من الصوف المعروف
 بالمرعز ولها قاعة شماء من مشاهير الملاح في قبة حبابها قال ابن جزى قاعة ماردين هذه
 تسمى الشهباء وإياها عني شاعر المرافد في الدين عبد العزيز بن سراي الحلبي بقوله في
 سمطه (سريع)

فرع ربوع الحلة الفيحاء * وازور بالعيس عن الزوراء
 ولا تقف بالموصل الحباء * أن شهاب القاعة الشهباء
 بحرق شيطان صروف الدهر *

وقلعة حات تحي الشهباء أيضا وهذه المدينة بدعة مدحها الملك المنصور سلطان ماردين
 وكان كريما شهيرا العيت ولي الملك بها نحو خمسين سنة وأدرك أيام قازان ملك التتار وصاهر
 السلطان خذابته بانيته دنيا خاتون

ذكر سلطان ماردين في عهد دخولي إليها *

وهو الملك الصالح بن الملك المنصور الذي ذكرناه آنفا ورث الملك عن أبيه وله المنكارم
 الشهيرة وأيس بأرض العراق والشام وهو صرا كرم من يقصده الشعراء والفقراء فيجزل
 لهم العطايا جريا على سنن أبيه قصده أبو عبد الله محمد بن جابر الاندلسي المروي الكفيف
 ما دحافا عطاءه عشر بن أبي درهم وله الصدقات والمدارس والزوايا لا يطعم الطعام وله
 وزير كبير القدر وهو الامام العالم وحيد الدهر وفريد العصر جمال الدين السنجاري قرأ
 بمدينة تبريز وأدرك العلماء الكبار وقاضي قضاة الامام الكامل برهان الدين الموصلی وهو
 ينتسب إلى الشيخ الولي فتح الموصلی وهذا القاضي من أهل الدين والورع والفضل
 يلبس الحشن من ثياب الصوف الذي لا تبلغ قيمته عشرة دراهم ويتم بخوذ ذلك وكثيرا
 ما يجلس للاحكام بصحن مسجد خارج المدرسة كان يتعبد فيه فاذا رآه من لا يعرفه ظنه
 بنص خدام القاضي وأعوانه

* حكاية *

ذكر لي ان امرأة أتت هذا القاضي وهو خارج من المسجد ولم تكن تعرفه فقالت له يا شيخ
 أين يجلس القاضي فقال لها وما تريد مني فقالت له ان زوجي ضربني وله زوجة ثانية وهو
 لا يعدل بيننا في القسم وقد دعوتني الى القاضي فأبى وأنا فقيرة ليس عندي ما أعطيه لرجال
 القاضي حتي يحضروه فجلسه فقال لها وأين منزل زوجك فقالت بقرية الملاحين خارج
 المدينة فقال لها أنا أذهب معك اليه فقالت والله ما عندي شيء أعطيك أياه فقال لها وأنا
 لا آخذ منك شيئاً ثم قال لها اذهبي الى القرية وانتظريني خارجها فاني على أن ترك فذهبت
 كما أمرها وانتظرت فوصل اليها وليس معها أحد وكانت عادت ان لا يدع أحدا يتبعه فجاءت به
 الى منزل زوجها فلما رآه قال لها ما هذا الشيخ النحس الذي معك فقال له نعم والله أنا
 كذلك ولكن أرض زوجك فقام طال الكلام جاء الناس فعرفوا القاضي وساءوا عليه
 وخاف ذلك الرجل وخبيل فقالت له القاضي لا عليك أصلح ما بينك وبين زوجك
 فأرضها الرجل من نفسه وأعطاهما القاضي نفقة ذلك اليوم وانصرف لقيت هذا القاضي
 وأضافني بداره ثم رحلت عائداً الى بغداد فوصلت الى مدينة الموصل التي ذكرناها
 فوجدت ركباً يخرجها من وجهين الى بغداد وفيهم امرأة صالحة عابدة تسمى بالنس زاهدة
 وهي من ذرية الخلفاء حدث مراراً وهي ملازمة الصوم سامت عليها وكنت في جوارها
 ومعها جملة من الفقراء يخدمونها وفي هذه الوجة توفيت رحمة الله عليها وكانت وفاتها بزيار
 ودفت هنالك ثم وصلنا الى مدينة بغداد فوجدت الحاج في أهبة الرحيل فقصدت أميرها
 معروفة خواجه فطلبت منه ما أمر لي به السلطان فعين لي شقة محارة وزاد أربعة من
 الرجال وماءهم وكتب لي بذلك ووجه عن أمير الركاب وهو البهلولان محمد بن أبي نوح فأوصاه
 بي وكانت المعرفة بيني وبينه متقدمة فزادها تأكداً ولم أزل في جواره وهو يحسن الي
 ويزيدني على ما أمر لي به وأصابني عند خروجه من الكوفة اسهال فكانوا ينزلونني من
 أعلى الحمل مرات كثيرة في اليوم والامير يتفقده حالي ويوصي بي ولم أزل مريضاً حتي
 وصلت مكة حرم الله تعالى زادها الله شرفاً وتعظيماً وطف بآل بيت الحرام كرمه الله تعالى
 طواف القدوم وكنت ضعيفاً بحيث أؤدي المكتوبة قاعداً فطفت وسيت بين الضقة

والمرورة أكبا على فرس الأمير الخويج المذكور ووقفنا تلك السنة يوم الاثنين فلما نزلنا منى
أخذت في الراحة والاستقلال من مرضى ولما اتقضى الحاج أقمت مجاوراً بمكة تلك السنة
وكان بها الأمير علاء الدين بن هلال مشيد (مشد) الدراوين مقيماً بمارة دار الوضوء
بظاهر المطارين من باب بنى شيبه وجاور في تلك السنة من المنصرين جماعة من كبرائهم
منهم تاج الدين بن الكويك ونور الدين القاضي وزين الدين بن الأصيل وابن الحلبي
وناصر الدين الأسيوطي وسكنت تلك السنة بالمدرسة المخفزية وعافاني الله من مرضي
فكنت في أنعم عيش وتفرغت للطواف والعبادة والالتزام وأتي في أتماء تلك السنة حجج
الصعيد وقسم معهم الشيخ الصالح نجم الدين الأصفوني وهي أول حجة حجها والخوان
علاء الدين علي وسراج الدين عمر ابنا القاضي الصالح نجم الدين الباسي قاضي مصر
وجماعة غيرهم في منتصف ذي القعدة وصل الأمير سيف الدين ياملك وهو من الفضلاء
وصل في صحبته جماعة من أهل طنجة بلدي حرسها الله منهم الفقيه أبو عبد الله محمد ابن
القاضي أبي العباس ابن القاضي الخطيب أبي القاسم الجراوي والفقيه أبو عبد الله بن عطاء
الله والفقيه أبو محمد عبد الله الحضري والفقيه أبو عبد الله المرسي وأبو العباس ابن الفقيه أبي
علي البازي وأبو محمد ابن القابلة وأبو الحسن البياري وأبو العباس بن تافوت وأبو الصبر
أيوب الفخار وأحمد بن حكمة ومن أهل قصر الحجاز الفقيه أبو زيد عبد الرحمن ابن
القاضي أبي العباس بن خلوف ومن أهل القصر الكبير الفقيه أبو محمد بن مسلم وأبو اسحق
أبراهيم بن يحيى وولده وصل في تلك السنة الأمير سيف الدين تقزدمور من الخاصكية
والأمير موسى بن قرمان والقاضي نحر الدين ناظر الجيش كاتب الممالك والتاج أبو
سحق والست حدق مريضة الملك الناصر وكانت لهم صدقات عميمة بالحرم الشريف
بواكثرهم صدقة القاضي نحر الدين وكانت وقفنا في تلك السنة في يوم الجمعة من عام ثمان
مئتين ولما اتقضى الحج أقمت مجاوراً بمكة حرسها الله سنة تسع وعشرين وفي هذه
السنة وصل أحمد ابن الأمير مينة ومبارك ابن الأمير عطيفة من العراق صحبة الأمير محمد
بن الخويج والشيخ زاده الحر باوي والشيخ دانيال وأتوا بصدقات عظيمة للمجاورين

وأهل مكة من قبل السلطان أبي سعيد ملك العراق وفي تلك السنة ذكر اسمه في الخطبة بعد ذكر الملك الناصر ودعوا له بأعلى قبضة منزم وذكروا بعدده سلطان اليمن الملك المجاهد نور الدين ولم يوافق الأمير عطيفة على ذلك وبعث شقيقه منصور اليه يعلم الملك الناصر بذلك فأمر رميثة برده فردبعته ثانية على طريق جدة حتى أعلم الملك الناصر بذلك ووقعت تلك السنة وهي سنة تسع وعشرين يوم الثلاثاء ولما انتضى الحج اقت مجاوراً بمكة حرسها الله سنة ثلاثين وفي موسمها وقعت الفتنه بين أمير مكة عطيفة وبين ايدمور أمير جندار الناصري وسبب ذلك ان تجاراً من أهل اليمن سرقوا فنشكروا الى ايدمور بذلك فقال ايدمور لمبارك بن الأمير عطيفة انت بهؤلاء السراق فقال لا أعرفهم فكيف تأتيهم وبعد فأهل اليمن تحت حكمنا ولا حكم عليهم لك ان سرق لأهل مصر والشام شيء فاطأبني به فشتمه ايدمور وقال له يا قواد تقول لي هكذا وضر به على صدره فسقط ووقعت عمامته عن رأسه و غضب له عبيده وركب ايدمور يربد عسكره فالحقه مبارك وعبيده فقتلوه وقتلوا ولده ووقعت الفتنه بالمرم وكان بالأمير أحمد ابن عم الملك الناصر ورمي الترك بالنشاب فقتلوا امرأة قيل انها كانت تحرض أهل مكة على القتال وركب من الركب من الاتراك وأميرهم خاص ترك فخرج اليهم القاضي والائمة والمجاورين وفوق رؤسهم المصاحف وحاولوا الصلح ودخل الحجاج مكة فأخذوا ما لهم بها وانصرفوا الى مصر وبلغ الخبر الى الملك الناصر فشق عليه وبعث العساكر الى مكة ففر الأمير عطيفة وابنه مبارك وخرج أخوه رميثة وأولاده الى وادي نخلة فلما وصل العسكر الى مكة بعث الأمير رميثة أحداً ولده يطلب له الامان ولولده فأمنوا وأتى رميثة وكفته في يده الى الأمير فخلع عليه وسلمت اليه مكة وعاد العسكر الى مصر وكان الملك الناصر رحمه الله حليماً فاضلاً فخرجت في تلك الايام من مكة شرفها الله تعالى قاصداً بلاد اليمن فوصلت الى حدة (بالحاء المهملة المفتوح) وهي نصف الطريق ما بين مكة وجدة (بالجيم المضموم) ثم وصلت الى جدة وهي بلدة قديمة على ساحل البحر يقال انها من عمارة الفرس وبخارجها مبان قديمة وبها حياض للماء منقورة في الحجر الصلد يتصل

بعضها ببعض تقوت الاحصاء كثرة وكانت هذه السنة قليلة المطر وكان الماء يجلب الى
جدة على مسيرة يوم وكان الحجاج يسألون الماء من أصحاب البيوت ﴿حكاية﴾

ومن غريب ما اتفق لي بجدة انه وقف على بابي سائل أعني يطلب الماء يقوده غلام فسلم
علي وسألني باسمي واخذ يدي ولم أكن عرفت قط ولا عرفتني فمحببت من شأنه ثم أمسك
أصبعي بيده وقال ابن الفتيحة وهي الخاتم وكنت حين حروحي من مكة قد اقيني بعض
الفقراء وسألني ولم يكن عندي في ذلك الحين شئ فدفعت له ختمي فامسأني عنه هذا
الاعمي قالت له اعطيته لفقير فقال ارجع في طلبه فان فيه أسمة مكثرة فيها سر من الاسرار
وظال اعجمي منه ومن معرفته بذلك كما هو الله أعلم بحاله ويجدة جامع يعرف بجامع الانبوس
معروف البركة يستجاب فيه الدعاء وكان الامير بها أبا يعقوب بن عبد الرزاق وقاضيهما
وخطيبهما الفقيه عبد الله من أهل مكة شافعي المذهب واذ كان يوم الجمعة واجتمع الناس
للاصلاة أتى المؤذن وعد أهل جدة المقيمين بها فان كلوا أربعين خطب وصلى بهم الجمعة
وان لم يبلغ مددهم أربعين صلى ظهرا أربعين ولا يعتبر من يس من أهلها وان كانوا عددا
كثيرا ثم ركبنا البحر من جدة في مركب اسمه نون الحبابة وكان له شيد الدين الالقي ليني
الحبشي الاصل وركب الشريف منصور بن أبي نعي في جلبة أخرى ورغب مني أن اكون
معه فلم أقبل لكونه كان معه في جلبته الجمال نخفت من ذلك ولم أكن ركبنا البحر
قبلها وكان هناك جملة من أهل اليمن قد جعلوا أزوادهم وأمتعتهم في الجباب وهم
متأهبون للسفر ﴿حكاية﴾

ولما ركبنا البحر أمر الشريف منصور أحد غلامنا أن يأتيه به ديلة دقيق وهي نصف
حمل وبطة سمن يأخذها من جباب أهل اليمن فأخذها وأتى بهما اليه فأتاني للتجار
يا كين وذاكر والى ان في جوف تلك الديلة عشرة آلاف درهم نقرة ورغبوا مني أن
أأكله في ردها وان يأخذها واها فأتيته وكلته في ذلك وقلت له ان للتجار في جوف هذه
الديلة شيئا فقال ان كان سكر افلا رده اليهم وان كان سوي ذلك فهو لهم ففتحوها
فوجدوا الدراهم فردها عليهم وقال لي لو كان عجلان ما ردها وعجلان هو ابن أخيه رميته

وكان قد دخل في تلك الايام دار تاجر من اهل دمشق فصدق اليه فذهب بمعظم ما كان فيها وعجلان هو أمير مكة على هذا المهد وقد صالح حنا وأظهر العدل والفضل ثم سافرنا في هذا البحر بالريح الطيبة يومين وتغيرت الريح من ذلك وصعدت عن السيل التي قصدناها ودخلت أمواج البحر معناني المراكب واشتد ليد بالناس ولم نزل في أهوال حتى خرجنا في مرسى يعرف برأس دواتر فيما بين عيذاب وسواكن فنزلنا به ووجدنا بساحلها صريش تصب على هيئة مسجد وفيه كثير من فسور يرضى النعام ملوون من قشر بنا منه وطبخنا ورأيت بذلك المرسى عجبا وهو خور مثل الوادي يخرج من باب حرقان الناس يأخذون الثوب ويمسكون بأطرافه ويخرجون به من متلا سمكا كل سمكة منها قدر الذراع ويعرفونه بالبوري فطبخ منه الناس كثيرا وانستروا وقصدنا الى الخائفة من البجاة وهم سكان تلك الارض سودا لوان اباسهم الملاحات المشرية ويشدون على رؤسهم عصائب حرقا في عرض الاصبع وهم اهل شدة وشجاعة وسلاحهم الرماح والسيوف ولهم جمال يسمونها الصهب يركبونها بالبروج فاكثرنا منهم الجمال وسافرنا معهم في بركة كثيرة الغزلان والبجاة لا يأكلونها فهي تأنس بالآدمي ولا تنفر منه وبعدة يومين من مسيرنا وصلنا الى حي من العرب يعرفون بأولاد كاهل مختلطين بالبجاة عارفين بلسانهم وفي ذلك اليوم وصلنا الى جزيرة سواكن وهي على نحو ستة أميال من البر ولما بها وزرع ولا شجر والماء يجلب اليها في القوارب وفيها صهاريج يجتمع بها ماء المطر وهي جزيرة كبيرة وبها لحوم النعام والغزلان وحمر نوحش والامزي عندهم كثير والالباز والسمن ودهنها يجلب الى مكة وحبوبهم الجرجوج هو نوع من الذرة كد الحبوب يجلب منها ايضا الى مكة

ذكر سلطانها

وكان سلطان جزيرة سواكن حين وصولي اليها الشريف زيد بن أبي نسي وابوه أمير مكة وأخوه أمير اهامة وهما عطيفة ورميثة الذين تقدم ذكرهما وصارت اليه من قبل البجاة فانهم اخواله ومعه عسكر من البجاة وأولاده كاهل وعرب جهينة وركبنا البحر من جزيرة سواكن نريد ارض اليمن وهذا البحر لا يسافر فيه بالليل لكثرة أحجاره وانما يسافرون

فيه من طلوع الشمس الى غروبها ويرسون وينزلون الي البر فاذا كان الصباح سعدوا الى
الركب بهم يسمون رئيس الركب الربان ولا يزال ابد في مقعد المركب ينبه صاحب
السكان على الاحجار وهم يسمونها النبات وبه ستة ايام من خروجن عن جزيرة سواكن
وصلا الى مدينة حلى (وضبط اسمها بفتح الحاء المهمل وكسر اللام وتخفيفها)
وتعرف باسم ابن يعقوب وكان من سلاطين اليمن ساكنها اقرب ما وهى كبيرة حسنة
امارة يسكنها طائفتان من العرب وهم بنو حرام وبنو كنانة وجامع هذه المدينة من
أحسن الجوامع وفيه جماعة من الفقراء المنتظمين الى العبادة منهم الشيخ الصالح العابد
الزاهد قبوله الهندي من كبار الصالحين اياه مرقمة وقاسوة ابدوله خلوة متصلة بالمسجد
فرشها الرمل لا حصير بها ولا بساط ولمار بها حين انما له شيئا الا ابريق الوضوء وسنطرة
من حوص انمخيل فيها كسر شعير يا بساة وصحيفة فيها ما يح وصعتر فاذا جاءه أحد قدم بين
يديه ذلك ويسمع به انجاب فيأتي كل واحد منهم عما حضر من غير تكلف شئ واذا صلوا
العصر اجتمعوا التذكري بين يدي الشيخ الى صلاة المغرب واذا صلوا المغرب اخذ كل
واحد منهم موقفه لا تتفل فلا يزالون كذلك الى صلاة العشاء الاخرة فاذا صلوا العشاء
الاخرة اقاموا على الذكر الى ثلث الليل ثم انصرفوا ويعودون في اول الثلث الثالث الى
المسجد فيتمجدون الى الصبح ثم يذكرون الى ان تحين صلاة الاشراف فينصرفون
بمسلاتها ومنهم من يتيم الي أن يصلي صلاة الضحى بالمسجد وهذا دأبهم
ولقد كنت أردت الإقامة معهم باقى عمري فلم أوفق لذلك والله تعالى يتداركنا
بإطاءه وتوفيقه

﴿ ذكر سلطان حلى ﴾

هو سلطانها عامر بن ذويب من بني كنانة وهو من الفضلاء الادباء الشراء صحبته من مكة الى
جدة وكان قد حج في سنة ثلاثين ولما قدمت مدينته أنزلني وأكرمني وأقامت في ضيافته
أياماً وركبت البحر في مركب له فبرصت الى بلدة السرجة (وضبط اسمها بفتح السين
المهمل واسكان الراء وفتح الجيم) بلدة صغيرة يسكنها جماعة من أولاد الهبي وهم طائفة

من تجار اليمن أكثرهم ساكنون بصعداء ولهم فضل وكرم واطعام لابتداء السيل ويعينون
الحجاج وبركونهم في مسالكهم ويزودونهم من أموالهم وقد صرفوا بذلك واشتهروا
به وكثر الله أموالهم وزادهم من فضله وأعانهم على فعل الخير وأيسر بالارض من يمسائلهم
في ذلك ألا الشيخ بدر الدين النقاس الساكن ببلدة القحمة فله مثل ذلك من الآثار
والأخبار وأقنا بالسرجة ليلة واحدة في ضيافة المذكورين ثم رحلنا إلى مرسى الحادث ولم
نزل به ثم إلى مرسى الأبواب ثم إلى مدينة زيد مدينة عظيمة باليمن فيها وبين صنعاء
أربعون فرسحاً وليس باليمن بعد صنعاء أكبر منها ولا أغنى من أهلها واسعة البساتين كثيرة
المياه ولقوا كه من الموز وغيره وهي برية لا شطية إحدى قواعد بلاد اليمن (وهي بفتح
الزاي وكسر اليا والموحدة) مدينة كبيرة كثيرة العمارة بها النخل والبساتين والمياه
أمنح اليا اليمن وأجائها ولاهاها الطاقة الشمايل وحسن الاخلاق وجمال الصور
وانسابها الحسن الفائق الفائق وهي وادي الخصيب الذي يذكر في بعض الآثار ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما عاذ في وصيته ياء ما اذا اجت وادي الخصيب فهو رول
ولا ان هذه المدينة سموت النحل المشهورة وذلك انهم يخوجون في أيام البسر والرطب في
كل سبت إلى حدائق النخل ولا يبقى بالمدينة أحد من أهلها ولا من الغرباء ويخرج أهل
الغرب وأهل الاسواق إلى القواكه والحلاوات وتخرج النساء ممتطيات الجمال في المحامل
ولهم مع ما ذكرناه من الجمال الفائق الاخلاق الحسنة والمكارم وتغرب عندهم
مزية ولا يمتنع من تزوجه كما يفعله نساء بلادنا فاذا أراد السفر خرجت معه وودعته وان كان
بينهما ولد فهي تكفاه وتقوم به ما يجب له الي أن يرجع أبوه ولا تطالده في أيام الغيبة بنفقة ولا
كسوة ولا واهوا اذا كان مقبلاً فهي تنزع منه بقليل النفقة والكسوة لكنهن لا يخرجن عن
بلادهن أبداً ولو أعطيت احداً من ماعسى ان تعطاء على أن تخرج من بلادها لم تفعل وعلماء
تلك البلاد وفقهاؤها أهل صلاح ودين وأمانة ومكارم وحسن خلق لقيت بمدينة زيد
الشيخ العالم الصالح أبا محمد الصنعاني والفقهاء الصوفي المحقق أبا العباس الايباني والفقهاء
المحدث أبا علي الزبيدي ونزلت في جوارهم فأكرموني وأضافوني ودخلت حدائقهم

واجتمع عند بعضهم بالفقيه القاضي العالم أبي زيد عبد الرحمن الصوفي أحد فضلاء اليمن
ووقع عنده ذكر العابد الزاهد الحاشع أحمد بن المجيل اليمني وكان من كبار الرجال وأهل
الكرامات سز كرامة

ذكر والفقهاء الزيدية وكبراءهم أتوا مرة إلى زيارة لشيخ أحمد بن المجيل فجلس لهم
خارج الزاوية واستمعوا له وأصحابه ولم يرح الشيخ عن موضعه فسأله وأباه وصاحفهم
ورحب بهم ووقع بينهم الكلام في مسألة القدر وكانوا يقولون إن لا قدر وإن المكلف يخاف
أفعاله فقال لهم الشيخ فإن كان الأمر على ما تقولون تقوموا على مكانكم هذا فأرادوا التقييم
فلم يستطيعوا وتركهم الشيخ على حالهم ودخل الزاوية وأقاموا كذلك واشتد بهم الحر
ولحنهم وخرج الشمس وضجوا بمسارنهم فدخل أصحاب الشيخ إليه وقالوا له إن هؤلاء
القوم قد تابوا إلى الله ورجعوا عن مذهبهم الفاسد فخرجنا بهم الشيخ فأخذ بأيديهم
وعاهدهم على الرجوع إلى الحق وترك مذهبهم السيئ وأدخلهم زاويته فأقاموا في
ضيافته ثلاثاً وانصرفوا إلى بلادهم وخرجت زيارة قبر هذا الرجل الصالح وهو بقربة
يقال لها غسانة خارج زير رواقيت ولده الصالح أبو الويداس عيل ناضاني وبث عنده
وزرت خمرح شيخ وأقامت معه ثلاثاً وسافرت في صحبته إلى زيارة الفقيه أبي الحسن الزيلعي
وهو من كبار الصالحين ويقوم حجج اليمن إذا وجهوا للحج وأهل تلك البلاد وأعراسها
يعظمون ويحترمونه فوصلنا إلى جبله وهي بلدة صغيرة حسنة ذات نخيل وفواكه وأشجار فلما
سمع الفقيه أبو الحسن الزيلعي بقدم الشيخ أبي الويداس قبله وأنزله بزاويته وسلمت عليه
معه وأقامت عنده ثلاثة أيام في خير مقام ثم انصرفنا إلى بيتنا ثم انصرفنا إلى مدينة
تعر حضرة ملك اليمن (وضبط اسمه بفتح التاء العلوة وكسر العين المهملة وزاء) وهي
من أحسن مدن اليمن وأعظمها وأهلها ذوو تكبر وفظاظة وكذلك الغالب على
البلاد التي يسكنها الملوك وهي ثلاث محلات أحدها يسكنها السلطان ومالكه وحاشيته
وأرباب دولته وتسمى باسم لا أذكر والثانية يسكنها الأمراء والأجناد وتسمى عدينة
والثالثة يسكنها عامة الناس وبها السوق العظمى وتسمى المحاب

ذكر سلطان اليمن

وهو السلطان مجاهد بن نور الدين علي بن السلطان المؤيد هزير الدين داود بن السلطان المظفر يوسف بن علي بن رسول شهر جده يسمى بر رسول لان أحد خافاء بني اعباس أرسله الي اليمن ليكون بها أميرا ثم استقل أولاده بالملك وله ترتيب عجيب في قعوده وركوبه وكنت لما وصات هذه المدينة مع الفقير الذي بعثه الشيخ النقيه أبو الحسن الزيلعي في صحبتي قصدني الى قاضي القضاة الامام المحمدي في الدين الطبري المكي فسامنا عاياه ورحب بنا وأقنا بداره في ضيافته ثلاثا فلما كان في اليوم الرابع وهو يوم الخميس وفيه يجلس السلطان امامه الناس دخل في دايه فسامت عاياه وكيفية السلام عاياه ان يمس الانسان الارض بسبابته ثم يرفعها الى رأسه ويقول أدام الله عزك ففعلت كمثل ما فعله القاضي وقعد القاضي عن عين الملك وأمرني فتحدثت بين يديه فسأني عن بلادي وعن مولانا أمير المساهين جواد الاجواد أبي سعيد رضي الله عنه وعن ملك مصر وملك لعران وملك اللور فأحبه عمه سألت من أحوالهم وكان وزيره بين يديه بأمره بكرامي وإزالي وترتيب قعوده هذا الملك انه يجلس فوق دكة مفروشة مزينة بثياب الحرير وعن يمينه ويساره أهل السالاح ويديه منهم أصحاب السيوف والدرق ويديهم أصحاب القسي وبين يديهم في الميمنة والميسرة الحاجب وأرباب الدولة وكتاب السر وأمير جندار على رأسه والاشوشية وهم من الجنادة وقوف على بعد فاذا قعد السلطان صاحوا صيحة واحدة بسم الله فاذا قام فعلاوا مثل ذلك فيعلم جميع من بالمشور وقت قيامه ووقت قعوده فاذا استوى قاعد دخل كل من عادته أن يسلم عليه فسلم ووقف حيث رسم له في الميمنة أو الميسرة لا يتعدى أحدهم موضعه ولا يتعدى الأمن أمره بالقعود يقول السلطان للامير جندار صر فلانا بقمه فيتقدم ذلك المأمور بالقعود عن موقفه قايلا ويقيم على بساط هناك بين أيدي القائمين في الميمنة والميسرة ثم يؤتى بالطعام وهو طعامان طعام العامة وطعام الخاصة فأما الطعام الخاص فيأكل كل منه السلطان وقاضي القضاة والكبار من الشرفاء ومن الفقهاء والضيوف وأما الطعام العام فيأكل كل منه سائر الشرفاء والفقهاء والقضاة والمشايخ والأمراء ووجود الجناد ومجلس كل انسان للطعام معين

لا يتعداه ولا يزاحم أحد منهم أحدًا وعلى مثل هذا الترتيب سواء هو ترتيب ملك الهند في
طعامه فلا أعلم أن سلاطين الهند أخذوا ذلك عن سلاطين اليمن أم سلاطين اليمن أخذوا
عن سلاطين الهند وأقت في ضيافة سلاطان اليمن أيما وأحسن إلى وأركبني وانصرفت
مسافرة إلى مدينة صنعاء وهي قاعدة بلاد اليمن الأولى مدينة كبيرة حسنة العمارة بناؤها
بالآجر والجص كثيرة الأشجار والفواكه والزروع معتدلة الهواء طيبة المساء ومن الغريب
أن المطر ببلاد الهند واليمن والحاشية انما ينزل في أيام القيظ وأكثر ما يكون نزوله بعد
الغدير من كل يوم في ذلك الاوان فالمسافرون يستعجلون عند الزوال لئلا يصيبهم المطر
بأهل المدينة ينصرفون إلى منازلهم لأن أمطارها وابلًا متدفقة ومدينة صنعاء مفروشة
بها فاذا نزل المطر غسل جميع أزقتها وأنقاها وجامع صنعاء من أحسن الجوامع وفيه قبر
سبي من الأنبياء منهم السلام ثم سافرت منها إلى مدينة عدن مرسى بلاد اليمن على ساحل
البحر حر الأعظام والخيال تحف بها ولا مدخل إليها إلا من جانب واحد وهي مدينة كبيرة ولا
زروع بها ولا شجر ولا ماء وبها صهاريج يجتمع فيها الماء أيام المطر والمساء على بعد منها فرما
منعنه العرب وحاوا بين أهل المدينة وبينه حتى يصانعوهم بالمال والثياب وهي شديدة الحر
وهي مرسى أهل الهند تأتي إليها المراكب العظيمة من كنيارات وتانه وكولم وقاقوط
وفندرايشه والشاليات ومنجرو وروفا كنورو وهنورو وسندابورو وغيرها وتجار الهند
سكانون بها وتجار مصر أيضا وأهل عدن ما بين تجار وما بين حمالين وصديادين للسملك
وللتجار منهم أموال عريضة وربما يكون لأحدهم المركب العظيم بجميع ما فيه لا يشاركه
فيه غيره داسة ما بين يديه من الأموال ولهم في ذلك تفاخر ومباهات ﴿حكاية﴾
ذكر لي أن بعضهم يبعث غلاما له يشترى له كبشًا ويبت آخر منهم غلاما له يرسم ذلك أيضا
فاتفق أنه لم يكن بالسوق في ذلك اليوم إلا كبش واحد فوقع المزادة فيه بين الغلامين
فاتمهي ثمنه إلى أربع مائة دينار فأخذوا أحدهما وقال إن رأس مالي أربع مائة دينار فإن
أعطاني مولاي ثمنه فحسن والإدفعت فيه رأس مالي ونصرت نفسي وغلبت صاحبي وذهب
بالكثرة إلى سده فلما عرف سده بالقضبة أعتقه وأعطاه ألف دينار وعاد الآخر إلى سيده

خائباً فضر به وأخذ ماله ونفاه عنه ونزلت في عدن عند تاجر يعرف بتناصر الدين الفارسي فكان يحضر طعامه كل ليلة نحو عشرين من التجار له غلمان وخدام أكثر من ذلك ومع هذا كله فهم أهل دين وتواضع وصلاح ومكارم أخلاق يحسنون إلى الغريب ويؤثرون على الفقير ويعطون حق الله من الزكاة على ما يجب ولقيت بهذه المدينة قاضيها الصالح الم ابن عبد الله الهندي وكان والده من العبيد الحمايين واشتغل ابنه بالعلم قرأ أسوساد وهو من خيار القضاة وفضلائهم أقمت في ضيافته أياماً وسافرت من مدينة عدن في البحر أربعة أيام ووصلت إلى مدينة زيلع وهي مدينة البربرة وهم طائفة من السودان شافعية المذهب وبلادهم صحراء مسيرة شهرين أو لها زيلع وآخرها مقدشو ومواسيهم الجمال وهم أغنام مشهورة السمن وأهل زيلع سودا لوان وأكثرهم رافضة وهي مدينة كبيرة لها سوق عظيمة إلا أنها أقدر مدينة في المعمور وأوحشها وأكثرها نتناً وسبب نتنها كثرة سمكها ودماء الابل التي تخرونها في الأزقة ولما وصلنا إليها اخترنا المبيت بالبحر على شدة هوله ولم نبت بها القدرها ثم سافرنا منها في البحر خمس عشرة ليلة ووصلنا مقدشو (وضبط اسمها بفتح الميم واسكان القاف وفتح الدال المهمل والشين المعجم واسكان الواو) وهي مدينة متناهية في الكبر وأهلها لهم جمال كثيرة تخرون منها المئين في كل يوم ولهم أغنام كثيرة وأهلها تجار أقوياء وبها تصنع الثياب المنسوبة إليها التي لا نظير لها ومنها تحمل إلى ديار مصر وغيرها ومن عادة أهل هذه المدينة أنه متى وصل مركب إلى المرسى تصعد الصنابق وهي القوارب الصغار إليه ويكون في كل صنبق جماعة من شبان أهلها فيأتي كل واحد منهم بطبق مغطى فيه الطعام فيقدمه لتاجر المركب ويقول هذا نزيلك وكذلك يفعل كل واحد منهم ولا ينزل التاجر من المركب إلا إلى دار نزيله من هؤلاء الشبان الأمن كان كثير التردد إلى البلد وحصلت له معرفة أهله فانه ينزل حيث شاء فإذا نزل عند نزيله باع له ما عنده واشترى له ومن اشترى منه يخش أو باع منه بغير حضور نزيله فذلك البيع مردود عندهم ولهم منفعة في ذلك ولما صعد الشبان إلى المركب الذي كنت فيه جاء إلى بعضهم فقال له أصحابي ليس هذا بتاجر وإنما هو فقيه فصاح بأصحابه وقال لهم هذا نزيل القاضي وكان فيها

أحد أصحاب القاضي فعرفه بذلك فأتى الى ساحل البحر في جملة من الطلبة وبعث الى أحدهم فنزلت أنا وأصحابي وسلمت على القاضي وأصحابه وقال لي باسم الله توجه لسلام على الشيخ فقلت ومن الشيخ فقال السلطان وعادتهم ان يقولوا للسلطان الشيخ فقلت له اذا نزلت توجهت اليه فقال لي ان العادة اذا جاء الفقيه أو الشريف أو الرجل الصالح لا ينزل حتى يرى السلطان فذهبت معهم اليه كما طابوا

ذكر سلطان مقدشو

وسلطان مقدشو كما ذكرناه انما يقولون له الشيخ واسمه أبو بكر بن الشيخ عمر وهو في الاصل من البربرة وكلامه بالمشي ويعرف اللسان العربي ومن عوائدانه متى وصل مركب يصعد اليه صنبوق السلطان فيسأل عن المراكب من أين قدم ومن صاحبه ومن ربانه وهو الرئيس وما وسقه ومن قدم فيه من التجار وغيرهم فيعرف بذلك كانه ويعرض على السلطان فمن استحق ان ينزله عنده انزاه ولما وصلت مع القاضي المذكور وهو يعرف بابن البرهان المصري الاصل الى دار السلطان خرج بعض الفتيان فسلم على القاضي فقال له بلغ الامانة وعرف مولانا الشيخ ان هذا الرجل قد وصل من أرض الحجاز فباع ثم عاد وأتى بطبق فيه أوراق التنبول والفوفل فأعطاني عشرة أوراق مع قايل من الفوفل وأعطى للقاضي كذلك وأعطى لأصحابي وإطابة القاضي ما بقي في الطبق وجاء بقمة من ماء الورد الدمشقي فسكب على وعلى القاضي وقال ان مولانا أمر ان ينزل بدار الطلبة وهي دار معدة لضيافة الطلبة فأخذ القاضي بيدي وجئت الى تلك الدار وهي بمقرنة من دار الشيخ مفروشة مرتبة بمحتاج اليه ثم أتى بالطعام من دار الشيخ ومعه أحد وزرائه وهو الموكل بالضيوف فقال مولانا يسلم عليكم ويقول لكم قد تم خبز مقدم ثم وضع الطعام فأكلنا وطعامهم الأرز المطبوخ بالسمن يجعلونه في صحفة خشب كبيرة ويجعلون فوقه صحاف الكوشان وهو الادم من الدجاج واللحم والحوت والبقول ويطحخون الموز قبل نضجه في اللبن الحليب ويجعلونه في صحفة ويجعلون اللبن المريب في صحفة ويجعلون عليه الليمون المصبر وغنا قد الفلفل المصبر والمخل والمملوح والزنجبيل الأخضر والنبات وهي مثل

التفاح ولكن لها نواة وهي اذا اضجت شديدة الحلاوة وتؤكل كالفاكهة وقبل نضجها حامضة كانوا يصبرونها في الخل وهم اذا اكلوا القمه من الأرز اكلوا بعد هذا من هذه المواالح والمخالات والواحد من أهل مقدشوا يأكل قدر مائتا كلة الجماعة مناعادتهم وهم في نهاية من ضخامة الجسوم وسمها ثم لما طعمنا انصرف عنا القاضي وأقننا ثلاثة أيام يؤني الينا بالظمام ثلاث مرات في اليوم وتلك عادتهم فلما كان في اليوم الرابع وهو يوم الجمعة جاءني القاضي والنظابة وأحد وزراء الشيخ وأتوني بكسوة وكسوتهم فوطه خزيشدها الانسان في وسطه عوض السر او يملقاهم لا يعرفونها ودراعة من المقطع المصري معلمة وفرجية من التديسي مبطنة وعمامة مصرية معلمة وأتولاب حجابي بكسي تناسبهم وأتينا الجامع فصاينا خلف المقصورة فلما خرج الشيخ من باب المقصورة سلمت عليه مع القاضي قرحوب وتكلم باسمهم مع القاضي ثم قال اللسان العربي قدمت خيرة مقدم وشرفت بلادنا وأنستنا وخرج الى صحن المسجد فوقف على قبر والده وهو مدفون هناك فقرا أودعا ثم جاء الوزراء والأمرأ ووجوه الأجناد فسلموا وعادتهم في السلام كعادة أهل اليمن يضع سبابته في الأرض ثم يجعلها على رأسه ويقول أدام الله عزك ثم خرج الشيخ من باب المسجد فلبس نعليه وأمر القاضي أن يتمل وأمرني أن أنتمل وتوجه الى منزله ماشياً وهو بالقرب من المسجد ومشى الناس كلهم حفاة ورفعت فوق رأسه أربع قباب من الحرير الملون وعلى أعلى كل قبة صرة طائر من ذهب وكان لباسه في ذلك اليوم فرجية قدسي أخضر وتحتها من ثياب مصر رطروحاتها الحسان وهو متقلد بفوطه حرير وهو معتم بعمامة كبيرة وضربت بين يديه الطبول والابواق والانثار وأمرأ الأجناد اماماً وخافه والقاضي وانفقها وانشرقاهم ودخل الى مشوره على تلك الهيئة وقعد الوزراء والأمرأ ووجوه الأجناد في سقيفة هنالك وفرش للقاضي بساط لا يجلس معه غيره عليه والفقهاء والشرفاء معه ولم يزلوا كذلك الى صلاة العصر فلما صلو العصر مع الشيخ أتى جميع الأجناد ووقفوا صفوفا على قدر مراتهم ثم ضربت الاطبال والانفار والابواق والصراياات وعند ضربها لا يتحرك أحد ولا يتزحزح عن مقامه ومن كان ماشياً وقف فلم يتحرك الى خلف ولا

الى امام فاذا فرغ من ضرب الطبايع خانه سلموا بأصابعهم كاذكرناه وانصرفوا وتلك عادة لهم في كل يوم جمعة واذا كان يوم السبت يأتي الناس الى باب الشيخ فيقعدون في سقائب خارج الدار ويدخل القاضي والفقهاء والشرفاء والصالحون والمشايخ والحجاج الى المنشور الثاني فيقعدون على دكاكين خشب معدة لذلك ويكون القاضي على دكانة وحده وكل صنف على دكانة تخصهم لا يشاركون فيها سواهم ثم يجلس الشيخ بمجلسه ويبيت الى القاضي فيجلس عن يساره ثم يدخل الفقهاء فيقعد كبراؤهم بين يديه وسائرهم يسارون وينصرفون ثم يدخل الشرفاء فيقعد كبراؤهم بين يديهم ويسلم سائرهم وينصرفون ثم يدخل الوزراء ثم الأمراء ثم وجوداً لجناد طائفة بمسطاطة أخرى فيسلمون وينصرفون ويؤتي بالطعام ثياباً كل بين يدي الشيخ القاضي والشرفاء ومن كان قاعداً بالمجلس ويأكل كل الشيخ معهم وان أراد تشريف أحد من كبار أمرائه يمشي اليه فأكل معهم ويأكل سائر الناس بدار الطعام وأكلهم على ترتيب مثل ترتيبهم في الدخول على الشيخ ثم يدخل الشيخ الى داره ويقعد القاضي والوزراء وكاتب السر وأربعة من كبار الأمراء لفصل بين الناس وأهل الشكايات فما كان متعلقاً بالاحكام الشرعية يحكم فيه القاضي وما كان من سوي ذلك حكم فيه أهل الشورى وهم الوزراء والأمراء وما كان مقتراً الى مشاورة السلطان كتبوا اليه فيه فيخرج لهم الجواب من حينه على ظهر البطاقة بما يقتضيه نظاره وتلك عادتهم دائماً ثم ركب البحر من مدينة مقدشو متوجهاً الى بلاد السواحل قاصداً مدينة كلوا من بلاد الزنوج فوصلنا الى جزيرة منبسى (وضيف اسمها ميم مفتوح ونون مسكن وباء موحدة مفتوحة وسين مهمل مفتوح وياء) وهي جزيرة كبيرة بينها وبين أرض السواحل مسيرة يومين في البحر ولا بر لها وأشجارها الموز والليمون والاترج ولهم فاكهة يسمونها الجمون وهي شبه الزيتون ولها نوى كنواها إلا أنها شديدة الحلاوة ولا زرع عند أهل هذه الجزيرة وإنما يجلب اليهم من السواحل وأكثر طعامهم الموز والسك وهم شافعية المذهب أهل دين وعفاف وصلات

ومساجدهم من الخشب محكمة الاتقان وعلى كل باب من أبواب المساجد البئر واشتاتان وعمق آبارهم ذراع أو ذراعان فيستقون منها الماء بقدر خشب قد غر فيه عود رقيق في طول الذراع والارض حول البئر والمسجد مسطحة فن أراد دخول المسجد غسل رجليه ودخل ويكون على بابه قطعة صير غايط يمسح بها رجليه ومن أراد الوضوء أمسك القدح بين فخذه وصب على يديه يتوضأ وجميع الناس بمشون حفاة لا قدام وبتنا بهذه الجزير قليلة وركبنا البحر إلى مدينة كلوا (وضبط اسمها بضم الكاف واسكان اللام وفتح الواو) وهي مدينة عظيمة ساحلية أكثر أهلها الزوج المستحكم والسواد ولهم شرطات في وجودهم كهي في رجوه الليميين من جنادة وذكرني بعض التجار أن مدينة سفالة على مسيرة نصف شهر من مدينة كلوا وان بين سفالة ويوفي من بلاد الليميين مسيرة شهر و من يوفي يوثي بالتبر إلى سفالة ومدينة كلوا من أحسن المدن وأتمتعها عمارة وكلها بالخشب وستف بيوتها الديس والامظار بها كثيرة وهم أهل جهاد لانهم في بر واحد متصل مع كفار الزوج والغالب عليهم الدين والصلاح وهم شافعية المذهب

ذكر سلطان كلوا

وكان سلطانها في عهد دخولي إليها أبو المنقر حسن ويكنى أيضاً أبو المواب الكثرة مواهبه ومكارمه وكان كثير الغزو إلى أرض الزوج يغير عليهم ويأخذ الغنائم فيخرج ختمها ويصرفه في مصارفه المعينة في كتاب الله تعالى ويجعل نصيب ذوى القربى في خزانة على حدة فاذا جاءه الشرفاء دفع اليهم وكان الشرفاء يتصدقونه من "عراق" والحيجاز وسواها ورأيت عنده من شرفاء الحيجاز جماعة منهم محمد بن جاز ونصير بن ياقين أبي نعي ومحمد بن شملة بن أبي نعي ونقيت بمقدشواتيل بن كيش بن جاز وهو يريد القدوم عليه وهذا السلطان له تواضع شديد ويجلس مع الفقراء ويأكل معهم ويعظم أهل الدين والشرف

حكاية من مكارمه

حضرته يوم جمعة وقد خرج من الصلاة قاصداً إلى داره فعرض له أحد الفقراء اليميين

فقال له يا أبا المواهب فقال لييك يا فقير ما حاجتك قال اعطني هذه الثياب التي عليك فقال له نعم أعطيكها قال الساعة قال نعم الساعة فرجع الى المسجد ودخل بيت الخطيب فلبس ثيابا سواها وخاع تلك الثياب وقال للفقير ادخل نخذها فدخل الفقير وأخذها وربطها في منديل وجعلها فوق رأسه وانصرف فمعظم شكر الناس للسلطان على ما ظهر من تواضعه وكرمه وأخذ ابنه ولي عهده تلك الكسوة من الفقير وعوضه عنها بعشرة من العبيد وبلغ السلطان ما كان من شكر الناس له على ذلك فامر للفقير أيضا بعشرة رؤس من الرقيق وحمذين من العاج ومعظم عطاياهم العاج وقلما يعطون الذهب ولما توفى هذا السلطان الفاضل الكريم رحمة الله عليه ولى أخوه داود فكان على الضد من ذلك إذا أتاه سائل بقول له مات الذي كان يعطى ولم يترك من بعده ما يعطى ويقيم الوفود عند الشهور الكثيرة وحينئذ يطعمهم التليل حتى انقطع الوافدون عن بابها وركبوا البحر من كلوا الى مدينته ظفار الخوض (وضبط اسمها بفتح الظاء المعجم والفاء وآخره راء مبنية على الكسر) وهي آخر بلاد اليمن على ساحل البحر الهندي ومنها تحمل الخيل العتاق الى الهند ويقطع البحر فيما بينها وبين بلاد الهند مع ساعة الريح في شهر كامل وقد قطعت مرة من قالقوط من بلاد الهند الى ظفار في ثمانية وعشرين يوما بالريح الطيبة لم ينقطع لنا جري بالليل ولا بالنهار وبين ظفار وعدن في البر مسيرة شهر في صحراء وبينها وبين حضرموت ستة عشر يوما وبينها وبين عمان عشرون يوما ومدينة ظفار في صحراء منقطعة لا قرية بها ولا عمالة لها والسوق خارج المدينة برى يعرف بالحرجاء وهي من أقدر الاسواق وأشدها تنافا وأكثرها ذبايا أكثر ما يباع بها من الثمرات والسمك وأكثر سمكها النوع المعروف بالسردين وهو بها في النهاية من السمك ومن العجائب ان دوابهم انما علفها من هذا السردين وكذلك غنمهم ولم أر ذلك في سواها وأكثر باعها الخدم وهم يلبسون السواد وزرع أهلها الذرة وهم يسقونها من آبار بعيدة الماء وكيفية سقيهم انهم يصنعون دلوأ كبيرة ويحملون لها حبالا كثيرة ويحزم بكل حبل عبدا أو خادما ويجرون الدلو على عود كبير مرتفع عن البئر ويصبونها في صهر يج يسقون منه ولهم قح بسمونه العلس وهو في الحقيقة نوع من السلحفاة

والأرض يجلب اليهم من بلاد الهند وهو أكثر طعامهم ودراهم هذه المدينة من التحاسن
والقصد يروى لا تنفق في سواها وهم أهل تجارة لا عيش لهم إلا منها ومن عاداتهم أنه إذا وصل
مركب من بلاد الهند أو غيرها خرج عبيد السلطان إلى الساحل وصعدوا في صندوق إلى
المركب ومعهم الكسوة الكاملة لصاحب المركب أو وكيله ولاربان وهو الرئيس ولاكراني
وهو كاتب المركب ويؤتي اليهم بثلاثة أفراس فيركبونها وتضرب أمامهم الأبطال
والأبواق من ساحل البحر إلى دار السلطان فيسلمون على الوزير وأمر جنس دار وتبعث
الضيافة لكل من المركب ثلاثاً وبعد الثلاث يأكلون بدار السلطان وهم يفعلون ذلك
استجلاباً لأصحاب المراكب وهم أهل تواضع وحسن أخلاق وفضيلة ومحبة للغرباء
ولباسهم القطن وهو يجلب اليهم من بلاد الهند ويشدون القوط في أوساطهم عوض
السروال وأكثرهم يشد فوطاً في وسطه ويجعل فوق ظهره أخرى من شدة الحر
ويغتسلون مرات في اليوم وهي كثيرة المساجد ولهم في كل مسجد مطهر كثيرة معدة
للاغتسال ويصنع بهائيات من الحرير والقطن والكتان حسان جداً والغالب على أهلها
رجال ونساء المراض المعروف بداء الفيل وهو انتفاخ القدمين وأكثر جاهلهم مبتلون
بالأدر والعياذ بالله ومن عوائدهم الحسنة التصافح في المسجد أثر صلاة الصبح والمصر
يستند أهل الصف الأول إلى القبلة ويصافحهم الذين يلونهم وكذلك يفعلون بعد صلاة
الجمعة يتصافحون أجمعون ومن خواص هذه المدينة ومعجائبها أنه لا يقصد لها أحد بسوء
إلا عاد عليه مكره وحيل بينه وبينها وذكرك لي أن السلطان قطب الدين تمهتن بن طوران شاه
صاحب هرمز نازلها مرة في البر والبحر فأرسل الله سبحانه عليه ريحاً عاصفاً كسرت
مراكبه ورجع عن حصارها وصالح ملكها وكذلك ذكر لي أن الملك المجاهد سلطان
اليمين عيسى بن عم له بعسكر كبير برسم انتزاعها من يد ملكها وهو أيضاً ابن عمه فلما خرج
ذلك الأمير عن داره سقط عليه حائط وعلى جماعة من أصحابه فهلكوا جميعاً ورجع
الملك عن رأيه وترك حصارها وطلبها ومن الغرائب أن أهل هذه المدينة أشبه الناس
بأهل المغرب في شؤونهم نزلت بدار الخطيب بمسجدها الأعظم وهو عيسى بن علي كثر

القدر كريم النفس فكان له جوار مسميات بأسماء خدم المغرب احدها من اسمها بخيته
والاخرى زاد المال ولم اسمع هذه الاسماء في بلد سواها وأكثراهاها رؤسهم مكشوفة
لا يجعلون عليها العمامة وفي كل دار من دورهم سجادة الخوص معانة في البيت يصلي عليها
صاحب البيت كما يفعل أهل المغرب وأكلهم الذرة وهذا التشابه كما عاينته في القول بان
صنهاجة وسواهم من قبائل المغرب أصابهم من حمير وقرب من هذه المدينة بن بساينها
زاوية الشيخ الصالح العابد أبي محمد بن أبي بكر بن عيسى من أهل ظفار وهذه الزاوية
معظمة عندهم بأتون اليهم غدوا وعشيا ويستجيرون بها فاذا دخلها المستجير لم يقدر
السلطان عليه رأيت بها شخصاً ذكر لي ان له بهامة سنين مستجير لم يتعرض له السلطان
وفي الايام التي كنت بها استجار بها كاتب السلطان وأقام فيها حجة وقع بينهما الصلح أتيت هذه
الزاوية فبت بها في ضيافة الشيخين أبي العباس أحمد وأبي عبد الله محمد ابني الشيخ أبي بكر
المذكور وشاهدت لهما فاضلا عظيما ولما غسانا أيدينا من الضمام أخذوا أبو العباس منهما
ذلك الماء الذي غسلناه به فشرب منه وبعث الخادم بياقيه الى أهلها وأولاده فشرى به وذلك
يفعلون بمن يتوسعون فيه الخير من الواردين عليهم وكذلك أضافني قاضيها الصالح أبو
هاشم عبد الملك الزبيدي وكان يتولى خدمتي وغسل يدي بنفسه ولا يكل ذلك الى غيره
وبتقربة من هذه الزاوية تربة سالف السلطان الملك المغيث وهي معظمة عندهم ويستجير
بها من طاب حاجة تنقضي له ومن عادة الجسد انه اذا تم الشهر ولم يأخذوا أرزاقهم
استجاروا به هذه التربة وأقاموا في جوارها الى أن يعطوا أرزاقهم وعلى مسيرة نصف يوم
من هذه المدينة الاحقاف هي منازل عاترة هناك زاوية ومجد على ساحل البحر
وحوله قرية لصيادي السمك وفي الزاوية قبر مكتوب عليه هذا قبر هو دين عابره عليه أفضل
الصلاة والسلام وقد ذكرت ان بمسجد دمشق موضعاً عليه مكتوب هذا قبر هو دين عابر
والاشبه أن يكون قبره بالاحقاف لانها بلاد دوا الله أعلم ولهذا المدينة بساين فيها موز
كثير كبير الجرم وزن بمحضرى حبة منه فكان وزنها اثنتي عشرة أوقية وهو طيب المطعم
شديد الحلاوة وبها أيضاً التبول والنارجيل المعروف بجوز الهند ولا يكونان الا

ببلاد الهند بمدينة ظفار هذه نشبهها بالهند وقربها منها اللهم إلا أن في مدينة زبيد في بستان
السلطان شجيرات من النار حيل واذ قد وقع ذكر التنبول والنار حيل فلنذكرها ولتذكر
خصائصهما

﴿ ذكر التنبول ﴾

والتنبول شجر يغرس كما تغرس دوالي العنب ويصنع له معرشات من القصب كما يصنع لدوالي
العنب أو يغرس في مجاورة شجر النار حيل فيصنع فيها كك ما تصعد الدوالي وكما يصعد
الفاصل ولا تمر للتنبول وإنما المقصود منه ورقه وهو يشبه ورق العليق وأطيبه الأصفر
وتجتنى أوراقه في كل يوم وأهل الهند يعظمون التنبول تعظيماً شديداً وإذا أتى الرجل دار
صاحبه فأعطاه خمس ورقات منه فكأنما أعطاه الدنيا وما فيها لاسيما إن كان أميراً أو كبيراً
واعطاؤه عندهم أعظم شأن وأدل على الكرامة من إعطاء الفضة والذهب وكيفية استعماله
أن يؤخذ قبله الفوفل وهو شبه جوز العليق في كسر حتى يصير أطرافاً صغاراً ويجعله
الإنسان في فمه ويمسكه ثم يأخذ ورق التنبول فيجعل عليها شيئاً من نورة ويمضغها مع
الفوفل وخاصيته أنه يطيب النكهة ويذهب بروائح النغم ويهضم الطعام ويقطع ضرر شرب
الماء على الريق ويفرح آكله ويمين على الجماع ويجعله الإنسان عند رأسه لئلا فاذا استيقظ
من نومه أو أيقظته زوجته أو جاريته أخذ منه فيأكله عافى فمه من رائحة كريهة ولقد
ذكر لي أن جوارى السلطان والأمراء ببلاد الهند لا يأكلن غيره وسند كره عند ذكر
بلاد الهند

﴿ ذكر النار حيل ﴾

وهو جوز الهند وهذا الشجر من أغرب الأشجار شأنها وأعجبها أمر أو شجره شبه شجر
النخل لا فرق بينهما إلا أن هذه ثمر جوز أو تلك ثمر تمر أو جوزها يشبه رأس ابن آدم
لأن فيها شبه العينين والفم وداخلها شبه الدماغ إذا كانت خضراء وعليها ليف شبه الشعر
وهم يصنعون منه حباً لا يخيطون بها المراكب عوضاً من مسامير الحديد ويصنعون منه
الحبال للمراكب والجوزة منها وخصاً التي يحجز أثر ذبابة المهل تكون بمقدار رأس
الآدمي ويزعمون أن حكيمان من حكماء الهند في غابر الزمان كان متصلاً بملك من الملوك

ومعظمها لديه وكان للملك وزير بينه وبين هذا الحكيم معاداة فقال الحكيم للملك ان رأس هذا الوزير اذا قطع ودفن تخرج منه نخلة تمر بثمر عظيم يعود نفعه على أهل الهند وسواهم من أهل الدنيا فقال له الملك فان لم يظهر من رأس الوزير ما ذكرته قال ان لم يظهر فاصنع برأسى كما صنعت برأسه فأمر الملك برأس الوزير فقطع وأخذ الحكيم وغرس نواة تمر في سماه وعالجها حتى صارت شجرة واثمرت بهذا الجوز وهذه الحكاية من الأكاذيب ولكن ذكرناها لشهرتها عندهم ومن خواص هذا الجوز تقوية البدن واسراع السمن والزيادة في حمرة الوجه واما الاغاثة على الباء ففعله فيها عجيب ومن عجائبه انه يكون في ابتداء أمره حضر فن قطع بالسكين قطعة من قشره وفتح رأس الجوزة شرب منها ماء في النهاية من الحلاوة والبرودة ومزاجه حار معين على الباء فاذا شرب ذلك الماء أخذ قطعة النخلة وجعلها شبه الملعقة وجرد بها ما في داخل الجوزة من الطعم فيكون طعمه كطعم البيضه اذا شويت ولم يتم نضجها كل التمام وينغذى به ومنه كان غذائي أيام اقامتي بجزائر ذبية لأهل مدة من عام ونصف عام ومن عجائبه انه يصنع منه الزيت والحليب والعسل فأما كيفية صناعة العسل منه فان خدام النخل منه ويسمون الفازانية يصعدون الى النخلة غدوا وعشيا اذا أرادوا أخذ ماؤها الذي يصنعون منه العسل وهم يسمونه الاطواق فيقطعون العذق الذي يخرج منه الثمر ويتركون منه مقدار اصبعين ويربطون عليه قدرا صغيرة فيقطر فيها الماء الذي يسيل من العذق فاذا ربطها غدت وصعد اليها عشا ومعه قدحان من قشر الجوز المذكور أحدهما مملوء ماء فيصب ما اجتمع من ماء العذق في أحدهما القدحين ويعسله بالماء الذي في القدح الآخر ويجري من العذق قليلا ويربدا عليه القدر ثانية ثم يفعل غدوة كفعله عشا فاذا اجتمع له الكثير من ذلك الماء طبخه كما يطبخ ماء العنب اذا صنع منه الرب فيصير عسلا عظيم النفع طيبا فيشتره تجار الهند واليمن والصين ويحملونه الى بلادهم ويصنعون منه الحلواء وأما كيفية صنع الحليب منه فان بكل دار شبه الكرمى تجلس فوق المرأة ويكون بيدها عصي في أحد طرفيها حديدة مشرفة فيفتحنون في الجوزة مقدار بما تدخل تلك الحديدة ويجرشون ما في باطن الجوزة وكل ما ينزل منها يجتمع في صحيفة حتى

لا يبقى في داخل الجوزة شيء ثم يمرس ذلك الجريش بالماء فيصير كالون الحليب بياضاً ويكون طعمه كطعم الحليب ويأتهم به الناس وأما كيفية صنع الزيت فانهم يأخذون الحوز بعد نضجه وسقوطه عن شجره فيزيلون قشره وريقة طعمونه قطعاً ويجعل في الشمس فإذا ذبل طبخوه في النذور واستخرجوا زيته وبه يستعمل بحون ويأتممون به ويجعله الساء في شعورهن وهو عظيم النفع

✽ ذكر سلطان ظفار ✽

وهو السلطان الملك المغيث بن الملك الفاتر ابن عم ملك اليمن وكان أبوه أمير أعلى ظفار من قبل صاحب اليمن وله عليه هدية يعمنها له في كل سنة ثم استبد الملك المغيث بمملكتهما وامتنع من ارسال الهدية وكان من عزم ملك اليمن على محاربه وتعيين ابن عمه لذلك ووقع الحائط عليه ما ذكرناه آنفاً والسلطان قصر بداخل المدينة يسمى الحصن عظيم فسيح والجامع بازائه ومن عادته ان تضرب الطبول والبوقات والأنفار والصرنايات على بابه كل يوم بعد صلاة الصلوة وفي كل يوم اثنين وخميس تأتي العساكر الى بابه فيقفون خارج المشور ساعة وينصرفون والسلطان لا يخرج ولا يراد أحد الا في يوم الجمعة فيخرج ناصلة ثم يعود الى داره ولا يمتنع أحد من دخول المشور وأمير جنود ارقاءد على بابه واليه ينتهي كل صاحب حاجة أو شكاية وهو يطالع السلطان ويأتيه الجواب للحين وإذا أراد السلطان الركوب خرجت مراكبه من القصر وسلاحه ومماليكه الى خارج المدينة وأتى بحمل عايه محمل مستور بستر أبيض منقوش بالذهب فيركب السلطان ونديمه في المحمل بحيث لا يرى وإذا خرج الى بستانه وأحب ركوب الفرس ركبته ونزل عن الجمل وعادته أن لا يعارضه أحد في طريقه ولا يقف لرؤيته ولا لشكايته ولا غيرها ومن تعرض لذلك ضرب أشد الضرب فتجد الناس اذا سمعوا بخروج السلطان فروا عن الطريق وتحاموها ووزير هذا السلطان الفقيه محمد العدني وكان معلم صيدان فعلم هذا السلطان القراءة والكتابة وعاهده على أن يستوزره ان ملك فلما ملك استوزره فلم يكن يحسنها فكان الاسم له والحكم لغيره ومن هذه المدينة ركبنا البحر نريد عمان في مركب صغير لرجل يعرف بعلي بن ادريس

المصري من أهل جزيرة مصيرة وفي الثاني لركوبنا زائراً برسي حاسك وبه ناس من العرب
صيادون للسماك ساكنون هنالك وعندهم شجر الكندرو وهو رقيق الورق وإذا شرطت
الورقة منه قطر منها ماء شبه اللبن ثم عاده صمغاً ذلك الصمغ هو البان، هو كثير جداً هنالك
ولام يشة لأهل ذلك المرسى الأمن صيد السمك وسماكهم امرت بالاصحاح (بجاء، حجم
معتوج) وهو شبيه كلب البحر يشرح ويقعد ويقات به ويوتهم من عظام السمك
وسمكنا من جلود الجبل وسرنا من مرسى حاسك أربعة أيام ووصلنا إلى جبل لمعان
(بنا، الام) وهو في وسط البحر وبأعلامه رابطة مبنية بأحجاره وسقفها من عظام
السمك وبخارجها غدير ماء يجتمع من المطر

﴿ ذكر ولى لفينه بهذا الجبل ﴾

وبأرسلنا تحت هذا الجبل صعدنا إلى هذه الرابطة فوجدنا بها شيخاً ثامناً فسامعنا عليه
فاستيقظ وأشار برسالته فكلما نادى فكلما نادى وكان يحرك رأسه فأتاه أهل المركب بطعام
فأفني أن يتقبله فطابنا منه الداء فكان يحرك شفتيه ولا نعلم ما يتنون وعاليه مرقعة وقلنسوة لبد
وايسر، مكرورة ولا ابريق ولا عكاز ولا مل وقال أهل المركب لهم من أوتقط بهذا الجبل
وأقناتنا الليلة بساحل هذا الجبل وولينا معه العسر والمقر رب وجئتاه بطعام فردده وأقام
نصلي إلى العشاء الآخرة ثم أذن وصايناها معه وكان ينس الصوت بالقراءة مجيداً لها
وبدع من صلاة العشاء الآخرة أو ما ألبنا بالانصراف نودعنا وانصرفنا ونحن نعجب
منه ثم أتاني أردت أن رجوع إليهما انصرفنا فامادنوت منه هبته وغلب على الخوف
ورجعت إلى أصحابي فانصرفت معهم وركبنا البحر ووصلنا بسديومين إلى جزيرة الطير
وايست بها عمارة فأرسلنا وصعدنا إليها فوجدناها آفة بطيور تشبه الشقائق إلا أنها
أعظم منها وجاءت الناس بيض تلك الطيور فطبخوها وأكلوها واصطادوا جملة من تلك
الطيور فطبخوها دون ذكاة وأكلوها وكان يجالسني تاجر من أهل جزيرة مصيرة ساكن
بظفار اسمه مسلم فرأيت ياكل معهم تلك الطيور فذكرت ذلك عليه فاشتد خجله وقال لي
ظننت أنهم ذبحوها وانقطع عني بعد ذلك من الخجل فكان لا يقر بى حتى أدعوه به وكان

طعامي في تلك الايام بذلك المركب التمر والسّمك وكانوا يصطادون بالغدو والعشي
سمكا يسمي بالفارسية شير ماهي ومعناه أسد السمك لان شير هو الاسد وماهي السمك وهو
يشبه الحوت المسمي عندنا بتازيت وهم يقطعونه قطما ويشوونه ويعطون كل من في
المركب قطعة لا يفضلون أحداً على أحد ولا صاحب المركب ولا سواه ويأكلونه بالتمر
وكان عندي خبز وكعك استصحبتهما من ظفار فلما نفدا كنت أقتات من تلك السمك
في جملتهم وعيدنا عيد الاضحى على ظهر البحر وهبت علينا في يومه ريح عاصف بعد طلوع
الفجر ودامت الى طلوع الشمس وكادت تغرقنا

﴿كرامة﴾

وكان معاني المركب حاج من أهل الهند يسمي بخضر ويدعي بمولانا لانه يحفظ القرآن
ويحسن الكتابة فإما رأي هول البحار رأسه بعباءة كانت له وتناوم فلما فرج الله ما نزل
بنسقات له يامولانا خضر كيف رأيت قال قد كنت عند الهول أفتح عيني أنظر هل اري
الملائكة الذين يتبعضون الارواح جاؤا فلا أراهم فأقول الحمد لله لو كان الفرق لأتوا القبض
الارواح ثم أساق عيني ثم أفتحها فانظر كذلك الى أن فرج الله عنا وكان قد تقدم المركب
لبعض التجار فغرق وذهبح منه الارجل واحد ثم خرج عوما بعد جهد شديد وأكلت في
ذلك المركب نوعا من الخمام لم آكله قبله ولا بعده صنع به بعض تجار عمان وهو من الذرة
طبخها من غير طحين وصب عليها السيلان وهو عسل التمر وأكلناه ثم وصلنا الى جزيرة
مصيرة التي منها صاحب المركب الذي كنا فيه وهي على لفظ مصير وزيادة تاء التانيث
جزيرة كبيرة لا عيش لاهلها الا من السمك ولم نزل اليها بعد مرساها عن الساحل
وكنت قد ذكرتهم لمسا رأيتهم يأكلون الطير من غير ذكاة وأقنابها يوما وتوجه صاحب
المركب فيه الي داره وعاد اليها ثم سرنا يوما وليلة فوصلنا الى مرسى قرية كبيرة على ساحل
البحر تعرف بصور ورأينا منها مدينة قائمة في سفح جبل نخيل لناها قرية وكان وصولنا
الي المرسى وقت الزوال أو قبله فلما ظهرت لنا المدينة أحييت المشى اليها والمبيت بها وكنت
قد كرهت صحبة أهل المركب فسألت عن طريقها فأخبرت أني أصل اليها عند العصر

فأكرت أحد البحرين ليداني على طريقهما وصحبتني خضر الهندي الذي تقدم ذكره
وتركت أصحابي مع ما كان لي بالمركب ليدحقوا بي في غد ذلك اليوم وأخذت أثوابا كانت لي
قد فتمت ذلك الدليل ليكيفيني مؤنة حملها وحملت في يدي رحا فاذا ذلك الدليل يحب أن
يستولي على أثوابي فأني بنا إلى خليج يخرج من البحر فيه المد والجزر فأراد عبوره بالثياب
فقات له أنما تعب ووجدك وتترك الثياب عندنا فان قدرنا على الجواز جزنا والاصعدنا
فطلب المجاز فرجع ثم رأى نار جالا جازوه عوما فتحققنا أنه كان قصده ان يغرقنا ويذهب
بالثياب فحينئذ أظهرت النشاط وأخذت بالحزم وشدت وسطي وكنت أهز الرمح فهاجني
ذلك الدليل وصعدنا حتى وجدنا مجازا ثم خر جنالي صحراء لا ماء بها وعطشنا واشتد بنا
الامر فبعث الله لنا فارسا في جماعة من أصحابه وبيد أحدهم ركوة ماء فسفاني وسقى
صاحبي وذهبنا نحسب المدينة قريبة منا ويتناوينا فيها ختادق نمشي فيها الأميال الكثيرة فلما
كان العشي أراد الدليل أن يميل بنا إلى ناحية البحر وهو لا طريق له لأن ساحله حجارة
فأراد أن تنشب فيها ويذهب بالثياب فقات له أنما نمشي على هذه الطريق التي نحن عليها
وبينها وبين البحر نحو ميل فلما أظلم الليل قال لنا ان المدينة قريبة منا فتعالوا نمشي حتى نبيت
بجوار جهال إلى الصباح نخفت ان يتعرض لنا أحد في طريقنا ولم أحقق مقدار ما بقي اليها فقلت
له انما الحق أن تخرج عن الطريق فتنام فاذا أصبحنا أتينا المدينة ان شاء الله وكنت قد
رأيت جملة من الرجال في سفح جبل هنالك نخفت أن يكونوا الصوصاوقات التستتر أولى
وغاب العطش على صاحبي فلم يوافق على ذلك فحرجت عن الطريق وقصدت شجرة من
شجر أم غيلان وقد أعيت وأدركني الجهد لكي أظفر بقوة وتبليد أخرف الدليل وأما
صاحبي فريض لا قوة له فجعلت الدليل بيني وبين صاحبي وجعلت الثياب بيني وبين جسدي
وأمسكت الرمح بيدي ورقد صاحبي ورقد الدليل وبقيت ساهما وكلمما تحرك الدليل كلمته
وأريته اني مستيقظ ولم نزل كذلك حتى أصبح نخرج جنالي الطريق فوجدنا الناس ذاهبين
بالمرافق إلى المدينة فبعث الدليل ليأتينا بماء وأخذ صاحبي الثياب وكان بيننا وبين المدينة
بهما وختادق فأتانا بالماء فشربنا وذلك أو ان الحر ثم وصلنا إلى مدينة قلها (وضبط

اسمها بفتح القاف واسكان اللام وآخره تاء مشناة) فأتيناهما ونحن في جهنم عظيم وكنت قد ضاقت فعلى على رجلي حتى كاد الدم أن يخرج من تحت أظفارها فلما وصلنا باب المدينة كان ختام المشقة ان قال لنا الموكل بالباب لا بد لك أن تذهب معي الى أمير المدينة ايمرف قضيتك ومن أين قدمت فذهبت معه اليه فرأيت فاضلا حسن الاخلاق وسألني عن حالي وأنزاني وأقامت عنده ستة أيام لا قدرة لي فيها على النهوض على قدمي لما لحقها من الآلام ومدينة قاهات على الساحل وهي حسنة الاسواق ولها مسجد من أحسن المساجد يحيط به بالقاشاني وهو شبه الزليج وهو مرتفع ينظر منه الى البحر والمرسى وهو من عمارة الصالحين يبي مريم ومعنى يبي عندهم الحرة وأكلت بهذه المدينة سمكاً كل مثله في إفايم من الاقاليم وكنت أفضله على جميع اللحوم فلا آكل سواهم يشوونه على ورق الشجر ويجعلونه على الارزوايا كلونه والارز يجاب اليهم من أرض الهند وهم أهل تجارة ومعيشة مما يأتي اليهم في البحر الهندي واذا وصل اليهم مركب فرحوا به أشد الفرح وكلامهم ليس بالفصيح مع أنهم عرب وكل كلمة يتكلمون بها يصلونها بلا فيقولون مثلاً تأكل لا تمشي لا تفعل كذا لا وأكثرتهم خوارج لكنهم لا يقدرّون على اظهار مذهبهم لانهم تحت طاعة الساطان قطب الدين تهمتن مالك هرمز وهو من أهل السنة وبقرية من قاهات قرية طيبي واسمها على نحو اسم الطيب اذا أضافه المتكلم لنفسه وهي من أجل القرى وأبدعها حسناً ذات أنهار جارية وأشجار ناضرة وبساتين كثيرة ومنها تجذب القوافل الى قلهات وبها الموز المعروف بالمروراري والمروراري بالفارسية هو الجوهرى (المرور الجوهري) وهو كثير بها ويجلب منها الى هرمز وسواها وبها أيضاً التنبول لكن ورقته صغيرة والتمر يجلب الى هذه الجهات من عمان ثم قصدنا بلاد عمان فسرنا ستة أيام في صحراء ثم وصلنا بلاد عمان في اليوم السابع وهي خصبة ذات أنهار وأشجار وبساتين وحدائق نخيل وفاكهة كثيرة مختلفة الاجناس ووصلنا الى قاعدة هذه البلاد وهي مدينة نزوا (وضبط اسمها بنون مفتوح وزاي مسكن وواو مفتوح) مدينة في سفح جبل تحف بها البساتين والأنهار ولها أسواق حسنة ومساجد معظمه نقيه وعادة أهلها أنهم يأكلون في صحون المساجد يأتي كل إنسان

بما عنده ويحتمون الاكل في صحن المسجد وياً كل معهم الوارد والصادر ولهم نجدة
وشجاعة والحرب قائمة فيما بينهم أبداً وهم أباضية المذهب ويصلون الجمعة ظهراً اربعاً فاذا
فرغوا منها قرأ الامام آيات من القرآن ونثر كلاماً شبه الخطبة يرضي فيه عن أبي بكر وعمر
ويسكت عن عثمان وعلي وهم اذا أرادوا ذكر علي رضي الله عنه كنوا عنه بالرجل فقالوا
ذكر عن الرجل أو قال الرجل ويرضون عن الشقي اللعين ابن ماجم ويقولون فيه العبد
الصالح قانع نفقة ونساؤهم يكثرون الفساد ولا غيرة عندهم ولا انكار لذلك وسندكر
حكاية اثر هذا مما يشهد بذلك

ذكر سلطان عمان

وساطانها عربي من قبيلة الازدين تنوثر ويعرف بأبي محمد بن نيهان وأبو محمد عندهم سمة
كل سلطان يلى عمان كما هي أتابك عنده وك اللور وعادة ان يجاس خارج باب داره في
عمان هناك ولا حجرة له ولا وزير ولا يمنع أحداً من الدخول اليه من ضرب أو غيره
كذلك المضيف على ما تالعب ويعين له من يافقه ويعطيه على قدره وله اخلاق حسنة
و في كل على مائته خمسمائة الف دينار وبيع السوق لانهم قائلون تجليدهم يخنقون
ذلك عن الوارد عليهم ولا يظهر منه بحضرة ومن مدين عمان مدينة زكي لم ادخاها وهي
على ما ذكر لي مدينة عظيمة ومنها القريات وشبوا وكابا وخور فكان وصحار وكاهات
أما ربه حدائق وأشجار نخل وأكثرت هذه البلاد في عمالة هرمز

حكاية

كنت يوماً عندها السلطان أبي محمد بن نيهان فأتته امرأة صغيرة السن حسنة الصورة
نادية الوجه فوقفت بين يديه وقالت له يا أبا محمد طغي الشيطان في رأسي فقال لها اذهبي
واطردي الشيطان فقالت له لا أستطيع وأنا في جوارك يا أبا محمد فقال لها اذهبي فافعلي
ما سألت فذكر لي لما انصرفت عنه ان هذه ومن فعل مثل فعلها تكون في جوار السلطان
وتذهب للفساد ولا يقدر أبوها ولا ذو قرابتها أن يغيروا عايمها وان قتلوها قتلوا بها لانها في
جوار السلطان ثم سافرت من بلاد عمان الى بلاد هرمز وهرمز مدينة على ساحل البحر

وتسمى أيضا موغستان وتقالباها في البحر هرمز الجديدة ويذهب في البحر ثلاثة فراعس
 ووصلنا إلى هرمز الجديدة وهي جزيرة مدینتها تسمى جرون (بفتح الجیم والراء
 وآخر هانون) وهي مدينة حسنة كبيرة لها أسواق حافلة وهي مربى الهند والهند
 ومنها تحمل سلع الهند إلى العراق وفارس وخراسان وهذه المدينة سكنى الساطران
 والجزيرة التي فيها المدينة مسيرة يوم رأكثرها سباح وجبال مالح وهو الملح الداراني ومنه
 يصنعون الاواني لازينة والنتارات التي يضعون السرج عليها وطعامهم السمك والتمر المجلوب
 اليهم من البصرة وعمسان ويقولون بله انهم خرما ومهي نوت بادشاهي معناه بالعربي النر
 والسمك طعام الملوك والمساء في هذه الجزيرة قلة قيمة وبها عيون ماء وصهاريج مصنوعة
 يجتمع فيها ماء المطر وهي على بعد من المدينة ويأتون إليها بقرب فيملأونهم ويرفعونها على
 ظهورهم إلى البحر يوسقونها في القوارب ويأتون بها إلى المدينة ورأيت من المعجائب عند
 باب الجامع فيما بينه وبين السوق رأس سمكة كنه رايسة وعيشة كأنها بابابان فترى الناس
 يدخلون من أحدها ويخرجون من الأخرى وانقبت بهذه المدينة الشيخ الفاضل السائح آية
 الحسن الاقصاراني وأصله من بلاد الروم فأضافني وزارني واليسني ثوبا وأعطاني كر
 العسجة وهو يحنى به فيعين الجالس فيكون كأنه مستندوا أكثر فقراء المعجم يتقدمونه وعلى
 ستة أميال من هذه المدينة زارني نائب إلى الخضر وإياس عليهم السلام مدكرهم
 يصلان فيه وظهرت له بركات وبراهين وهناك زاوية سكنها أحد المشايخ يخدم بها التوارد
 والصادر وأقنعا عند يوم ما قصدنا من هناك زيارة رجل صالح منقطع في آخر هذه الجزيرة
 قد نخب سارا سكنه ذرية زوية ترحمنا ودارس تربية فيها جارية زله عبيد غار الفخار
 يرعون بقر آل وغنما وكان هذا الرجل من كبار التجار خج البيت وقطع العلائق وانقطع
 هناك لا يبادد ودفع ماله لرجل من اخوانه يتحرك له به وبما عند له ليلة فاحسن القرى وأجل
 رضي الله تعالى عنه وسيمة الخير والعبادة لآلحة عليه

تم ذكر سلطان هرمز

وهو السلطان قطب الدين تمتهن بن طوران شاه (وضبط اسمه بفتح التاءين المعالوتين

وبينهم امير مفتوح وهاء مسكنة وآخرون) وهو من كرماء السلاطين كثير التواضع
حسن الاخلاق وعادته ان يأتي لزيارة كل من يقدم عليه من فقيه أو صالح أو شريف ويقوم
بحقه واما دخلنا جزيرته وجدناه مهيا للحرب مشغولا بهامع ابني اخيه نظام الدين فكان في
كل ليلة يتيسر للقتال والغلاء مستول على الجزيرة فأتى اليها وزيره شمس الدين محمد بن علي
وقاضيه عماد الدين الشونكاري وجماعة من الفضلاء فاعتذروا بما هم عليه من مباشرة
الحرب وأقنعوا عندهم ستة عشر يوما فلما أوردنا الانصراف قات بعض الاصحاب كيف
تصرف ولا تري هذا السلطان فجتادار الوزير وكانت في جوار الزاوية التي نزلت بها
فقات له اني أريد السلام على الملك فقال باسم الله وأخذ يدي فذهب بي الي داره وهي على
ساحل البحر والاجفان مجلسة عندها فاذا شيخ عايقه ضيقة دنسة وعلى رأسه عمامة
وهو شددو الوسط بمنديل فسلم عليه الوزير وسامت عليه ولم أعرف انه الملك وكان الي
جانبه ابن اخته وهو علي شاه بن جلال الدين الكيحي وكانت بيني وبينه معرفة فاشأت
أحادثه وأنا لا أعرف الملك فعرفني الوزير بذلك فحلت منه لاقبالي بالحديث على ابن اخته
دونته واعتذرت اليه ثم قام فدخل داره وتبعه الامراء والوزراء وأرباب الدولة ودخلت
مع الوزير فوجدناه قاعدا على سرير ماسك وثيابه عليه لم يبد لها وفي يده سبيحة جوهر لم تر
العيون مثلها لان غاصات الجوهر تحت حكمه فجلس أحد الامراء الي جانبه وجلست الي
جانب ذلك الامير وسأني عن حالي ومقدمي وعن لقيته من الملوك فاخبرته بذلك وحضر
الطعام فأكل الحاضرون ولم يأكل معهم ثم قام فوادعته واصرفت وسبب الحرب التي
بينه وبين ابني اخيه انه ركب البحر مرة من مدينته الجديدة برسم الزهرة في هرمز القديمة
وبساتينها وبينهما في البحر ثلاثة فراسخ كما قدمناه فمخالف عليه أخوه نظام الدين ودعى
لنفسه وبايعه أهل الجزيرة وبايعته العساكر فخاف قطب الدين على نفسه وركب البحر
الي مدينة قلعات التي تقدم ذكرها وهي من جملة بلاده فأقام بها شهورا وجهاز المراكب
وأتى الجزيرة فقاتله أهلها مع أخيه وهزموه وعا الي قلعات وفعل ذلك مرارا فلم تكن له
حيلة الا أن راسل بعض نساء اخيه فسمته ومات وأتى هو الي الجزيرة فدخلها وفر ابتغا

أخيه بالخزائن والاموال والعساكر الى جزيرة قيس حيث مغاص الجوهر وصاروا يقطعون الطريق على من يقصد الجزيرة من أهل الهند والسند ويغيرون على بلاده البحرية حتى تخرب معظمها ثم سافروا من مدينة جرون برسم لقاع جبل صالح ببلد خنج بال فاما عدونا البحر اكثرينادواب من التركان وهم سكان تلك البلاد ولا يسافرونها الا معهم لشجاعتهم ومعرفتهم بالطرق وفيها صحراء مسيرة أربع يقطع بها الطريق لصوص الاعراب وتهب فيها ريح السموم في شهري تموز وحزيران فمن صادفته فيها قتله ولقد ذكر لي ان الرجل اذا قتله تلك الريح وأراد أصحابه غسله ينفصل كل عضو منه عن سائر الاعضاء وبها قبور كثيرة للذين ماتوا فيها بهذه الريح وكنا ناسافر فيها بالليل فاذا طلعت الشمس نزلنا تحت ظلال الاشجار من أم غيلان ونرحل بعد العصر الى طلوع الشمس وفي هذه الصحرا وما والاها كان يقطع الطريق بها جمال الملك (اللوك) الشهير الاسم هنالك * (حكاية) كان جمال الملك من أهل سجستان أعجمي الأصل (والملك بضم اللام) معناه الاقطع وكانت يده قطعت في بعض حروبه وكانت له جماعة كثيرة من فرسان الاعراب والاعاجم يقطع بهم الطرق وكان يبني الزوايا ويعطى الوارد والصادر من الاموال التي يسلمها من الناس ويقال انه كان يدعو ان لا يسلط الاعلى من لا يزكى ماله وأقام على ذلك مدة أو كان يغير هو وفرسانه ويسلكون براري لا يعرفها سواهم ويدفنون بها قرب الماء ورواياه فاذا تبعهم عسكر السلطان دخلوا الصحراء واستخرجوا المياه ويرجع العسكر عنهم خوفا من الهلاك وأقام على هذه الحالة مدة لا يقدر عليه ملك العراق ولا غيره ثم تابوا وتعبد حتى مات وقبره مزار ببلده وسلكنا هذه الصحراء الى أن وصلنا الى كورستان (وضبط اسمه بفتح الكاف واسكان الواو وراء) وهو بلد صغير فيه الأنهار والبساتين وهو شديد الحر ثم سرنا ثلثة أيام في صحراء مثل التي تقدمت ووصلنا الى مدينة لار (وآخر اسمها واء) مدينة كبيرة كثيرة العيون والمياه المطردة والبساتين ولها أسواق حسان ونزلنا منها زاوية الشيخ العابد أبي دلف محمد وهو الذي قصدنا زيارته بخنج بال وبهذه الزاوية ولد له أبو زيد عبد الرحمن ومعه جماعة من الفقراء ومن عادتهم أنهم يجتمعون بالزاوية بعد صلاة

انصر من كل يوم ثم يطوفون على دور المدينة فيعطاهم من كل دار الرغيف والرغيفان
فيطعمون منها الوارد والصادر وأهل الدور قد أفوا ذلك فهم يجمعونونه في جملة قوتهم
ويعدونهم اعانة على اطعام الطعام وفي كل ليلة جمعة يجتمع بهذه الزاوية فقراء المدينة
وصاحاؤها ويأتي كل منهم بما تيسر له من الدراهم فيجمعونها وينفقونها تلك الليلة
ويبيتون في عبادة من الصلاة والذكر والتلاوة وينصرفون بعد صلاة الصبح

ذكر سلطان لار

وبهذه المدينة سلطان يسمى بجلال الدين تركاني الاصل بمثل اينا بغية ولم يجتمع به ولا
رأياه ثم سافرنا الى مدينة ختج بال (وضبط اسمها بضم الحاء ثم جمع وقد يعوض منه
هاء واسكان النون وضم الجيم وباء معتود ذو ألف ولام) وبها سكن الشيخ أبي دلف
الذي قصدنا زيارته وبزوايته نزلنا ولما دخلنا الزاوية رأيت قاعدا بناحية منها على التراب
وعليه جبة صوف خضراء بالية وعلى رأسه عمامة صوف سوداء فسالت عليه فأحسن الرد
وسألني عن مقدي وبلادي وأنزاني وكان يبعث الى الطعام والفاكهة مع ولده من
الصالحين كثير الخشوع والتواضع صائم الدهر كثير الصلاة لهذا الشيخ أبي دلف شأن
عجيب وأمر غريب فان نقتته في هذه الزاوية عظيمة وهو يعطي انعطاء الجزيل ويكسو
الناس ويركهم الخيل ويحسن لكل وارد وصادر ولم أر في تلك الزاوية ولا بعلم له جهة الا
ما يصله من الاخوان والاصحاب حتي زعم كثير من الناس انه ينفق من اكون وفي زاويته
المذكورة قبر الشيخ الولي الصالح القطب دانيال وله اسم بتيك البلاد شهير وشأن في
انولاية كبير وعلى قبره قبة عظيمة بناها السلطان قطب الدين تيمور بن طوران شاه وأقيمت
عند الشيخ أبي دلف يوما واحدا الاستعجال الرفقة التي كنت في صحبتها وسمعت ان بمدينة
ختج بال المذكورة زاوية فيها جملة من الصالحين المتعبدين فرحت اليها بالعسي وسلمت على
شيخهم وعليهم ورأيت جماعة مباركة قد أثرت فيهم العبادة فهم صفراللون نحاف الجسوم
كثير البكاء غزير الدموع وعند وصولي اليهم أتوا بالطعام فقال كبيرهم ادعوا الى ولدي
محمد او كان معزلا في بعض نواحي الزاوية فجاء الينا الولد وهو كأنما خرج من قبر ممنا هكته

العبادة فسلم وقعد فقال له أبوديانى شارك هؤلاء الواردين فى الأكل تلى من بركاتهم وكان صائماً فأفطر معنا وهم شافعية انذهب فام' فرغنا من أكل الطعام دعوا لنا وانصرفا ثم سافرنا منها إلى مدينة قيس وتسمى أيضاً بسيراف وهي على ساحل بحر الهند المتصل ببحر اليمن وفارس وعددها فى كور فارس مائة لما انفساح وسعة طيبة البقعة فى دورها بساتين عجبية فيها الرياحين والأشجار الناضرة وشرب أهلها من عيون منبعثة من جبالها وهم عجم من الفرس أشرف وفيهم طائفة من عرب بنى سفاف وهم الذين يغوصون على الجوهر

❖ د - ر - م - غ - ص الجوهر ❖

ومغاص الجوهر فيما بين سيراف والبحرين فى خور راكده مثل الوادي المظلم فإذا كان شهر إبريل وشهر مايو تاتي اليه التوارب الكثيرة فيها الغر أصون وتجار فارس والبحرين والقطيف ويجعل الغواص على وجهه مهملاً أراد أن يغوص شيئاً يكسوه من عظم الغلم وهي أسلحة فاة ويسنع من هذا العظم أيداً أشكلاً شبه المتراخ يشده على أنفه ثم يربط حبلاً فى وسطه ويغوص ويتناوتون فى السبر فى المساء فتمهم من يصبر الساعة والساعتين فسادون ذلك فإذا وصل إلى قعر البحر جسد به هناك فيما بين الأحجار الغار مثبتاً فى الرمل فيقتاعه يبدأ أويقه قطعة بحديدة عنده معدة لذلك ويجعلها فى مخللة جلد منوطة بعنقه فإذا ضاق نفسه ترك الحبل فيحس به الرجل الممسك بالحبل على الساحل فيرفعه إلى القارب فتؤخذ منه المخللات ويفتح المدق فيوجد فى أجوافها قطع لحم تقطع بحديدة فإذا باشرت الهواء جمدت فصارت جوارى فيجمع جميعها من صغير وكبير فيأخذها لطن خمسة والبقي يشتريه التجار الحاضرون بتلك القوارب وأكثرهم يكون له الدين على الغواصين فيأخذ الجوهر فى دينه أو ما يحب له منه ثم سافرنا من سيراف إلى مدينة البحرين وهي مدينة كبيرة حسنة ذات بساتين وأشجار وأنهار وماؤها قريب المؤنة يحفر عليه بالأيدي فيوجه وبها حدائق النخل والمان والارج ويزرعها النطن وهي شديدة الحر كثيرة

الرمال ورعى أغلب الرمل على بعض منازلها وكان فيما بينها وبين عمان طريق استتوت عليه الرمال وانقطع فلا يوصل من عمان اليها الا في البحر وبالقرب منها جبلان عظيمان يسمي أحدهما بكسير وهو في غربها ويسمي الآخر عوير وهو في شرقها وبها مضرب المثل ف قيل كسير وعوير وكل غير خير ثم سافرنا الى مدينة القطيف (وضبط اسمها بضم القاف) كأنه تصغير قطف وهي مدينة كبيرة حسنة ذات نخل كثير يسكنها طوائف العرب وهم رافضية غلاة يظهر ورون ارفض جهار الا يتقون أحدا ويقول مؤذنه في أذانه بعد انشهادتين أشهد أن علياً ولي الله ويزيد بعد الحيعلتين حي على خير العدل ويزيد بعد التكبير الاخير محمد وعلى خير البشر من خالفهما فقد كفر ثم سافرنا منها الى مدينة هجر وتسمي الآن بالحسا (بنتج الحساء والسين واهمالها) وهي انقى مضرب المثل بها فيقال كجواب التمر الى هجر وبها من التخييل ما ليس ببلد سواها ومنه يعافون دوابهم وأهالها عرب وأكثرهم من قبيلة عبد القيس بن أفصى ثم سافرنا منها الى مدينة النجامة وتسمي أيضاً بحجر (بفتح الحاء المهملة واسكان الجيم) مدينة حسنة خصبة ذات أنهار وأشجار يسكنها طوائف من العرب أكثرهم من بني حنيفة وهي بلدهم قديمها وأميرهم طفيل بن غاسم ثم سافرت منها في صحبة هذا الأمير برسم الحج وذلك في سنة ثنتين وثلاثين فوصلت الى مكة شرفها الله تعالى وحج في تلك السنة الملك الناصر سلطان مصر رحمه الله وجملة من أسرته وهي آخر حجة حجها وأجزل الاحسان لأهل الحرمين الشريفين ولله مجاورين وفيها قتل الملك الناصر أمير أحمد الذي يذكر انه ولده وقتل أيضاً كبير أسرته بكتمة وواله اقي ﴿ حكاية ﴾ ذكر ان الملك الناصر رهب بكتمة وواله الساقى جارية فلما أراد الدنو منها قالت له اني حامل من الملك الناصر فاعتزلها وولدت ولداً سماه بأمير أحمد ونشأ في حجره فظهرت نجاته واشتهر بابن الملك الناصر فلما كان في هذه الحجة تعاهد اعلی الفتك بالملك الناصر وان يتولى أمير أحمد الملك وحمل بكتمة وواله الطبول والكسوات والاموال فقمي الخبر الى الملك الناصر فبعث الى أمير أحمد في يوم شديد الحر فدخل عليه وبين يديه أقذاح الشرب فشرب الملك الناصر قدحا وناول أمير أحمد قدحاً ثانياً فيه السم فشربه وأمر

بالرحيل في تلك الساعة ليشغل لوقت فرحل الناس ولم يبلغوا المنزل حتى مات أميراً أحمد
فاكثر بكتهم ولموته وقطع أثوابه وامتنع من الطعام والشراب وبلغ خبره الى الملك
الناصر فأناه بنفسه ولاطفه وسلامه وأخذ قدحاً فيه سم تناوله أيام وقال له بحياتي عليك إلا
شربت فبردت نار قلبك فشربه ومات من حينه ووجد عنده خلع السلطنة والاموال
فتمحق ما نسب اليه من التمسك بالملك الناصر واسألت قاضي الحج توجهت الي جدة برسم
ركوب البحر الى اليمن والهند فلم يقض لي ذلك ولا تأثني لي رفيق وأقمت بمجدة بحر أر بعين
يوماً وكان بها مراكب لرجل يعرف بعبد الله النونسي بروم السفر الي القصير من عمالة قوص
فصعدت اليه لأنظر حاله فلم يرضني ولا طابت نفسي بالسفر فيه وكان ذلك لطفاً من الله
تعالى فانه سافر فتما توسط البحر غرق بموضع يقال له رأس أبي محمد فخرج صاحبه وبعض
التجار في المشاري بعد جهد عظيم وأشر فوأل على الهلاك وهلك بعضهم وغرق سائر الناس
وكان فيه نحو سبعين من الحجاج ثم ركب البحر بعد ذلك في صنبوق برسم عذاب فردتنا
الريح الى مرسى يعرف برأس دواتر وسافر نامنه في البر مع البجاة فسلكننا صحراء كثيرة
النعام والغزلان فيها عرب جهينة وبني كاهل وطاعتهم للبجاة ووردنا ماء يعرف بمفرور
وماء يعرف بالحديد ونددنا فاشترينا من قوم من البجاة وجدناهم بالفلاة أغناماً وتزودنا
لحومها ورأيت بهذه الملاة صيداً من العرب كلني باللسان العربي وأخبرني ان البجاة أسروه
وزعم انه منذ عام لم يأكل طعاماً ما يقتات بلبن الابل وتقدنا بعد ذلك اللحم الذي
اشتريناه ولم يبق لنا زادو كان عندي نحو حمل من التمر الصيحاتي والبرني برسم الهدية
لأصحابي ففرقته على الرفقة وتزودناه ثلاثاً وبعد مسيرة تسعة أيام من رأس دواتر وصلنا الى
عذاب وكان قد تقدم اليها بعض الرفقة فقلقنا أهلها بالخبز والتمر والماء وأفتابها أياماً كثيراً
الجمال وخر جناحبة طائفة من عرب دغيم ووردنا ماء يعرف بالجيب ولعله (الجيب)
وحللنا بمحيزا حيث قبر ولي الله تعالى أبي الحسن الشاذلي وحصلت لنا زيارة ثانية وبقا
جواره ثم وصلنا الى قرية العطوان وهي على ضفة النيل مقابلة لمدينة أدفون من الصعيد
الأعلى وأجزنا النيل الى مدينة اسنا ثم الى مدينة أرمنت ثم الى الأقصر وزرنا الشيخ آيا

الحجاج الاقصرى ثانية ثم الى مدينة قوص ثم الى مدينة قنا و زرنال الشيخ عبد الرحيم
القناوي ثانية ثم الى مدينة هو ثم الى مدينة اخيم ثم الى مدينة أسبوط ثم الى مدينة
منفلوط ثم الى مدينة منلوى ثم الى مدينة الاشموين ثم الى مدينة منية ابن الحبيب ثم
الى مدينة البهنسة ثم الى مدينة بوش ثم الى مدينة منية القائد وقد تقدم لنا ذكر هذه البلاد
ثم الى مصر وأقامت بها أياما وسافرت على طريق بلبيس الى الشام ورافقني الحاج عبد الله بن
أبي بكر بن الفرحان التوزري ولم يزل في صحبتي سنين الى ان خرجنا من بلاد الهند فوقفنا
بسنندابور وسنند كرك ذلك فوصلنا الى مدينة غرة ثم الى مدينة الخليل عليه السلام
وتكررت لنا زيارته ثم الى بيت المقدس ثم الى مدينة الرملة ثم الى مدينة عكا ثم الى مدينة
طرابلس ثم الى مدينة جبلة و زرنال ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه ثانية ثم الى مدينة
اللاذقية وقد تقدم لنا ذكر هذه البلاد كلها ومن اللاذقية ركبنا البحر في قرقورة كبيرة
للاجنوين يسمى صاحبها بمر تلمين وقصدنا بركة المعروف ببلاد الروم وانما نسبت
الى الروم لانها كانت بلادهم في القديم ومنها الروم الاقدمون واليونانية ثم استفتحها
المسلمون وبها الآن كثير من النصاري تحت ذمة المسلمين من التركمان وسرنا في البحر
عشر ابريج طيبة وأكرمنا النصاري ولم يأخذ منا نولا وفي العاشر وصلنا الى مدينة العالايا
وهي أول بلاد الروم وهذا الاقليم المعروف ببلاد الروم من أحسن أقاليم الدنيا وقد جمع
الله فيه ما تفرق من المحاسن في البلاد فله أجمل الناس صورا وأنظفهم ملابس وأطيبهم
مطاعم وأكثر خلق الله شفقة ولذلك يقال في البركة في الشام والشفقة في الروم والله اعلم
به أهل هذه البلاد وكنامتي نزلنا بهذه البلاد زاوية أودار ليتفق أحوالنا ويراقبنا
الرجال والنساء وهن لا يحتجبن فاذا سافرناعنهم ودعونا كانهم أقاربنا وأهلنا وترى النساء
بأكيات انخر اقامتاً سفات ومن عادتهم بتلك البلاد ان يخبزوا الخبز في يوم واحد من الجمعة
يسدون فيه ما يقوتهم سائر هافكان رجاهم يأتون الينا بالخبز الحار في يوم خبز دومة الادام
للطيب أطرافا لنا بذلك ويقولون لنا ان النساء بمن هذا اليكم وهن يطلبن منكم الدعاء
بجميع أهل هذه البلاد على مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه مقيم على السنة

لا قدرى فيهم ولا رافضي ولا معتزلى ولا خارجى ولا مبتدع وتلك فضيلة خصهم الله تعالى بها الا انهم يأكلون الحشيش ولا يعيرونك ومدينة العلايا التي ذكرناها كبيرة على ساحل البحر يسكنها التركمان وينزلها تجار مصر واسكندرية والشام وهي كثيرة الخشب ومنها يحمل الي اسكندرية ودمياط ويحمل منها الى سائر بلاد مصر ولها قلعة باعلاها محيية منيعة بناها السلطان المعظم علاء الدين الرومي ولقيت بهنذه المدينة قاضيها جلال الدين الارزنجاني وصعد معي الي القاعة يوم الجمعة فصليت بها وأضاني وأكرمني وأضافني أيضا به شمس الدين بن الرحيجاني الذي توفي أبوه علاء الدين بمالي من بلاد السودان

﴿ ذكر سلطان العلايا ﴾

وفي يوم السبت ركب معي القاضي جلال الدين وتوجهنا الى لقاء ملك العلايا وهو يوسف بك ومعني بك الملك ابن قرمان (بفتح القاف، الراء) ومسكنه على عشرة أميال من المدينة فوجدناه قاءاً على الساحل وحده فوق راية هنالك والامراء والوزراء أسفل منه والجناد عن يمينه ويساره وهو مخضوب الشعر بالسواد فسلمت عليه وسألني عن مقدمي فاخبرته عم سأل وانصرفت عنه وبعث الي احسانا وسافرت من هنالك الى مدينة انطالية (وضبط اسمها بفتح الهمزة واسكان النون وفتح الطاء المهمل وألف ولا م مكسور وياء آخر الحروف) وأما التي بالشام فهي انطاكية على وزنها الا أن الكاف عوض عن اللام وهي من أحسن المدن متناهية في اتساع الساحة والضخامة أجل ما يري من البلاد وأكثره عمارة وأحسنه ترتيباً وكل ثروة من سكانها منفردة بأنفسها عن الفرقة الاخرى فتجار النصارى ما كثون منها بالموضع المعروف بالبناء وعليهم سور تسد أبوابه عليهم ليل او عند صلاة الجمعة والروم الذين كانوا أهلها قديماً ساكنون بموضع آخر من زدين به وعليهم أيضاً سور واليهود في موضع آخر وعليهم سور والملك وأهل دولته ومماليكه يسكنون ببلدة عليها أيضاً سور يحيط بها ويفرق بينها وبين ما ذكرناه من الفرق وسائر الناس من المسلمين يسكنون المدينة العظمى وبها مسجد جامع ومدرسة

وحمامات كثيرة وأسواق ضخمة مرتبة بآداب ترتيب وعليها سور عظيم يحيط بها وبجميع
المواضع التي ذكرناها وفيها البساتين الكثيرة والفواكه الطيبة والمنشمش العجيب
المسمى عندهم بقمر الدين وفي نواته لوز حلوه وهو ببس ويحمل الي ديار مصر وهو بها
مستظرف وفيها عيون الماء الطيب العذب الشديد البرودة في أيام الصيف نزلنا من هذه
المدينة بمدرستهم شيخها شهاب الدين الحموي ومن عادتهم أن يقرأ جماعة من الصبيان
بلاصوات الحسان بعد العصر من كل يوم في المسجد الجامع وفي المدرسة أيضاً سورة الفتح
وسورة الملك وسورة عم

﴿ ذكر الاخوة الفتيان ﴾

واحد الاخوة أخى على لفظ الاخ اذا أضافه المتكلم الى نفسه وهم بجميع البلاد التركمانية
الرومية في كل بلد ومدينة وقرية ولا يوجد في الدنيا مثابهم أشد احتئالا بالغرباء من الناس
واسرع الي اطعام الطعام وقضاء الحاج والاختذ على أيدي الظلمة وتتل الشريط ومن
لحق بهم من أهل الشر والاحى عندهم رجل يجتمع أهل صناعته وغيرهم من الشبان
الاعزاب والمتجردين ويندمونه على أنفسهم وتلك هي الفتوة أيضاً ويبنى زاوية ويحمل
فيها القروش والسرج وما يحتاج اليه من الآلات ويخدم أصحابه بالنهار في طاب معاشهم
ويأتون اليه بعد العصر بما يجتمع لهم فيشترون به الفواكه والطعام الى غير ذلك مما ينفق
في الزاوية فان ورد في ذلك اليوم مسافر على البلد أنزلوه عندهم وكان ذلك ضيافته لديهم ولا
يزال عندهم حتى ينصرف وان لم يدوارداجتماعهم على طعامهم فأكلوا وغنوا
ورقصوا وانصرفوا الى صناعتهم بالغدوا وتوا بعد العصر الى مقدمهم بالاجتماع لهم
ويسمون بالفتيان ويسمى مقدمهم كذا كرنا الاخى ولم ارفى الدنيا أجمل افعالا منهم
ويشبههم في افعالهم أهل شيراز وأصفها! لأن هؤلاء أحب في الوارد والصادر وأعظم
أكراماله وشفقة عاي وفي الثاني من يوم وصولنا الى هذه المدينة أتى أحد هؤلاء الفتيان الى
الشيخ شهاب الدين الحموي وتكلم معه باللسان التركي ولم أكن يومئذ أفهمه وكان عليه
آثواب خلقه وعلى رأسه قلنسوة لبد فقال لي الشيخ أعلم ما يقول هذا الرجل فقلت لا أعلم

ما قال فقال لي انه يدعوك الى ضيافته أنت وأصحابك فعميت منه وقلت له نعم فلما انصرف قلت للشيخ هذا رجل ضعيف ولا قدرة له على تضييفنا ولا نريد ان نكلفه فضحك الشيخ وقال لي هذا أحد شيوخ الفتيان الاخية وهو من الخرازين وفيه كرم نفس وأصحابه نحو مائتين من أهل الصناعات قد قدموه على أنفسهم وبنوا زاوية بضيافة وما يجتمع لهم بالتهار انفقوه بالليل فلما صليت المغرب عاد الي ذلك الرجل وذهبنا معه الى زاويته فوجدناها زاوية حسنة مفروشة بالبسط الرومية الحسان وبها الكثير من ثريات الزحاج العراقي وفي المجلس خمسة من اليايسيس واليايسوس شبه المنارة من النحاس له أربع ثلاث وعلى رأسه شبه جلاس من النحاس وفي وسطه أبواب للفتيلة ويملا من الشحم المذاب والى جانبه آنية نحاس مملأة بالشحم وفيها مراض لاصلاح الفتيان وأحدهم موكل بها ويسمى عندهم الحراجي (الجراغجي) وقد اصطف في المجلس جماعة من الشبان واباسهم الأقيية وفي أرجاءهم الأخفاف وكل واحد منهم متحزم على وسمه سكين في طول ذراعين وعلى رؤسهم قلائس بيض من الصوف بأعلى كل قانسوة قطعة موصولة بها في طول ذراع وعرض اصبعين فاذا استقرهم المجلس نزع كل واحد منهم قانسوته ووضعها بين يديه وتبقى على رأسه قانسوة أخرى من الزرد خاني وسواء حسنة المنظر وفي وسط مجلسهم شبه مرتبة موضوعة لاواردين ولما استقر بنا المجلس عندهم أتوا بالطعام الكثير والماكنة والحلواء ثم أخذوا في الغناء والرقص فراقنا حالهم طال عجبنا من سماعهم وكرم أنفسهم وانصرفنا عنهم آخر الليل وتركناهم بزاويتهم

﴿ ذكر سلطان انطاكية ﴾

وساطانها خضر بك ابن يونس بك وجدناه عند وصولنا اليها عاليا قد خلتا عليه بداره وهو في فراش الارض فكلمنا بلطف كلام وأحسنه وودعنا وبعث اليها بحسان وسافرنا الى بلدة بردور (وضبط اسمها بصم الباء الواحدة واسكان الراء وضم الدال المهدل وواو وراء) وهي بلدة غيرة كثيرة البساتين والأنهار ولها قلعة في رأس جبل شاهق نزلنا يدار خطيبها واجتمعت الاخية وأرادوا انزوانا عندهم فأبى عليهم الخياط فصنعوا لنا

ضيافة في بستان لا حدهم وذهبوا بنا إليها فكان من العجائب اظهارهم السرور بنا والاستبشار والفرح وهم لا يعرفون لساتنا ونحن لا نعرف لسانهم ولا نرجحان فيما بيننا واقتناعدهم يوماء انصرفنا ثم سافرنامن هذه البلدة الى بلدة سبرتانا (وضبط اسمها بفتح السين المهمل والباء الموحدة واسكان الراء وفتح اثناء المعلو والفاء) وهى بلدة حسنة العمارة والاسواق كثيرة البساتين والآنهار لها قلعة في جبل شامخ وصانة اليها بالعشى ونزلنا عنده قاضيهم وسافرنامن هنا الى مدينة أكر يدور (وضبط اسمها بفتح الهذرة وسكون الكاف وكسر الراء وياء مدودال مهمل مضوم وواو مدوراء) مدينة عظيمة كثيرة العمارة حسنة الاسواق ذات أسهار وأشجار وبساتين ولها بحيرة عذبة الماء يسافر انركب فيها يومين الى أقشهر وبقشهر وغيرهما من البلاد والقري ونزلنا منها بمدرسة تقابل الجامع الأعظم بهم المدرس العالم الحاج المجاور الفاضل مصاح الدين قرأ بالديار المصرية والشام وسكن بالعراق وهو فصيح اللسان حسن البيان أطروقة من طرف الزمان أكرمنا غاية الاكرام وقام محققاً أحسن قيام

✽ ذكر سلطان أكر يدور ✽

وسلمه انما أبو اسحق بك ابن الدندار بك من كبار سلاطين تلك البلاد سكن ديار مصر أيام أبيه وحج وله سير حسنة ومن عاداته انه يأتي كل يوم الى صلاة العصر بالمسجد الجامع فاذا قضيت صلاة العصر استند الى جدار القبلة وقعد للقراءة بين يديه على مصطبة خشب عالية فقرأ سورة الفتح والملك وعم بأصوات حسان فعالة في النفوس تخشع لها القلوب وتقشعر الجلود وتدمع العيون ثم ينصرف الى داره واظلمنا عنده شهر رمضان فيكان يقعد في كل ليلة منه على فراش لاصق بالارض من غير سرير ويستند الى مخدة كبيرة ويجلس الفقيه مصاح الدين الى جانبه وأجلس الى جانب الفقيه ويأينار باب دولته وأمرأه حضرتته ثم يؤتي بالطعام فيكون أول ما يفرط عليه ثريد في صحفة صغيرة عليه العدس مستقي بالسمن والسكر ويقدمون الثريد تبركا ويقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم فضله على سائر الطعام فتحن زبداً به لتفضيل النبي له ثم يؤتى بسائر الأطعمة وهكذا فعلهم في جميع ليالي رمضان

وتوفي بعض تلك الايام ولد السلطان فلم يزيدوا على بكاء الرحمة كما يفعله أهل مصر والشام
 خلافا لما قدمناه من فعل أهل اللور حين مات ولد سلطانهم فلما دفن أقام السلطان والطابة
 ثلاثة أيام يخرجون الى قبره بعد صلاة الصبح وفي ثاني يوم من دفنه خرجت مع الناس
 فرآني السلطان ماشياً على رجلي فبعث لي بفرس واعتذر فلما وصلت المدرسة بعثت الفرس
 فردته وتل انما أعطيته عطية لا عارية وبعث الى بكسوة ودراهم فانصرفنا الى مدينة قل
 حصار (وضبط اسمها بضم القاف واسكان اللام ثم جاء مهمل مكسور وصاد مهمل
 وآخره راء) مدينة صغيرة بها المياه من كل جانب قد نبئت فيها القصب فالا طريق لها الا
 طريق كالجسر مهياً ما بين القصب والمياه لا يسع الا فارساً واحداً والمدينة على تل في وسط
 المياه منيعة لا يقدر عليها ونزلنا بزاوية أحد الفتيان الأخية بها

ذكر سلطان قل حصار

وسلطانها محمد جلبي وجلبي (بحجم معقود ولام مفتوحين وباء موحد وياء) وتفسيره
 بلسان الروم سيدي وهو أخو السلطان أبي اسحق مالك أكر يدور ولما وصلنا بمدينة كان
 غائباً عنها فأقنابها أياماً ثم قدم فأكرمنا واركننا وزودنا وانصرفنا على طريق قرا أغاج
 وقرا (بفتح القاف) تفسيره أسود (وأغاج بفتح الهمزة والغين المعجم وآخره حيم)
 تفسيره الخشب زهي صحراء خضرة يسكنها التركان وبعث معنا السلطان فرسانا يبلغوننا
 الى مدينة لاذق بسبب ان هذه الصحراء تقطع الطريق فيها طائفة يقال لهم الجرميان يذكر
 انهم من ذرية يزيد بن معاوية ولهم مدينة يقال لها كوتاهية فعصمنا الله منهم ووصلنا الى
 مدينة لاذق (وهي بكسر الذال المعجم وبعده قاف) وتسمي أيضاً دون غزله وتفسيره
 بلد الخنازروهي من أبداع المدن وأضخمها وفيها سبعة من المساجد لاقامة الجمعة ولها
 البساتين الرائقة والانهار المطردة والعيون المتبعة وأسواقها حسان وتصنع بها ثياب قطن
 معلمة بالذهب لا مثل لها تطول أعمارها لصحة قطنها وقوة غزله وهذه الثياب معروفة
 بالنسبة اليها وكثير الصنائع بها نساء الروم وبها من الروم كثير تحت الذمة وعليهم وظائف
 للسلطان من الجزية وسواها وعلامة الروم بها القلائس الطوال منها الحمر والبيض ونساء

الروم لمن عماش كبار وأهل هذه المدينة لا يغيرون المنكر بل كذا أهل هذا الاقليم كله وهم يشتركون الخواري الروميات الحسان ويتركونهن للفساد وكل واحدة عليها وظيف لما كنهن تأوديه له وسمعت هنالك أن الجوارى يدخلن الحمام مع الرجال فمن أراد الفساد قبل ذلك بالحمام من غير منكر عليه وذكر لي أن القاضي بهاله جوار على هذه الصورة وعند دخولنا هذه المدينة مررت بوقوقها فزل الينار رجال من حوانيتهم وأخذوا بأعنة خيلنا ونزعهم في ذلك رجل آخرون وطال بانهم انزع حتى سئل بعضهم السكاكين على بعض ونحن لا نعلم ما يقولون فحفظناهم ثم دخلناهم الجرميان الذين يقطعون الطارق وان تلك مدينةهم وحسبنا انهم يريدون نهينا ثم بعث الله لنا رجلا حاجا يعرف الله العربي فسأله عن مرادهم منافق ال انهم من الفتيان والذين سبقوا اليها أولاهم أصحاب الفتي أخي سنان والآخرون أصحاب الفتي أخي طومان وكل طائفة ترغب أن يكون نزولكم عندهم فمجبناهم من كرم نفوسهم ثم وقع بينهم الصاح على المقارعة فمن كانت قرعته نزلنا عنده أولا فوقع قرعته أخي سنان وباعه ذلك فأتى اليها في جماعة من أصحابه فضاءوا علينا ونزلنا بزواية له وأتى بأنواع الطعام ثم ذهب بنا الى الحمام ودخل معنا وتولى خدمتي بنفسه وتولى أصحابه خدمة أصحابي بخدمة ثلاثة والأربعة الواحد منهم ثم خرجنا من الحمام فأتوا بطعام عظيم وحلواء وفاكة كثيرة كثير ذوو بعد الفراغ من الأكل قرأ القراء آيات من الكتاب العزيز ثم أخذوا في السماع والرقص وأعدوا للسلطان بخبرنا فلما كان من الغد بعث في طابنا بالعيش فتوجهنا اليه والى ولده كذا ذكره ثم عدنا الى الزاوية فأقمنا الأخي طومان وأصحابه في انتظارنا فذهبوا بنا الى زاوية بهم فبقوا في الطعام والحمام مثل أصحابهم وزادوا عليهم ان صبوا علينا ماء الورد صبا بعد خروجه من الحمام ثم مضوا بنا الى الزاوية ففعلوا أيضا من الاحتفال في الاطعمة والحلواء والفاكة وقراءة القرآن بعد الفراغ من الأكل ثم السماع والرقص كمثل ما فعله أصحابهم أو أحسن وأقننا عندهم بالزاوية أياما

وهو السلطان ينتج بك (واسمه ياء آخر الحروف مفتوحة ثم نونين أو لاها مفتوحة
والثانية مسكنة وجم) وهو من كبار سلاطين بلاد الروم ولما نزلنا بزاوية أحى سنان
كما قد قدمناه بعث اليانا الواعظ المذكور العالم علاء الدين القسطنطوني واستصحب معه خيلا
بعددنا وذلك في شهر رمضان فتوجهنا اليه وسلمنا عاياه ومن عادة ملوك هذه البلاد
التواضع لاواردين ولين الكلام وقلة العطاء فسلمنا معه المغرب وحضر طعامه فافطارنا عنده
وانصرفنا وبعث الينا بدراهم ثم بعث الينا ولده مراد بك وكان ساكنافي بستان خارج
المدينة وذلك في ايام الفاكهة وبعث أيضا خبلا على عددنا كما فعله أبومقاتنا بستانه وأقنا
عنده تلك الليلة وكان له فقيه يترجم بيننا وبينه ثم انصرفنا غدوة وأظلمنا عيىد الفطر بهذه
البلدة فخرجنا الى المصلى وخرج السلطان في عساكره والفتيان الاخيرة كلهم بالاسلحة
ولاهل كل صناعة الاعلام والبوقات والطبول والانفار وبناهم يفاخر بعضهم بياهي في
حسن الهيئة وكمال الشكوة ويخرج أهل كل صناعة معهم البقر والغنم وأحمال الخبز فيذبحون
اليها ثم بالمقابر ويتصدقون بها بالخبز ويكون خروجهم أولا الى المقابر ومنها الى المصلى ولما
صاينا صلاة العيد دخلنا مع السلطان الى منزله وحضر الطعام فجعل لافقهاء والمشايخ
والفتيان سماط على حدة وجعل للفقراء والمساكين سماط على حدة ولا يرد دلي بابه في
ذلك اليوم فقير ولا غني وأفنا بهذه البلدة مدة بسبب مخاف الطريق ثم هيات رفقة فسافرونا
مهم بومالو بعض ايلة ووصلنا الى حصن طواس واسمه (بفتح الطاء وتخفيف الواو
وأخر دسين مهمل) وهو حصن كبير ويذكر ان صهييا صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورضي الله عنه من أهل هذا الحصن وكان مييتا بخز به ووصلنا بالغد الى بابه
فسألنا أهله من أعلى السور عن مقدمنا فأخبرناهم وحينئذ خرج أمير الحصن الياس بك في
عسكره ليختبر نواحي الحصن والطريق خوفا من اغارة السراق على الماشية فلماطافوا
بجهاته خرجت مواشيهم وهكذا فاعلمهم أبدا ونزلنا من هذا الحصن بربعة في زاوية
رجل فقير وبعث الينا أمير الحصن بضيافة وزاد وسافر نامته الى مغلة (وضبط اسمه
بضم الميم واسكان الغين المسجهم وفتح اللام) ونزلنا بزاوية أحد المشايخ بها وكان من الكرماء

لفضلاء يكثر الدخول علينا بزوايته ولا يدخل الا بطعام أو فاكهة أو حلوا ولقينا بهذه البلدة
ابراهيم بك ولد سلطان مدينة ميلاس وسند كرهنا فاكرا منا وكسانا ثم سافرنا الى مدينة
ميلاس (وضبط اسمها بكسر الميم وياء مدو آخره سين مهملة) وهي من أحسن بلاد
الروم وأضخمها كثيرة الفواكه والبساتين والمياه نزلنا منها بزاوية أحد الفتيان الاخوة
فعمل أضعاف ما فعله من قبله من الكرامة والضيافة ودخول الحمام وغير ذلك من حميد
الافعال وجميل الاعمال واقينا بمدينة ميلاس رجلا صالحا معمر ايسمي بابي السشتري
ذكروا ان عمره يزيد على مائة وخمسين سنة وله قوة وحرارة وعقله ثابت وذنه جيد دعي
لنا وحصلت لنا باركته

﴿ ذكر سلطان ميلاس ﴾

وهو السلطان المكرم شجاع الدين أرخان بك ابن المنشا (وضبط اسمه بضم الهاء مزنة
واسكان الراء وخاء معجم وآخره نون) وهو من خيار الملوك حسن الصورة والسيرة
جلساؤه الفتهاء وهم مظلومون لديه ويأبه منهم جماعة منهم الفقيه الخوارزمي عارف
بالفنون فاضل وكان السلطان في أيام إقامته له واجدا عليه بسبب رحلته الى مدينة اياسلوق
ووصوله الى سلطانها وقبول ما أعطاه فسأل منى هذا الفقيه أن أتكلم عند الملك في شأنه
بما يذهب ما في خاطره فأثنت عليه عند السلطان وذكرت ما علمته من علمه وفضله ولم
أزل به حتى ذهب ما كان يحده عليه وأحسن اليها هذا السلطان وأركبنا وزودنا وسكننا
في مدينة برجين وهي قريبة من ميلاس بينهما ميلان (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة
واسكان الراء وجيم وياء مدو آخره نون) وهي جديدة على تل هنالك بها العمارات
الحسان والمساجد وكان قد بنى بها مسجدا جامعاً لم يتم بناؤه بعد وبهذه البلدة لقينا هـ ونزلنا
منها بزاوية الفتي أخى على ثم انصرفنا بعد ما أحسن الينا كما قدمناه الى مدينة قونية (وضبط
اسمها بضم القاف وواو مدو نون مسكن كسور وياء آخر الحروف) مدينة عظيمة حسنة
العمارة كثيرة المياه والانهار والبساتين والفواكه وبها المشمش المسمي بقمر الدين وقد
تقدم ذكره ويحمل منه أيضاً الى ديار مصر والشام وشوارعها متسعة جداً وأسسوا فيها

بديعة الترتيب وأهل كل صناعة على حدة ويقال إن هذه المدينة من بناء الاسكندروهي من بلاد السلطان بدر الدين بن قرمان وسند كره وقد تغلب عليها صاحب العراق في بعض الاوقات لقربها من بلاد التي بهذا الاقليم نزلنا منها زاوية قاضيها ويعرف بابن قلم شاد وهو من الفتيان وزاويته من أعظم الزوايا وله طائفة كبيرة من التلاميذ ولهم في الفتوة سند يتصل الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولباسها عندهم السراويل كما تلبس الصوفية الخرقه وكان صنيع هذا القاضي في اكرامنا وضيافتنا أعظم من صنيع من قبله واجل وبعث ولده عوضا منه لدخول الحسام معنا وبهذه المدينة تربة الشيخ الامام الصالح القطب جلال الدين المعروف بمولانا وكان كبير القدر وبأرض الروم طائفة ينتمون اليه ويعرفون باسمه فيقال لهم الجلالية كما تعرف الاحمدية بالعراق والحيدرية بخراسان وعلى تربته زاوية عظيمة فيها الطعام للوارد والصادر ﴿حكاية﴾

يذكر انه كان في ابتداء أمره فقيها مدرسا يجتمع اليه الطلبة بمدرسته بقونية فدخل يوما الى المدرسة رجل يبيع الحلواء وعلى رأسه طبق منها وهي مقطوعة قطعاً يبيع القطعة منها بفلس فلما أتى مجلس التدريس قال له الشيخ هات طبقك فأخذ الحلواني قطعة منه وأعطاهم للشيخ فأخذها الشيخ بهدوء وأكلها فخرج الحلواني ولم يطعم أحد سوى الشيخ فخرج الشيخ في اتباعه وترك التدريس فأبطأ على الطالبة وطال انتظارهم اياه فخرجوا في طلبه فلم يعرفوا له مستقراً ثم انه عاد اليهم بعد أعوام وصار لا يتطابق الا بالشعر الفارسي المتعاق الذي لا يفهم فكان الطلبة يتبعونه وبعثهم من ما يصدر عنه من ذلك الشعر وألقوا منه كتابا سموه المتنوي وأهل تلك البلاد يظمون ذلك الكتاب ويعتبرون كلامه ويماسونه ويقرؤنه بزواياهم في ليالي الجمعات وفي هذه المدينة أيضاً قبر النقيه أحمد الذي يذكر انه كان معلم جلال الدين المذكور ثم سافرنا الى مدينة الارندة وهي (بفتح الراء التي بعد الالف واللام واسكان النون وفتح الدال المهملة) مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين

﴿ذكر سلطان الارندة﴾

وساطانها الملك بدر الدين بن قرمان (بفتح الساف والراء) وكانت قبله اشقيقه موسى
 فنزل عنها ثلث ممالك الثاصرو وعوضه عنها بعوض وبعث اليها اميرا وعسكرا ثم تغلب عليها
 السلطان بدر الدين ونى بهادار مملكته واستقام امره بها ولقيت هذا السلطان خارج
 المدينة وهو عائد من تصيده فنزلت له عن دابق فنزل هو عن دابته وسلمت عليه وأقبل على
 ومن عادة ملوك هذه البلاد انه اذا نزل لهم الوارد عن دابته نزلوا له وأعجبهم فعليه وزادوا
 في اكرامه وان سلم عليهم راكب اساءهم ذلك ولم ير ضهم ويكون سببا لحرمان الوارد وقد
 جرى لي ذلك مع بعضهم وسأنت كرهه ولم اسلمت عليه وركب وركبت سأني عن حالي
 وعن مقدمي ودخلت معه المدينة فأمر بانزالني أحسن نزل وكان يبعث الطعام الكثير
 والفاكهة والحلواء في طيافير الفضة والشمع وكساوا ركب واحسن ولم يطل مقامنا عنده
 وانصرفنا الى مدينة أفسس (وضبطها بفتح الهمزة وسكون القاف وفتح الصاد المهمل
 والراء) وهي من أحسن بلاد الروم وأتقنها تحف بها اليون الجارية والبساتين من
 كل ناحية ويشق المدينة ثلاثة أنهار ويجري الماء بدورها وفيها الاشجار ودوالي العنب
 وداخلها بساتين كثيرة وتصنع بها البسط المنسوبة اليها من صوف الغنم لا مثل لها في بلد
 من البلاد ومنها يحمل الى الشام ومصر والعراق والهند والصين وبلاد الأتراك وهذه
 المدينة في طاعة ملك العراق ونزلنا منها بزاوية الشريف حسين النائب بها عن الأمير
 أرتشوارتا هو النائب عن ملك العراق فيما تغلب عليه من بلاد الروم وهذا الشريف
 من الفتيان وله طائفة كثيرة وأكرمنا كرامتناها وفعلا أفعال من تقدمه ثم رحلنا
 الى مدينة نكة (وضبط اسمها بفتح النون وكان الكاف ودال المهمل مفتوح)
 وهي من بلاد ملك العراق مدينة كبيرة كثيرة العمارة قد تخرب بعضها ويشقها النهر
 المعروف بالنهر الاسود وهو من كبار الأنهار عليه ثلاث قناطر احداها بداخل المدينة
 وثنان بخارجها وعليه النواير بالداخل والخارج منها سقي البساتين والقواكه بها كثيرة
 ونزلنا منها بزاوية الفقي أخى جروق وهو الأمير بها فآكر منا على عادة الفتيان وأقنابها
 ثلاثا وسرنامها بعد ذلك الى مدينة قيسارية وهي من بلاد صاحب العراق وهي إحدى

المدن العظام بهذا الاقليم بها عسكر أهل العراق واحدي خواتين الامير علاء الدين ارتل
المذكور وهي من أكرم الخواتين وأفضلهن ولها نسبة من ملك العراق وتدعي أغا
(بفتح الهمزة والغين المعجم) ومعنى أغا الكبير وكل من بينه وبين السلطان نسبة يدعي
بذلك واسمها طغي خاتون و: خاننا إليها فقامت لنا وأحسن السلام والكلام وأمرت
باحضار الطعام فأكلنا ولما انصرفنا بعثت لنا بفرس مسرج مانجم وخلعة ودراهم مع أحد
غلمانها واعتذرت ونزلت من هذه المدينة بزاوية الفتي الأخي أمير على وهو أمير كبير من
كبار الاخية بهذه البلاد وله طائفة تتبعه من وجوه المدينة وكبرائها وزاويته من أحسن
الزوايا فرشا وقناديل وطاماما كثيرا واتقانا والكبراء من أصحابه وغيرهم يجتمعون كل
ليلة عنده ويفعلون في كرامة الوارء أضعاف ما يفعله سواهم ومن عوائد هذه البلاد انه
ما كان منها ليس به سلطان فالأخي هو الحاكم به وهو يركب الوارء ويكسوه ويحس اليه على
قدره وترتيبه في أمره ونهيه وركوبه ترتيب الملوك ثم سافرنا الى مدينة سواس (وضبط
اسمها بكر السمين المهمل ويا مدوا آخره سين مهمل) وهي من بلاد ملك العراق
وأعظم ماله بهذا الاقليم من البلاد وبها منزل أمراء وعماله مدينة حسنة العمارة واسعة
الشوارع أسواقها غاصة بالناس وبها دار مش المدرسة تسمى دار السيادة لا ينزلها الا
الشرفاء ونفسيهم ساكن بها وتجري لهم فيها مدة مقامهم الفرش والطعام والشمع وغيره
فيزدودون اذا انصرفوا ولما قدمنا الى هذه المدينة خرج الي ائقائنا أصحاب الفتي أخي أحمد
بحقجي وبحقجي بالتركية السكينة وهذا منسوب اليه والحيان منه معقودان بينهما قاف وبأوه
مكسورة وكانوا جماعة منهم الركبان والمشاة ثم لقينا بدهم أصحاب الفتي أخي جلي
وهو من كبار الاخية وطبقته أعلى من طبقة أخي بحقجي فطلبوا ان نزل عندهم فلم يمكن
لي ذلك لسبق الاولين ودخلنا المدينة معهم جميعاً وهم يتفاخرون والذين سبقوا الينا قد
فرحوا أشد الفرح بنزولنا عندهم ثم كان من صنيعهم في الطعام والحمام والمبيت مثل
صنيع من تقدم وأقمنا عندهم ثلاثة في أحسن ضيافة ثم أتانا القاضي وجماعة من الطلبة
ومعهم خيل الامير علاء الدين أرتنا نائب ملك العراق ببلاد الروم فركبنا اليه واستقبلنا

الامير الى دهليز داره فسلم علينا ورحب وكان فصيح اللسان بالعربية وسأني عن العراقيين
وأصهبان وشيراز وكرمان وعن السلطان أتاك وبلاد الشام ومصر وسلاطين التركمان
وكان مراده أن أشكر الكريم منهم واذم البخیل فلم أفعل ذلك بل شكرت الجميع فسر بذلك
منى وشكرني عليه ثم أحضر الطعام فأكلنا وقل تكون نور في ضيافتي فقال له الفتي أخي
جلي انهم لم ينزلوا بعد براوتي فليكونوا عندي وضيافتك تصالهم فقال افعل فانتقمنا الى
زاويته وأقمنا هناك في ضيافته وفي ضيافة الامير ثم بعث الامير بفرس وكسوة ودراهم
وكتب لنوابه بالبلاد ان يضيّفونا ويكرمونا ويزودونا وسافرنا الى مدينة اصابية (وضبط
اسمها بفتح الهمزة والميم والالف وصاد مهمل مكسور ويا آخر الحروف مفتوحة) مدينة
كبيرة حسنة ذات أنهار وبساتين وأشجار ونواكه كثيرة وعلى أنهارها النواعير تسقى
جنانها ودورها وهي فسيحة الشوارع والاسواق وملكها صاحب العراق وبقرّب منها
بلدة سوندي (وضبط اسمها بضم السين المهملة وواو مدونون مضموم وسين مهملة
مفتوح) وهي اصاحب العراق أيضاً وبها سكنى أولاد ولي الله تعالى أبي العباس أحمد
الرفاعي منهم الشيخ عز الدين وهو الآن شيخ الرواق وصاحب سجادة الرفاعي واخوته
الشيخ علي والشيخ ابراهيم والشيخ يحيى أولاد الشيخ أحمد كوكبك ومعهما الصغير ابن
تاج الدين الرفاعي ونزلنا براوتهم ورأينا لهم الضلع على من سواهم ثم سافرنا الى مدينة
كمش (وضبط اسمها بضم الكاف وكسر الميم وشين معجم) وهي من بلاد ملك العراق
مدينة كبيرة عامرة يأتها التجار من العراق والشام وبها معادن النضة وعلى مسيرة يومين
منها جبال شاهجة وعرة لم أصل اليها ونزلنا منها براوية الاخى محمد الدين وأقاربها ثلاثا
في ضيافته وفعل أفعل من قبله وجاء اليه نائب الامير أرتتاو بعث بضيافة وزاد وانصرفنا
على تلك البلاد فوصلنا الى أرزنجان (وضبط اسمها بفتح الهمزة واسكان الراء وفتح
الزاي وسكون النون وجيم والالف ونون) وهي من بلاد صاحب العراق مدينة كبيرة
عامرة وأكثر سكانها الارمن والمسلمون يتكلمون بها بالتركية ولها أسواق حسنة
الترتيب ويصنع بها ثياب حسان تنسب اليها وفيها معادن النحاس ويصنعون منه الاواني

والياسيس التي ذكرناها وهي شبه المنار عند بناو نزلنا منها بزواوية الفتي أخيه سلام الدين وهو
من أحسن الزوايا وهو أيضاً من خيار انفتيان وكبارهم إضافة أحسن ضيافة وانصرفنا إلى
مدينة أرز الروم وهي من بلاد ملك العراق كبيرة الساحة خرب أكثرها بسبب فتنه وقعت
بين طائفتين من الترك كانها أويشة ثلاثاً أنهار وفي أكثر دورها بساتين فيها الأشجار
والدوالي ونزلنا منها بزواوية الفتي أخيه طومان وهو كبير السن يقال انه أنف على مائة
وثلاثين سنة ورأيت يتصرف على قديمه متوكئاً على عصا ثلث يدهن مواضعاً للصلاة في
أوقاتها لم تنك من نفسه شيئاً إلا انه لا يستطيع الصوم خدماً ينسبه في إتمام وخدمته
أولاد في الحمام وأردنا الانصراف عنه نال يوم نزولنا فشق بنا ذلك وأبى منه وقال ان
فهم تقصم حرمي وانما أقل الضيافة ثلاث فأقتلديه ثلاثاً ثم انصرفنا إلى مدينة بركي
(وضبط اسمها بياومو حدة مكسورة وكاف معقود مكسور بينهما را ر كن) ووصلنا
إليها بعد انصر فلقينا رجلاً من أهله أفسأنا عن زواوية الأخي بها فقص لنا أدلكم عليها
فاتبعنا فذهب بنا إلى منزل نقسافي بستان له فأنزلنا بأعلى سطح بيتسه ولاشجار مظلة
وذلك أو ان الحرائش يدوانى إليها بأشراجها كأنها وأحسن في ضيافته وعاف دواب
ويتنا عند ملك الابل وكنا قد تمرقنا من المدينة مدرسا فاض يسبحي بحبي الدين فأب
ثم ذلك الرجل الذي بتنا عنده وكان من الطلبة إلى المدرسة وإذا بالمرس قد أقبل راكداً
على بغلة فارها ومماليكه وحداً عن جانيه والطلبة بين يديه وعليه ثياب مفرجة حسان
مخارزة بالذهب فسامنا عليه فرح بنا وأحسن السلام والكلام وأمسك بيدي وأجاسني
إلى جانبهم ثم جاء القاضي عز الدين فرشق وبنى فرشق الملك لقب بذلك لدينه وعفاه
وفضله فتمتع عن يمين المدرس وأخذ في تدريس العلوم الأصلية والفرعية ثم لمسا فرغ من
ذلك أتى دويراً بالمدرسة فأمر بفرشها وأنزلني فيها وبيت ضيافة حافية ثم وجهنا إلى
المغرب فخطبت إليه فوجدته في مجلس بستان له وهناك صهر بريح ماء يحدرا إليه النساء من
خمسة رخام أيضاً يدور بها القاشاني وبين يديه جملة من الطلبة ومماليكه وخدامه وقوف

عن جانيبه وهو قاعد على مرتبة عليها أقطاع منقوشة حسنة نخلته لها شاهدته ملكا من
الملوك فقام الي واستقبلي وأخذ بيدي وأجلسني الى جانبه على مرتبة وأتي بالطعام فاكلنا
وانصرفنا الى المدرسة وذكر لي بعض الطابة ن جميع من حضر تلك الليلة من الطلبة عند
المدرس فعادتهم الحضور اطاماه كل ليلة وكتب هذا المدرس الي السلطان بنخبرنا وأثنى في
كتاباه والسلطان في جبل هنالك يصيف فيه لاجل شدة الحر وذلك الجبل بارد وعادته ان
يصيف فيه

ذكر سلطان بركي

وهو السلطان محمد بن آيدى من خيار السلاطين وكرماتهم وفضلاهم ولما بعث اليه المدرس
يعلمه بنخبري وجهه نائبه لي لانيه فأشار على المدرس ان أقسم حتى يبعث عنى ثانية وكان
المدرس اذ ذاك قد خرجت برجله قرحة لا يستطيع الركوب بسببها وانقطع عن المدرسة
ثم ان السلطان بعث في طلبى ثانية فشقي ذلك على المدرس فقال انما لا أستطيع الركوب ومن
عمرضى التوجه معك لا قدر لى السلطان ما يجب انك ثم انه تحمل وام على رجلاه خرقا
وركب ولم يضع رجلاه في الركاب وزكبت انما واصحابي وصعدنا الى الجبل في طريق قد
كنت و... و... و... الى موضع انما سلطان عند الزوال فنزلنا على نهر ماء تحت ظلال
شجر الجوز وصعدنا انما سلطان في قاق وشغلنا بسبب فرار ابنه الاصغر سليمان عنه الي
... سلطان ارخان با... فلما بلغه خبر وصو انما بعث اليه خضر بك وعمر بك فسلما
على العميقه وامرها بالسلام على فقه... الا ذلك وسألاني عن حالى ومقدمى وانصرفا وبعث
على بيت يسمي عند عم الخرقه (شركاء) وهو يسمى من الخشب تجمع شبه القبة وتجعل
عليها اللبود ويفتح أعلاه لدخول الضوء والريح مثل الباء هنج ويسمى متى احتيج الى سده
وأثواب الفرش ففرشوه وقعد الفقيه وقعدت معه واصحابه واصحابي خارج البيت تحت
ظلال شجر الجوز وذلك الموضع شديد البرد ومات لي تلك الليلة فرس من شدة البرد ولما
كان من الغد ركب المدرس الي السلطان وتكلم في شأني بما اقتضته فضائله ثم عاد الي

عليه وقعد الفقيه عن يمينه وأنا على اليمين فسالني عن حالي ومقدمي وسالني عن الحجاز
ومصر والشام واليمن والعراقين وبلاد الاعاجم ثم حضر الطعام فأكلنا وانصرفنا وبعث
الارز والدقيق والسمن في كروش الاغنام وكذلك فعل الترك وأقنعنا على تلك الحال أياما
يبعث الينا في كل يوم فتحضر طعامه وأتي يوما الينا بعد الظهر وقعد الفقيه في صدر المجلس وأنا
عن يساره وقعد السلطان عن يمين الفقيه وذلك لعزة الفقهاء عند الترك وطلب مني ان
اكتب له أحاديث من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبتها له وعرضها الفقيه عليه
في تلك الساعة فأمره ان يكتب له شرحها باللسان التركي ثم قام فخرج ورأى الخدام يطبخون
تسا الطعام تحت ظلال الجوز بغير أبزار ولا خضر فامر بعقاب صاحب خزائنه ويمنه
بالأبزار والسمن وطالت اقامتنا بذلك الحيل قادر كفى الممل وأردت الانصراف وكان
الفقيه أيضا قد مل من المقام هنالك فبعث الى السلطان يخبره اني أريد السفر فلما كان من
الغد بعث السلطان نائبه فتكلم مع المدرس بالتركية ولم أكن اذذاك أفهمها فاجابه عن كلامه
وانصرف فقال لي المدرس أتدري ماذا قال قلت لا أعرف ما قال قال ان السلطان بعث الي
ليسالني ماذا يعطيك فقلت له عنده الذهب والنضة والحيل والعبيد فليده طه ما أحب من ذلك
فذهب الى السلطان ثم عاد الينا فقال ان السلطان يأمر ان تقيمنا اليوم وتزلامه غدا الي
دار بالمدينة فلما كان من الغد بعث فرسا جيدا من مراكبه ونزل ونحن معه الى المدينة
فخرج الناس لاستقباله وفيهم القاضي المذكور آنفا وسواه ودخل السلطان ونحن معه
فلما نزل بباب دار ذهبت مع المدرس الي ناحية المدرسة فدعانا بنا وأمرنا بالدخول معه الي
داره فلما وصلنا الي دهليز الدار وجدنا من خدامه نحو عشرين صورا هم فائقة الحسن
ثم أعياهم ثياب الحرير وشعورهم مفروقة مرسلات وألوانهم ساطعة البياض مشربة بحمرة
ثم فقلت للفقيه ما هذه الصور الحسن فقال هؤلاء قتيان روميون وصعدنا مع السلطان درجا
كثيرة الى ان انتهينا الى مجلس حسن في وسطه صهريج ماء وعلى كل ركن من أركانه صورة
سبعة من الخيام بمجموعها ثمانية وسبعمائة من الخيام وهذا المجلس مصاطب متتالية متصلة

للعقبة عن يمينه والقاضي ممالي الفقيه وأنا ممالي القاضي وقد لقرأ أسفل المصطبة
والقراء لا يفارقونه حيث كان من مجالسه ثم جاؤا بصحاف من الذهب والفضة مملوءة
بالجواب المحلول فدعصر فيه ماء الليمون وجعل فيه كمكث صغار مسمومة وفيها ملاعق
ذهب وفضة و جاؤا معها بصحاف صيني فيها مثل ذلك وفيها ملاعق خشب فمن تودع
أستعمل صحاف الصيني وملاعق الخشب وتكاثرت بشكر السلطان وأتيت على الفقيه
وبالغت في ذلك فأعجب ذلك السلطان وسره ﴿حكاية﴾

وفي أثناء قعودنا مع السلطان أتى شيخ نبي رأسه عمامة لها ذؤابة فلم عليه وقام له القاضي
والفقيه وقعد امام السلطان فوق المصطبة والقراء أسفل منه فقلت للعقبة من هذا الشيخ
فنهضت وسكت ثم أعدت السؤال فقال لي هذا يهودي طيب وكلنا محتاج اليه فلاجل هذا
فما لنا ما رأيت من القيام له فأخذني ما حدث وقسم من الامتعاض فقلت لايه يهودي يا معلمون
لمن لمعون كيف تجلس فوق قراء القرآن وأنت يهودي وشتمته ورفعت صوته في معجب
السلطان وسأل عن معنى كلامي فأخبره الفقيه به ونضب اليهودي فخرج عن المجلس ف
أسوا حال ولما انصرفنا قال لي الفقيه أحسنت بارك الله فيك ان أحد اسواك لا يتحجب
على مخاطبته بذلك واقدر قوة بنفسه

﴿حكاية أخرى﴾

وسألني السلطان في هذا المجلس فقال لي هل رأيت قط حجر انزل من السماء فقد
ما رأيت ذلك ولا سمعت به فقال لي انه قد نزل بخارج بلدنا هذا حجر من السماء ثم
رسالا وأمرهم أن يأتوا بالحجر فأتوا بالحجر أسود أصم شديد الصلابة له بريق قدرت أن
تنته تبلغ قطار أو أمر السلطان باحضار القطاعين فحضر أربعة منهم فأمرهم أن يقطعوا
تخصر يوا عليه ضربة رجل واحد أربع مرات بمطارق الحديد فلم يؤثروا فيه شيئا ف
من أمره وأمر برده الى حيث كان وفي ثالث يوم من دخولنا الى المدينة مع السلطان ص
تأكلنا من الماء المشاخر وأعان المسكرو وجوا أهل المدينة فطعموا ووقل

ملوا واشمع في كل ليلة ثم بعث الى مائة مثقال ذهباً و ألف درهم وكسوة كاملة و فرساً
و مملوكاً و ميا يسمي ميحائيل و بعث لكل من أصحابي كسوة و دراهم كل هذا بمشاركة
المدرس محيي الدين جزاء الله تعالى خيرارود غنا و انصرتنا و كانت مدة مقامنا عنده
بالجبل و المدينة أربعة عشر يوماً ثم قصدنا مدينة تيرة وهي من بلاد هذا السلطان (وضبط
اسمها بكسر التاء المملوءة و ياء مدورا) مدينة حسنة ذات أنهار و بساتين و قواكه نزلنا منها
بزاوية الفتى أخى محمد وهو من كبار الصالحين صائم الدهر وله أصحاب على طريقته فأضافنا
و عالت و سرنا الى ماينة أيالوق (وضبط اسمها بفتح الهمزة و الياء آخر الحروف
و بين مهملة مضموم و لام مضموم و آخره قاف) مدينة كبيرة قديمة معظمة عند الروم
و فيها كنيسة كبيرة مبنية بالحجارة الضخمة و يكون طول الحجر منها عشرة أذرع فما
دونها من حوتة أبدع نحت و المسجد الجامع بهذه المدينة من أبدع مساجد الدنيا لا نظير له في
الحسن و كان كنيسة ثروم معظمة عندهم يقصدونها من البلاد لما فاحت هذه المدينة
جمعها المسامون مسجد اجاء او حيطانه من الرخام الملون و فرشته الرخام الأبيض و هو
مسقف بالرصاص و فيه احدى عشرة قبة متنوعة في وسط كل قبة صهر بج ماء و النهر يشقه
و عن جانبي النهر الاشجار المختلطة الاجناس و دوالي العنب و معرشات الياسمين وله خمسة
عشر باباً و أمير هذه المدينة خضر بك ابن السلطان محمد بن آدين و قد كنت رأيته عنده
ببركي ثم أقيته بهذه المدينة خارجها فسامت عنده و اناراك ففكره ذلك منى و كان سبب
حرمانى لديه فان عادتهم اذا نزل لهم الوارد نزلوا و أعجبهم ذلك و لم يبعث الى الاثواب و احدا
من الحرير المذهب يسمونه انخ (بفتح النون و خاء معجم) و اشتريت بهذه المدينة جارية
رومية بكر اربعة دينار اذهباً ثم سرنا الى مدينة يزميز (وضبط اسمها ياء آخر الحروف
مفتوحة و زاي مسكن و ميم مكسورة و ياء مدورا) مدينة كبيرة على ساحل البحر
معظمها خراب و لها قلعة متصلة بأعلاها نزلنا منها بزاوية الشيخ يعقوب و هو من
الاحمدية صالح فاضل و لقينا بخارجها الشيخ عز الدين بن أحمد الرقاعي و معه زاده
الاخلاطي من كبار المشايخ و معه مائة فقير من الموليين و قد ضرب لهم الامير الاخوية و صنع

لهم الشيخ يعقوب ضيافة وحضرتها واجتمعت بهم وأمر هذه المدينة عمر بك ابن السلطان
 محمد بن آدين المذكور أنفا وسكناه بقلعتها وكان حين قدومه علينا غداً بيه ثم قدم بعد
 خمس من نزولنا بها فكان من مكارمها أني إلى بالزاوية فسلم علي واعتذروا بعث ضيافة لهم
 عظيمة وأعطاني بمد ذلك مملوكا روميا خاسيا اسمه نقوله وثوبين من الكمخا وهي ثياب
 حرير تصنع ببغداد وتبريز ونيسابور والصين وذكر لي الفقيه الذي يؤم به أن الأمير لم يبق
 له مملوك سوى ذلك المملوك الذي أعطاني بسبب كرمه رحمه الله وأعطاني أيضاً للشيخ عز
 الدين ثلاثة أفراس مجهزة وآنية فضة كبيرة تسمى عندهم المشربة مملوءة دراهم وثيابا من
 المنف والمر عز واقديسي والكمخا وحواري وغامانا وكان هذا الأمير كريما صالحا
 كثير الجهاد له أجنان غزوية يضرب بها على نواحي القسطنطينية العظمى فيسبي ويغنم
 ويفي ذلك كرماء وجودا ثم يعود إلى الجهاد إلى أن اشتدت على الروم وطأنه فرفعوا
 أنهرهم إلى البابا فأمر نصاري جنوة وافرانسة بغزوه فغزوه وجهاز جيشا من رومية
 وطرقوا مدينته ليل في عدد كثير من الأجنان وملكوها المرسى والمدينة وزل إليهم
 الأمير عمر من القلعة فقاتلهم فاستشهد هو وجماعة من ناسه واستقر انتصارى بالبلد ولم
 تتركوا على القلعة لمنعتها ثم سافروا من هذه المدينة إلى مدينة مغنيسية (وضبط اسمها
 حة وغين معجمة مسكنة ونون مكسورة ويا مدوسين مهملة مكسورة وياء آخر
 ة) نزلنا بها عشية يوم عرفة بزاوية رجل من الفتيان وهي مدينة كبيرة
 سيطها كثير الأنهار والعيون والبساتين والفواكه

ذكر سلطان مغنيسية

ولما وصلنا إلى هذه البلدة وجدناه بترية ولده وكان قد توفي
 ليلة العيد وصيحتها بترية ولده ولد قد صبر وجعل في تابوت
 روعلق في قبة لاسقف لها لأن تذهب رائحته حينئذ
 ما هو أعلى وجه الأرض وتعمل ثيابه عليه وهكذا رأيت غيره
 ما لنا عليه بذلك الموضع وصلينا معه صلاة العيد وعدنا إلى الزاوية

فأخذ النعلاّم الذي كان إلى أفراسنا وتوجه مع غلام ابني صاحب برسم سقيها فأبطأ ثم لما كان العشي لم يظهر لهما أثر وكان بهذه المدينة الفقيه المدرس الفاضل مصاح الدين فركب معي إلى السلطان وأعلمناه بذلك فبعث في طلبهما فلم يوجدوا واشتغل الناس في عيدهم وقصدوا مدينة الكفار على ساحل البحر تسمى فوجعة على مسيرة يوم من مغنيسية وهؤلاء الكفار في بلد حصين وهم يعشون هدية في كل سنة إلى سلطان مغنيسية فيقنع منهم بها لحصانة بلدهم فلما كان بعد الظهر أتى بهما بعض الأتراك وبالأفراس وذكروا أنهم اجتاز بهم عشية النهار فأنكروا أمرهم واشتدوا عليهم حتى أقرباء أعزما عليه من الفرار ثم سافروا من مغنيسية وبنا ليلة عند قوم من التركمان قد نزّلوا في مرعى لهم ولم يجد عندهم ما تعلمدوا بنا ملك الليلة وبات أصحابنا يحترسون مداولة بينهم خوفاً من السرقة فأنت نوبة الفقيه عفيف الدين التوزري فسمعتهم يقرأون سورة البقرة فقلت له إذا أردت النوم فاعامني لا نظرك من يحترس ثم نمت فبأيقظني الصباح وقد ذهب السراق بفرس لي كان يركبه عفيف الدين بسرجه ولجاء وكان من جياد الخيل اثنتي عشرة باياسلوق ثم رحلنا من الغد فوصلنا إلى مدينة برغمة وضبط اسمها بياء واحدة مفتوحة وراء مسكنة وغين معجمة مفتوحة وميم مفتوحة) مدينة خربة لها إقامة عظيمة منية بأعلى جبل ويقال إن الأباطون الحكيم من أهل هذه المدينة ودارد تشتهر باسمه إلى الآن ونزلنا منها بزراوية فقير من الأحمدية ثم جاء أحد كبار المدينة فنقلنا إلى داردوا كرمنا كراما كثيراً

﴿ ذكر سلطان برغمة ﴾

وسلطانها يسمى بخشي خان بكسر الشين وخان عندهم هو السلطان ومخشي (بياء آخر الحروف وخاء معجم وشين معجم مكسور) ومعناه جيد صادق فنادي مصيف له فأعلم بقدومنا فبث بضيفة وثوب قدسي ثم أكثرينا من يدنا على الطريق وصرنا في جبال شامخة وعرة إلى أن وصلنا إلى مدينة لي كسرى (وضبط اسمها بياء واحدة مفتوحة ولا م مكسور وباء مدوكاف مفتوح وسين مهمل مسكن وراء مكسور وباء) مدينة حسنة

كثيرة العمارات مليحة الاسواق ولا جامع لها يجمع فيه وأرادوا بناء جامع خارجها متصل بها فبنوا حيطانها ونجسوا الهسف فادوا ويصلون ويجمعون تحت ظلال الأشجار ويزلن من هذه المدينة بزواوية الفتى أخى - ناز وهو من أقاضهم وأتى إلى ناقضها وخطبها
 'مقيه موسى

ذكر سلطان بلى كبرى

ويسمى دمور خان ولا سرفيه وأبوه هو الذي في هذه المدينة وكثرت عمارتها من لا خير
 في مدة ابنه هذا والناس على دين الملك ورأيت به وبعت إلى ثوب حرير واشترت هذه
 المدينة جارية رومية اسمي مرغايطة ثم سرنالي مدينة برصي (وضبط اسمها بضم
 الباء الموحدة وسكان الرا ونجح الساد المهمل) مدينة كبيرة عظيمة حسنة الاسواق
 فسيحة الشوارع تحفها البساتين من جميع جهاتها والعيون الجارية وبخارجها نهر شديد
 الحرارة يصب في بركة عظيمة وقبلي عليها بيتان أحدهما للرجال والآخر للنساء
 والمرضى يستشفون بهذه الحمة . يأتون إليها من أقاصي البلاد وهالك زاوية للواردين
 يزلون بها ويوطئون مدة مقامهم وهي ثلاثة أيام عمر هذه الزاوية أحدهم ملوك التركان
 ويزلن في هذه المدينة بزواوية الفتى أخى شمس الدين من كبار التتبان ووافتنا عند يوم
 عاشوراء فصنع طعاما كثيرا ودعا وجوه الكرو أهل المدينة ليلا وأفطروا عندهم قرأ
 بقراء بالاصوات الحسنة وتو حضر المقيه الواعظ محمد الدين القنوي ووعظ وذكر
 وأحسن ثم أخذ من ذوا في السماع والرقص وكانت ليلة عظيمة الشأن وهذا الواعظ من
 الصالحين يوم الدهر ولا ينفطر الا في كل ثلاثة أيام ولا يأكل الا من كميته ويقال انه لم
 يأكل طعاما أحدا قط ولا منزل له ولا متاع الا ما يسهل تربيته ولا ينام الا في المنبرة ويعظ في
 المجالس ويذكر فيتوب على يديه في كل مجلس الجماعة من الناس طلبته بمده هذا الليلة
 فلم أجده وأتيت الحيانة فلم أجده وبقا انما يأتيها بمدهم من الناس
 ﴿حكاية﴾
 لما حضر الليلة عاشوراء بزواوية شمس الدين وعظ بها محمد الدين من آخر الليل فصاح
 أحد الفقراء صيحة غشي عليه منها فصبوا عليه ماء الورد فلم يبق فأعادوا عليه ذلك فلم يبق

واختلفت الناس فيه فمن قائل انه ميت ومن قائل انه مغشى عليه وأتم الواعظ كلامه وقرأ
القرآن وصلينا الصبح وطلعت الشمس فاخبروا حال الرجل فوجدوه فارق الذنار حبه
انما فاشتغلوا بنفسه وتكف به وكنت فيمن حضر الصلاة عليه ودقنه وكان هذا الفقير يسمى
الصباح وذكروا انه كان يمد يداه هناك في جبل فمضى علم ان الواعظ بحمد الدين يعظ
قصده وحضروا وعظ ولم يأت كل طامع أحد فاذا وعظ بحمد الدين يصيح ويغشي غايه ثم
يفيق فيتوضأ ويصلي ركعتين ثم اذا سمع الواعظ صاح بفعل ذلك سرار في الميلة وسمى
الصباح لاجل ذلك وكان أعذر اليد والرجل لاقدرة له على الخدمة وكانت له
والدة تقوته من غزلهما فلما نوفيت اقتنا من نبات الارض ولقيت هذه المدينة الشيخ
الصالح عبد الله المصري السائح وهو من الصالحين جال الارض الا انه لم يدخل الصين
ولا جزيرة سرنديب ولا المغرب لا الاندلس ولا بلاد السودان وقد زدت عليه بدخول
هذه الاقاليم

✽ ذكر سلطان برصي ✽

وسلطانهم اختيار الدين أرخان بك وأرخان (بضم الهمزة وخاء معجم) ابن السلطان
عثمان جوق (وجوق بهم معمود مضموم وآخره قاف) وتفسيره بالتركية الصغير وهذا
السلطان أكبر ملوك التركان وأكثرهم مالا وبلاداً وعسكراً له من الحصون ما يقارب
مائة حصن وهو في أكثر أوقاته لا يزال يطير فيهم ويقوم بكل حصن منها أياماً لا صلاح
شؤنه وتفقد حاله ويقال انه لم يقم قط شهراً كاملاً ببلده ويقا تل الكفار ويحاصرهم ووالده
هو الذي استفتح مدينة برصي من أيدي الروم بقبره بمسجدها وكان مسجدها كنيسة
للتصاري ويذكر انه حاصر مدينة يرتيك نحو عشرين سنة ومات قبل فتحها فحاصرها
ولده هذا الذي ذكرناه ثنتي عشرة سنة وافتتحها وبها كان لقائي له وبعث الى بدراهم
كثيرة ثم سافرنا الى مدينة يرتيك (وضبط اسمها بفتح الياء آخر الحروف واسكان
الزاي وكسر النون وياء مدوكاف) وبتنا قبل الوصول اليها ليلة بقرية تدعى كركة زاوية
ففي من الاخيرة ثم سافرنا من هذه القرية يوماً كاملاً في أنهار ماء على جوانبها أشجار الرمان

الحلو والخامض ثم وصلنا الى بحيرة ماء تثبت القصب على ثمانية أميال من يزيك لا استطاع
دخولها الا على طريق واحد مثل الجسر لا يسلك عليها الا فارس واحد وبذلك امتنعت
هذه المدينة والبحيرة بحيطه بهامن جميع الجهات وهي خاوية على عروشها لا يسكن بها
الا أناس قليلون من خدام السلطان وبها زوجه يملون خاتون وهي الحاكمة عليهم امرأة
صالحة فاضلة وعلى المدينة أسوار أربعة بين كل سورين خندق وفيه الماء ويدخل اليها
على جسور خشب متى أرادوا رفعوها رفعوها وبداخل المدينة البساتين والدور والارض
والمنزارع فكل انسان داره ومزرعته وبستانه مجموعة وشربها من آبار بها قرية وبها من
جميع أصناف الفواكه والجوز والقسطل عندهم شير جد آر خيص الثمن ويسمون
القسطل قسطنطينون والجوز القوز بالقاف وبها القنب العذاري لم أر مثله في سواها متاهي
الحلاوة عظيم الجرم صافي ابون رقيق القشر للحبة منه نواة واحدة أنزلنا هذه المدينة الفقيه
الامام الحاج المجاور علاء الدين السلطانيوكي وهو من الفضلاء الكرماء ماجئت قط الى
زيارته الا أحضر الطعام وصورته حسنة وسيرته أحسن وتوجه بي الى الخاتون المذكورة
فاكرمت وأضافت وأحسنّت وبعد قدومنا بالام وصل الى هذه المدينة السلطان أرخان بك
الذي ذكرناه وأقامت بهذه المدينة نحو أربعين يوما بسبب مرض فرس لي فلما طال على
المكث تركته وانصرفت ومعي ثلاثة من أصحابي وجارية وغلامان وايسر منّا من يحسن
اللسان التركي ويترجم عنا وكان لنا ترجمان فارقنا هذه المدينة ثم خرجنا منها فبينا بقية
يقال لها مكجا (بفتح الميم والكاف والجيم) بتنا عند فقيه بها أكرمنا وأضافنا
وسافرا من عنده وتقدمتنا امرأة من الترك على فرس ومعهما خديم لها وهي قاصدة مدينة
ينجا ونحن في اتباع أثرها فوصلت الى واد كبير يقال له سقري كأنه نسب الى سقر أعاذنا الله
منها فذهبت تجوز الوادي فلما توسطته كادت الدابة تفرق بهما وورمتها عن ظهرها وأراد
الخديم الذي كان معها استخلاصها فذهب الوادي بهما معا وكان في عنوة الوادي قوم
رموا بانفسهم في أثرها سباحة فاخرجوا المرأة وبها من الحيات رمق ووجدوا الرجل قد
قضى نحبه رحمه الله وأخبرنا أولئك الناس ان المدينة أسفل من ذلك الموضع فتوجهنا اليها

وهي أربع خشبات مربوطة بالحبال يجعلون عليها سروج الدواب والمتاع ويجذبها الرجال
من العدو والآخرى ويركب عليها الناس وتجاز الدواب سباحة وكذلك فعلنا وصلنا
تلك الليلة الى كاوية واسمها على مثال فاعلة من السكي نزلنا منها براوية أحد الاخوة فكلما
بالعربية فلم يفهم عنا وكلمنا بالتركية فلم يفهم عنه فقال اطابو الفقيه فانه يعرف العربية فأتني
الفقيه فكلما نالنا بالفارسية وكلمناه بالعربية فلم يفهمها منا فقال للفتي ايشان عربي كهنا ميتوان
(ميكويند) ومن عربي نوميدانم وايشان معناه هؤلاء وكهنا قديم وميقوان يقولون
ومن أنا ونوجديد وميدانم تعرف وانما أراد الفقيه بهذا الكلام ستر نفسه عن الفضيحة
حين ظنوا انه يعرف اللسان العربي وهو لا يعرفه فقال لهم هؤلاء يتكلمون بالكلام العربي
القديم وأنا لا أعرف الا الدرب الجديد فظن الفتى ان الامر على ما قاله الفقيه ونفعنا ذلك
عنده وبالنسبة في اكرامنا وقال هؤلاء يجب كرامتهم لانهم يتكلمون باللسان العربي القديم وهو
لسان النبي صلى الله عليه وسلم تسليما وأصحابه ولم يفهم كلام الفقيه اذ كان لكتني حفظت لفظه
فلما تعلمت اللسان الفارسي فهمت مراده وبتنا تلك الليلة بالزاوية وبعث معننا ليلا الى ينجيا
وضبط اسمها (بفتح الياء آخر الحروف وكسر النون وجيم) بلدة كبيرة حسنة بمحنتنا
بها عن زاوية الاخي فوجدنا أحد الفقراء المولاهين فقات له هذه زاوية الاخي فقال لي نعم
فسررت عند ذلك اذ وجدت من يفهم اللسان العربي فلما اختبرته أبرز الغيب انه لا يعرف
من اللسان العربي الا كلمة نعم خاصة ونزلنا بالزاوية وجاء الينا أحد الطلبة بطعام وام يكن
الاخي حاضر أو حصل الانس بهذا الطالب ولم يكن يعرف اللسان العربي اكنه تفضل
وتكلم مع نائب البلدة فأعطاني فارساً من أصحابه وتوجه معنالي كينون (وضبط
اسمها بفتح الكاف وسكون الباء وضم النون) وهي بلدة صخرة يسكنها كفار الروم
تخبر دمة المسلمين وليس بها غير بيت واحد من المسلمين وهم الحكام عليهم وهي من بلاد
السلطان أرخان بك فنزلنا بدار عجوز كافرة وذلك إبان الحاج والشتاء فأحسننا اليها وبتنا
عند هاتلك الليلة وهذه البلدة لا شجر بها ولا دوا الى العنب ولا يزرع بها الى الزعفران
وأنتنا هذه المعجوز بزعفران كثير وظننت أننا نجار نشتره منها ولما كان الصباح ركبنا وأتانا

الفارس الذي بعثه الفتي معنا من كاوية فبعثه منا فارساً غير ملي وصلنا الى مدينة مطرني وقد
 وقع في تلك الليلة ثلج كثير عفي الطريق فتقدمنا ذلك الفارس فاتبعتنا اثره الى أن وصلنا في
 نصف النهار الى قرية لا تركان فأتوا بطعام فأكلنا منه وكلمهم ذلك الفارس فركب معنا أحدهم
 وسلك بنا أو عار أو جبالاً وجرى ماء تكرر لنا جوازاً زهداً زيد من الثلاثين مرة فلما خاضنا
 من ذلك قال لنا ذلك الفارس أعطوني شيئاً من الدار لهم فقلنا له اذا وصلنا الى المدينة نعطيك
 ونرضيك فلم يرض ذلك مناؤه لم ينعهم عذافاً عند قوساً لبعض أصحابي ومضي غير بعيد ثم
 رجع فرد اليه القوس فأعطيه شيئاً من الدراهم فأخذها وهرب عنا وتركنا لا نعرف أين
 قصد ولا طريق يظهر لنا فكنا نلتمح اثر الطريق تحت الثلج ونسلكه الى أن بلغنا عند
 غروب الشمس الى جبل يظهر المربق به لكثرة الحجارة نخفضت الهلاك على نفسي ومن
 معي وتوقعت نزول الثلج ايلاً لا عمارة هناك فان نزلنا عن الدواب هلكنا وان سريتنا
 بلتنا لا نعرف أين تتوجه وكان لي فرس من الجياد فمهل على الخلاص وقلت في نفسي اذا
 سامت اهل أحتال في سلامة أصحابي فكان كذلك واستودعهم الله تعالى وسرت وأهل
 تلك البلاد يبنون على التبوريت من الخشب يظن رأيها انها عمارة فيجدونها قبوراً فظهر
 لي منها كثير فلما كان بعد العشاء وصلت الى بيوت فتمت اللهم اجعلها عامرة فوجدتها
 عامرة ووفقي الله تعالى الى باب دار فرأيت عايتها شيخاً فكلمة بالعربي فيكلمني بالتركي
 رتشار الى بالدخول فأخبرته بشأن أصحابي فلم ينعهم عني وكان من لطف الله ان تلك الدار
 زاوية للفقراء والواقف بالباب شيخها فلما سمع الفقراء الذين بداخل الزاوية كلامي
 مع الشيخ خرج بعضهم وكانت بيني وبينه معرفة فسلم علي وأخبرته خبر أصحابي وأشارت
 اليه بأن يمضي مع الفقراء لاستخلاص الأصحاب ففعلوا ذلك وتوجهوا معي الى أصحابي
 وجئنا جميعاً الى الزاوية وحمدنا الله تعالى على السلامة وكانت ليلة جمعة فاجتمع أهل التربة
 وقطعوا اليهم بذكر الله تعالى وأني كل منهم بمسايسر له من الطعام وارتفعت المشقة ورحلنا
 عند الصباح فوصلنا الى مدينة مطرني عند صلاة الجمعة (وضبط اسمها بضم الميم والطاء
 المهملة واسكان الراء وكسر النون وياء مد) فنزلنا بزاوية أحد الفتيان الاخوة وبها جماعة

من المسافرين ولم نجد مربطاً للدواب فصلينا الجمعة ونحس في قاق لكثرة التاج والبرد
وعدم المربط فلقينا أحد الحجاج من أهلها فسلم علينا وكان يعرف اللسان العربي فسررنا
برؤيته وطلبت منه أن يدنا عن مربط للدواب بالكرام فقال أمار بطها في منزل فلايتني
لان أبواب دور هذه البلدة صناع لا تدخل عابها الدواب واكنى أدلكم على سقيفة بالسوة
يربط فيها المسافرين ودوابهم والذين يأتون لحضور السوق فدنا عابها وربطناها دواب
ونزل أحد الأصحاب بحانوت خال أزاء هالي حرس الدواب ﴿حكاية﴾

وكان من غريب ما اتفق لنا اني بعثت أحد الخدام يشتري لبن للدواب وبعثت أحده
يشتري السمن فاتي أحدهما باللبن والآخر دون شيء وهو يضحك فسألتاه عن سبب
ضحكه فقال انا وقفنا في دكان بالسوق فطلبنا منه السمن فأشار إلينا بالوقوف وكلام
له فدفعنا له الدراهم فأبضا ساعة وأتى بالبني فأخذنا منه وقاتله انا نريد السمن فقال
السمن وأبرز الغيب انهم يقولون لا تبني سمن بلسان اتركه ما السمن فيسمى تندهم
ولما اجتمعنا بهذا الحجاج الذي يعرف اللسان العربي رغبنا منه أن يسافر معنا الى قسطمو
وبينها وبين هذه البلدة مسيرة عشر وكسوة ثوباه مصرياً من ثيابي وأعطيته نفقة تركها له
وعينت له دابة لركوبه ووعدته الخير وسافر معنا فظهر لنا من حاله انه صاحب مال كثير
وله ديون على الناس غير انه ساقط الهمة خسيس الطبع سي الأفعال وتنازع عليه الدر
لنفقتنا فإخذنا ما يفضل من الخبز ويشترى به الا بزار والخضر والمالح ويمسك ثمن ذلك
وذكر لي انه كان يسرق من دراهم النفقة دون ذلك وكنا نحتمله لما كنا نكابد من
المعرفة باساز الـ ترك وانتهت حاله الي ان فضعنا له وكنا نقول له في آخر النهار يا
سرفت اليوم من النفقة فيقول كذا فخذحك منه ونرضى بذلك ومن أفعاله الخبيسة انه
لثافرس في بعض المنازل فتولى سلخ جلده بيده وباعه ومنها انزلنا ليلة عندأخت له في
القرى فجاءت بطعام وفاكهة من الاجاص والتفاح والمشمس والخوخ كلها ميبسه و
في المساء حتي ترطب فتؤكل ويشرب ماؤها فأردنا ان نحسن اليها فلم بذلك فقال لا تمع

وصلنا الى مدينة بولي (وضبط اسمها بباء موحدة مضمومة وكسر اللام) ولما
اتينا الى قريب منهم وجدنا واديا يظهر في رأى العين صغيرا فلما دخله بعض أصحابنا
وجدوه شديد الجربة والازعاج فجازوه جميعا وبقيت جارية صغيرة خافوا من تجويزها
وكان فرسى خيرا من أفراسهم فاردقوها وأخذت في جواز الوادي فلما توسطته وقع بي
الفرس ووقعت الجارية فأخرجها أصحابي وبهار مق وخلصت أنا ودخلت المدينة فقصدنا
زاوية أحد الفتيان الاخيرة ومن عواندهم انه لا تزال النار موقودة في زواياهم أيام الشتاء
أبدا يجمعون في كل ركن من أركان الزاوية موقد النار ويصنعون لها منافس يصعد منها
الدخان ولا يؤذي الزاوية ويسمونهم الخواص . واحدها بخيري قال ابن جزى وقد أحسن
صفي الدين عبدالعزيز سرايا الحلبي في قوله بالتورية وتذكرته بذكر البخيري

ان البخيري مذفارة موه غدا * يحثو الرماد على كانه الترب

لو شئتم انه يمي أبا لب * جاءت بغالكم حالة الخطب

(رجع) قال فلما دخلنا الزاوية وجدنا النار موقودة فزعت ثيابي ولبست ثيابا سواها
لمايت بالنار وأتي الاخى بالطعام والفاكهة وأكثر من ذلك فآته درهم من طائفة
ما أكرم نفوسهم وأشدد إبتارهم وأعظم شفقتهم على الغريب والطفهم بالوارد وأحبهم فيه
وأجملهم احتفالا بأمره فليس قدوم الانسان الغريب عليهم الا كقدومه على احب
أهله اليه وبتاتلك الليلة بحال رضية ثم رحنا بالغداة فوصلنا الى مدينة كردي بولي
(وضبط اسمها بكاف معقودة وفتح الراء والدال المهملة وسكون الياء وباء موحدة
مضمومة وواو مدولام . كسورة وياء) وهي مدينة كبيرة في بسط من الارض حسنة
متسعة الشوارع والاسواق من أشد البلاد ديار هي محلات مفترقة كل محلة تسكنها
طائفة لا يخالطهم غيرهم

ذكر سلطانها *

وهو السلطان شاه بك مرمو سطر سلاطين هذه البلاد حسنة الصورة والسيرة حملة

الفقيه شمس الدين الدمشقي الحنبلي وهو من مستوطنها منذ سنين وله بها أولاد وهو فقيه هذا السلطان وخطيبه ومسموع الكلام عنده ودخل علينا هذا لفقيه بالزاوية فاعلمنا ان السلطان قد جاء لزيارته فاشكرته على فعله واستقبلت السلطان فسلمت عليه وجلس فسألني عن حالي وعن مقدمي وعن لقيته من السلاطين فاخبرته بذلك كله وأقام ساعة ثم انصرف وبعث بدابة مسرحية وكسوة وانصرفنا الى مدينة برلو (وضبط اسمها بضم الباء الموحدة واسكان الراء وضم اللام) وهي مدينة صغيرة على تل تحتها خندق ولها قلعة بأعلى شاهق نزلنا منها بمدرسة فيها حسنة وكان الحاج الذي سافر معنا يعرف مدرستها وطلبها ويحضر معهم الدرس وهو على علاته من الطلبة خفي المذهب ودعانا أمير هذه البلدة وهو علي بك ابن السلطان المكرم سليمان بادشاه ملك قسطنطينية وسند كره فقصصنا اليه الى القاعة فسلمنا عليه فرحب بنا وأكرمنا وسألني عن اسفاري وحالي فأجبتة عن ذلك وأجلسني الى جانبه وحضر قاضيه وكاتبه الحاج علاء الدين محمد وهو من كبار الكتاب وحضر الطعمام فأكلنا ثم قرأ القراء بأصوات مبكية وألحان عجيبة وانصرفنا وسافرنا بالغد الى مدينة قسطنطينية (وضبط اسمها بقاء مفتوح وصاد مهملة مسكن وطاء مهملة مفتوح وميم مضمومة وواو وونون مكسورة وياء آخر الحروف) وهي من أعظم المدن وأحسنها كثيرة الخيرات رخيصة الاسعار نزلنا منها بزاوية شيخ يعرف بالاطروش لثقل سمعه ورأيت منه عجبا وهو ان أحد الطلبة كان يكتب له في الهواء وتارة في الارض بأصبعه فيفهم عنه ويحييه ويحكى له بذلك الحكايات فيفهمها وأقنا به هذه المدينة نحو أربعين يوما وفكنا نشترى طابق اللحم الغني السمين بدرهمين ونشترى خبزا بدرهمين فيكفينا اليوم منا ونحن عشرة ونشترى حلواء العسل بدرهمين فتكفينا أجمعين ونشترى جوزا بدرهم وقسطا ليمثله فنأكل منها أجمعون وينضل باقيها ونشترى حلوا الحطب بدرهم واحد وذلك أوان البرد الشديد ولم أرفى البلاد مدينة أرخص أسعارها منها وليقت بها الشيخ الامام العالم المفتي المدرس تاج الدين السلطان يوكى من كبار العلماء قرأ

المدرس صدر الدين سايمان الفتيكي من أهل فتية من بلاد الروم وأضافني بمدرسته التي
بسوق الخيل ولقيت بها الشيخ المعمر الصالح دادا أوبر علي دخلت عليه بزأوته بمقربة من
سوق الخيل فوجدته مائتي على ظهره فأجلسه بهض خدامه ورفع بعضهم حاجبيه عن
عينيه ففتحهما وكلمني بالعربي الفصيح وقال قدمت خير مقدم وسأله عن عمره فقَالَ
كنت من أصحاب الخليفة المستنصر بالله وتوفى وأنا ابن ثلاثين سنة وعمرى الآن مائة
وثلاث ورتون سنة فطلبت منه الدعاء فدعا لي وانصرفت

ذكر سلطان نصطانية

وهو السلطان المكرم سايمان بادشاه (واسمه بياض معقودة وألوانه مسكن) وهو
كبير السن يذيق على سبعين سنة حسن الوجه طويل اللحية صاحب وقار وهيبة يجالس
الفقهاء والصالحاء دخلت عليه بمجلسه فأجلسني إلى جانبه وسأني عن حالى ومقدمى وعن
الحرمين الشريفين ومصر والشام فأجبت وأمر بأنزالي على قربى وأعطاني ذلك اليوم
فرساناً قراقطاً بي اللون وكسوة وعين لي سنة وعاءاً وأمرني بعد ذلك بجمع وشى مير
نقدلى في قرية من قرى المدينة على مسيرة نصف يوم منها فلم أجد من يشتريه لخص
الاسمار فأسطيته للحاج لذي كان في صحبتنا ومن عادة السلطان أن يجلس كل يوم
بمجلسه بعد صلاة العصر ويؤتي بالطعام فتفتح الأبواب ولا يمنع أحد من حضرى أو بدوى
أو غريب أو مسافر من الأكل ويجلس في أول النهار جلوساً خاصاً ويأتى ابنه فيقبل يديه
وينصرف إلى مجلس له ويأتى أرباب الدولة نياً كماون عنه وينصرفون من عادته في يوم
الجمعة أن يركب إلى المسجد وهو يمدح دأرو المجد المذكور هو ثلاث طبقات من
الخشب فيصلى السلطان وأرباب دولته والقاضى والنتهاء ووجوه الاجناد في الطبقة
السفلى ويصلى الاقندى وهو أخو السلطان وأصحابه وخدامه وبعض أهل المدينة في
الطبقة الوسطى ويصلى ابن السلطان ولي عهده وهو أصغر أولاده ويسمى الجواد وأصحابه
ومعاليكه وخدامه وسائر الناس في الطبقة العليا ويجمع القراء فيقعدون حلقة أمام المحراب
تقدمهم الخطيب والقاضى ويكون السلطان بأزاء المحراب ويقرؤ سورة الكهف

بأصوات حسان ويكررون الآيات بترتيب عجيب فاذا فرغوا من قراءتها صعد الخطيب المنبر فخطب ثم صلى فاذا فرغوا من الصلاة تنفلوا وقرأ القارئ بين يدي السلطان عشرة وانصرف السلطان ومن معه ثم يقرأ القارئ بين يدي أخي السلطان فاذا تم قراءته انصرف هو ومن معه ثم يقرأ القارئ بين يدي ابن السلطان فاذا فرغ من قراءته قام المعروف وهو المذكور فيمدح السلطان بشعر تركي ويمدح ابنه ويدعو لهما وينصرف ويأتي ابن الملك الى دار أبيه بعد ان يقبل يد عمه في طريقه وعمه واقف في انتظاره ثم يدخلان الى السلطان فيتقدم أخوه ويقبل يده ويجلس بين يديه ثم يأتي ابنه فيقبل يده وينصرف الى مجلسه فيقدم به مع ناسه فاذا حانت صلاة العصر صلوا جميعاً وقبل أخو السلطان يده وانصرف عنه فلا يعود اليه الا في الجمعة الاخرى وأما الولد فانه يأتي كل يوم غدوة كما ذكرناه ثم سافرنا من هذه المدينة ونزلنا في زاوية عظيمة باحدى القرى من أحسن زاوية رأيتها في تلك البلاد بناها أمير كبير تاب الى الله تعالى يسمى نحر الدين وجعل النظر فيها للولد والاشراف لمن أقام بالزاوية من الفقراء وفوائد القرية وقف عليها وبني بازاء الزاوية حماما لاسيلا يدخله الوارد والصادر من غير شيء يلزمه وبني سوقا بالقرية ووقفه على المسجد الجامع وعين من أوقف هذه الزاوية لكل فقير يردهم من الخرمين الشريفين أو من الشام ومصر والعراقين وخراسان وسواها كسوة كاملة ومائة درهم يوم قدومه وثلاثمائة درهم يوم سفره والنفقة أيام مقامه وهي الحبز واللحم والارز المطبوخ بالسمن والحلواء ولكل فقير من بلاد الروم عشرة دراهم وضيافته ثلاثة أيام ثم انصرفنا وبتنا ليلة ثانية بزاوية في جبل شامخ لا عمارة فيه عمرها بعض الزمان الاخيرة ويعرف بنظام الدين من أهل قصطمونية ووقف عليها قرية يتفق خراجها على الوارد والصادر بهذه الزاوية وسافرنا من هذه الزاوية الى مدينة صنوب (وضبط اسمها بفتح الصاد وضم التون وآخره باء) وهي مدينة حافلة جمعت بين التحصين والتحسين يحيط بها البحر من جميع جهاتها الا واحدة وهي جهة الشرق ولها هنالك باب واحد لا يدخل اليها أحد الا بأذن أميرها وأميرها

(١٦ - رحله)

ابراهيم بك ابن السلطان سليمان بادشاه الذي ذكرناه ولمسا استؤذن لنا عليه دخلنا البلد
ونزلنا زاوية عز الدين أخى جلبي وهي خارج باب البحر ومن هناك يصعد الى جبل داخل
في البحر كميناً سبته فيه البساتين والمزارع والمياه وأكثر فواكه التين والنسب وهو جبل
مانع لا استطاع الصعود اليه وفيه إحدى عشرة قرية يسكنها كفار الروم تحت ذمة المسلمين
وباعلام رابطة تنسب للخضر والياس عليهما السلام لا تخلو عن متعبدو عند هاهنا ماء
والدعاء فيها مستجاب وبسفع هذا الجبل قبر الولي الصالح الصحابي بلال الحبشي وعليه
زاوية فيها الطعام تلوا ردو الصادر والمسجد الجامع بمدينة صنوب من أحسن المساجد وفي
وسطه بركة ماء عليها قبة تعلوها أربع أرجل ومع كل رجل ساريتان من الرخام وفوقها
مجلس يصعد له على درج خشب وذلك من عمارة السلطان بر وانه ابن السلطان علاء الدين
الرومي وكان يصلي الجمعة بأعلى تلك القبة ومملك بعدما بنه غازي جلبي فلما مات تغلب عليها
السلطان سليمان المذكور وكان غازي جلبي المذكور شجاعاً مقداماً ووجهه الله خاصية في
الصبر تحت الماء وفي قوة السباحة وكان يسافر في الاجفان الحربية لحرب الروم فاذا كانت
الملاقاة واشتغل الناس بالقتال غاص تحت الماء ويده آلة حديد يخرق بها أجفان العدو فلا
يشعرون بمأكلهم حتي يدهمهم الغرق وطرفت مرسى بلده مرة أجفان العدو وخرقها
واسر من كان فيها وكانت فيه كفاية لا كفاء لها الا انهم يذكرون انه كان يكثر أكل
الحشيش وبسببه مات فانه خرج يوماً للتصيد وكان مواعده فاتبع غزالة ودخلت له بين
أشجار وزاد في ركض فرسه فعارضته شجرة فضربت رأسه فشدخته فمات وتغلب
السلطان سليمان على البلد وجعل به ابنه ابراهيم ويقال انه أيضاً كل ما كان يأكله صاحبه
على ان أهل بلاد الروم كلها لا ينكرون أكلها واقد مررت يوماً على باب الجامع بصنوب
وبخارجة دكا كينية عد الناس عاينها فرأيت نفر من كبار الاجناد وبين أيديهم خدم
لهم بيده شكاراة مملوءة بشي يشبه الحناء واحد منهم يأخذ منها بملقعة ويأكل وأنا أنظر اليه ولا
علم لي بما في الشكاراة فسألت من كان معي فأخبرني انه الحشيش وأضافنا بهذه المدينة قاضيا
ونائب الامير بها ومعلمه ويعرف بابن عبد الرزاق

لمادخلنا هذه المدينة رأنا أهلها ونحن نصلي مسبلي أيدينا وهم خفية لا يعرفون مذهب مالك ولا كيفية صلاته والمختار من مذهبه هو أسبال اليدين وكان بعضهم يرى الروافض بالحجاز والعراق يصلون مسبلي أيديهم فاتهمونا بمذهبهم وسألونا عن ذلك فأخبرناهم أننا على مذهب مالك فلم يقدروا بذلك منا واستقرت التهمة في نفوسهم حتى بعث الينا نائب السلطان بأرنب وأوصى بعض خدامه ان يلزمنا حتى يرى ما نفعل به فذبجناه وطبخناه وأكلناه وانصرف الحديم اليه وأعلمه بذلك فحينئذ زالت عنا التهمة وبعثوا الينا بالضيافة والروافض لا يأكلون الا رنب وبعد أربعة أيام من وصولنا الى صنوب توفيت أم الأمير ابراهيم بها خرجت في جنازتها وخرج ابنها على قدميه كاشفا شعره وكذلك الامراء والمماليك وثيابهم مقلوبة وأما القاضي والخطيب والفقهاء فانهم قبلوا ثيابهم ولم يكشفوا رؤسهم بل جعلوا عليها مناديل من الصوف الاسود عوضا عن العمامة وأقاموا يطعمون الطعام أربعين يوما وهي مدة العزاء عندهم وكانت اقامتنا بهذه المدينة نحو أربعين يوما فننظر تيسير السفر في البحر الى مدينة القرم فاكثرت بنا مراكب الاروم وأقمنا أحد عشر يوما فننظر مساءة الريح ثم ركبنا البحر فلما توسطناه بعد ثلاث هال علينا واشتد بنا الامر ورأينا الهلاك عيانا وكنت بالطارمة ومعى رجل من أهل المغرب يسمى أبابكر فأمرته ان يصعد الى أعلى المركب لينظر كيف البحر ففعل ذلك وأتاني بالطارمة فقال لي أستودعكم ودهمنا من الهول ما لم يعهد مثله ثم تفسرت الريح وردتنا الى مقربة من مدينة صنوب التي خرجنا منها وأراد بعض التجار النزول الى مرساها ففتحت صاحب المركب من انزاله ثم استقامت الريح وسافرنا فلما توسطنا البحر هال علينا وجرى لنا مثل المرة الاولى ثم ساعدت الريح ورأينا جبال البروق صعدنا مرسى يسمى الكرش فأرصدنا دخوله فأشار الينا أناس كانوا بالجليل ان لا تدخلوا ففنا على أنفسنا وظننا ان هنالك اجفانا لا عدو فرجعنا مع البر فلما قربنا قلنا لصاحب المركب أريد ان انزل ههنا فانزلنى بالساحل ورأيت كنيسة فقصدتها فوجدت بهارا هياورايت في أحد حيطان الكنيسة صورة رجل عربي عليه عمامة متقلد سيفاً ويده رمح وبين يديه سراج يقذفه للراهب ما هذه الصورة فقال

هذه صورة النبي على فمجت من قوله وبتنا تلك الليلة بالكنيسة وطبعنا دجا جافلم نستطيع
أكلها اذ كانت مما استعجبت اذ في المركب ورائحة البحر قد غلبت دلى كل ما كان فيه وهذا
الموضع الذي نزلنا به هو من الصحراء المعروفة بدشت قفجق (والدشت بالشين المعجم
والتاء المتناة) بلسان الترك هو الصحراء وهذه الصحراء خضرة نضرة لا شجربها ولا
جبل ولا تل ولا أبنية ولا حطب وانما يوقدون الارواث ويسمون بها الترك (بالزاي
المفتوح) فترى كبراءهم يلقطونها ويحملونها في أطراف ثيابهم ولا يسافر في هذه الصحراء
الا في المعجل وهي مسيرة ستة أشهر ثلاثة منها في بلاد السلطان محمداً وزبك وثلاثة في بلاد
غيره ولما كان القدم من يوم وصولنا الى هذه المرسى توجه به بعض التجار من أصحابنا الى
من بهذه الصحراء من الطائفة المعروفة بقفجق وهم على دين النصرانية فاكترى منهم
عجلة يجرها الفرس فركبناها ووصلنا الى مدينة الكفا (واسمها بكاف وفاء مفتوحين)
وهي مدينة عظيمة مستطيلة على ضفة البحر يسكنها النصارى وأكثرتهم الجنوبيون ولهم
أمير يعرف بالدمير ونزلنا منها بمسجد المسلمين

﴿ حكاية ﴾

ولما نزلنا بهذا المسجد أقناب ساعة ثم سمعنا أصوات النواقيس من كل ناحية ولم أكن
سمعتها قط فها في ذلك وأمرت أصحابي أن يصمدوا الصومعة ويقرأوا القرآن ويذكروا
الله ويؤذنوا ففعلوا ذلك فاذا برجل قد دخل علينا وعليه الارع والسلاح فسلم علينا
واستفهمناه عن شأنه فأخبرنا أنه قاضي المسلمين هنالك وقال لما سمعت القراءة والاذان
خفت عليكم فجت كاترون ثم انصرف عنا ومارأينا الا خيرا ولم يكن من الغد جاء إلينا
الامير وصنع طعاماً فاكلنا عنده وطفنا بالمدينة فرأيناها حنة الاسواق وبكاهم كفار ونزلنا
الى مرساه فرأينا مرسى عجيباً به نحو مائتي مركب ما بين حربي وسفري صغير أو كبير أو هو
من مراسي الدنيا الشهيرة ثم اكترينا عجلة وسافرنا الى مدينة القرم وهي (بكسر القاف
وقح الراء) مدينة كبيرة حسنة من بلاد السلطان المعظم محمداً وزبك خان وعليها أمير
من قبله اسمه تكتمور وضبط اسمه (بتاء مشددة مضمومة ولام مضمومة وكاف مسكن
وتاء كالاولى مضمومة وميم مضمومة وواو وراء) وكان أحد خدام هذا الامر قد

صحبنا في طريقنا فعرفه بقدر منافيت الى مع امامه سعد الدين بفرس ونزلنا بزاوية شيخها زاده الحراساني فاكر منا هذا الشيخ ورحب بنا وأحسن الينا وهو معظم عندهم ورأيت الناس يأتون للسلام عليه من قاض وخطيب و فقيه وسواهم وأخبرني هذا الشيخ زاده ان بخارج هذه المدينة راهبا من النصارى في دير يتعبد به ويكثر الصوم وانه انتهى الى ان يواصل أربعين يوما ثم يفطر على حبة فول وانه يكشف بالامور ورغب مني ان أصحبه في التوجه اليه فأبيت ثم ندمت بعد ذلك على ان لم أكن رأيتته وعرفت حقيقة أمره ولقيت بهذه المدينة قاضيا الأعظم شمس الدين السائلي قاضي الحنفية ولقيت به قاضي الشافعية وهو يسمى بخضر والفقيه المدرس علاء الدين الاصبى وخطيب الشافعية أبابكر وهو الذي يخطب بالمسجد الجامع الذي عمره الملك الناصر رحمه الله بهذه المدينة والشيخ الحكيم الصالح مظفر الدين وكان من الروم فاسلم وحسن اسلامه والشيخ الصالح العابد مظهر الدين وهو من الفقهاء المعظمين وكان الامير تملكتمور مريضاً فدخلنا عليه فاكر منا وأحسن الينا وكان على التوجه الى مدينة السرا حاضرة السلطان محمد أوزبك فعلمت على السير في صحبته واشتريت العجلات برسم ذلك

﴿ ذكر العجلات التي يسافر عليها هذه البلاد ﴾

وهم يسمون العجلة عربة (بعين مهملة وراء وباء موحدة مفتوحات) وهي عجلات تكون للواحدة منهن أربع بكرات كبار ومنهما ما يجره فرسان ومنهما ما يجره أكثر من ذلك وتجرها أيضاً البقر والجمال على حال العرب في نقلها أو خفتها والذي يخدم العرب يركب احدى الافراس التي تجرها ويكون عليه سرج وفي يده سوط يحركها للمشى وعود كبير يصوبها به اذا عاجت عن القصد ويجعل على العرب شبة قبة من قضبان خشب مربوط بعضها الى بعض بسيور جلد رقيق وهي خفيفة الحمل وتكسى باللبد أو بالملف ويكون فيها طيقان مشبكة ويرى الذي بداخلها الناس ولا يرونه ويتقلب فيها كما يحب وينام ويأكل ويقرأ ويكتب وهو في حال سيره والتي تحمل الاثقال والازواد وخزائن الاطعمة من هذه العربات يكون عليها شبة البيت كما ذكرنا وعليها قفل وجهازت لما أردت السفر

عربة لركوب مغشاة باللبدومعي بها جارية لي وعربة صغيرة لرفيق عفيف الدين التوزري وعجلة كبيرة لسائر الاصحاب يجرها ثلاثة من الجمال يركب أحدها خادم العربية وسرنا في صحبة الامير تلتكمور وأخيه عيسى ولديه قطلودمور وصارربك وسافر أيضاً معه في هذه الوجهة امامه سعد الدين والخطيب أبوبكر والقاضي شمس الدين والفقيه شرف الدين موسي والمعرف علاء الدين وخطة هذا المعرف أن يكون بين يدي الامير في مجلسه فاذا أتى القاضي يقف له هذا المعرف ويقول بصوت عال باسم الله سيدنا ومولانا قاضي القضاة والحكام ميين الفتاوى والاحكام باسم الله واذا أتى فقيه معظم أو رجل مشار إليه قال باسم الله سيدنا فلان الدين باسم الله فيتهياً من كان حاضر الدخول الداخل ويقوم اليه ويفسح له في المجلس وعادة الاترك ان يسيروا في هذه الصحراء سيرا كسير الحجاج في درب الحجاز يرحلون بعد صلاة الصبح وينزلون ضحى ويرحلون بعد الظهر وينزلون عشياً واذا نزلوا حلوا الخيل والابل والبقر عن العربات وسرحوها للرعي اياماً ونهاراً ولا يعلف أحد دابة الا السلطان ولا غيره وخاصة هذه الصحراء ان نباتها يقوم مقام الشعير للدواب وليست لغيرها من البلاد هذه الخاصة ولذلك كثرت الدواب بها ودوا بهم لارعاة لها ولا حراس وذلك اشدة احكامهم في السرقة وحكمهم فيها انه من وجد عنده فرس مسروق كلف ان يرده الي صاحبه ويعطيه معه تسعة مثله فان لم يقدر على ذلك أخذوا لاده في ذلك فان لم يكن له أولاد ذبح كاندج الشاة وهو لاء الاترك لا يأكلون الخبز ولا الطعام الغليظ وانما يصنعون طعاماً من شيء عندهم شرباً الا نلى يسمونه لدوقى (بدال مهمل متشبه بماء او وقاف كسر معقود) يجمعون على النار الماء فاذا غلى صبوا عليه شيئاً من الدوقى وان كان عندهم لحم قطعوه قطعاً صغيراً وطبخوه معه ثم يجمع لكل رجل نصيبه في صحفة ويصبون عليه اللبن الرائب ويشربونه ويشربون عليه لبن الخيل وهم يسمونه القمز (بكسر القاف والميم والزاي المشددة) وهم أهل قوة وشدة وحسن مزاج ويستعملون في بعض الاوقات طعاماً يسمونه البورخاني وهو عجيز يقطعونه قطيعات صغيراً ويشقون أو ساطها ويجمعونها في قدر فاذا طبخت صبوا عليها اللبن الرائب وشربوها

ولهم نبيذ يصنونه من حب الدوقي الذي تقدم ذكره وهم يرون أن كل الحلواء عيبا ولقد حضرت يوما عند السلطان أوزبك في رمضان فأحضرت لحوم الخيل وهي أكثر ما يأكلون من اللحم ولحوم الأغنام والرشاشا وهو شبه الاطرية يطبخ ويشرب باللبن وأتيته تلك الليلة بطبق حلواء صنعها بعض أصحابي فتقدمتها بين يديه فجعل اصبعه عليها وجعله على فيه ولم يزد على ذلك وأخبرني الأمير تلكتمور أن أحد الكبار من مماليك هذا السلطان وله من أولاده وأولاد أولاده نحو أربعين ولدا قال له السلطان يوما كل الحلواء وأعتقدكم جميعا فاني وقال لو قتلتني ما أكلتها ولما خرجنا من مدينة القرم نزلنا زاوية الأمير تلكتمور في موضع يعرف بسجبان فبعث الى أن أحضر عنده فركت اليه وكان لي فرس معدل كوبي يقوده خديم العربية فاذا أردت ركوبه ركبته وأتيت الزاوية فوجدت الأمير قد صنع بها طعاما كثيرا فيه الخبز ثم أتوا بماء أبيض في صحاف صغار فشرب القوم منه وكان الشيخ مظفر الدين يلى الأمير في مجلسه وأنا اليه فقلت له ما هذا فقال هذا ماء الدهن فلم أفهم ما قال فدقته فوجدت له حوضه فتركته فلما خرجت سألت عنه فقالوا هو نبيذ يصنونه من حب الدوقي وهم حنفية المذهب والنبيذ عندهم حلال، ويسمون هذا النبيذ المصنوع من الدوقي البوزة (بضم الباء الموحدة وواو مدوزاى مفتوح) وانما قال لي الشيخ مظفر الدين ماء الدهن ولسانه فيه اللسنة الاعجمية فطنت انه يقول ماء الدهن وبعد مسيرة ثمانية عشر منزلا من مدينة القرم وصلنا الى ماء كثير نحوضه يوما كاملا واذا كثر خوض الدواب والعربات في هذا الماء اشتد وحله وزاد صعوبة فذهب الأمير الى راحتي وقدمني أمامه مع بعض خدامه وكتب لي كتابا الى أمير أزاى يعلمه أنني أريد القدوم على الملك ويحضه على أكرامي وسرنا حتى انتهينا الى ماء آخر نحوضه نصف يوم ثم سرنا بعده ثلاثا ووصلنا الى مدينة أزاى (وضبط اسمها بفتح الهمزة والزاي وآخره قاف) وهي على ساحل البحر حسنة العمارة يقصدها الجنوبيون وغيرهم بالتجارات وسهامن الفتيان أخى بجقجي وهو من العظماء يطعم الوارد والصادر ولما وصل كتاب الأمير تلكتمور الى أمير أزاى وهو محمد خواجة الخوارزمي خرج الى استقبالي ومعه القاضي

والطلبة وأخرج الطعام فلما سلمنا عليه زلنا بموضع أكلنا فيه ووصلنا إلى المدينة ونزلنا بخارجها بمقرية من رابطة هنالك تنسب للحضر والياس عليهما السلام وأخرج شيخ من أهل ازاق يسمى برجب النهر ملكي نسبة إلى قرية بالعراق فأضافنا زاوية له ضيافة حسنة وبعد يومين من قدومنا قدم الأمير تلكتمور وأخرج الأمير محمد للقائه ومعه القاضي والطلبة وأعدوا له الضيافات وضربوا ثلاث قباب متصلا بعضها ببعض أحداها من الحرير الملون عجيبة والثنتان من الكتان وأداروا عليها سراجة وهي المسماة عندنا أفراج وخارجها الدهايز وهو على هيئة البرج عندنا ولما نزل الأمير بسطت بين يديه شقائق الحرير عثى عليها فكان من مكارمه وفضله أن قدمني أمامه ليرى ذلك الأمير منزلي عنده ثم وصلنا إلى الخباء الأولي وهي المعدة لجلوسه وفي صدرها كرسي من الخشب لجلوسه كبير مرصع وعليه مرتبة حسنة فقدمني الأمير أمامه وقدم الشيخ مظفر الدين وصمدهو فجلس فيما يتناوحن جميعاً على المرتبة وجلس قاضيه وخطيبه وقاضي هذه المدينة وطلبتها عن يسار الكرسي على فرش فاخرة ووقف ولدا الأمير تلكتمور وأخوه والأمير محمد وأولاده في الخدمة ثم أتوا بالطعمة من لحوم الخيل وسواها وأتوا بالبان الخيل ثم أتوا بالبوزة وبعد الفراغ من الطعام قرأ القراء بالأصوات الحسان ثم نصب منبر وصمده الواعظ وجلس القراء بين يديه وخطب خطبة بليغة ودعا للسلطان والأمير وللحاضرين يقول ذلك بالعربي ثم يفسره لهم بالتركي وفي أثناء ذلك يكرر القراء آيات من القرآن بترجيع عجيبة ثم أخذوا في الغناء يغنون بالعربي ويسمونه النول ثم بالفارسي والتركي ويسمونه الملمع ثم أتوا بطعام آخر ولم يزلوا على ذلك إلى العشي وكلمنا أردت الخروج من عنى الأمير ثم جاءوا بكسوة للأمير وكسى ولديه وأخيه وللشيخ مظفر الدين ولي وأتوا بعشرة أفراس للأمير ولأخيه ولولديه بستة أفراس ولكل كبير من أصحابه بفرس ولى بفرس والخيل بهذه البلاد كثيرة جداً وثمانها نزر قيمة الخيل منها خمسون درهما وستون من دراهمهم وذلك صرف دينار من دنانيرنا وأنحوه وهذه الخيل هي التي تعرف بمصر بالا كاديش ومنها معاشهم وهي بلادهم كالغنم ببلادنا بل أكثر فيكون للتركي منهم آلاف منها ومن عادة

الترك المستوطنين تلك البلاد أصحاب الخيل انهم يصنعون في العربات التي ركب فيها
نساؤهم قطعة لبس في طول الشبر مربوطة الى عود رقيق في طول الذراع في ركن العربية
ويجعل لكل ألف فرس قطعة ورأيت منهم من يكون له عشر قطع ومن له دون ذلك وتحمل
هذه الخيل الى بلاد الهند فيكون في الرقعة منها ستة آلاف وما فوقها وما دونها لكل تاجر
المائة والمائتان فادون ذلك وما فوقه ويستأجر التاجر لكل خمسين منها راعيا يقوم
عليها ويرعاها كالغنم ويسمي عندهم القشى ويركب أحدها ويده عصي طويلة فيها حبل
فاذا أراد أن يقبض على فرس منها حاذاه بالفرس الذي هو رأكبه ورمي الحبل في عنقه
وجذبه فيركبه ويترك الآخر للراعي واذا وصلوا بها الى أرض السند أطعموها العلف
لان زبات أرض السند لا يقوم مقام الشعير ويموت لهم منها الكثير ويسرق ويغرمون عليها
بأرض السند سبعة دنانير فضة على الفرس بموضع يقال له ششبقار ويغرمون عليها بمائتان
قاعدة بلاد السند وكانوا فيما تقدم يغرمون ربيع ما يجلبونه فرفع ملك الهند السلطان محمد
ذلك وأمر أن يؤخذ من تجار المسلمين الزكاة ومن تجار الكفار العشر ومع ذلك يبقى
للتجار فيها فضل كبير لانهم يبيعون الرخيص منها ببلاد الهند بمائة دينار دراهم وصرفها
من الذهب المغربي خمسة وعشرون ديناراً وربعاً باعوا بها بضعف ذلك وضعفه وضعفه
والحياد منها تساوي خمسمائة دينار وأكثر من ذلك وأهل الهند لا يتبعونها للجرى
والسبق لانهم يلبسون في الحرب الدروع ويدرعون الخيل وانما يتغنون قوة الخيل
واتساع خطاها والخيل التي يتغنونها للسبق تجلب اليهم من اليمن وعمان وفارس وبيع
الفرس منها بألف دينار الى أربعة آلاف ولما سافر الامير تيمور عن هذه المدينة
أقامت بعده ثلاثة أيام حتى جهز لي الامير محمد خواجة آلات سفرى وسافرت الى مدينة
الماجروهي (بفتح الميم وألف وجيم مفتوح معقود وراء) مدينة كبيرة من أحسن
مدن الترك على نهر كبير وبها البساتين والفواكه الكثيرة نزلنا منها بزاية الشيخ الصالح
العابد المير محمد البطاخي من بطائح العراق وكان خليفة الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله
عنه وفي زاويته نحو سبعين من فقراء العرب والفرس والترك والروم منهم المتزوج

والعزب وعيشتهم من الفتوح ولاهل تلك البلاد اعتقاد حسن في الفقراء وفي كل ليلة يأتون الى الزاوية بالخيول والبقر والغنم ويأتي السلطان والخواتين لزيارة الشيخ والتبرك به ويجزلون الاحسان ويعطون العطاء الكثير وخصوصاً النساء فانهم يكثرن الصدقة ويحربن أفعال الخير وصلينا بمدينة المساجر صلاة الجمعة فلما قضيت الصلاة صعدوا واعظ عز الدين المنبر وهو من فقهاء بخاري وفضلائها وله جماعة من الطلبة والقراء يقرؤون بين يديه ووعظ وذكر وأمر المدينة حاضر وكب أوها فقام الشيخ محمد البطاخي فقال ان الفقيه الواعظ يريد السفر ونريد له زواجة ثم دلى فرجة مر عز كانت عليه وقال هذه مني اليه فكان الحاضرون بين من خلع ثوبه ومن أعطي فرسا ومن أعطى دراهم واجتمع له كثير من ذلك كله رأيت بقبسارية هذه المدينة يهوديا سلم على وكنتي بالامر بي فسألت عن بلاده فذكر انه من بلاد الاندلس وانه قدم منها في السبر ولم يسلك بحرا وأتى علي طريق القسطنطينية العظمى وبلاد الروم وبلاد الجركس وذكر ان عهده بالاندلس منذ أربعين سنة وأشهر وأخبرني التجار المسافرين الذين لهم المعرفة بذلك بصحة مقالته ورأيت بهذه البلاد عجبا من أعظم النساء عندهم وهن أعلى شأن من الرجال فأما نساء الامراء فكانت أول رؤيتي لهن عند دخروحي من القرم رؤية الخاتون زوجة الامير سلطانية في عربة لها وكلها مجللة بالملف الازرق الطيب وطيقان البيت مفتوحة وأبراهو بين يديها أربع جوار فائتات الحسن بديعات اللباس وخائفها جملة من العربات فيها جوار يتبعنها ولما قربت من منزل الامير نزلت عن العربة الى الارض ونزل معها نحو ثلاثين من الجواري يرفعن أذيالها ولا توابها عري تأخذ كل جارية بعرو وتورفعن الاذيال عن الارض من كل جانب ومشيت كذلك متبخرة فلما وصلت الى الامير قام اليها وسلم عليها وأجلسها الى جانبه ودار بها جواريا وجاؤا برؤا القز فصبت منه في قدح وجلست علي ركبتيها اقدام الامير وناولته القرح فشرب ثم سقت أخاه وسقاها الامير وحضر الطعام فأكلت معه وأعطاه كسوة وانصرفت وعلي هذا الترتيب نساء الامراء وسند كنساء الملك فيما بعد وأما نساء البساعة والسوقة فرأيتهن واحداهن تكون في العربة والخيول تجرها وبين يديها

الثلاث والاربع من الجوارى يرفعن أذيالها وعلى رأسها البغطاق وهو أقروف مرصع بالجواهر وفي أعلاه ريش الطواويس وتكون طيقان البيت مفتحة وهي بذية الوجه لأن نساء الأتراك لا يحتجبن وتأتي احداهن على هذا الترتيب ومعها عييدها بالغنم واللبن فتدفعه من الناس بالسلع العطرية وربما كان مع المرأة منهن زوجها فيظنه من يراه بعض خدامها ولا يكون عليه من الثياب الا فروة من جلد الغنم وفي رأسه قلنسوة تناسب ذلك يسمونها الكلا ونجهاز نامن مدينة المساجر تقصد معسكر السلطان وكان على أربعة أيام من المساجر موضع يقال له بش دغ ومعنى بش عندهم خمسة وهو (بكسر الباء وشين معجم) ومعنى دغ الحبل وهو (بفتح الدال المهمل وغين معجم) وبهذه الخيال الخمسة عين ماء حار يغتسل منها الأتراك ويزعمون انه من اغتسل منها لم تصبه عاهة مرض وار تحانا الى موضع الحلة فوصلناه أول يوم من رمضان فوجدنا الحلة قد رحلت فعدنا الى الموضع الذي رحلنا منه لأن الحلة تنزل بالقرب منه فضربت يتي على تل هنالك وركزت العلم أمام البيت وجعلت الحبل والعربات وراء ذلك وأقيمت الحلة وهم يسمونها الأردو بضم الهمزة فرأينا مدينة عظيمة تسير بأهلها فيها المساجد والأسواق ودخان المطبخ صاعد في الهواء وهم يطبخون في حال رحيلهم والعربات تجرها الخيل بهم فاذا بلغوا المنزل نزلوا البيوت عن العربات وجعلوها على الأرض وهي خفيفة الحمل وكذلك يصنعون بالمساجد والحوانيت واجتاز بنا خواتين السلطان كل واحدة بناسها على حدة ولما اجتازت الرابعة منهن وهي بنت الأمير عيسى بك وسند كرها رأيت البيت بأعلى التل والعلم أمامه وهو علامة الوارث فبعثت الفتيان والجوارى فسلموا على وبلغوا سلامها الى وهي واقفة تنتظرهم فبعثت اليها هدية مع بعض أصحابي ومع معرف الأمير تلكتمور فقبلتها تبركا وأمرت ان أنزل في جوارها وانصرفت وأقبل السلطان فنزل في محله على حدة

﴿ ذكر السلطان العظيم محمد أوزبك خان ﴾

واسمه محمد أوزبك (بضم الهمزة وواو وزاي مسكن وباء موحدة مفتوحة) ومعنى خان عندهم السلطان وهذا السلطان عظيم المملكة شديد القوة كبير الشأن رفيع

المكان قاهر لأعداء الله أهل قسطنطينية العظمى مجتهد في جهادهم وبلادهم متسعة
 ومدنه عظيمة منها الكفار والقرم والمأجر وأزاق وسرداق (سوداق) وخوارزم
 وحضرته السرا وهو أحد الملوك السبعة الذين هم كبراء ملوك الدنيا وعظماؤها وهم مولانا
 أمير المؤمنين ظل الله في أرضه أمام الطائفة المنتصورة الذين لا يزالون ظاهرين على الحق
 إلى قيام الساعة أيد الله أمره وأعز نصرته وسلطان مصر والشام وسلطان العراق والسلطان
 أوزبك هذا وسلطان بلاد تركستان وما وراء النهر وسلطان الهند وسلطان الصين
 ويكون هذا السلطان إذا سافر في محلة على حدة معه مائة ألف من أرباب دولته وتكون كل
 خاتون من خواتينه على حدة في محلها فإذا أراد أن يكون عنده واحدة منهن بعث إليها بملابسها
 بذلك فتبناها وله في قعوده وسفره وأموره ترتيب عجيب بديع ومن عادته أن يجلس يوم
 الجمعة بعد الصلاة في قبة تسمى قبة الذهب مزينة بديعة وهي من قضبان خشب مكسوة
 بصفايح الذهب وفي وسطها سرير من خشب مكسوة بصفايح الفضة المذهبة وقوائمها فضة
 خالصة ورؤسها مرصعة بالجواهر ويقعد السلطان على السرير وعلى يمينه الخاتون طيغلي
 وتليها الخاتون كبك وعلى يساره الخاتون يلون وتليها الخاتون أردجي ويقف أسفل
 السرير عن اليمين ولد السلطان تين بك وعن الشمال ولد الثاني جان بك ويجلس بين يديه
 ابنتايت كجك واذا أتت أحدها من قام لها السلطان وأخذ يدها حتى تصعد على السرير
 وأما طيغلي وهي الملكة واحظاها عنده فانه يستقبلها إلى باب القبة فيسلم عليها ويأخذ
 يدها فإذا صعدت على السرير وجلست حينئذ يجلس السلطان وهذا كله على أعين الناس
 دون احتجاب ويأتي بعده لك كبار الأمراء فتنصب لهم كراسيهم عن اليمين والشمال وكل
 إنسان منهم إذا أتى مجلس السلطان يأتي معه غلام بكريه ويقف بين يدي السلطان أبناء
 الملوك من بني عمه وأخوته وأقاربه ويقف في مقابلتهم عند باب القبة أولاد الأمراء الكبار
 ويقف خلفهم وجوه العساكر عن يمين وشمال ثم يدخل الناس للسلام الأمام
 فالأمام مثل ثلاثة ثلاثين فيسلمون وينصرفون فيجلسون على بعد فإذا كان بعد صلاة العصر
 انصرفت الملكة من الخواتين ثم ينصرف سائرهن فيتبعنها إلى محلها فإذا دخلت إليها

انصرفت كل واحدة الى محلتها راكبة عربتها ومع كل واحدة نحو خمسين جارية راكبات على الخيل وامام العربات نحو عشرين من قواعد النساء راكبات على الخيل فيما بين الفتيان والعربة وخلف الجميع نحو مائة مملوك من الصبيان وامام الفتيان نحو مائة من المماليك الكبار ركباناً ومثلهم مشاة بأيديهم القضبان والسيوف مشدودة على أوساطهم وهم بين الفرسان والفتيان وهكذا ترتيب كل خاتون منهن في انصرافها وبحيها وكان نزولها من المحلة في جوار ولد السلطان جان بك الذي يقع ذكره فيما بعد وفي القدم من يوم وصولي دخلت الى السلطان بعد صلاة العصر وقد جمع المشايخ والقضاة والفقهاء والشرفاء والفقراء وقد صنع طعاماً كثيراً وأفطرنا به حضره وتكلم السيد الشريف نقيب الشرفاء ابن عبد الحميد والقاضي حمزة في شأننا بالخير وأشاروا على السلطان باكرامى وهو لاء الا تراك لا يعرفون انزال الوارد ولا اجراء النفقة وانما يعيشون له الغنم والخيل للذبح وروايا القمز وتلك كرامتهم وبعد هذا بأيام صليت صلاة العصر مع السلطان فلما أردت الانصراف أمرني بالعود وجاؤا بالطعام من المشروبات كما يصنع من الدوقى ثم باللحوم المسلوقة من الغنم والخيل وفي تلك الليلة أتيت السلطان بطبق حلواء فجعل اصبعه عليه وجعله على فيه ولم يزد على ذلك

﴿ ذكر الخواتين وترتيبهن ﴾

وكل خاتون منهن تركب في عربة ولليث الذي تكون فيه قبة من الفضة المموهة بالذهب أو الخشب المرصع وتكون الخيل التي تجر عربتها مجللة بأثواب الحرير المذهب وخديم العربية الذي يركب أحد الخيل فتى يدعى القشى والخاتون قاعدة في عربتها وعن يمينها امرأة من القواعد تسمى أولو خاتون (بضم الهمزة واللام) ومعنى ذلك الوزيرة وعن شمالها امرأة من القواعد أيضاً تسمى كجك خاتون (بضم الكاف والجيم) ومعنى ذلك الحاجبة وبين يديها ست من الجوارى الصغار يقال لهن البنات فائقات الجمال متناهيات الكمال ومن ورائها اثنتان منهن تستند اليهن وعلى رأس الخاتون البغطاق وهو مثل التاج الصغير مكلل بالجواهر وبأعلاها ريش الطواويس وعليها ثياب حرير مرصعة بالجواهر

شبه المنوت (الملوطة) التي يلبسها الروم وعلى رأس الوزيرة والحاجة مقنعة حرير مزركشة الحواشي بالذهب والجواهر وعلى رأس كل واحدة من البنات الكلاو هو شبه الاقروف وفي أعلى دائرة ذهب مرصعة بالجواهر وریش الطواويس من فوقها وعلى كل واحدة ثوب حرير مذهب يسمى النخ ويكون بين يدي الخاتون عشرة أو خمسة عشر من القتيان الروميين والهنديين وقلبوا ثياب الحرير المذهب المرصعة بالجواهر ويبد كل واحد منهم عمود ذهب أو فضة أو يكون من عود ملبس بهما وخلف عربة الخاتون نحو مائة عربة في كل عربة الثلاث والأربع من الجوارى الكبار والصغار ثيابهن الحرير وعلى رؤسهن الكلاو وخلف هذه الربات نحو ثلاثمائة عربة تجرها الجمال والبقر تحمل خزائن الخاتون وأموالها وثيابها وأثاثها وطعامها ومع كل عربة غلام موكل بها متزوج بجارية من الجوارى التي ذكرنا فان العادة عندهم انه لا يدخل بين الجوارى من الغلمان الا من كان له يئهن زوجة وكل خاتون فهي على هذا الترتيب ولندكرهن على الانفراد

✽ ذكر الخاتون الكبرى ✽

والخاتون الكبرى هي الملكة أم ولدي السلطان جان بث وتين بك وسندكرها وليست أم ابنته إيت كججك وأمها كانت الملكة قبل هذه واسم هذه الخاتون طيطغنى (بفتح الطاء المهملة الاولى واسكان اياء آخر الحروف وضم الطاء الثانية واسكان الفين المعجمة وكسر اللام وياء مد) وهي أحظي نساء هذا السلطان عنده وعند ها بيت أكثر ليا ليه ويعظمها الناس بسبب تعظيمه لها والانهى أن يخل الخواتين وحدهن من أعتمده من العارفين بأخبار هذه الملكة ان السلطان يحبها للاخصية التي فيها وهي انه يجدها كل ليلة كأنهم ابكروذ كرلي غيره انها من سلالة المرأة التي يذكر ان الملك زال عن سليمان عليه السلام بسببها ولما عاد اليه ملكه أمر ان توضع بصحراء لاعمارة فيها فوضعت بصحراء قفجق وان رحم هذه الخاتون شبه الحنفية خاتمة وكذلك كل من هو من نسل المرأة المذكورة ولم أر بصحراء قفجق ولا غيرها من أخبر انه رأى امرأة على هذه الصورة ولا سمع بها الا هذه الخاتون اللهم الا ان بعض أهل الصين أخبرني ان بالصين صنفان نساها

على هذه الصورة ولم يقع بيدي ذلك ولا عرفت له حقيقة وفي غد اجتماعي بالسلطان دخلت الى هذه الخاتون وهي قاعدة فيها بين عشر من النساء القواعد كأنهن خديعات لها وبين يديها نحو خمسين جارية صفاراً يسمون البنات وبين أيديهن طيافير الذهب والنفضة مملوءة بحب الملوك وهن ينقيهن وبين يدي الخاتون صينية ذهب مملوءة ذهب وهي تنقيه فسلمنا عليها وكان في جملة أصحابي قارئ يقرأ القرآن على طريقة المصريين بطريقة حسنة وصوت طيب فقرأ ثم أمرت ان يؤتى بالقمر فأتى به في أقداح خشب لطاف خفاف فأخذت القدح بيدها وناولتني إياه وتلك نهاية الكرامة عندهم ولم أكن شربت القمر قبلها ولكن لم يمكنني الا قبوله وذوقه ولا خير فيه ودفعته لاحد أصحابي وسألتني عن كثير من حال سفرنا فاجبتناهم انصرفنا عنها وكان ابتداء ونايلها لأجل عظمتها عند الملك

﴿ ذكر الخاتون الثانية التي تلي الملكة ﴾

واسمها بك خاتون (بفتح الكاف الاولى وكسر الباء الموحدة) ومعناه بالتركية النخالة وهي بنت الامير نغطى (واسمه بنون وغين معجمة وطاء مهملة مفتوحات وياء مسكنة) وأبوها حامي مبتلى بعلة النقر من وقدر آيته وفي غد دخوله ساعلى الملكة دخلنا على هذه الخاتون فوجدناها على مرتبة تقرأ في المصحف الكرسي وبين يديها نحو عشر من النساء القواعد ونحو عشرين من البنات يطرزن ثيابا فسلمنا عليها وأحسنتم في السلام والكلام وقرأ أقرارنا فاستحسنته وأمرت بالقمر فاحضرونا وناولتني القدح بيدها كمثل ما فعلته الملكة وانصرفنا عنها

﴿ ذكر الخاتون الثالثة ﴾

واسمها ييلون (بياء موحدة وياء آخر الحروف كلاهما مفتوح ولام مضموم وواو مد ونون) وهي بنت ملك القسطنطينية العظمى السلطان تكفور ودخلنا على هذه الخاتون وهي قاعدة على سرير مرصع قوائمها فصة وبين يديها نحو مائة جارية روميات وتركيات ونوبيات منهن قائمات وقاعدات والفتيان على رأسها والحجاب بين يديها من رجال الروم فسألت عن حالنا ومقدمنا وبدأوا طائوا بكت ومسحت وجهها بمنديل كان

بين يديها رقة منها وشفتة وأمرت بالطعام فأحضر وأكلنا بين يديها وهي تنظر إلينا ولما أردنا الانصراف قالت لا تقطعوا عننا وترددوا إلينا وطالوا بنا بحسب حاجتنا وأظهرت مكارم الاخلاق وبشت في أثرنا بطعام وخبز كثير وسمن وغنم ودرهم وكسوة جيدة وثلاثة من جياذ الخيل وعشرة من سائرها ومع هذه الخاتون كان سفري إلى القسطنطينية العظمى كما نذكره بعد

﴿ ذكر الخاتون الرابعة ﴾

واسمها أردوجا (بضم الهمزة واسكان الراء وضم الدال المهملة وجم وألف) وأردو بلسانهم المحملة وسميت بذلك لولادتها في المحلة وهي بنت الأمير الكبير عيسى بك أمير الألوس (بضم الهمزة واللام) ومنما أمير الأمراء وأدركته حيا وهو متزوج ببنت السلطان إيت كججك وهذه الخاتون من أفضل الخواتين وألصفهن شمائل وأشفقهن وهي التي بعثت إلي لمساوات يبقى على التل عند جواز المحلة كما قدمنا مدخلنا عليها فقرأنا من حسن خاتما وكرم نفسها ما لا مزيد عليه وأمرت بالطعام فأكلنا بين يديها ودعت بالتمزق فشرب أصحابنا وسألت عن حالتنا فأجبتناها ودخلنا أيضا إلى اختها زوجة الأمير علي بن أرزق

﴿ ذكر بنت السلطان المعظم أوزبك ﴾

واسمها إيت كججك وإيت (بكسر الهمزة وياء مدو تاء متناة) وكججك (بضم الكاف وضم الحيمين) ومعنى اسمها الكلب الصغير فإن إيت هو الكلب وكججك هو الصغير وقد قدمنا أن الترك يسمون بالقبائل كما تفعل العرب وتوجهنا إلى هذه الخاتون بنت الملك وهي في محلة منفردة على نحو ستة أميال من محلة والدها فأمرت بأحضار الفقهاء والقضاة والسيد الشريف ابن عبد الحميد وجماعة الطلبة والمشايخ والفقهاء وحضر زوجها الأمير عيسى الذي بنته زوجة السلطان فقعد معهما على فراش واحد وهو معتل بالنقرس فلا يستطيع التصرف على قدميه ولا ركوب الفرس وإنما يركب العربية وإذا أراد الدخول على السلطان أنزله خدامه وأدخلوه إلى المجلس محمولا وعلى هذه الصورة رأيت أيضا الأمير نغلي وهو

أبو الخاتون الثانية وهذه العلة فاشية في هؤلاء الأتراك ورأينا من هذه الخاتون بنت
السلطان من المكارم وحسن الاخلاق ما لم نره من سواها وأجزلت الاحسان وأفضلت
جزاها الله خيراً

﴿ ذكر ولدي السلطان ﴾

وهما شقيقان وأمهما جميعاً الملكة طيطغلى التي قدمنا ذكرها والا كبر منهما اسمها تين بك
(بتاء معلولة مكسورة وياء مدونون مفتوح) وبك معناه الامير وتين معناه الجسد فكان
اسمها امير الجسد واسم اخيه جان بك (بفتح الجيم وكسر النون) ومعنى جان الروح
فكانه يسمى امير الروح وكل واحد منهما له محلة على حدة وكان تين بك من أجل خلق
الله صورة وعهد له أبو ببالك وكانت له الحظوة والتشريف عنده ولم يرد الله ذلك فانه مات
مات أبوه ولي يسيراً ثم تتل لامور قبيحة جرت له وولي أخوه جان بك وهو خير منه
وأفضل وكان السيد الشريف ابن عبد الحميد هو الذي تولى تربية جربت وأشار على هو
والقاضي حمزة والامام بدر الدين اقوامي والامام المقرئ حسام الدين البيخاري
وسواهم حين قدومى أن يكون نزولى بمحلة جان بك المذكور لفضله ففعلت ذلك

﴿ ذكر سفرى الى مدينة باغار ﴾

وكنت سمعت بمدينة باغار فأردت اتوجه اليها لأرى ما ذكر عنها من انتهاء قصر المايلى
وقصر النهار أيضاً في عكس ذلك النصل وكان بينهما وبين محلة السلطان مسيرة عشرة فصول
منه من يوصانى اليها قبلت منى أو صانى ليها وردنى اليها ووصلتها في رمضان فلما صاينا
المغرب أظفرتنا وأذن بامشاء في أثناء انما نألفنا انما صاينا انما نألفنا الشفع ولو تر
وطلع الفجر إثر ذلك وكذلك يقصر النهار بها في فصل قصره أيضاً وأتمت بها ثلاثاً

﴿ ذكر أرض الظلمة ﴾

وكنت أردت الدخول الى أرض الظلمة والدخول اليها من باغار وبينهما أربعون يوماً ثم
أضربت عن ذلك اعظم المؤنة فيه وقلة الجدوى والسفر اليها لا يكون الا في عجالات صغار

تجرها كلاب كبار فان تلك المفازة فيها الجليد فلا يثبت قدم الآدمي ولا حافر الدابة فيها
والكلاب لها الاظفار فتثبت أقدامها في الجليد ولا يدخلها الا الاقوياء من التجار الذين
يكون لاحدهم مائة عجلة أو نحوها وموفرة بطعامه وشرابه وخطبه فانها لا شجر فيها ولا
حجر ولا مدر والدليل بتلك الارض هو الكلب الذي قد سار فيها مرارا كثيرة وتنتهي
قيمته الى ألف دينار ونحوه وتربط العربية الى عنقه ويقرن معه ثلاثة من الكلاب ويكون
هو المتقدم وتنبه سائر الكلاب بالعربات فاذا وقفت وقفت وهذا الكلب لا يضربه صاحبه
ولا ينهره واذا حضر الطعام أطمع الكلاب أولا قبل بني آدم والاغضب الكلب وفرو وترك
صاحبه لا تلف فاذا كانت لاسافرين هذه الفلانة أربعون مرحلة نزلوا عند الظلمة وترك
كل واحد منهم ما جاء به من المتاع هناك وعادوا الى منزلهم المعتاد فاذا كان من الغد عادوا
لنفقهم متاعهم فيجدون بازائه من السمور والسنجاب والقاقم فان أرضي صاحب المتاع
بما وجد من متاعه أخذ منه وان لم يرضه تركه فيزبدونه ويربما رفعوا متاعهم أعنى أهل الظلمة
وركوا متاع التجار وهكذا يبيعهم وشرأؤهم ولا يعلم الذين يتوجهون الى هنالك من
يربمهم ويشاريهم أمن الجن هو أم من الانس ولا يرون أحدا والقاقم هو أحسن أنواع
العراء وتسوى الفروقة منه بيلا دالته دأب دينار وصرفها من ذهبنا مائتان وخمسون
وهي شديدة البياض من جلد حيوان صغير في طول الشبر وذنبه طويل يتركونه في الفروقة
على حاله والسمور دون ذلك تسوى الفروقة منه أربعين دينار فسادونها ومن خاصية
هذه الجلود انه لا يدخلها القمل وأمساء الصبن وكبارها يجعلون منه الجلد الواحد متصلا
بعرواتهم عند العنق وكذلك تجار فارس والعراقين وعدت من مدينة بلغار مع الامير الذي
بعثه السلطان في صحبتي فوجدت محلة السلطان على الموضع المعروف ببش دغ وذلك في
الثامن والعشرين من رمضان وحضرت معه صلاة العيد وصادف يوم العيد يوم الجمعة

﴿ ذكر ترتيبهم في العيد ﴾

ولما كان صباح يوم العيد ركب السلطان في عساكره العظيمة وركبت كل خاتون عربتها
ومعها عساكرها وركبت بنت السلطان والتاج على رأسها اذهى الملكة على الحقيقة ورثت

الملك من أمهات ركب أولاد السلطان كل واحد فيء عسكره وكان قد قدم لحضور العيد
 قاضي القضاة شهاب الدين السائي ومعه جماعة من الفقهاء والمشايخ فركبوا وركب القاضي
 حمزة والامام بدر الدين القوامي والشريف ابن عبد الحميد وكان ركوب هؤلاء الفقهاء مع
 تين بك ولي عهد السلطان ومعهم الاطبال والاعلام فصلى بهم القاضي شهاب الدين
 وخطب أحسن خطبة وركب السلطان واتهمي الى برج خشب يسمى عندهم الكشك
 فجلس فيه ومعه خواتينه ونصب برج ثان دونه فجلس فيه ولي عهده وابنته صاحبة التاج
 ونصب برجان دونهن سماعن يمينه وشماله فيهما أبناء السلطان وأقاربه ونصبت الكراسي
 الامراء وأبناء الملوك وتسمى الصندليات عن يمين البرج وشماله فجلس كل واحد على
 كرسيه ثم نصبت طبيلات للرمي لكل أمير طومان طبيلة مختصة به وأمير طومان عندهم هو
 الذي يركب له عشرة آلاف فكان الحاضرون من أمراء طومان سبعة عشر يقودون مائة
 وسبعين ألفاً وعسكره أكثر من ذلك ونصب لكل أمير شربة منبر فقام عليه وأصحابه
 يلعبون بين يديه فكانوا على ذلك ساعة ثم أتى بالخالع فخلعت على كل أمير خلعة وعندما يلبسها
 يأتي الى أسفل برج السلطان فيخدم وخدمته ان يمس الارض بركبته اليمنى ويمد رجليه تحتها
 والاخرى قائمة ثم يثوي بفرس مسرج ملجم فيرفع حافره ويقبل فيه الامير ويقوده
 بنفسه الى كرسيه وهنالك يرتبه ويقف مع عسكره ويفعل هذا الفعل كل أمير منهم ثم
 ينزل السلطان الى البرج ويركب الفرس وعن يمينه ابنه ولي العهد وتاليه بنته الملكة تريت
 كحجك وعن يساره ابنة الثاني وبين يديه الخواتين الاربعة في عربات مكسوة بأنواب
 الحرير المذهب والخيل التي تجرها مجللة بالحرير المذهب وينزل جميع الامراء الكبار
 والصغار وأبناء الملوك والوزراء والحجاب وأرباب الدولة فيمشون بين يدي السلطان
 على أقدامهم الى أن يصل الى الوطاق والوطاق (بكسر الراء) وهو أفراج وقد
 نصبت هنالك باركة (باركاه) عظيمة والباركة عندهم بيت كبير له أربعة أعمدة من
 الخشب مكسوة بصفائح الفضة المموهة بالذهب وفي أعلى كل عامود جامور من الفضة
 المذهبة له بريق وشعاع وتظهر هذه الباركة على البعد كأنها تانية ويوضع عن يمينها ويسارها

مسقائف من القطن والكتان ويفرش ذلك كله بفرش الحرير وينصب في وسط الباردة
 السرير الاعظم وهم يسمونه التخت وهم من خشب مرصع وأعواده مكسوة بصفايح فضة
 مذهبة وقوائمه من الفضة الخالصة الموهبة وفوقه ثرون منظم وفي وسط هذا السرير
 الاعظم مرتبة يجلس بها السلطان والخاتون الكبرى وعن يمينه مرتبة جلست بها بنته إيت
 كجك ومعهما الخاتون اردو جاو عن يساره مرتبة جلست بها الخاتون يسلون ومعهما
 الخاتون كبك ونصب عن يمين السرير كرسي قعد عليه تين بك ولد السلطان ونصب عن
 شماله كرسي قعد عليه جان بك ولد السلطان وصيت كراسي عن اليمين والشمال جلس
 فوقها أبناء الملوك والامراء الكبار ثم الامراء الصغار مثل امراء هراة وهم الذين
 يقودون أنذا ثم أتى بالطعام على موائد الذهب والفضة وكل مائدة يحيط بها أربعة رجال
 وأكثر من ذلك وطعامهم لحوم الخيل والغنم مسلوقاً وتوضع بين يدي كل مائدة
 باقي الباورجي وهو مقطع اللحم وعليه ثياب حرير وقد ربط عليهم اقراط حرير وفي
 زامه جملة سكاكين في أعصاها ويدين نكل أمير باورجي فاذا قدمت المائدة قعد بين
 يدي أميردو ويؤتي بصحفة صغيرة من الذهب أو الفضة يهاهاح محلوك بالماء فيقطع الباورجي
 اللحم قطعاً صغيراً وأولهم في ذلك صنعة في قطع اللحم مختلطاً بالعظم فانهم لا يأكلون منه إلا
 ما اختلط بالعظم ثم يؤتى بأواني الذهب والفضة للشرب وأكثر شربهم نبيذاً مسلولاً وهم
 خفية المذهب يحلون النبيذ فاذا أزال السلطان أن يشرب أخذت بانه القديح يسدها
 وخدمت برجالها ثم ناولته القديح فشرب ثم تأخذ القديح آخر فناوله للخاتون الكبرى
 قديحاً رب منه ثم تناول سائر الخواتين على ترتيبهن ثم يأخذ ولي العهد القديح ويخدمه
 فيناولها أباه فيشرب ثم تناول الخواتين ثم أخته ويخدم الخدم ثم يقوم الولد الثاني فيأخذ
 القديح ويسقي أخاه ويخدم له ثم يقوم الامراء الكبار فيسقي كل واحد منهم ولي العهد
 ويخدم له ثم يقوم أبناء الملوك فيسقي كل واحد منهم هذا الابن الثاني ويخدم له ثم يقوم
 الأمراء الصغار فيسقون أبناء الملوك ويغنون أثناء ذلك بالموالية وكانت قد نصبت قبة
 كبيرة أيضاً آراء المسجد للقاضي والخطيب والشريف وسائر الفقهاء والمشايخ وأنا

معه فأتينا بموائد الذهب والفضة يحمل كل واحدة أربعة من كبار الأتراك ولا يتصرف في ذلك اليوم بين يدي السلطان الا الكبار فبأمرهم برفع ما أراد من الموائد الى من أراد فكان من الفقهاء من أكل ومنهم من تودع عن الأكل في موائد الفضة والذهب ورأيت من البصر عن اليمن والشمال من العربات عليها روايا القمز فأمر السلطان بتفريقها على الناس فأتوا الى بركة منها فأعطيتها الخيران من الأتراك ثم أتينا المسجد فندظر صلاة الجمعة فأبطأ السلطان فمن قائل انه لا يأتي لان السكر قد غلب عليه ومن قائل انه لا يترك الجمعة فلما كان بعد تمكن الوقت أتني وهو يتمسك بي فسلم على السيد الشريف وتبسم له وكان يخاطبه بأطوار هو الاب بلسان التركية ثم صليت الجمعة وانصرف الناس الى منازلهم وانصرف السلطان الى انباركه فبقي على حاله الى صلاة العصر ثم انصرف الناس أجمعون وبقي مع الملك تلك الليلة خواتينه وبناته ثم كان رحيلنا مع السلطان والحلة لمسا انقضي العيد فوصلنا الى مدينة الحاج ترخان ومعنى ترخان عندهم الموضع المحرر من المغارم (وهو بفتح التاء المتناة وسكون الراء وفتح الحاء المعجم وآخره نون) والمنسوب اليه هذه المدينة هو حاج من الصالحين تركي نزل بموضعها وحرر له السلطان ذلك الموضع فصار قرية ثم عظمت وتمدنت وهي من أحسن المدن عظيمة الاسواق مبنية على نهر أتلي وهو من أنهار الدنيا الكبار وهناك يقيم السلطان حتى يشتد البرد ويجمد هذا النهر ويجمد المياه المتصلة به ثم يأمر أهل تلك البلاد فيأتون بالآلاف من أحمال التبن فيجمعونها على الجبال المنخفضة فوق النهر والتبن هنالك لا تأكله الدواب لانه يضرها وكذلك ببلاذ الهند وانما أكلها الحشيش الأخضر خصب البلاد ويسافرون بالعربات فوق هذا النهر والمياه المتصلة به ثلاث مراحل وربما جازت القوافل فوقه مع آخر فصل الشتاء في غرقون ويهلكون ولما وصلنا مدينة الحاج ترخان رغب الخاتون ييلون ابنة ملك الروم من السلطان أن يأذن لها في زيارة أبيها لتضع حملها عنده وتعود اليه فأذن لها ورغب منه أن يأذن لي في اتوجه صحبتها لمشاهدة القسطنطينية العظمى فتمنني خوفا على فلا طقة وقلت له انما أدخلها في حرمتك وجوارك فلا أخاف من أحد فأذن لي وودعناه ووصلني بألف وخمسة مائة دينار وخلعة وأفراس كبيرة وأعطيني

كل خاتون منهن سيائك الفضة وهم يسمونها الصوم (بفتح الصاد المهمل) واحدا منها
صومة وأعطت بنته أكثر منهن وكسني وأركبني واجتمع لي من الخيل والثياب وفروا
السجاب والسمور جملة

✽ ذكر سفري إلى القسطنطينية ✽

وسافر نافي العاشر من شوال في صحبة الخاتون بيلون ونحت حرمتها ورحل السلطان في
تشييعها مرحلة ورجع هو والماسكة وولي عهد وسافر سائر الخواتين في صحبتهما مرحلة
ثانية ثم رجع وسافر صحبتهما الأمير يدرة في خمسة آلاف من عسكره وكان عسكر الخاتون
نحو خمسمائة فارس منهم خدامها من المماليك والروم نحو مائتين والباقون من الترك
وكان معها من الجوارى نحو مائتين أكثرهن روميات وكان لها من العربات نحو أربع مائة
عربة ونحو ألفي فرس لجرها ولار كوب ونحو ثلاثمائة من البقر ومائتين من الجمال لجرها
وكان معها من الفتيان الروميين عشرة وثمانين من الهندين مثلهم وقائدهم الأكبر يسمى بسنبل
الهندي وقائد الروميين يسمى بميخائيل ويقول له الاتراك لؤلؤ وهو من الشجعان
الكبار وترك أكثر جواريا وأتقاهم رحلة السلطان إذا كانت قد توجهت برسم الزيارة
ووضع الحمل وتوجهنا إلى مدينة ألك وهي (بضم الهمزة وفتح الكاف الأولى) مدينة
متوسطة حسنة العمارة كثيرة الخيرات شديدة البرد ويئها وين السرا حاضرة السلطان
مسيرة عشرو على مسيرة يوم من هذه المدينة جبال الروس وهم نصارى شقر الشعور
تزرع العيون قباح الصورا أهل غدر وعندهم معادن الفضة ومن بلادهم يؤتي بالصوم وهي
سيائك الفضة التي يبيع ويشترى في هذا الدود وزن الصوم منها خمس أوان ثم وصلنا
بعد عشر من هذه المدينة إلى مدينة سرداق (وضبط اسمها بضم السين المهمل وسكون
الراء وفتح الدال المهمل وآخره قاف) وهي من مدن دشت قفجقي على ساحل البحر
ومر ساها من أعظم المراسي وأحسنها وبخارجها البساتين والمياه وينزلها الترك وطائفة
من الروم تحت ذمتهم وهم أهل الصنائع وأكثر بيوتها خشب وكانت هذه المدينة كبيرة
تخرب معظمها بسبب فتنة وقعت بين الروم والترك وكانت الغلبة للروم فأنصر للترك

أصحابهم وقتلوا الروم شر قتلة ونفوا أكثرهم وبقى بعضهم تحت الذمة الى الآن وكانت
الضيافة تحمل الى الخاتون في كل منزل من تلك البلاد من الخيل والغنم والبقر والدوق
والقمز وألبان البقر والغنم والسفر في هذه البلاده ضحى ومعشى وكل أمير بملك البلاد
يصحب الخاتون بعساكره الى آخر حد بلاده تعظيما لها لالاخوفا عليها لان تلك البلاد آمنة
ثم وصلنا الى البلدة المعروفة باسم بابا سلطوق وبابا عندهم بمنا عند البربر سواء الا أنهم
يفخمون الباء وساطوق (بفتح السين المهملة واسكان اللام وضم الطاء المهملة وآخره
قاف) ويذكرون ان سلطوق هذا كان مكاشفا لكان يذكر عنه أشياء ينكرها الشرع
وهذه البلدة آخر بلاد الاتراك بينها وبين أول عمالة الروم ثمانية عشر يوما في برية غير
معمورة منها ثمانية أيام لا ماء بها يتزود لها الماء ويحمل في الروايا والقرب على العربات وكان
دخولنا اليها في أيام البرد فلم نحتاج الى كثير من الماء والاتراك رنعوا الالبان في القرب
ويخاطونها بالذوق المطبوخ ويشربونها فلا يعطشون وأخذنا من هذه البلدة في الاستعداد
للبرية واحتجت الى زيادة افراس فأتيت الخاتون فأعلمتها بذلك وكنت أسلم عليها صاحبها
ومساء ومتي أتها ضيافة تبعث الى بالفرسين والثلاثة بالغنم فكانت أترك الخيل لا أذبجها
وكان من ممي من الغلمان والخدام يأكلون مع أصحابنا الاتراك فاحتجع لي نحو فرسين
فرسا وأمرت لي الخاتون بخمسة عشر فرسا وأمرت وكيها ساروجة الرومي ان يخارها
سما نام خيل المطبخ وقالت لا تخف فان احتجت الى غير هازدناك ودخلنا البرية في
منتصف ذي القعدة فكان سيرنا من يوم فارقنا السلطان الى أول البرية تسعة عشر يوما
واقامتنا خمسة ورحلنا من هذه البرية ثمانية عشر يوما ضحى ومعشى وما رأينا الا خيرا
والحمد لله ثم وصلنا بعد ذلك الى حصن مهتولى وهو أول عمالة الروم (وضبط اسمه
بفتح الميم وسكون الهاء وضم التاء المعلوة وواو مدولام مكسور وياء) وكانت الروم قد
سمعت بقدم هذه الخاتون على بلادها فوصاهن الى هذا الحصن كفا لي نقوله الرومي في
عسكر عظيم وضيافة عظيمة وجاءت الخواتين والدايات من دارأيها ملك القسطنطينية
وين مهتولى والقسطنطينية مسيرة اثنتين وعشرين يوما منها ستة عشر يوما الى الخليج

وستة منه الى القسطنطينية ولا يسافر من هذا الحصن الا بالخيول والبغال وتترك العربات
 به لاجل الوصر والحيال وجاء كفال الى المذكور ببغال كثيرة وبعثت الى الخاتون بستة منها
 بوصف أمير ذلك الحصن بمن تركته من أصحابه وغلمانه مع العربات والاثقال فأمر لهم
 ان يرجع الامر ببيرة ساكره ولم يسافر مع الخاتون الا ناسها وترك مسجدها
 بهذا الحصن وارتفع حكم الاذان وكان يؤتى اليها بالخور في الضيافة فتشربها وبالختازير
 وأخبرني بعض خواصها انها كتها لم يبق معها من يسلي الا بعض الاتراك كان يصلي معنا
 وتغيرت البواطن لدخولنا في بلاد الكفر ولكن الخاتون أوصت الأمير كفال بكرامي
 ولقد ضرب مرة بعض منكم ناضحاً من صلاتنا ثم وصلنا حصن مساهة بن عبد الملك
 وهو بسفح جبل على نهر رحر يقال له اصطافلي ولم يبق من هذا الحصن الا آثاره وبخارجه
 قرية كبيرة ثم مرت يومين ووصلنا الى الخليج وعلى ساحله قرية كبيرة فوجدنا فيه المد
 ما كنا حتى كان الجزر وخذلنا وعرضه نحو ميلين ومشينا أربعة أميال في رمال ووصلنا
 الخليج الثاني فخذلنا وعرضه نحو ثلاثة أميال ثم مشينا نحو ميلين في حجارة ورمل
 ووصلنا الخليج الثالث وقد ابتعدنا المد فبقينا فيه وعرضه ميل واحد فعرض الخليج كله
 مائة ويابسا اثنا عشر ميلا وما يمر ما كلها في أيام المطر فلا تخاص الا في القوارب وعلى
 ساحل هذا الخليج اثنا عشر مدينة الفتيكة (واسمها بقاء مفتوحة ونون ويا ومدوكاف
 مفتوح) وهي صغيرة لكنها حسنة مائة وكنائسها وديارها حسان والانهار تحرقها
 والبساتين تحرقها ويدخر بها منب والاباص والتفاح والسفرجل من السنة الى الاخرى
 وقام هذا المدينة ثلاثة ايام الخاتون في قريته لا يهابها نالان ثم قدم أخوها شقية ها واسمه
 كفال الى قراس في خمسة آلاف فارس شاكين في السلاح ولما أرادوا لقاء الخاتون ركب
 أخوها المذكور فرسا أشهب وابس ثيابا بيضاء وجعل على رأسه مظلا مكالا بالجواهر
 وجعل عن يمينه خمسة من أبناء الملوك وعن يساره مثلهم لا بسين البياض أيضا وعاهم
 مظلات مزركشة بالذهب وجعل بين يديه مائة من المشاة ومائة فارس قد أسبغوا
 الدروع على أنفسهم وخيلهم وكل واحد منهم يقود فرسا مسرجا مدرا عليه شبكة فارس

من البيضة المجوهرة والدروع والتر كرش والقوس والسيف ويده رمح في طرف رأسه رابرة وأكثر تلك الرماح مكسوة بصفائح الذهب والفضة وتلك الخيل المقودة هي سراكب ابن السلطان وقسم فرسانه على أفواج كل فوج فيه مائتا فارس ولهم أمير قد قدم أمامه عشرة من الفرسان شاكين في السلاح وكل واحد منهم يقود فرسا وخلفه عشرة من العلامات ملونة بأيدي عشرة من الفرسان وعشرة أطبال يتقلدها عشرة من الفرسان ومعهم ستة يضربون الابواق والانفار والسرنايات وهي القبطات وركبت الخاتون في مماليكها وجواربها وفتيانها وخدمها وهم نحو خمسمائة عليهم ثياب الحرير المزركشة بالذهب المرصعة وعلى الخاتون حلة يقال لها النخ ويقال لها أيضاً النسيج مرصعة بالجواهر وعلى رأسها تاج مرصع وفرسها مجمل بجمل حرير مزركش بالذهب وفي يديه ورجليه خلاخل الذهب وفي عنقه قلاند مرصعة وعظام السرج مكسو ذهباً مكال جوهر أو كان التقاؤها في سيط من الأرض على نحو ميل من البلد وترجل لها أخوها لانه أصغر سناً منها وقبل ركابها وقبلت رأسه وترجل الأمراء وأولاد الملوك وقبلوا جميعاً ركابها وانصرفت مع أخيها وفي غد ذلك اليوم وصلنا إلى مدينة كبيرة على ساحل البحر لا أثبت الآن اسمها ذات أنهار وأشجار نزلنا بخارجها ووصل أخو الخاتون ولي العهد في ترتيب عظيم وعسكر ضخم من عشرة آلاف مدرع وعلى رأسه تاج وعن يمينه نحو عشرين من أبناء الملوك وعن يساره مثلهم وقدرت فرسانه على ترتيب أخيه سواء إلا أن الحفل أعظم والجمع أكثر وتلاقت معه أخته في مثل زيارتها الأولى وترجلا جميعاً وأوتي بخباء حرير قد خلا فيه فلا أعلم كيفية سلامهما ونزلنا على عشرة أميال من القسطنطينية فلما كان بالغد خرج أهله من رجال ونساء وصبيان ركباناً ومشاة في أحسن زى وأجمل لباس وضربت عند الصبح الأطبال والابواق والانفار وركبت العساكر وخرج السلطان وزوجته أم هذه الخاتون وأرباب الدولة والخواص وعلى رأس الملك رواق يحمله جملة من الفرسان ورجال بأيديهم عصي طوال في أعلى كل عصي شبه كرة من جلد يرفمون بها الرواق وفي وسط الرواق مثل القبة يرفقها الفرسان بالعصي ولما أقبل السلطان

احتلطت العساكر وكسر العجاج ولم أقدر على الدخول فيما بينهم فلزمنا أنقال الخاتون وأصحابها خوف على نفسي وذكرك لي أنها لم تقرب من أبوابها ترجلت وقبلت الأرض بين أيديهم ما ثم قبلت حافري فرسيهما أو قبل كبار أصحابها مثل فعلها في ذلك وكان دخولنا عند الزوال أو به إلى القسطنطينية العظمى وقد ضربوا نوقيسهم حتى ارتجت الآفاق لاختلاط أصواتها ولمسا وصلنا الباب الأول من أبواب قصر الملك وجسدها به مائة رجل منهم قائدهم فوق دكانه وسمعهم يقولون سرا كنو سرا كنو ومعناه المسلمون ومنعونا من الدخول فقال لهم أصحاب الخاتون أنهم من جهة تافقالوا لا يدخلون إلا بالاذن فأقمنا بالباب وذهب بعض أصحاب الخاتون فبحث من أعلمها بذلك وهي بين يدي والدها فذكرت له شأنا فأمربد دخولنا وعين لنادار بعقربة من دار الخاتون وكتب لنا أمربا بأن لا نعترض حيث نذهب من المدينة ونودي بذلك في الأسواق وأقمنا بالدار ثلاثا تبعث إلينا الضيافة من الدقيق والخبز والغنم والدجاج والسمن والفاكهة والحوت والدرهم والفرش وفي اليوم الرابع دخلنا على السلطان

ذكر سلطان القسطنطينية

واسمه تكفور (بفتح التاء المثناة وسكون الكاف وضم الفاء وواو وراء) ابن السلطان حرجيس وأبوه السلطان جرجيس بقيد الحياة ولكنه تزهده وترهب وانقطع للعبادة في الكنائس وترك الملك لولده وسندكر وفي اليوم الرابع من وصولنا إلى القسطنطينية بعثت إلى الخاتون الفتي سنبل الهندي فأخذ بيدي وأدخلني إلى القصر فجزنا أربعا أبواب في كل باب ستة آلاف بهار جال وأساحتهم وقائدهم على دكانة مذكروشة فلما وصلنا إلى الباب الخامس تركني الفتي سنبل ودخل ثم أتى ودمعه أربعة من الفتيان الروميين ففتشوني لئلا يكون مني سكين وقال لي القائد تلك عادة لهم لا بد من تفتيش كل من يدخل على الملك من خاص أو عام غريب أو بلدي وكذلك الفعل بأرض الهند ثم لما فتشوني قام الموكل بالباب فأخذ بيدي وفتح الباب وأحاط بي أربعة من الرجال أمسك اثنان بكفي واثنان من ورائي فدخلوا بي إلى مشور كبير حيطانه بالفسيفساء قد نقش فيها صور المخلوقات من

الحيوانات والجمادات وفي وسطه ساقية ماء ومن جهتيها الاشجار والناس واقفون يمينا ويسار اسكوت لا يتكلم أحد منهم وفي وسط المشور ثلاثة رجال وقوف أسلمني أولئك الاربعة اليهم فأمسكوا بئابي كما فعل الآخرون وأشار اليهم رجل فتقدموا بي وكان أحدهم يهوديا فقال لي بالعربي لا تخف فهكذا عادتكم ان يفعلوا بالواردوا أنا لترجان وأصلي من بلاد الشام فسألته كيف أسلم فقال قل السلام عليكم ثم وصلت الى قبة عظيمة والسلطان على سرير موزوجته أم هذه الخاتون بين يديه وأسفل السرير الخاتون وأخوتها وعن يمينه ستة رجال وعن يساره أربعة وكلهم بالسلاح فأشار الي قبل 'سلام والوصول اليه بالجلوس هنية ليسكن روعي ففعلت ذلك ثم وصلت اليه فسلمت عليه وأشار الي ان أجلس فلم أفعل وسأني عن بيت المقدس وعن الصخرة المقدسة وعن القمامة وعن مهد عيسى وعن بيت لحم وعن مدينة الخليل عليه السلام ثم عن دمشق ومصر والعراق وبلاد الروم فأجبت عن ذلك كله واليهودي يترجم بيني وبينه فأعجبه كلامي وقال لا ولادها كرموا هذا الرجل وآمنوه ثم خاع علي خلعة وأمر لي بفرس مسرج ملجم ومظلة من التي يجعلها الملك فوق رأسه وهي علامة الأمان وطلبت منه ان يعين من يركب معي بالمدينة في كل يوم حتي أشاهد عجائبها وغرائبها وأذكرها في بلادتي فعين لي ذلك ومن العوائد عندهم ان الذي يلبس خلعة الملك ويركب فرسه يطاف به في أسواق المدينة بالابواق والانفار والاطبال ايراء الناس وأكثر ما يفعل ذلك بالأتراك الذين يأتون من بلاد السلطان أوزبك ثلاثون فطافوا بي في الاواق

﴿ ذكر المدينة ﴾

وهي متناهية في الكبر منقسمة بقسمين بينهما نهر عظيم المد والجزر على شكل وادي سلا من بلاد المغرب وكانت عليه فيما تقدم قنطرة مبنية فخرت وهو الآن يعبر في القوارب واسم هذا النهر أبسمي (بفتح الهمزة واسكان الباء الموحدة وضم السين المهمل وكسر الميم وياء مد) وأحد القسمين من المدينة يسمي أضطنبول (بفتح الهمزة واسكان الصاد وفتح الطاء المهملتين وسكون النون وضم الباء الموحدة وواو مد ولام) وهو بالعدوة

الشرقية من النهر وفيه سكنى السلطان وأرباب دولته وسائر الناس وأسواقه وشوارعه
 مشروشة بالصفاح متسعة وأهل كل صناعة على حدة لا يشاركونهم سواهم وعلى كل سوق
 أبواب تسد عليه بالليل وأكثر الصنائع والباعة بها النساء والمدينة في سفح جبل داخل في
 البحر نحو تسعة أميال وعرضه مثل ذلك أو أكثر وفي أعلاه قلعة صغيرة وقصر السلطان
 والسور يحيط بهذا الحبل وهو مانع لا يبيل لاحد اليه من جهة البحر وفيه نحو ثلاث
 عشرة قرية عامرة والكنيسة العظمى هي في وسط هذا القسم من المدينة وأما القسم الثاني
 منها فيسمى الفلطة (بغير معجمة ولا موطاء مهمل مفتوحات) وهو بالعبدوة الغربية
 من النهر شبيه برباط الفتح في قرية من النهر وهذا القسم خاص بنصارى الأفرنج يسكنونه
 وهم أصناف فمنهم الجنويون والبنادقة وأهل رومية وأهل أفرانسة وحكمهم إلى ملك
 القسطنطينية يقدم عليهم منهم من يرتضونه ويسمونهم القمص وعليهم وظيفة في كل عام
 لملك القسطنطينية ويربما استعصوا أعاليه في حاربهم حتى يصلح بينهم البابة وجميعهم أهل
 تجارة ومرسأهم من أعظم المراسى رأيت به نحو مائة جفن من القراق وسواها من الكبار
 وأما الصغار فلا تحصى كثرة وأسواق هذا القسم حسنة إلا أن الأقدار غالبية عليها ويشقها
 نهر صغير قدر نجس وكنائسهم قذرة لا خير فيها

(ذكر الكنيسة العظمى)

ونما نذكر خارجها وأما داخلها فلم أشاهده وهي تسمى عندهم أياصوفيا (بفتح الهمزة
 والياء آخر الحروف والفاء صاد مضموه وواو مدو فاء مكسورة وياء كالاولى والفاء)
 ويذكرونها من بناء آصف بن برخيا وهو ابن خالة سليمان عليه السلام وهي من أعظم
 كنائس الروم وعاليها سور يطيف بها فكانها مدينة وأبوابها ثلاثة عشر بابا ولهها حرم هو
 نحو ميل عليه باب كبير ولا يمنع أحد من دخوله وقد دخلته مع والد الملك الذي يقع ذكره
 وهو شبه مشور مسطح بالرخام وتشقه ساقية تخرج من الكنيسة لها حائطان مرتفعان
 نحو ذراع مصنوعان بالرخام المجزع المنقوش بأحسن صنعة والاشجار منتظمة عن جهتي
 الساقية ومن باب الكنيسة إلى باب هذا المشور معرّش من الخشب مرتفع عليه دوالي

الغيب وفي أسفلها الياسمين والرياحين وخارج باب هذا المشورقة خشب كبيرة فيها طبلات خشب يجلس عليها خدام ذلك الباب وعن يمين القبة مساطب وحوانيت أكثرها من الخشب يجلس بها قضاةهم وكتاب دواوينهم وفي وسط تلك الحوانيت قبة خشب يصعد إليها على درج خشب وفيها كرسي كبير مطبق بالمفك يجلس فوقه قضاةهم وسند كرمه وعن يسار القبة التي على باب هذا المشور سوق العطارين والساقية التي ذكرناها تنقسم قسمين أحدهما يمر بسوق العطارين والآخري يمر بالسوق حيث القضاة والكتاب وعلى باب الكنيسة سقائف يجلس بها خدامها الذين يقومون طرقها ويوقدون سرجها ويغلقون أبوابها ولا يدعون أحداً يدخلها حتى يجدوا صليب الأعظم عندهم الذي يزعمون أنه بقية من الخشبة التي صلب عليها شبيه عيسى عليه السلام وهو على باب الكنيسة مجعول في جمعه ذهب طولها نحو عشرة أذرع وقد عرضوا عليها جعبة ذهب منها حتى صارت صليبا وهذا الباب مصفح بمصفحة فضة وذهب وحاشاته من الذهب الخالص وذكر لي أن عدداً من بهذه الكنيسة من الرهبان والقسيسين ينتهي إلى آلاف وأن بعضهم من ذرية الحوارين وأن بداخلها كنيسة مختصة بالنساء فيها من الأبنكار المنقطعات للعبادة أزيد من ألف وأمة القواعد من النساء أكثر من ذلك كله ومن عادة الملك وأرباب دولته وسائر الناس أن يأتوا كل يوم صباحاً إلى زيارة هذه الكنيسة ويأتى إليها الباقية مرة في السنة وإذا كان على مسيرة أربع من البلد يخرج الملك إلى ثمانية ويترجل له وعند دخول المدينة يمضى بين يديه على قدميه ويأتيه صباحاً ومساءلاً لسلام عليه طول مقامه بالقسطنطينية حتى ينصرف

✽ ذكر المانستارات بالقسطنطينية ✽

والمانستار على مثل لفظ الماسارستان الآن نونه متقدمة ورائه متأخرة وهو عندهم شبه الزاوية عند المسامين وهذه المانستارات بها كثيرة فمنها ما ستر عمره الملك جرجيس والملك القسطنطينية وسند كرمه وهو بخارج اصطبول مقابل الخلطة ومنها ما ستر أن خارجاً كنيسة العظمى عن يمين الداخل إليها وهما في داخل بستان يشقهما نهر ماء واحد هما للرجال والآخرا للنساء وفي كل واحد منهما كنيسة ويدور بهما الليوت

للمتعبدين والمتعبدات وقد سبس على كل واحد منهما احباس لكسوة المتعبدين ونفقتهم
بناها أحد الملوك ومنها ما استاران عن يسار الداخل الى الكنيسة العظمى على مثل هذين
الآخرين ويطيف بهما يوت وأحد هما يسكنه العميان والثاني يسكنه الشيوخ الذين
لا يستطيعون الخدمة بمن بالغ الستين أرغوا هاول لكل واحد منهم كسوته ونفقتهم من أوقاف
معية لذلك وفي داخل كل مانستار منها دورة لتعبد الملك الذي بناه وأكثروا لاء الملوك
اذا بلغ الستين أو السبعين بنى مانستارا ولبس المسوح وهي ثياب الشعر وقلد ولده الملك
واشتغل بالعبادة حتى يموت وهم يحتفلون في بناء هذه المانستارات ويعملونها بالرخام
والفسيفساء وهي كثيرة بهذه المدينة ودخلت مع الرومي الذي عينه الملك لار كوب معي
الى مانستار يشق نهرو وفيه كنيسة فيها نحو خمسمائة بكر عليهم المسوح ورؤسهن محلوقة فيها
قلائس الابد ولهن جمال فائت وعلينهن أثر العبادة وقد قعد صبي على منبر يقرأ لهن الانجيل
صوت لم أسمع قط أحسن منه وحوله ثمانية من الصبيان على منابر ومعهم قسيسهم فلما
قرأ هذا الصبي قرأ صبي آخر وقال لي الرومي ان هؤلاء البنات من بنات الملوك وهن
أنفسهن لخدمة هذه الكنيسة وكذلك الصبيان القراء ولهم كنيسة أخرى خارج تلك
الكنيسة ودخلت معاً أيضاً الى كنيسة في سستان فوجدنا بها نحو خمسمائة بكر أو أزيد
وصبي يقرأ لهن على منبر وجماعة صبيان معهن على منابر مثل الاولين فقال لي الرومي هؤلاء
بنات الوزراء والأمراء يتعبدن بهذه الكنيسة ودخلت معاً الى كنائس فيها أبكار من
وجوه أهل البلد والى كنائس فيها المعجزات والقواعد من النساء والى كنائس فيها
الرهبان يكرن في الكنيسة منها مائة رجز وأكثر وأقل وأكثر أهل هذه المدينة رهبان
ومتعبدون وقسيسون وكنائسها لا تحصى كثرة وأهل المدينة من جندي وغيره صغير
وكبير يعملون على رؤسهم المظلات الكبار شتاء وصيفاً والنساء لهن عمامات كبار

﴿ ذكر الملك المترهب جرجيس ﴾

وهذا الملك ولي الملك لابتا وانقطع للعبادة وبنى مانستارا كما ذكرناه خارج المدينة على
ساحلها وكنت يوماً مع الرومي المعين لار كوب معي فاذا بهذا الملك ماشياً على قدميه وعليه

المسوح وعلى رأسه قلنسوة لبدوله لحية بيضاء طويلة ووجهه حسن عليه أثر العبادة وخلقه
وامامه جماعة من الرهبان وبيده عكاز وفي عنقه سبيحة فلما رآه الرومي نزل وقال لي انزل
فهذا والد الملك فلما سلم عليه الرومي سأله عنى ثم وقف وبعث عنى فبحثت اليه فأخذ يدي
وقال لذلك الرومي وكان يعرف اللسان العربي قل هذا السرا كنو يعني المسلم أنا صافح اليد
التي دخلت بيت المقدس والرجل التي مشيت داخل الصخرة والكنيسة العظمى التي تسمى
قسامة وبيت لحم وجعل يده على قدمي ومسح بها وجهي فمعتجبت من اعتقادهم فيمن دخل
تلك المواضع من غير ملتهم ثم أخذ يدي ومشيت معه فسألتني عن بيت المقدس ومن فيه
من النصارى واطال السؤال ودخات معه الى حرم الكنيسة الذي وصفناه آنفا ولم
قارب الباب الا عظم خرجت جماعة من القسيسين والرهبان لسلام عليه وهو من كبارهم
في الرهبانية ولما رآهم أرسل يدي فقلت له أريد الدخول معك الى الكنيسة فقال لترجمان
قل له لا بدل داخلها من السجود للصليب الا عظم فان هذا مماسته الاوائل ولا يمكن خلافه
فتركته ودخل وحده ولم أراه بعدها

﴿ذكر قاضي القسطنطينية﴾

ولما فارقت الملك المترهب المذكور دخلت سوق الكتاب فرأيت القاضي فيث الى أحد
اعوانه فسأل الرومي الذي معي فقال له انه من طلبة المسلمين فلما عاد اليه وأخبره بذلك بعث
الي أحد أصحابه وهم يسمون القاضي النجاشي كفا لي فقال لي النجاشي كذا لي يدعوك
فصعدت اليه الى القبة التي تقدم ذكرها فرأيت شيخا حسن الوجه واللثة عاياه لباس الرهبان
وهو الملف الاسود وبين يديه نحو عشرة من الكتاب يكتبون فقام الي وقام أصحابه وقال
أنت ضيف الملك ويجب علينا اكرامك وسألتني عن بيت المقدس والشام ومصر وأطال
الكلام وكثر عليه الازدحام وقال لي لا بد لك أن تأتي الي داري فاضيفك فانصرف عنه
ولم ألقه بعد

﴿ذكر الانصراف عن القسطنطينية﴾

ولما ظهر لمن كان في صحبة الخاتون من الاتراك أنها على دين أيها وراغبة في المقام معه طلبوا

منها الاذن في العودة الى بلادهم فأذنت لهم وأعطتهم عطاء جزيلًا وبعثت معهم من
 يوصلهم الى بلادهم أميراً يسمى ساروجة الصغير في خمسمائة فارس وبعثت عنى قاعطاني
 ثلاثمائة دينار من ذهبهم وهم يسمونه البربرة ولايس بالطيب والى درهم بندقية وشقة
 ملف من عمل البنات وهو أجود أنواعه وعشرة أثواب من حرير وكتان وصوف
 وفرسين ذلك من عطاء أبيها وأوصت بى ساروجة وودعتها وانصرف ركائت مدة
 مقامي عندهم شهر أو ستة أيام وسافر ناصحبة ساروجة فكان يكرمنى حتى وصلنا الى آخر
 بلادهم حيث تركنا أصحابنا وعربائنا تركنا العربات ودخنا البرية ووصل ساروجة معنا
 الى مدينة بابا اطوق وأقام بها ثلاثي الضيافة وانصرف الى بلاده وذلك في اشتداد البرد
 وكنت ألبس ثلاث فروات وروايلن أحدهما مبطن ونى رجلى خف من سوف وفوقه
 خف مبطن بثوب كتان وفوقه خف من البرغلى وهو جلد الفرس مبطن بشهد ذئب
 وكنت أتوضأ بالماء الحار بمقربة من النار فمساء قطرت من السماء قطرة لا حدث ليها وإذا
 غسأت وجهي يسل انساء الى طيقي فيجمد فذكر كهافي سقط منها شب الثالج والماء الذى
 ينزل من الالاف يجمد على الشارب وكنت لأستطيع الركوب لكثرة مانع من الشيباب
 حتى يركبني أصحابي ثم وصات الى مدينة الحاج ترخان حيث فارقتنا السلطان أوزبك
 فوجدنا قد رحل واستقر بحضرة ملكه فسافرنا على نهرا تلى ومايايه من ابياء ثلاثا وهي
 جامد فوكتنا اذا احتجنا المساء قطعنا طعاما من الجليد وحماتنا فى القدر حتى يصير ماء
 فشرب منه ويطبخ به ووصلنا الى مدينة اسرا (وضبط اسمها بدين مهمل وراء
 مقتوحين و) وتعرف بسرائر كة وهي حضرة السلطان أوزبك ودخنا على
 السلطان فسألنا عن كيفية سفرنا وعن ملك الر وموم مدينة فاعلمنا وأمر بجراء النفقة
 عاينا وانزلنا ومدينة السرا من أحسن المدن متناهية الكبر في سيطر من الارض تنص بأهلها
 كثرة حسنة الاسواق متسعة الشوارع وركبنا يوم ما مع بعض كبرائها وخرضا التطوف عليها
 ومعرفة مقدارها وكان منزلنا فى طرف منها فركبنا منه غدوة فـاوصلنا لآخرها الا بعد
 الزوال فصلنا الظاهر وأكلنا طعاما فـاوصلنا الى المنزل الا عند المغرب ومشينا يوما

صرضها ذاهبين وراجهين في نصف يوم وذلك في عمارة متصلة الدور لا خراب فيها ولا
 بساتين وفيها اثلاثة عشر مـ جداً لأقامة الجمعة أحدها للشافعية وأما المساجد سوى ذلك
 فكثيرة جداً وفيها طوائف من الناس منهم المغل وهم أهل البلاد والساطين وبعضهم
 مسلمون ومنهم الأصـ وهم مسلمون ومنهم القفجق والجر كس والروس والروم وهم
 نصارى وكل طائفة تسكن محلة على حدة فيها أسواقها والتجار والغرباء من أهل العراق
 ومصر والشام وغيرها ساكنون بمحلة عليها سور واحتياطاً على أموال التجار وقصر
 الساطار بها يسمى الطون طاش والطنون (بفتح الهمزة وسكون اللام وضم الطاء المهمل
 وواو مدونون) ومعناه الذهب وطاش (بفتح الطاء المهمل وشين معجم) ومعناه
 حجاز وقاضي هذه الحضرة بدر الدين الأعرج من خيار القضاة وسهام من مدرسي الشافعية
 الفقيه الإمام الفاضل صدر الدين سامان الأكرزي أحد الفضلاء وبهامن المالكية شمس
 الدين المصري وهو ممن يطمح في ديانتهم وبها زاوية الصالح الحاج نظام الدين أضافها
 وأكرمنا وبها زاوية الفقيه الإمام العالم نعمان الدين الخوارزمي رأيتهم وهو من فضلاء
 المشايخ حسن الاخلاق كريم النفع شديد التواضع شديد السطوة على أهل الدنيا يأتي اليه
 السلطان أوزبك زائر في كل جمعة فلا يستقبله ولا يقوم اليه ويقعد السلطان بين يديه
 ويكلمه العطف كلام ويتواضع له والشيخ اضدلك وفعاله مع الفقراء والمساكين
 والواردين خلاف فعله مع السلطان فإنه يتواضع لهم ويكلمهم بالطف كلام ويكرمهم
 وأكرم في جزاء الله خير أو بعث الى بگرام تركي وشاهدت له بركة ^{بجز} كرامة له ^{بجز}
 كنت أردت السفر من السرا الى خوارزم فنهاني عن ذلك وقال لي أقم أياماً وحينئذ تسافر
 فنازعني النفس ووجدت رفقة كبيرة آخذة في السفر فيهم تجار أعرفهم فاتفقت معهم على
 السفر في صحبتهم وذكر لي ذلك فقال لي لا بد لك من الإقامة فعزمت على السفر فأبقى لي
 غلام أقت بسببه وهذه من الكرامات الظاهرة ولما كان بعد ثلاث وجد بعض أصحابي
 ذلك الغلام لا ببق بمدينة الحاج ترخان فجاء به الي فحينئذ سافرت الى خوارزم وبينها وبين

حضر قال سر اصحراء مسيرة أربعين يوماً لا تسافر فيها الخيل لقلة الكلأ وانما تجر العربات بها الجمال فسرنا من السرا عشرة أيام فوصلنا الى مدينة سرا جوق وجوق (بضم الجيم المقود وواو وقاف) ومعنى جوق صغير فكانهم قالوا سرا الصغيرة وهى على شاطئ نهر كبير زخاريقال له ألوصو (بضم الهمزة واللام وواو ومد وضم الساد المهمل وواو) ومعناه الماء الكبير وعليه جسر من قوارب جسر بغداد والى هذه المدينة انتهى سفرنا بالخيال التى تجر العربات وبغناها بها تجر بحساب أربعة دنائير دراهم للفرس وأقل من ذلك لأجل ضعفها ورخصها بهذه المدينة واكثرنا الجمال لجر العربات وهذه المدينة زاوية لرجل صالح معمر من الترك يقال له أضا (بفتح الهمزة والطاء المهمل) ومعناه الوالد أضافها ودعا لنا وأضافنا أيضاً قاضيها ولا أعرف اسمه ثم سرنا منها ثلاثين يوماً سيراً جاداً لا نزل الا ساعتين احدهما عند الصبح والاخرى عند المغرب وتكون الإقامة قدر ما يطبخون الدقيق وينسربونه وهو يتبخ من غلية واحدة ويكون معهم الخليع من اللحم يجملونه عليه ويصبون عليه اللبن وكل انسان انما ينام أو يأكل فى عربته حال السير وكان نحي فى عربتي ثلاث من الجوارى ومن عادة المسافرين فى هذه البرية الاسراع لقلة أعشابها والجمال التى تقطعها يهلك معظمها وما يبقى منها لا ينتفع به الا فى سنة أخرى بعد ان يسمن والمساء فى هذه البرية فى مناهل معلومة بعد اليومين والثلاثة وهو ماء المطر والحسيان ثم سلكنا هذه البرية وقطعناها كما ذكرناه وصلنا الى خوارزم وهى أكبر مدن الأتراك وأعظمها وأجملها وأضخمها لها الاسواق المايحة والشوارع الفسيحة والعمارة الكثيرة والمخاسن الاثيرة وهى ترتج بسكانها اكثرهم وتموج بهم موج البحر ولقد ركبت بها يوماً ودخلت السوق فلما توسعته وبلغت متهمى الزحام فى موضع يقال له الشور (بفتح الشين المعجم واسكان الواو) لم أستطع ان أجوز ذلك الموضع لكثرة الازدحام وأردت الرجوع فإمكننى لكثرة الناس فبقيت متحيراً وبعد جهد شديد رجعت وذكر لي بعض الناس ان تلك السوق يخف زحامها يوم الجمعة لانهم يسدون سوق القيسارية وغيرها من الاسواق فركبت يوم الجمعة وتوجهت الى المسجد الجامع والمدرسة وهذه المدينة من

طاعة السلطان أو زبك وله فيها أمير كبير يسمى قطلود مور وهو الذي عمر هذه المدرسة
ومامعها من المواضع المضافة وأما المسجد فعمرته زوجته الخاتون الصالحة ترابك وتراً
(بضم التاء المملوذة وفتح الراء وألف) وبك (بفتح الباء الموحدة والكاف) وبخوارزم
مارستان له طبيب شامي يعرف بالصهيوني نسبة إلى صهيون من بلاد الشام ولم أرفي بلاد
الدنيا أحسن أخلاقاً من أهل خوارزم ولا أكرم نفوساً ولا أحب في الغرباء ولهم عادة
جميلة في الصلاة لم أرها لغيرهم وهي أن المؤذنين بمساجدها يطوف كل واحد منهم على دور
خير أن مسجده معلّمهم بحضور الصلاة فمن لم يحضر الصلاة مع الجماعة ضربه الإمام
بمحضر الجماعة وفي كل مسجدة درجة معاقبة برسم ذلك ويغرم خمسة دنانير تنفق في مصالح
المسجد أو تطعم للفقراء والمساكين ويذكرون أن هذه المادة عندهم مستمرة على قديم
الزمان وبخارج خوارزم نهر جيحون أحد الأنهار الأربعة التي من الجنة وهو يجمد في
أوان البرد كما يجمد نهر أتل ويسلك الناس عليه وتبقى مدة جموده خمسة أشهر وربما سلكوا
عليه عند أخذهم في الذوبان فيها كواو يسافر فيه في أيام الصيف بالراكب إلى ترمذ
ويجلبون منها القمح والشعير وهي مسيرة عشر للمنحدر وبخارج خوارزم زاوية مبنية على
تربة الشيخ نجم الدين الكبدي وكان من كبار الصالحين وفيها الطحام للوارد والصادر
وشيخها المدرس سيف الدين من عضبة من كبار أهل خوارزم وبها أيضاً زاوية شيخها
الصالح المجاور جلال الدين السمرقندي من كبار الصالحين أيضاً بناها وبخارجها قبر الإمام
العلامة أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري وعليه قبة وزمخشري قرية على مسافة أربعة أميال
من خوارزم لما أتيت هذه المدينة زلت بخارجها وتوجهت بهض أصحابي إلى القاضي
الصدر أبي حفص عمر البكري فبحث إلى نائبة نور الاسلام فسلم علي ثم عاد إليه ثم أتني القاضي
في جماعة من أصحابه فسلم علي وهو في السن كبير الفعال وله نائبان أحدهما نور الاسلام
المذكور والآخر نور الدين الكرمانى من كبار الفقهاء وهو الشديد في أحكامه القوي
في ذات الله تعالى ولما حصل الاجتماع بالقاضي قال لي إن هذه المدينة كثيرة الرخام
ودخولكم نهار الايتاني وسيأتي البكم نور الاسلام لتدخلوا معه من آخر الليل ففعلنا ذلك

ووزلنا بمدرسة جديدة ليس بها أحد ولما كان بعد صلاة الصبح أتى إلينا القاضي المذكور
ومعه من كبار المدينة جماعة منهم مولانا همام الدين ومولانا زين الدين المقدسي ومولانا
رضي الدين يحيى ومولانا فضل الله الرضوي ومولانا جلال الدين العمادي ومولانا شمس
الدين السنجري امام أميرها وهم أهل مكارم وفضائل وانفالب على مذهبهم الاعتزال
الكنهم لا يظهرونه لان السلطان أوزبك وأمير هذه المدينة قتلودمور من أهل
السنه وكنت أيام اقامتي بها أصلي الجمعة مع القاضي أبي حفص عمر المذكور بمسجده فاذا
فرغت الصلاة ذهبت معه إلى داره وهي قريبة من المسجد فدخل معه إلى محاسنه وهو من
أبدع المجالس فيه الفرش الخافله وحيطانه مكسوة بالملف وفيه طيقان كثيرة وفي كل طاق
منها أواني الفضة المموهة بالذهب والالوان العراقيه وكذلك عادة أهل تلك البلاد ان
يصنعوا في بيوتهم ثم ياتي بالطعام الكثير وهو من أهل الرقادية والمبارك الكبير والرباع
وهو سلف الامير قتلودمور متزوج بأخت امراته واسمها جيجان وهذه المدينة جماعة
من الوعاظ والمذكورين أكبرهم مولانا زين الدين المقدسي والخطيب مولانا حسام
الدين المشالي الخطيب الملقب بأحد الخطباء الاربعة الذين لم أسمع في الدنيا أحسن منهم
﴿ وأمر خوارزم ﴾

هو الامير الكبير قتلودمور و قتلو (بضم القاف وسكون الطاء المهمل وضم اللام)
ودمور (بضم الدال المهمل والميم وواو مدورا) ومعنى اسمه الحديد المبارك لان
قتلوهو المبارك ودمورهو الحديد وهذا الامير ابن خالة السلطان المعظم محمد أوزبك
وأكبر امراته وهو وانيه علي خراسار وولده هرون بك متزوج بابنة السلطان المذكور
التي أمها الملكة طيغتلبي المتقدم ذكرها وامراته الخاتون ترابك صاحبة المكارم الشهيرة
ولما أتاني القاضي مسلما على كاذبة قال لي ان الامير قد علم بقدر ملك وبه بقية مرض
يتم من الايتان اليك فركبت مع القاضي إلى زيارته وأتينا داره فدخنا مشورا كبيرا
أكثر بيوتة خشب ثم دخنا مشورا صغيرا فيه قبة خشب مزخرفة قد كسيت حيطانها
بالتف الملون وسقفها بالحريز المذهب والامير على فرش له من الحرير وقد غطي رجله

لما بهما من النقرس وهي علة فاشية في الترك فسلمت عليه وأجابني الى جانبه وقعد القاضي
والفقيه وسألني عن سلطانها المالك محمد أوزبك وعن البحاتون ييلون وعن أبيهما وعن
مدينة القسطنطينية فأعاطته بذلك كله ثم أتني بالموائد فيها السماء من الدجاج المشوية
والكراكي وأفراخ الخمام وخبز معجون بالسمن يسمونه الكليجا والككم والحلوات ثم
أتني بموائد أخرى فيها الفواكه من الرمان المحبب في أواني الذهب والفضة ومعه ملاعق
الذهب وبضه في أواني الزجاج العراقي ومعه ملاعق الخشب ومن الغنم والبطيخ المحبب
ومن عوائد هذا الأمير أن يأتي القاضي في كل يوم الى مشوره فيجلس بمجلس معدله
ومعه الفقهاء وكتابه ويجلس في مقابله أحد الأمراء الكبراء ومعه ثمانية من كبراء أمراء
الترك وشيوخهم يسمون الارغجية (يارغو جي) ويتجاسر الناس اليهم فلو كان من
القضايا الشرعية حكم فيها القاضي وما كان من سواها حكم فيها أو تلك الأمراء وأحكامهم
مضبوطة عادلة لا هم لا يتهمون بميل ولا يقبلون رشوة ولما عدنا الى المدرسة بعد الجنوس
مع الأمير بعث اليها الارز والدقيق والقمح والسمن والابزار وأحمل الحطب وتلك البلاد
كلها لا يعرف بها الفحيم وكذلك الهند وخراسان وبلاد المعجم وأما ما بين فيوقدون فيها
حجارة تشتعل فيهم النار كما تشتعل في الفحم ثم اذا صارت رمادا عجنوه بالماء وجففوه
بالشمس وطبخوا بها ثمانية كذلك حتى يتلاشا

﴿ حكاية ومكرمة لهذا القاضي والامير ﴾

صليت في بعض أيام الجمع على عادتي بمسجد القاضي أبي حفص فقال لي ان الأمير أمر لك
بخمسة مائة درهم وأمر أن يصنع لك دعوة ينفق فيها خمسة مائة درهم أخرى يحضرها المشايخ
والفقهاء والوجوه فلما أمر بذلك قلت له أيها الأمير تصنع دعوة يأكل من حضرها القمة أو
لقمة لو جعلت له جميع المال كان أحسن له لا تنفع فقال أفعل ذلك وقد أمر لك بالالف
كاملة ثم بعثها الأمير صعبة امامه شمس الدين السنجري في خريطة يحملها غلامه
وصرفها من الذهب المغربي ثلاثمائة دينار وكنت قد اشتريت ذلك اليوم فرسا أدهم اللونه
بخمسة وثلاثين ديناراً درهم وركبته في ذهابي الى المسجد فأعطيت ثمنه الا من تلك

الالف وتكاثرت عندي الخيل بعد ذلك حتى انتهت الى عدد لا أذكره خيفة مكذب
يكذب به ولم تزل حالي في الزيادة حتى دخلت أرض الهند وكانت عندي خيل كثيرة لكنني
كنت أفضل هذا الفرس وأثره وأربطه امام الخيل وبقي عندي الى انقضاء ثلاث سنين
ولما ملك تغيرت حالي وبعثت الى الخاتون جيحانغا امرأة القاضي مائة دينار دراهم
وصنعت لي اختها تراك زوجة الامير دعوة جمعت لها الفقهاء ووجوه المدينة بزوايتها التي
ينتها وفيها الطعام للوار دو الصادر وبعثت الي بفرو سمور وفرس جيد وهي من أفضل
النساء وأصلحهن وأكرههن جزاها الله خيرا ﴿حكاية﴾

وبالانفصلت من الدعوة التي صنعت لي هذا الخاتون وخرجت عن الزاوية تعرضت لي
بالباب امرأة عليها ثياب دنسة وعلى رأسها مقنعة ومعها نسوة لا أذكر عددهن فسلمت
علي فرددت عليهن السلام ولم أقف معها ولا التفت اليها فلما خرجت أدركني بعض الناس
وقال لي ان للمرأة التي سلمت عليك هي الخاتون فحجبت عن ذلك وأردت الرجوع اليها
فوجدتها قد انصرفت فأبغيت اليها السلام مع بعض خدامها واعتذرت عما كان مني لعدم
معرفة في بها ﴿ذكر بطيخ خوارزم﴾

و بطيخ خوارزم لا نظيره في بلاد الدنيا شرقا ولا غربا الا ما كان من بطيخ بخاري ويلييه
بطيخ أصفهان وقشره أخضر وباطنه أحمر وهو صادق الحلاوة وفيه صلابة ومن
العجائب انه يقدد وييسر في الشمس ويجعل في القواصر كما يصنع عندنا بالشريحة وبالتين
لما اتى ويحمل من خوارزم الى أقصى بلاد الهند والصين وليس في جميع الفواكه اليابسة
أطيب منه وكنت أيام اقامتي بدهلي من بلاد الهند متي قدم المسافرون بعثت من يشترى لي
منهم قديد البطيخ وكان ملك الهند اذا أتى اليه بشئ منه بعث الى بهلما يعلم من يحب في
ومن عادته انه يعطى الغرباء بقواكه بلادهم ويتفقدون بذلك ﴿حكاية﴾

كان قد صحبتني من مدينة السرا الى خوارزم شريف من أهل كر بلاه يسمى علي بن
متصور وكان من التجار فكنت أكلفه أن يشتري لي الثياب وسواها فكان يشتري لي
التوب بعشرة دنانير ويقول اشتريته بثمانية ويحاسبني بالثمانية ويدفع الدينارين من ماله

وأنا لا علم لي بفعله الي أن تعرفت ذلك على السنة الناس وكان مع ذلك قد أسلفني دنانير فلما
وصل الي احسان أمير خوارزم رددت اليه ما أسلفنيه وأردت أن أحسن بعده اليه مكافأة
لأفعاله الحسنة فأبى ذلك وحالف أن لا تفعل وأردت أن أحسن الي فقي كان له اسمه كافور
لخلف أن لا أفعل وكان أكرم من لقيته من المراقين وعزم على السفر معي الي بلاد الهند
ثم إن جماعة من أهل بلده وصلوا الي خوارزم برسم السفر الي الصين فأخذني السفر
معهم فقلت له في ذلك فقال هؤلاء أهل بلدي يهودون الي أهل وأقاربي ويذكرون اني
سافرت الي الهند برسم الكدية فيكون سبة على لا أفعل ذلك وسافر معهم الي الصين فبلغني
بعد وأنا بأرض الهند انه لما بلغ الي مدينة المائق وهي آخر البلاد التي من عملة ما وراء
النهر وأول بلاد الصين أقام بها وبعث نفي له بما كان عنده من المتاع فأبطأ الفتي عليه وفي
أثناء ذلك وصل من بلده بعض التجار ونزل معه في فندق واحد فطلب منه الشريف أن
يسلفه شيئا بخلاف ما يصل فتاه فلم يفعل ثم أكد قبح ما صنع في عدم التوسعة على الشريف
بأن أراد الزيادة عليا في المسكن الذي كان له في الفندق فباع ذلك الشريف فاغتم منه ودخل
الي بيته فذبح نفسه فدرك وبهرمق واتهموا غلاما كان له بقله فقال لهم لا تظلموه فاني
انا فعلت ذلك بنفسى ومات من يومه غفر الله له وكان قد حكى اى عن نفسه انه أخذ مرة من
بعض تجار دمشق ستة آلاف درهم قرضا فباعه ذلك التاجر بمدينة حماة من أرض الشام
فطلبه بالمال وكان قد باع ما اشترى به من المتاع بالدين فاستحيا من صاحب المال ودخل
الي بيته وربط عمامته بسقف البيت وأراد أن يخنق نفسه وكان في اجله تأخير فتذكر
صاحب له من الصيارفة فتصدده وذكر له القضية فسانه ما لا دفعه فأتا حروما وأردت السفر
من خوارزم اكرتت جمالا واشترت محارة وكان عدلي به عايف الدين التوزرى
وركب الخدام بعض الخيل وجللنا باقيها لاجل البرد وخلصنا البرية التي بين خوارزم
وبخارى وهي مسيرة ثمانية عشر يوما في رمال لا عمارة بها الا بلدة واحدة فودعت الامير
قطلودمور وخلص على خلعة وخلص على القاضي أخري وخرج مع الفقهاء لوداعى وسرنا
أربعة أيام ووصلنا الي مدينة الكات وليس بهذه الطريق عمارة سواها (وضبط اسمها

بفتح الهمزة وسكون اللام وآخره تاء مثناة) وهي صغيرة حسنة نزلنا خارجها على بركة ماء قد جمدت من البرد فكان الصبيان يعبون فوقها ويزلقون عليها وسمع تقدمي قاضي الكات ويسمى صدر الشريعة وكنت قد لقيته بدار قاضي خوارزم فجاء الي مسلماً مع الطلبة وشيخ المدينة الصالح المأبد محمود الخيوي ثم عرض على القاضي الوصول الي أمير تلك المدينة فقال له الشيخ محمود القادم ينبغي له أن يزار وإن كانت لسانه نذهب الي أمير المدينة ونأتي به ففعلوا ذلك وأتى الأمير بعد ساعة في أصحابه وخدامه فسامعنا عليه وكان غرضنا تعجيل السفر فطلب منا الأمانة وصنع دعوة جمع لها الفقهاء ووجوه العلماء كروسواهم ووقف الشمراء بمدحونه وأعطاني كسوة وفرواً جيداً وسرناً على الطريق المعروفة بسيديا وفي تلك الصحراء مسيرة ست دون ماء وصلنا بعد ذلك الي بلدة وبكنة (وضبط اسمها بفتح الواو واسكان اليا الموحدة وكاف ونون) وهي على مسيرة يوم واحد من بخارى بلدة حسنة ذات أسوار وبساتين وهم يدخرون العنب من سنة الي سنة وعندهم ظاكمة يسمونها العلو (ألا بالعين المهملة وتشديد اللام) فيببونه ويحلبه الناس الي الهند والصين ويجعل عليه الماء ويشرب ماؤه وهم أيام كونه أخضر حلواً فاذا يبس صار فيه يسير حموضة ولحميته كثيرة ولم أر مثله بالاندلس ولا بالمغرب ولا بالشام ثم سرنا في بساتين متصلة وأنهار وأشجار وعمارة يوما كاملاً وصلنا الي مدينة بخارى التي ينسب اليها امام المحدثين أبو عبد الله محمد بن اسمعيل البخارى وهذه المدينة كانت قاعدة ما وراء نهر جيحون من البلاد وخر بها الثمين تشكيز التري جند ملوك العراق فساجدها الآن ومدارسها وأسواقها خربة الا القليل وأهلها أذلاء وشهادتهم لا تقبل بخوارزم وغيرها لا شتهارهم بالتعصب ودعوى الباطل وانكار الحق وليس بها اليوم من الناس من يعلم شيئاً من العلم ولا من له عناية به

﴿ ذكر أولية التروخريهم بخارى وسواها ﴾

كان تشكيز خان حداداً بأرض الخطا وكان له كرم ونفس وقوة وبسطة في الجسم وكان يجمع الناس ويطعمهم ثم صارت له جماعة فقدموه على أنفسهم وغلب على بلد وقوى واشتدت

شوكته واستفحل أمره فغلب على ملك الخطا ثم على ملك الصين وعظمت حيوشه
وتغلب على بلاد الحن وكاشغر والمسالق وكان جلال الدين سنجر بن خوارزم شاه ملك
خوارزم وخراسان وماوراءالنهر له قوة عظيمة وشوكة فهابه تنكيز وأحجم عنه ولم
يتعرض له فاتفق ان يمت تكتيز تجار ابا متعة الصين والخطا من الثياب الحريرية وسواها الى
بلدة أطرار (بضم الهمزة) وهي آخر عمالة جلال الدين فبعث اليه عام له عليها مامما
بذلك واستأذنه ما يفعل في أمرهم فكتب انيه يأمره أن يأخذ أموالهم ويمثل بهم ويقطع
أعضاءهم ويردهم الى بلادهم لما أراد الله تعالى من شقاء أهل بلاد المشرق ومحنهم رأيا
فائلا ونديا أسيدا مشؤما فاما فعل ذلك تجهز تنكيز بنفسه في عساكر لا تحصى كثيرة رسم
غزو بلاد الاسلام فلما سمع عامل أطرار بحركته بعث الجواسيس ليأتوه بخبره فذكر ان
أحدهم دخل محلة بعض أمراء تنكيز في صورة سائل فلم يجد من يطعمه ونزل الى جانب
رجل منهم فلم ير عنده زاد أو لأطعمه شيئا فلما أمسى أخرج مسرانا يابسة عنده فلما بالساء
وفقد فرسه وماله ما يذمه وعقدها وشواها بالنار فكانت طمامه فعاد الى أطرار فأخبر
عاملها بأمرهم وأعلمه ان لا طاقة لاحد بقتلهم فاستمد ملكه جلال الدين فأمد به بستين
ألفا زيادة على من كان عنده من العساكر فلما وقع القتال هزمهم تنكيز ودخل مدينة أطرار
بالسيف فقتل الرجال وسبي الذراري وأتى جلال الدين بنفسه لمحاربة فكانت بينهم وقائع
لا يعلم في الاسلام مثلها وآل الأمر الي أن تملك تنكيز ماوراءالنهر وخراب بخارى وسمرقند
وترمنوع عبر النهر وهونهر جيحون الى مدينة بلخ فتملكها ثم الى الباميان (الباميان)
فتملكها وأوغل في بلاد خراسان وعراق المعجم فنارعاية المسلمين في بلخ وفي ماوراء
النهر ففكر عليهم ودخل بلخ بالسيف وتركها خاوية على عروشها ثم فعل مثل ذلك في ترمذ
نخربت ولم تعمربعد لكنها بنيت مدينة على ميلين منها هي التي تسمى اليوم ترمذ وقتل أهل
الباميان (الباميان) وهدمها بأسرها الا صومعة جامعها وعناعن أهل بخارى وسمرقند
ثم عاد بعد ذلك الى العراق وانتهى أمر التتر حتى دخلوا حضرة الاسلام ودار الخلافة
بغداد بالسيف وذبحوا الخليفة المستعصم بالله العباسي رحمه الله

(قال ابن جزى) أخبرنا شيخنا قاضي القضاة أبو البركات ابن الحاج أعزّه الله قال سمعت الحطيب أبا عبد الله بن رشيد يقول لقيت بمكة نور الدين ابن الزجاج من علماء العراق ومعه ابن أخ له فتفاوضا الحديث فقال لي هلاك في فتنة التتر بالعراق أربعة وعشرون ألف رجل من أهل العلم ولم يبق منهم غيري وغير ذلك وأشار إلى ابن أخيه

(رجع) قال ونزلنا من بخارى برضها المعروف بفتح أباد حيث قبر الشيخ العالم العابد الزاهد سيف الدين الباخرزي وكان من كبار الأولياء وهذه الزاوية المنسوبة لهذا الشيخ حيث نزلنا عظيمة لها أوقاف ضخمة يعظم منها الوارد والصادر وشيخها من ذريته وهو الحاج السباح يحيى الباخرزي وأضافني هذا الشيخ بداره وجمع وجوه أهل المدينة وقرأ انقراء بالاصوات الحسان ووعظ الواعظ وغنوا بالتركي والفارسي على طريقة حسنة وصرت لنا هنالك ليلة بديمة من أعجب الليالي واقيت بها الفقيه العالم الفاضل صدر الشريعة وكان قد قدم من هرات وهو من الصالحاء الفضلاء وزرت بخارى قبر الامام العالم أبي عبد الله البخاري مصنف الجامع الصحيح شيخ المسلمين رضي الله عنه وعليه مكتوب هذا قبر محمد بن اسمعيل البخاري وقد صنف من الكتب كذا وكذا وكذلك على قبور علماء بخارى أسماءهم وأسماء تصانيفهم وكنت قيت من ذلك كثير أوضاع مني في جملة ماضع لي لما سافرت في كنف الهند في البحر ثم سافرت من بخارى قاصدين معسكر السلطان الصالح المعظم علاء الدين طره شيرين وسند كره قرونا على نخشب البلدة التي ينسب اليها الشيخ أبو تراب النخشي هي صغيرة تحف بها البساتين والبياد فزلنا بخارجها بدار لا ميرها وكان عندي جارية تدقاربت الولادة وكنت أردت حياها إلى سمرقند لتلد بها فاتفق أنها كانت في الحمل فوضع الحمل على الجمل وسافر أصحابنا من الليل وهي معهم والزاد وغيره من أسبابي وأقت أنا حتى ارتحل نهارا مع بعض من همي فسلوكوا طريقا وسلكت طريقا سواها فوصلنا عشية النهار على محلة السلطان المذكور وقد جئنا فنزلنا على بعد من السوق واشتري بعض أصحابنا ماسد جو عتنا وأعارنا بعض التجار خباء بتنا به تلك الليلة ومضى أصحابنا من اخذ في البحث عن الجمال وباقي الاصحاب فوجدوهم عشيا وجاؤا بهم وكلهم

السلطان غائباً عن المحلة في الصيد فاجتمعت بنائبه الامير تقيما فأنزلني بقرب مسجده
وأعطاني خرقة (خرگاه) وهي شبه الخباء وقد ذكرنا صفتها فيما تقدم فجعلت الجارية في
تلك الخرقة فولدت تلك الليلة مولودا وأخبروني انه ولد ذكر ولم يكن كذلك فلما كان بعد
العقيقة أخبرني بعض الاصحاب ان المولود بنت فاستحضرت الجوارى فسألتهن فأخبرني
بذلك وكانت هذه البنت مولودة في طالع سعد فرأيت كل ما يسرني ويرضيني منذ ولدت
وتوفيت بعد وصولي الى الهند بشهرين وسيد ذلك واجتمعت به هذه المحلة بالشيخ
الفقيه العابد مولانا حسام الدين الياغي (بالياء آخر الحروف والغين المعجمة) ومعناه
بالتركية الثائر وهو من أهل أطرارو بالشيخ حسن صهر السلطان

﴿ ذكر سلطان ماوراء النهر ﴾

وهو السلطان المعظم علاء الدين طر مشيرين (وضبط اسمه بفتح الطاء المهمل وسكون
الراء وفتح اليم وكسر الشين المعجم وياء مدورا مكسورا وياء مدنية ونون) وهو عظيم
المقدار كثير الجيوش والعساكر ضخم الممالك شديدة القوة عادل الحكم ووالده
متوسطة بين أربعة من ملوك الدنيا الكبار وهم ملك الصين وملك الهند وملك العراق
والمملك أوزبك وكلهم يمدونه ويعظمونه ويكرمونونه وولي الملك بعد أخيه الجبكطني
(وضبط اسمه بفتح الجيم المعقودة والكاف والطاء المهمل وسكون الياء) وكان الجبكطني
هذا كافرا وولي بعد أخيه الأكبر بك وكان بك هذا كافرا أيضاً لكنه كان عادل
الحكم منصفاً للمظلومين يكرم المسلمين ويعظمهم ﴿حكاية﴾

بذكر ان هذا الملك بك تكلم يوم ما مع الفقيه الواعظ المذكور بدر الدين الميداني فقال له
أنت تقول ان الله ذكر كل شيء في كتابه العزيز قال نعم فقال اين اسمي فيه فقال هو في قوله
تعالى في اى صورة ما شاء ربك فأعجبه ذلك وقال يخشى ومعناه بالتركية جيداً كرمه

اكراما كثيرا وزادني تعظيم المسلمين ﴿حكاية﴾

ومن احكام بك ما ذكر ان امرأة شكت له بأحد الامراء وذكرت انها فقيرة ذات اولاد
وكان لها ابن تقوتهم ثمنه فاغتصبه ذلك الامير وشربه فقال لها انا اوسطه فان خرج الابن

من جوفه مضى اسيله والاوسطك بعده فمالت المرأة قد حللته ولاأطلبه بشي فأمر به
فوسط نخرج الابن من بطنه ولزمه لذكرا ل لمطان طر مشيرين ولما قمت بالمحلة وهم يسمونها
الاردو أياما ذهبت يوما لصلاة الصبح بالمسجد على عادتي فلما صليت ذكر لي بعض الناس
ان السلطان بالمسجد فاجما قام عن مصلاه تقدمت لاسلام عليه وقام الشيخ حسن والفتية
حسام الدين الباعجي واعلماء بحالي وقدموا بي منذ أيام فقال لي بالتريسة خش ميسن يخشى
ميسن قطلوا يوسن ومعنى خش ميسن في عافية انت ومعنى يخشى ميسن حياء انت ومعنى
قطلوا يوسن مبارك قدومك وكان عليه في ذلك الحين قبا قدسي أخضر وعلى رأسه شاشية
مئة ثم انصرف الى مجلسه راجلا والناس يتعرون له بالشكايات فيقف لكل مشتت منهم
سيرا أو كبير اذ كرا أو أنثى ثم يمشى عنى فوصلت اليه وهو في خرقة والناس خارجها
مينة وميسرة والامراء منهم على الكراسي واصحابهم وقوف على رؤسهم وبين ايديهم
الجندة قد جسدوا صفوا امام كل واحد منهم سلاحه وهم اهل النوبة يقعدون
هناك الى العصر ويأتي آخرون فيتمعدون الى آخر الليل وقد صنعت هنالك سقائف من
ياب القطن يكونون بها ولما دخلت الى الملك بداخل الخرقة وجدته جالسا على كرسي
من المنبر مكسوبا بالحرير المزركش بالذهب وداخل الخرقة ملبس بثياب الحرير المذهب
والثاج المرصع بالجواهر والياقيات معاق فوق رأس السلطان بينه وبين رأسه قدر ذراع
والامراء الكبار على الكراسي عن يمينه ويساره وأولاد الملوك بأبدسهم المذاب بين يديه
وبدباب الخرقة النائب والوزر والخاص وصاحب العلامة وهم يسعون آل طمني
وال (بفتح الحزة) معناه الاحمر وطمني (بفتح الطاء المهمل وسكون الميم والغين
العجم المفتوح) ومعناه العلامة وقام الي اربعتهم حين دخولي ودخلوا معي فسلمت عليه
وسألني وصاحب العلامة بترجم يني وبينه عن مكة والمدينة والقدس شرفها الله وعن
مدينة الخليل عليه السلام وعن دمشق ومصر والملك الناصر وعن العراقيين وملكهما
وبلاد الاعاجم ثم اذن المؤذن بالظهر فأنصرفنا وكنا نحضر معه الصلوات وذلك ايام
البرد الشديد المهلك فكان لا يترك صلاة الصبح والعشاء في الجماعة ويقعد لذكرا بالتركية

بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس و يأتي اليه كل من في المسجد فيصافحه ويشد يده على يده وكذلك يفعلون في صلاة العصر وكان اذا أتى بهدية من زبيب أو تمر أو تمر عنبر عندهم وهم يتبركون به يعطى منها بيده لكل من في المسجد ﴿حكاية﴾
ومن فضائل هذا الملك انه حضرت صلاة العصر يوم ما ولم يحضر السلطان فجاء أحد قتيانه بسجادة ووضعها بين يديه المحراب حيث جرت عادته ان يسجد على وقال الامام حسام الدين الياغي ان مولانا يريد ان تنتظره بالصلاة قليلا ريثما يتوضأ فقام الامام المذكور وقال عاز وممناء الصلاة برأى حدا أو برأى طر مشيرين أي الصلاة لله أو طر مشيرين تم أمر المؤذن باقامة الصلاة وجاء السلطان وقد صلى منهار كتمان فصلى الركعتين الأخيرتين حيث انتهى به القيام وذلك في الموضع الذي تكون فيه أنملة الناس عند باب المسجد وقضى ماقاته وتام الى الامام ليصافحه وهو يضحك وجلس قبالة المحراب والشيخ الامام الي جانبيه وأنا الى جانب الامام فقال لي اذا مشيت الى بلادك فحدث ان فقير من فقراء الاعاجم يفعل هكذا مع سلطان الترك وكان هذا الشيخ يعظ الناس في كل جمعة ويأمر السلطان بالمعروف وينهاه عن المنكر وعن الظلم ويغاض عليه القول والسلطان ينصت لكلامه ويبيكي وكان لا يقبل من عطاء السلطان شيئا ولم يأكل قط من طماه ولا لبس من ثيابه وكان هذا الشيخ من عباد الله الصالحين وكنت كثيرا ما أرى عليه قبة تمان مبعثرة بالقطن محشوا به وقد لي وتمزق وتلى رأسه قانسوة لبد يساوي مثلها قيراط ولا عمامة عليه فقط له في بعض الايام يأسدي ما هذا القباء الذي أنت لابسه انه ليس بجيد فقال لي يا ولدي ليس هذا القباء لي وانما هو لابني فرغبت منه ان يأخذ بعض ثيابي فقال لي عاهدت الله منذ خمسين سنة ان لا أقبل من أحد شيئا ولو كنت أقبل من أحد لقبته ملك ولما عزمت على السفر بعد مقامي عنده هذا السلطان أربعة وخمسين يوما أعطاني السلطان سبعمائة دينار دراهم وفروسة سمور تساوي مائة دينار طلبتها منه لاجل البرد وئسا ذكرتها له أخذا كامي وجعل يقبلها بيده تواضعا منا وفضلا وحسن خلق وأعطاني فرسين وجملين واسبأردت وداعه أدركته في أثناء طريقة الي متصيده وكان اليوم شديد البرد

جاء دافو الله ما قدرت على ان أنطق بكلمة لشدة البرد ففهم ذلك وضحك وأعطاني يده
وانصرف وبعد سنتين من وصولي الى أرض الهند بلغنا الخبر بأن الملائم من قومه وأمرائه
اجتمعوا بأقصى بلاده المجاورة للصين وهناك معظم عساكره وبايعوا ابن عم له اسمه
بوزن أغلي وكل من كان من أبناء الملوك فهم يسمونه أغلي (بضم الهمزة وسكون الغين
المعجمة وكسر اللام) وبوزن (بضم الباء الموحدة وضم الزاي) وكان مسلماً إلا أنه
فاسد الدين سيء السيرة وسبب بيعتهم له وخاعهم لطمشيين ان طرمشيين خالف
أحكام جدهم تنكيزاته من الذي خرب بلاد الاسلام وقد تقدم ذكره وكان تنكيز ألف
كتاباً في أحكامه يسمى عندهم اليساق (بفتح الياء آخر الحروف والسين المهملة وآخره
قاف) وعندهم أنه من خالف أحكام هذا الكتاب خاعه واجب ومن جملة أحكامه أنهم
يجتمعون يوماً في السنة يسمونه الطوى ومعناه يوم الضيافة ويأتى أولاد تنكيز والامراء
من أطراف البلاد ويحضر الخواتين وكبار الاجناد وان كان سلطانهم قد غير شيئاً من تلك
الاحكام يقوم اليه كبارهم فيقولون له غيرت كذا وغيرت كذا وفعلت كذا وقد وجب
خاعك ويأخذون يده ويقيمونه عن سرير الملك ويقعدون غيره من أبناء تنكيز وان كان
أحد الامراء الكبار أذنب ذنباً في بلاده حكموا عليه بما يستحقه وكان السلطان طرمشيين
قد أبطل حكم هذا اليوم ومحارسمه فانكروه عليه أشد الانكار وأنكروا عليه أيضاً كونه
أقام أربع سنين فيما بين خراسان من بلاده ولم يصل الى الجهة التي توالى الصين والعراق
الملك يقصد تلك الجهة في كل سنة فيختبر أحوالها وحال الجند بها لان أصل ما لهم منها
و دار الملك هي مدينة المسالق فلما بايعوا بوزن أتى في عسكر عظيم وخاف طرمشيين على
نفسه من أمرائه ولم يأمنهم فركب في خمسة عشر فارساً يريد بلاد غزنة وهي من عمالته
ووالها كبير أمرائه وصاحب سره برنطيه وهذا الأمير محب في الاسلام والمسلمين قد
عمل في عمالته نحو أربعين زاوية فيها الطعام للوارد والصادر وتحت يده العساكر العظيمة
ولم أرقط فيمن رأيت من الآدميين بجميع بلاد الدنيا أعظم خلقاً منه فلما عبر نهر جيحون
وقصد طريق بلخ رآه بعض الاتراك من أصحاب يئني ابن أخيه بك وكان السلطان

طر مشيرين المذكور قتل أخاه بك بك المذكور وبقى ابنه يتقى بيلخ فلما أعلمه التركي بنخبره
 قال ما فر إلا لأمر حدث عليه فر كب في أصحابه وقبض عليه وسجنه ووصل بوزن الى
 سمرقند وبخاري فبايعه الناس وجاءه يتقى بطر مشيرين فيذكر أنه لما وصل الى نسف
 بخارج سمرقند قتل هنالك ودفن بها وخدم تربته الشيخ شمس الدين كردن بريدا وقيل
 أنه لم يقتل كما سئد كره وكردن (بكاف معقودة وراء مسكن ودال مهممل مفتوح ونون)
 ومعناد العنق وبريدا (بضم الباء الموحدة وكسر الراء وياء مدودال مهممل) معناه المقطوع
 ويسمي بذلك اضربة كانت في عنقه وقد رأى به بارض الهند ويقع ذكره فيما بعد ولما ملك
 بوزن هرب ابن السلطان طر مشيرين وهو بشاي أغل (أغلى) وأخته وزوجها فيروز
 الى ملك الهند فمظمهم وأنزلهم منزلة عليية بسبب ما كان بينه وبين طر مشيرين من النود
 والمكاتبة والمهاداة وكان يخاطبة بالاخ ثم بعد ذلك أتى رجل من أرض السند وادعي انه
 هو طر مشيرين واختلف الناس فيه فجمع بذلك عماد الملك سرتيز غلام ملك الهند
 ووالي بلاد السند وسمى ملك عرض وهو الذي ترض بين يديه عساكر الهند واليه
 أمرها ومقره بملتان قاعدة السند فبعث اليه بعض الاتراك العارفين به فعادوا اليه وأخبروه
 أنه هو طر مشيرين حثافاً مر له بالسراجة وهي افراج فضر ب خارج المدينة ورتب له
 ما يرتب لملكه وخرج لاستقباله وترجل له وسلم عليه وأتى في خدمته الي السراجة فدخلها
 راكباً كمادة الملوك ولم يشك أحد انه هو وبعث الى ملك الهند بنخبره فبعث اليه الامراء
 يستقبلونه بالضيافات وكان في خدمة ملك الهند حكيم ممن خدم طر مشيرين فيما تقدم وهو
 كبير الحكماء بالهند فقال أنا أتوجه اليه وأعرف حقيقة أمره فاني كنت عالجت له
 دماً لاحت ركبته وبقى أثر دونه أعرفه فأتي اليه ذلك الحكيم واستقبله مع الامراء ودخل
 عايه ولازمه لسابقته عندد وأخذ يغمر رجليه وكشف عن الأثر فشمه وقال له تريد ان
 تنظر الي الدم الذي عالجت به ها هو ذا وأراه أثره فتحقق انه هو وعاد الي ملك الهند
 فاعلمه بذلك ثم ان الوزير خواجـه جهان أحمد بن اياس وكبير الامراء قتلوا خان معلم
 السلطان أيام صغره ودخل على ملك الهند وقال له يا خوند عالم هذا السلطان طر مشيرين

قد وصل وصح انه هو وههنا من قومه نحو اربعين ألفا وولده وصهره أرايت ان اجتمعوا
عليه ما يكون من العمل فوق هذا الكلام بموقع منه عظيم وامر ان يؤتي بطر مشيرين
معجلا فلما دخل عليه امر بالخدمة كسائر الواردين ولم يعظم وقال له السلطان يا مادر كاني
وهي شتمه قبيحة كيف تكذب وتقول انك طر مشيرين وطر مشيرين قد قتل وهذا
خادم تربته عندنا لا الله لولا المعرة اقتلتك ولكن اعطوه خمسة آلاف دينار واذهبوا به
الي دار بشاي اغلي واخته ولدى طر مشيرين وقولوا لهم ان هذا الكاذب يزعم انه ولدكم
فدخل عليهم فعرفوه وبات دندهم والحراس يحرسونه واخرج بالغرو خافوا ان يهاكوا
بسببه فانكروه ونفى عن بلاد الهند و"سند فسلك طريق كيج ومكران واهل البلاد
يكرمونه ويضيفونه ويهادونه ووصل الى شيراز فاكرمه سلعانها ابو اسحق وجرى
له كفايته ولم اذلت عند وصولي من الهند الي مدينة شيراز ذكر لي انه باق بها وارتدت
لقامه ولم افعل لانه كان في دار لا يدخل اليه احدا الا باذن من السلطان ابي اسحق فحمت بها
يتوقع بسبب ذلك ثم ندمت على عدم اقامته

(رجع الحديث الي بوزن) وذاك انه لما ملك ضيق على المسلمين وظلم الرعية وانح
للتصارى واليهود عمارة كنائسهم فضج المسلمون من ذلك وتربصوا به الدوائر وانفصل
خبره بنخايل ابن السلطان اليسور الممزوم على خراسان فقصد ملك هرات وهو السلطان
حسين ابن السلطان غياث الدين الغوري فأعلمه بما كان في نفسه وسأل منه الاعانة بالعاكر
والمال على أن يشا طرما الملك اذا استقام له فبعث معه الملك حسين عسكرا عضيما وبين هرات
والترمد تسعة أيام فلما سمع أمرا السلطان بدم خليل تاقوه بالسمع والطاعة والرغبة
في جهاد العدو وكان أول قادم عليه علاء الملك خداوند زاده صاحب رمد وهو أمير كبير
شريف حسيني النسب قاتنا في أربعة آلاف من المسلمين فسر به وولاه وزارته وفوض
اليه امره وكان من الابطال وجاء الامراء من كل ناحية واجتمعوا على خيلس والتقى مع
بوزن فسالت العساكر الي خيلس وأسلموا بوزن وأتوا به أسيرا فقتله ختقا باونار القسي
وتلك عادة لهم انهم لا يقتلون من كان من أبناء الملوك الا ختقا واستقام الملك لخليل وعرض

عساكره بسمرقند فكانوا ثمانين الفاعايتهم وعلي خيلهم الدروع فصرف العسكر الذي
جاءه من هرات وقصد بلاد المالق فقدم التتر على أنفسهم واحدا منهم والقوه على مسيرة
ثلاث من المالق بمقربة من اطراز (طراز) وحمي التتال وصبر الفريقان لحمل الامر
خداوند زاده وزيره في عشرين الفامن المسلمين حمله لم يثبت له التتر فانهزموا واشتد
فيهم القتل وأقام خليل بالمالق ثلاثا وخرج الى استنصال من بقي من التتر فاذا غنوا له بالطاعة
وجاز الى تخوم الخطا والصين وفتح مدينة قراقرم ومدينة بش بالغ وبعث اليه سلطان الخطا
بالعساكر ثم وقع بينهم الصلح وعظم أمر خليل وهابته الملوك وأظهر العدل ورتب
العساكر بالمالق وترك بها وزيره خداوند زاده وانصرف الى سمرقند وبخاري ثم ان
الترك أرادوا الفتنة فسموا الى خليل بوزيره المذكور وزعموا انه يريد الثورة ويقول
به أحق بالملك لقربا بته من النبي صلى الله عليه وسلم وكرمه وشجاعته فبعث واليا الى المالق
عوضا عنه وامره أن يقدم عليه في نفر يسير من أصحابه فلما قدم عليه قتله عند وصوله من
غير تثبيت فكان ذلك سبب خراب ملكه وكان خليل لما عظم أمره بقي على صاحب هرات
الذي أورثه الملك وجهزه بالعساكر وأمال فكتب اليه أن يخطب في بلاده باسمه ويضرب
الدنانير والدراهم على سكوته فغاض ذلك الملك حسينا واتق منه وأجابه بأقبح جواب
فتجهز خليل لقتاله فلم توافقه عساكر الاسلام ورأوه باغيا عليه وبلغ خبره الى الملك حسين
فجهز العساكر مع ابن عمه ملك ورنالوا حتى الجمعان فانهزم خليل وأوتى به الى الملك حسين
أسيرا فنف عليه بالبقاء وجعله في دار وأعطاه جارية وأجرى عليه التفقة وعلى هذا الحال
تركته عنده في أواخر سنة سبع وأربعين عند خروجه من الهند ولما دلى ما كنا بسبيله
ولما وادعت السلطان طر مشيرين سافرت الى مدينة سمرقند وهي من أكبر المدن
وأحسنها وأتمها جمالا مبنية على شاطي وأديعرف بوادي القصارين عليه التوا عبر تسقى
البساتين وعنده يجتمع أهل البلد بعد صلاة العصر للزفة والتفرج ولهم عليه مساطب
ومجالس يقعدون عليها ودكاكين تباع بها الفاكهة ومسائر المأكولات وكانت على شاطئه

قصور عظيمة وعمارة تنبئ عن علوهم أهلها فثراً أكثر ذلك وكذلك المدينة خرب
 كثير منها ولا سور لها ولا أبواب عليها وفي داخلها البساتين وأهل سمرقند لهم مكارم
 اخلاق ومحبة في الغريب وهم خير من أهل بخارى وبخارج سمرقند قبر قثم بن العباس بن
 عبد المطلب رضي الله عن العباس وعن ابنه وهو المستشهد حين فتحها وخرج أهل
 سمرقند كل ليلة اثنين وجمعة الى زيارته والتريأتون لزيارته وينذرون له النذور العظيمة
 ويأتون اليه بالبقر والغنم والدراهم والدنانير فيصرف ذلك في النفقة على انوار ودوا الصادر
 ولخدام الزاوية والقبر المبارك وعليه قبة قائمة على أربع أرجل ومع كل رجل سارية من
 الرخام منها الخضرو والسود والبيض والحمر ويطان القبة بالرخام المجزع المنقوش بالذهب
 وسقفها مصنوع بالرخام وعلى القبر خشب الابنوس المرصع مكسو الاركان بالفضة
 وفوقه ثلاثة من قناديل الفضة وشرش القبة بالصوف والقطن وخارجها نهر كبير يشق
 الزاوية التي هنالك وعلى حافته الاشجار ودوالي العنب والياسمين وبالزاوية مساكن
 يسكنها الوارد والصادر ولم يغير التترأيا م كفرهم شيئاً من حال هذا الموضع المبارك بل
 كانوا يتبركون به لما يرون له من الآيات وكان الناظر في كل حال هذا الضريح المبارك وما
 يليه حين نزولنا به الامير غياث الدين محمد بن عبد القادر بن عبد العزيز بن يوسف بن
 الخليفة المستنصر بالله العباسي قدمه لذلك السلطان طر مشيرين لما قدم عليه من العراق
 وهو الآن عند ملك الهند وسياأتي ذكره ولقيت بسمرقند قاضيها المسمي عندهم صدر
 الجهان وهو من الفضلاء ذوى المكارم وسافر الى بلاد الهند بعد سفره اليها فأدركته
 منيته بمدينة ملتان قاعدة بلاد الهند

﴿ حكاية ﴾

سمات هذا القاضي بملتان كتب صاحب الخبر بأمره الى ملك الهند وانه قدم برسم بابه
 فاخترم دون ذلك فلما بلغ الخبر الى الملك أمر ان يبعث الي أولاده عدد من آلاف الدنانير
 لا اذكره الآن وأمر أن يعطى لاصحابه ما كان يعطى لهم او وصلوا معه وهو بقيد الحياة
 وملك الهند في كل بلد من بلاده صاحب الخبر يكتب له بكل ما يجري في ذلك البلد من
 الامور ومن يرد عليه من الواردين واذا أتى الوارد كتبوا من أى البلاد وردوا كتبوا

سمه ونعته وثيابه وأصحابه وخيله وخدامه وهيئته من الجلوس والمأكل وجميع شؤنه
 وتصرفاته وما يظهر منه من فضيلة أو ضدها فلا يصل الوارد إلى الملك الا وهو عارف
 بجميع حاله فتكون كرامته على مقدار ما يستحقه وسافرنا من سمرقند فاجتزنا ببلدة
 نسف واليه ينسب أبو خنص عمر النسفي مؤلف كتاب المنظومة في المسائل الخلافية بين
 الفقهاء الاربعة رضي الله عنهم ثم وصلنا إلى مدينة ترمذ التي ينسب اليها الامام أبو عيسى
 محمد بن عيسى بن سورة الترمذي مؤلف الجامع الكبير في السنن وهي مدينة كبيرة حسنة
 العمارة والاسواق تخرقها الانهار وبها البساتين الكثيرة والغنم والسفرجل بها كثير
 متناهي الطيب والاحوم بها كثيرة وكذلك الالبان وأهلها يغسلون رؤسهم في الحمام باللبن
 غوضاً عن الطفل ويكون عند كل صاحب حمام أوعية كبار مملوئة لبناً فاذا دخل الرجل
 الحمام أخذ منها في اناء صغير فغسل رأسه وهو يرطب الشعر ويصقله وأهل الهند يجعلون
 في رؤسهم زيت السمسم ويسمونونه الشيراج ويفصلون الشعر بعده بالطفل فينعم الجسم
 ويصقل الشعر ويظلمه وبذلك طالت لدى أهل الهند ومن سكن معهم وكانت مدينة ترمذ
 القديمة مبنية على شاطئ جيحون فلما خربها تسكيز بنيت هذه الحديثة على ميلين من النهر
 وكان نزولنا بها بزاوية الشيخ الصالح عزيزان من كبار المشايخ وكرماتهم كثير المسألة
 والرباع والبساتين ينفق على الوارد والصادر من ماله واجتمعت قبل وصولي إلى هذه
 المدينة بصاحبها علاء الملك خداوند زاده وكتب لي إليها بالضيافة فكانت تحمل الينا أيام
 مقامنا بها في كل يوم ولقيت أيضاً قاضياً قوام الدين وهو متوجه لرؤية السلطان
 طر مشيرين وطالب للاذن له في السفر إلى بلاد الهند وسأني ذكر لقاائي له بمذلك
 ولاخويه ضياء الدين وبرهان الدين بملتان وسفرنا جميعاً إلى الهند وذكراً أخويه
 الآخرين عماد الدين وسيف الدين ولقاائي لهما بحضرة ملك الهند وذكراً ولديه وقدمهما
 على ملك الهند بعد قتل أبيهما وتزويجهما بنتي الوزير خواجة جهان وما جرى في ذلك كله
 ان شاء الله تعالى ثم اجزنا نهر جيحون إلى بلاد خراسان وسمرنا بعد انصرافنا من ترمذ
 واجازة الوادي يوما ونصف يوم في صحراء ورمال لا عمارة بها إلى مدينة بلخ وهي

خاوية على عروشها غير عامرة ومن رآها ظنها عامرة لا تقان بناؤها وكانت ضخمة فسيحها
ومساجدها ومدارسها باقية الرسوم حتى الآن وتقوش ما فيها مدخلة باصبيغة اللازورد
والناس ينسبون اللازورد الى خراسان وانما يجلب من جبال بدخشان التي ينسب اليها
اللقاوت البدخشي والعامية يقولون البلخش وسيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى وخرب
هذه المدينة تكيز الالعين وهدم من مسجد هانحو الثالث بسبب كنز ذكر له انه تحت سارية
من سواريه وهو من احسن مساجد الدنيا وافسحها ومسجد رباط الفتح بالمغرب يشبهه
في عظم سواريه ومسجد شيخ اجل منه في سوى ذلك ﴿حكاية﴾

ذكر لي بعض اهل التاريخ ان مسجد باغ بنته امرأة كان زوجها امير ابا باغ لبني العباس
يسمي داود بن علي فاتفق ان الخليفة غضب مرة على اهل باغ لحادث احدثوه فبعث اليهم
من يغرمهم فمروا فادحافا لما باغ الي باغ اتى نساؤها وصيدانها الى تلك المرأة التي بنت
المسجد وهي زوج اميرهم وشكوا حالهم ومالقةهم من هذا المغموم فبعث اليه الامير الذي
قدم برسوم تغريمهم ثوب لثام مرصع بالجواهر قيمته اكثر مما امر بتغريمه فقالت له اذهب
هذا الثوب الى الخليفة فقد اعطيتك صدقة عن اهل باغ اضف حالهم فذهب به الى الخليفة
والقى الثوب بين يديه وقص عليه القصة فحجل الخليفة وقال اتكون المرأة اكرم منا و امره
يرفع المذرم عن اهل باغ وبالعودة اليها ليرد لامرأة ثوبها واسقط عن اهل باغ خراج سنة
فما دالا امير الى باغ واتى منزل المرأة وقص عليها ما تالة الخليفة ورد عليها الثوب فقالت له
اوقع بصر الخليفة على هذا الثوب قال نعم قالت لا ابس ثوبا وقع عليه بصر غير ذي محرم وفي
وامرت بيده فبقي منه المسجد والزاوية ورباط في مقابلاته مبنى بالكذان وهو عامر حتى
الآن وفضل من الثوب مقدار ثلثه فذكر انها امرت بدفنه تحت بعض سوارى المسجد
ليكون هنالك متديرا ان احتيج اليه خرج فاخبر تشكيز هذه الحكاية فامر بهدم سوارى
المسجد فهدم منها نحو الثالث ولم يجد شيئا فترك الباقي على حاله وبخارج باغ قبر يدكر انه قبر
عكاشة بن محسن الاسدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما الذي يدخل الجنة
بلا حساب وعليه زاوية عظيمة بها كان نزولنا وبخارجها بركة ماء عجيبة عليها شجرة جوز

عظيمة ينزل الواردون في الصيف تحت ظلالها وشيخ هذه الزاوية يعرف بالحاج جرد وهو الصغير من الفضلاء وركب معنا وأرانا مزارات هذه المدينة منها قبر حزقييل النبي عليه السلام وعليه قبة حسنة ووزر نابها أيضاً قبورا كثيرة من قبور الصالحين لا أذكرها الآن ووقفنا على دار ابراهيم بن آدم رضي الله عنه وهي دار ضخمة مبنية بالصخر الأبيض الذي يشبه الكذان وكان زرع الزاوية مقترنا بها وقد سدت عليه فلم ندخلها وهي بقربة من المسجد الجامع ثم سافرنا من مدينة بلخ فمرنا في جبال قومستان (قهستان) سبعة أيام وهي قرى كثيرة عامرة بها المياه الجارية والأشجار المورقة وأكثرها شجر التين وبها زوايا كثيرة فيها الصالحون المنقطعون إلى الله تعالى وبعد ذلك كان وصولنا إلى مدينة هرات وهي أكبر المدن العامرة بخراسان ومدن خراسان العظيمة أربع ثلثان عامرتان وهما هرات ونيسابور وثلثان خربتان وهما بلخ ومرو ومدينة هرات كبيرة عظيمة كثيرة العمارة لاهلها صلاح وعفاف وديانة وهم على مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه وبلدهم طاهر من الفساد

﴿ ذكر سلطان هرات ﴾

وهو السلطان المعظم حسين بن السلطان غياث الدين الغوري صاحب الشجاعة المأثورة والتأييد والسعادة ظهر له من انجاده الله تعالى وتأييده في موطين اثنين ما يقضي منه العجب أحدهما عندما لاقاه جيشه لاسلطان خليل الذي بنى عليه وكان منتهى أمره حصونه أسير في يديه والموطن الثاني عندما لاقاه بنفسه لمسه ودسلطان الرافضة وكان منتهى أمره تبديده وفراره وذهاب ملكه وولي السلطان حسين المالك بعد أخيه المروفي بالحافظ وولي أخوه بعد أخيه غياث الدين

﴿ حكاية الرافضة ﴾

كان بخراسان رجلا نأحدهما يسمى بمسعود والآخر يسمى بمحمد وكان لهما خمسة من الأصحاب وهم من الفتاك ويعرفون بالعراق بالشطار ويعرفون بخراسان بسر ابداران (سر بداران) ويعرفون بالمغرب بالصقورة فاتفق سبعتهم على الفساد وقطع الطرق وسلب الأموال وشاع خبرهم وسكنوا جبلا منيعا بمقربة من مدينة يهق وتسمى أيضا

مدينة سيزار (سيزوار) وكانوا يكمنون بالنهار ويخرجون بالليل والعشي فيضربون على القرى ويقطعون الطرق يأخذون الاموال وانتال عليهم أشباههم من أهل الشر والفساد فكثرت عددهم واشتدت شوكتهم وهاجم الناس وضربوا على مدينة ييهق فملكوها ثم ملكوا سواها من المدن واكتسبوا الاموال وجندوا الجنود وركبوا الخيل وتسمى مسعود بالسلطان وصار العبيد يفرون عن مواليهم اليه فكل عبده فر منهم يعطيه الفرس والمال وان ظهرت له شجاعة أمره على جماعة فعظم جيشه واستفحل أمره وتمذهب جميعهم بذهب الرنض وطمحوا الى استئصال أهل السنة بخراسان وان يجعلوها كلمة واحدة رافضية وكان بمشهد طوس شيخ من الرافضة يسمى بحسن وهو منسبهم من الصالحاء نوافقهم على ذلك وسموه بالخليفة وأمرهم بالعدل فظهروه حتى كانت الدراهم والدنانير تسقط في مسكرهم فلا يانقظها احد حتى يأتي ربها فيأخذها او غلبوا على نيسابور وبث اليهم السلطان طغتمور بالهساكر فهزموها ثم بعت اليهم نائيه أرغون شاه فهزموه وأسروه ومنوا عليه ثم غزاهم طغتمور بنفسه في خمسين ألفا من التتر فهزموه وملكوا البلاد وتغلبوا على سرخس والزاق وطوس وهي من أعظم بلاد خراسان وجعلوا خليفهم بمشهد على بن موسى الرضي وتغلبوا على مدينة الحام ونزلوا بخارجها وهم قاصدون مدينة هرات وينهاو بينهم مسيرة ست فلما بلغ ذلك الملك حسينا جمع الامراء والعساكر واهل المدينة واستشارهم هل يقيمون حتى يأتي القوم او يعضون اليهم فيناجزونهم فوقع اجتماعهم على الخروج اليهم وهم قبيلة واحدة يسمون الفورية ويقال انهم منسوبون الي غور الشام وان اصلهم منه فجهزوا اجمعون واجتمعوا من اطراف البلاد وهم ساكنون بالقرى وبصحراء مرغيس (بدغيس) وهي مسيرة أربع لا يزال عشبها أخضر ترعي منه ماشيتهم وخيلهم واكثر شجرها الفستق ومنها يحمل الي أرض العراق وعضدهم أهل مدينة سمنان ونهروا جميعا الي الرافضة وهم مائة وعشرون ألفا مائة ورجالة وفرسان يقودهم الملك حسين واجتمعت الرافضة في مائة وخمسين ألفا من الفرسان وكانت الملاقاة بصحراء بوشنج وهب الفريقان معانم ثم كانت الدائرة على

الرافضة وفرسلطانهم مسعود وثبت خليفتهم حسن في عشرين ألفا حتى قتل وقتل أكثرهم وأسروا منهم نحو أربعة آلاف وذكري بعض من حضر هذه الواقعة ان ابتداء القتال كان في وقت الضحى وكانت الهزيمة عند الزوال ونزل الملك حسين بعد الظهر فصلى وأتى بالطعام فكان هو وكبراء أصحابه يأكلون وسائرهم يضربون أعناق الأسرى وعاد الى حضرته بعد هذا الفتح العظيم وقد نصر الله السنة على يديه وأطفأ نار الفتنة وكانت هذه الواقعة بعد خروجي من الهند عام ثمانية وأربعين ونشأ بهرات رجل من الزهاد والصالحاء الفضلاء واسمه نظام الدين مولانا وكان أهل هرات يحبونه ويرجعون الى قوله وكان يعظمهم ويذكروهم وتوافقوا معه على تغيير المنكر وما قدمهم على ذلك خطيب المدينة المعروف بملك ورنانا هو ابن عم الملك حسين ومتزوج بزوج والدوهي من أحسن الناس صورة وسيرة والملك يخافه على نفسه وسنذكر خبره وكانوا في علموا بمنكر ولو كان عند الملك غيره

﴿ حكاية ﴾

ذكر لي أنهم تعرفوا يومان بدار الملك حسين منكر افا اجتماعوا لتغييره وتحصن منهم بداخل داره فاجتمعوا على الباب في ستة آلاف رجل نخاف منهم فاستحضر الفقيه وكبار البلد وكان قد شرب الخمر فاقاموا عليه الحد بداخل قصره انصرفوا عنه

﴿ حكاية هي سبب قتل الفقيه نظام الدين المذكور ﴾

كانت الاثراك المجاورون لمدينة هرات الساكنون بالصحرَاء وملكهم طغيتمور الذي مر ذكره وهم نحو خمسين ألفا يخافهم الملك حسين ويهدى لهم الهدايا في كل سنة ويدارهم وذلك قبل هزيمته للرافضة وأما بعد هزيمته للرافضة فتقلب عليهم ومن عادة هؤلاء الاثراك التردد الى مدينة هرات وربما شربوا بها الخمر وأتاها بعضهم وهو سكران فكان نظام الدين يخدمهم وجد منهم سكرانا هؤلاء الاثراك أهل نجدة وبأس ولا يزالون يضربون على بلاد الهند فيسبون ويقتلون وربما سبوا بعض المسلمين اللاتي يكن بارض الهند ما بين الكفار فاذا خرجوا بهن الى خراسان يطلق نظام الدين المسلمين من أيدي الترك وعلامة النسوة المسلمين بارض الهند ترك ثقب الاذن والكافرات آذانهن منقوبات

فاتفق مرة ان أمير من أمراء الترك يسعي تمور الطي سبي امرأة وكلف بها كلفا شديدا
فذكرت انها مسلمة فانتزعها الفقيه من يده فباع ذلك من التركي مبلغا عظيما وركب في آلاف
من أصحابه وأغار على خيول هرات وهي في مرعاهما بصحراء مرغيس (بدخيس)
واحتلواها فلم يتركوا الا اهل هرات ما يركبون ولا ما يخابون وصعدوا بها الى جبل هنالك
لا يقدر عليهم فيه ولم يجد السلطان ولا جنده خيالا يتبعونهم بها فبعث اليهم رسولا يطلب
منهم رد ما أخذوه من الماشية والخيول ويذكرهم العهد الذي بينهم فاجابوا بانهم لا يردون
ذلك حتي يكتنوا من الفقيه نظام الدين فقال السلطان لاسبيل الى هذا وكان الشيخ أبو
أحمد الجسقي حفيد الشيخ مودود الجسقي له بخراسان شأن عظيم وقوله معتبر لديهم فركب
في جماعة خيل من أصحابه ومما ليكه فقال أنا أحمل الفقيه نظام الدين معي الى الترك ليرضوا
بذلك ثم أردده فكان اناس مالوا الى قوله ورأى الفقيه نظام الدين اتفاقهم على ذلك فركب
مع الشيخ أبي أحمد ووصل الى الترك فقام اليه الامير تمور الطي وقال له أنت أخذت
امرأتي مني وضربه بدبوسه فكسر دماغه فخر ميتا فسقط في أيدي الشيخ أبي أحمد
وانصرف من هنالك الى بلده وورد الترك ما كانوا أخذوه من الخيل والماشية وبمددة
قدم تلك التركي الذي قتل الفقيه على مدينة هرات فلقية جماعة من أصحاب الفقيه فقدموا
اليه كأنهم مسلحون عاياه وتحت ثيابهم السيوف فقتلوه وفر أصحابه ولما كان بعد هذا بعث
الملك حسين ابن عمه ملك ورنال الذي كان رفيق الفقيه نظام الدين في تغيير المنكر رسولا
الى ملك سجستان فلما حصل بها بعث اليه أن يقيم هنالك ولا يعود اليه فقصد بلاد الهند
ولقيته وأنا خارج منها بمدينة سيوستان من السند وحوأ أحد الفضلاء وفي طبعه حب الرياسة
والصيد والبزاة والخيول والاعمال والاصحاب واللباس الملوكي الفاخر ومن كان على هذا
الترتيب فانه لا يصلح حاله بأرض الهند فكان من أمره ان ملك الهند ولأه بلاد صغيرا وقتله
به بعض أهل هرات المقيمين بالهند بسبب جارية وقيل ان ملك الهند دس عليه من قتله
بسعي الملك حسين في ذلك ولا جله خدع الملك حسين ملك الهند بعد موت ملك ورنال
المذكور وهاذا ملك الهند وأعطاه مدينة بكار من بلاد السند ومجباها خمسون ألفا من

دناير الذهب في كل سنة (وانعد) الى ما كنا بسبيله فنقول سافرنا من هرات الى مدينة الجام وهي متوسطة حسنة ذات بساتين وأشجار وعيون كثيرة وأنهار وأكثر شجرها التوت والحريز بها كثير وهي تنسب الى الولي العابد الزاهد شهاب الدين أحمد الجامي وسندكر حكايته وحفيدة الشيخ أحمد المعروف بزاده التي قتله ملك الهند والمدينة الآن لا ولادة وهي محروقة من قبل الساطان وانهم بها نعمة وثروة وذكر لي من أتق به ان السلطان أباسعيد ملك العراق قدم خراسان مرة ونزل على هذه المدينة وبها زاوية الشيخ فأضافه ضيافة عظيمة وأعطى لكل خباء بمحلته رأس غنم ولكل أربعة رجال رأس غنم واكل دابة بالحلقة من فرس وبغل وحمار علف ليلة فلم يبق في الحلقة حيوان الا وصلته ضيافة

﴿ حكاية الشيخ شهاب الدين الذي تنسب اليه مدينة الجام ﴾

يدكر انه كان صاحب راحة يكثر من الشرب وكان له من الندماء نحو ستين وكانت لهم عادة أن يجتمعوا يومافي منزل كل واحد منهم فتدور التوبة على أحدهم بعد شهرين وبقوا على ذلك مدة ثم ان التوبة وصلت يومالي الشيخ شهاب الدين فعقد التوبة ليلة التوبة وعزم على اصلاح حاله مع ربه وقال في نفسه ان قلت لاصحابي اني قد تبنت قبل اجتماعهم عندي ظنوا ذلك عجزا عن مؤتتهم فأحضر ما كان يحضر مثله قبل من مأكولات ومشروبات وحمل الخمر في الزقاق وحضر أصحابه فلما أرادوا الشرب فتحوا زقاق فذاقه أحدهم فوجد حلو ثم فتحوا ثانيا فوجدوه كذلك ثم ثالثا فوجدوه كذلك فكلما شربوا الشيخ في ذلك فخرج لهم عن حقيقة أمره وصدقهم سن بكره وعرفهم بتوبته وقال لهم والله ما هذا الا الشراب الذي كنتم تشربونه فيما تقدم فتابوا جميعا الى الله تعالى وبنوا تلك الزاوية وانقطعوا بها العبادة لله تعالى وظهر لهذا الشيخ كثير من الكرامات والمكاشفات ثم سافرنا من الجام الى مدينة طوس وهي من أكبر بلاد خراسان وأعظمها بلدا امام الشهير أبي حامد الغزالي رضي الله عنه وبها قبره ورحلنا منها الى مدينة مشهد الرضى وهو على بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهي أيضا مدينة كبيرة ضخمة كثيرة

الفواكه والمياه والارحاء الطاخنة وكان بها الطاهر محمد شاه والطاهر عندهم بمعنى النقيب
عند أهل مصر والشام والعراق وأهل الهند والسند وتركيستان يقولون السيد الاجل وكان
أيضاً بهذا المشهد القاضي الشريف جلال الدين لقيته بأرض الهند والشريف علي وولده
أمير هندو ودولة شاه وصحبوني من ترمذ الى بلاد الهند وكانوا من الفضلاء والمشهد المكرم
عليه قبة عظيمة في داخل زاوية تجاورها مدرسة ومسجد وجميعها ملبح البناء مصنوع
الحيطان بالقاشاني وعلى القبر دكانة خشب ملبسة بصفايح الفضة وعليه قناديل فضة معلقة
وعتبة باب القبة فضة وعلي بابها ستر حرير مذهب وهي مبسوطة بأنواع البسط وازاء هذا
القبر قبر هارون الرشيد أمير المؤمنين رضي الله عنه وعليه دكانة يضعون عليها الشمعدانات
التي يعرفها أهل المغرب بالحسك والمناثر وإذا دخل الرافضي للزيارة ضرب قبر الرشيد
برجله وسلم على رضي ثم سافرنا الى مدينة سرخس واليه ينسب الشيخ الصالح لقمان
السرخسي رضي الله عنه ثم سافرنا منها الى مدينة زاوة وهي مدينة الشيخ الصالح قطب الدين
حيدر واليه تنسب طائفة الحيدرية من الفقراء وهم الذين يجعلون حلق الحديد في أيديهم
وأعناقهم وآذانهم ويجعلونها أيضاً في ذكورهم حتى لا يتأني لهم النكاح ثم رحلنا منها فوصلنا
الى مدينة نيسابور وهي إحدى المدن الأربع التي هي قواعد خراسان ويقال لها دمشق
الصغيرة لكثرة فواكهها وبساتينها ومياهها وحسنها وتخترقها أربعة من الأنهار وأسواقها
حسنة متسعة ومسجدها بدیع وهو في وسط السوق ويليه أربع من المدارس يجري بها
الماء الغزير وفيها من الطلبة خلق كثير يقرؤون القرآن والفقه وهي من حسان مدارس
تلك البلاد ومدارس خراسان والعراقيين ودمشق وبغداد ومصر وإن بلغت الغاية من
الاتقان والحسن فكلها تقصر عن المدرسة التي عمرها مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله
المجاهد في سبيل الله عالم الملوك واسطة عقد الخلفاء العاديين أبو عنان وصل الله سعيده ونصر
جنده وهي التي عند القصبة من حضرة فاس حرسها الله تعالى فانها لا نظير لها سعة وارتفاعا
ونقش الجص بها لا قدرة لأهل المشرق عليه ويصنع بنيسابور ثياب الحرير من النخ
والكمجاء وغيرها وتحمل منها الى الهند وفي هذه المدينة زاوية الشيخ الامام العالم القطب

العابد قطب الدين النيسابوري أحد الوعاظ العلماء الصالحين نزلت عنده فأحسن القرى
وأكرم ورأيت له البراهين والكرامات العجيبة

﴿كرامة له﴾

كنت قد اشتريت بنيسابور غلاماً تركياً فآمرته أن يقرأ معي فقال لي هذا الغلام لا يصلح لك فبعه
فقلت له نعم وبعته الغلام في غد ذلك اليوم واشتراه بمض التجار ووادعت الشيخ وانصرفت
فلما حلت بمدينة بسطام كتب إلى بعض أصحابي من نيسابور وذكّر أن الغلام المذکور قتل
بعض أولاد الأتراك وقتل به وهذه كرامة واضحة لهذا الشيخ رضي الله عنه وسافرت
من نيسابور إلى مدينة بسطام التي ينسب إليها الشيخ العارف أبو يزيد البسطامي الشهير
رضي الله عنه وبهذه المدينة قبره ومعه في قبة واحدة أحد أولاد جعفر الصادق رضي الله عنه
وبسطام أيضاً قبر الشيخ الصالح الولي أبي الحسن الحزقاني وكان نزولي من هذه المدينة
بزاوية الشيخ أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه ثم سافرت من هذه المدينة على طريق هند
خير إلى قدوس وبغلان وهي قرى فيها مشايخ وصالحون وبها البساتين والانهار فترانا
بقندوس على نهر ماء به زاوية لأحد شيوخ الفقراء من أهل مصر يسمى بشير سياه ومعنى
ذلك الاسد الأسود وأضافنا بها وإلى تلك الأرض وهو من أهل الموصل وسكناء بيستان
عظيم هنالك وأقربنا خارج هذه القرية نحو أربعين يوماً رعي الجمال والحيل وبها مراعي طيبة
واعشاب كثيرة والأمن بها شامل بسبب شدة أحكام الأمير برنطيه وقد قدمنا أن أحكام
الترك في من سرق فرساً أن يعطى معه تسعة مثله فان لم يجد ذلك أخذ فيها أولاده فان لم يكن
له أولاد ذبح ذبح الشاة والناس يتركون دوابهم مهمة دون راع بعد أن يسم كل واحد
دوابه في أخذها وكذلك فعلنا في هذه البلاد واتفق أن تفقدنا خيلنا بعد عشر من نزولنا بها
فقدنا منها ثلاثة أفراس ولما كان بعد نصف شهر جاءنا التتر بها إلى منزلنا خوفاً على أنفسهم
من الأحكام وكنا نربط في كل ليلة أرواح خيولنا فرسين للماعسى أن يقع بالليل ففقدنا
الفرسين ذات ليلة وسافرنا من هنالك وبعد ثنتين وعشرين ليلة جاؤا بهما إلينا في أثناء
طريقنا وكان أيضاً من أسباب اقامتنا خوف الثلج فان بأثناء الطريق جبالاً يقال له هندوكوش

هو معناه قاتل الهند لان العبيد والجواري الذين يؤتى بهم من بلاد الهند يدعوت هنالك
الكثير منهم لشدة البرد وكثرة الثلج وهو مسيرة يوم كامل وأقنا حتى تمكن دخول
الحر وقطعنا ذلك الجبل من آخر الليل وسلكنا به جميع نهارنا الى الغروب وكنا نضع اليبود
بين أيدي الجمال تطأ عليها لا تفرق في الثلج ثم سافرنا الى موضع يعرف بأندر وكانت
هنالك فيما تقدم مدينة عني رسمها ونزلنا بقربة عظيمة فيها زاوية لاحد الفضلاء ويسمى
بمحمد المهر وي نزلنا عنده وأكرمنا وكان متى غسلنا أيدينا من الطعام يشرب الماء الذي
غسلنا به لحسن اعتقاده وفضله وسافر معنا الى ان صعدنا جبل هندوكوش المذكور
ووجدنا بهذا الجبل عين ماء حارة فغسلنا منها وحوها فتقشرت وتألمنا لذلك ثم نزلنا بموضع
يعرف ببنج هير ومعنى بنج خمسة وهير الجبل فمعناه خمسة جبال وكانت هنالك مدينة حسنة
كثيرة العماره على نهر عظيم أزرق كأنه بحر ينزل من جبال بدخشان وبهذه الجبال يوجد
انبا قوت الذي يعرفه الناس بالباخش وخرب هذه البلاد تسكيز ملك التتر فلم تعمربعد
وبهذه المدينة مزار الشيخ سعيد المكي وهو معظم عندهم ووصلنا الى جبل بشاي (وضبطه
بفتح الباء المعقودة والشين المعجم والف وياء ساكنة) وبه زاوية الشيخ الصالح أطا أولياء
وأطا (بفتح الهمزة) معنا بالتركية الأب واولياء باللسان العربي فمعناه ابوالاولياء ويسمى
أضاً سيصد صاله وسيصد (بسين مهمل مكسور و و ياء مد وصادمهممل مفتوح ودال
مهمل) ومعناه بالفارسية ثلاثمائة وصاله (سأله) (بفتح الصاد المهمل واللام) معناه
عام وهم يذكرون ان عمره ثلاثمائة وخمسون عاماً ولهم فيه اعتقاد حسن ويأتون لزيارته من
البلاد والقري ويقصده السلاطين والخواتين وأكرمنا وأضافنا ونزلنا على نهر عند زاويته
ودخلنا اليه فسلمت عليه وعانقني وجسمه رطب لم أر ألبين منه ويظن رأيته ان عمره خمسون
سنة وذكرك لي انه في كل مائة سنة ينبت له الشعر والاسنان وانه رأى أبارهم الذي قبره بملتان
من السند وسأله عن رواية حديث فأخبرني بحكايات وشككت في حاله والله أعلم بصدقه
ثم سافرنا الى برون (وضبطها بفتح الباء المعقودة وسكون الراء وفتح الواو آخره انون)
وفيهالقيت الامير برنطيه (وضبط اسمه بضم الباء وضم الراء وسكون التون وفتح الطاء

المهمل وباء آخر الحروف مسكن وهاء) وأحسن الى وأكرم في وكتب الى نوابه بمدينة
غزنة في اكرامى وقد تقدم ذكره وذكروا ما أعطي من البسطة في الجسم وكان عنده جماعة
من المشايخ والفقراء أهل الزوايا ثم سافروا الى قرية الجرخ (وضبط اسمها بفتح الجيم
المعقودة واسكان الراء وخاء معجم) وهي كبيرة لها بساكن كثيرة وفواكهها طيبة
قدمناها في أيام الصيف ووجدناها جماعة من الفقراء والطلبة وصلينا بها الجمعة وأضافنا
أميرها محمد الجرخي ولقيته بعد ذلك بالهند ثم سافروا الى مدينة غزنة وهي بلد السلطان
المجاهد محمود بن سبكتكين الشهير الاسم وكان من كبار السلاطين يا قب بيمين الدولة وكان
كثير الغزو الى بلاد الهند وفتح بها المدائن والحصون وقبره بهذه المدينة عليه زاوية وقد
خرب معظم هذه البلدة ولم يبق منها الا سيرة وكانت كبيرة وهي شديدة البرد والسكاكنون
بها يخرجون عنها أيام الب دالى مدينة القندهار وهي كبيرة محسبة ولم يدخلها وبينهما مسيرة
ثلاث و نزلنا بخارج غزنة في قرية هنالك على نهر ماء تحت قلعتها وأكرمنا أميرها مرذك أغا
ومرذك (بفتح الميم وسكون الراء وفتح الذال المعجم) ومعناه الصغير وأغ (بفتح الهمزة
والعين المعجم) ومعناه الكبير الاصل ثم سافروا الى كابل وكانت فيما سلف مدينة عظيمة
وبها الآن قرية يسكنها طائفة من الاعاجم يقال لهم الافغان ولهم جبال وشعاب وشوكة
قوية وأكثرهم قطاع الطريق وجباة الكير يسمى كور سليمان ويذكر ان نبي الله سليمان
عليه السلام صعد ذلك الجبل فنظر الى أرض الهند وهي مظلمة فرجع ولم يدخلها فسمى
الجبل به وفيه يسكن ملك الافغان وبكابل زاوية الشيخ اسماعيل الافغانى تلميذ الشيخ
عباس من كبار الاولياء ومنهار حلنا الى كرماتش وهي حصن بين جبلين تقطع به الافغان
وكنا حين جوازنا عليه نقاتلهم وهم بسفح الجبل ونرميهم بالنشاب فيفرون وكانت رفقتنا
مخفة ومعهم نحو أربعة آلاف فرس وكانت لى جمال انقطعت عن القافلة لاجلها ومضى
جماعة بعضهم من الافغان وطرحنا بعض الزاد وتركنا احوال الجمال التي أعيت بالطريق
وعادت اليها خيلنا بالغد فاحتلناها ووصلنا الى القافلة بعد العشاء الآخرة فبتنا بنزل شتتار
وهي آخر العمارة بمسايل بلاد الترك ومن هنالك دخلنا البرية الكبرى وهي مسيرة خمس

عشرة لا تدخل الا في فصل واحد وهو بسند نزول المطر بارض السند والهند وذلك في
 أوائل شهر يولييه ونهب في هذه البرية ريح السموم القاتلة التي تمفن الجسوم حتى ان الرجل
 اذا مات تنفخ أعضاؤه وقد ذكرنا ان هذه الريح تنهب أيضاً في البرية بين هرمز وشيراز
 وكانت تقدمت امامنا رفقة كبيرة فيها خد او ندزاده قاضي ترمذ فمات لهم جمال وخيل كثيرة
 ووصلت رفقتنا سالمة بحمد الله تعالى الي بنج آب وهو ماء السند ويخرج (بفتح الباء
 الموحدة وسكون النون والحيم) ومعناه خمسة وآب (بهمزة مفتوحة ومدودة وباء
 موحدة) ومعناه الماء فمعنى ذلك الاودية الخمسة وهي تصب في النهر الاعظم وتسقى تلك
 التواحي وسند كر ها ان شاء الله تعالى وكان وصولنا لهذا النهر سلخ ذى الحجة واستهل
 علينا تلك الليلة هلال المحرم من عام أربعة وثلاثين وسبعمائة ومن هنالك كتب المخبرون
 بخبرنا الي أرض الهند وعرفوا ملكها بكيفية أحوالنا وهما ينتهي بنا الكلام في هذا السفر
 والحمد لله رب العالمين

✽ تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني ✽

الصف المهندى

(تذييل) يقول مصححه وحيث انتهينا من رحلة الشيخ المغربي المعروف بابن بطوطة الى هذا الحد وهو أول جلد وقد شرع رحمه الله تعالى في ذكر ما شاهدته من العجائب والغرائب ببلاد الهند وهو ثاني جلد رأينا من المفيديان نورد هنا عبارة توجد في مقدمة ابن خلدون رحمه الله تعالى مما يتعلق بهذا القصد تتميها لفائدة وتقييد الاشارة ونصها بقصصها وقصصها * ورد على المغرب العهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة كان قد رحل منذ عشرين سنة قبلها الى المنرق وتلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك الهند واتصل بملكها لذلك العهد وهو السلطان محمد شاه وكان له منه مكان واستعمله في خطة القضاء بمذهب المالكية في عمله ثم انقلب الى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بممالك الارض وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ويأتى من أحواله بما يستغرب به السامعون مثل ان ملك الهند اذا خرج للسفر أحصى أهل مدينته من الرجال والنساء والولدان وفرض لهم رزق ستة أشهر يدفع لهم من عطائه وانه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة الى صحراء البلد ويطوفون به وينصب امامه في ذلك المحفل من جنينقات على الظهر يرمي بها شكار الدراهم والدنانير على الناس الى ان يدخل إيوانه وأمثال هذه الحكايات فتناجي الناس في الدولة بتكذيبه واقبت أبا يومثذ في بعض الايام وزير السلطان فارس بن ودرار البعيد الصيت ففاوضته في هذا الشأن وأرآته انكار أخبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه فقال الوزير فارس اياك ان تستكر مثل هذا من أحوال الدول بما أنك لم تره فتكون كابن الوزير الناشئ في السجن وذلك ان وزيرا اعتقله سلطانه فمكث في السجن سنين ربي فيها ابنه في ذلك الحبس فلما أدرك وعقل سأل عن اللحمان التي كان يتغذى بها فاذا قال له أبوه هذا لحم الغنم يقول وما الغنم فيصفها له أبوه بشياتها ونعوتها فيقول يا أبت تراها مثل الفأر فينكر عليه ويقول أين الغنم من الفأر وكذا في لحم البقر والابل اذ لم يعاين في محبسه الا الفأر فيحسبها كلها أبناء جنس للفأر وهذا كثير أما يعترى الناس في الاخبار كما يعترهم الوسواس في الزيادة عنهم

قصد الاغراب كما قدمناه أول الكتاب فليرجع الانسان الى أصوله وليكن مهتما على نفسه ومميزا بين طبيعة الممكن والمتنع بصريح عقله ومستقيم فطرته فما دخل في نطاق الامكان قبله وما خرج عنه رفضه وليس مرادنا الامكان العقلي المطلق فان نطاقه اوسع شئ فلا يفرض حدا بين الواقعات وانما مرادنا الامكان بحسب المادة التي لاشئ فاذا نظرنا اصل الشئ وجنسه وفصله ومقدار عظمه وقوته أجرينا الحكم في نسبة ذلك على أحواله وحكمنا بالامتناع على ما خرج عن نطاقه وقل ربي زدني علما (اه بحروفه)

To: www.al-mostafa.com